

أمين الرحباني

ملوك العرب

أر
رحلة في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقيام

مزينة بالخرائط والرسوم
وفهرست اعلام

الجزء الثاني

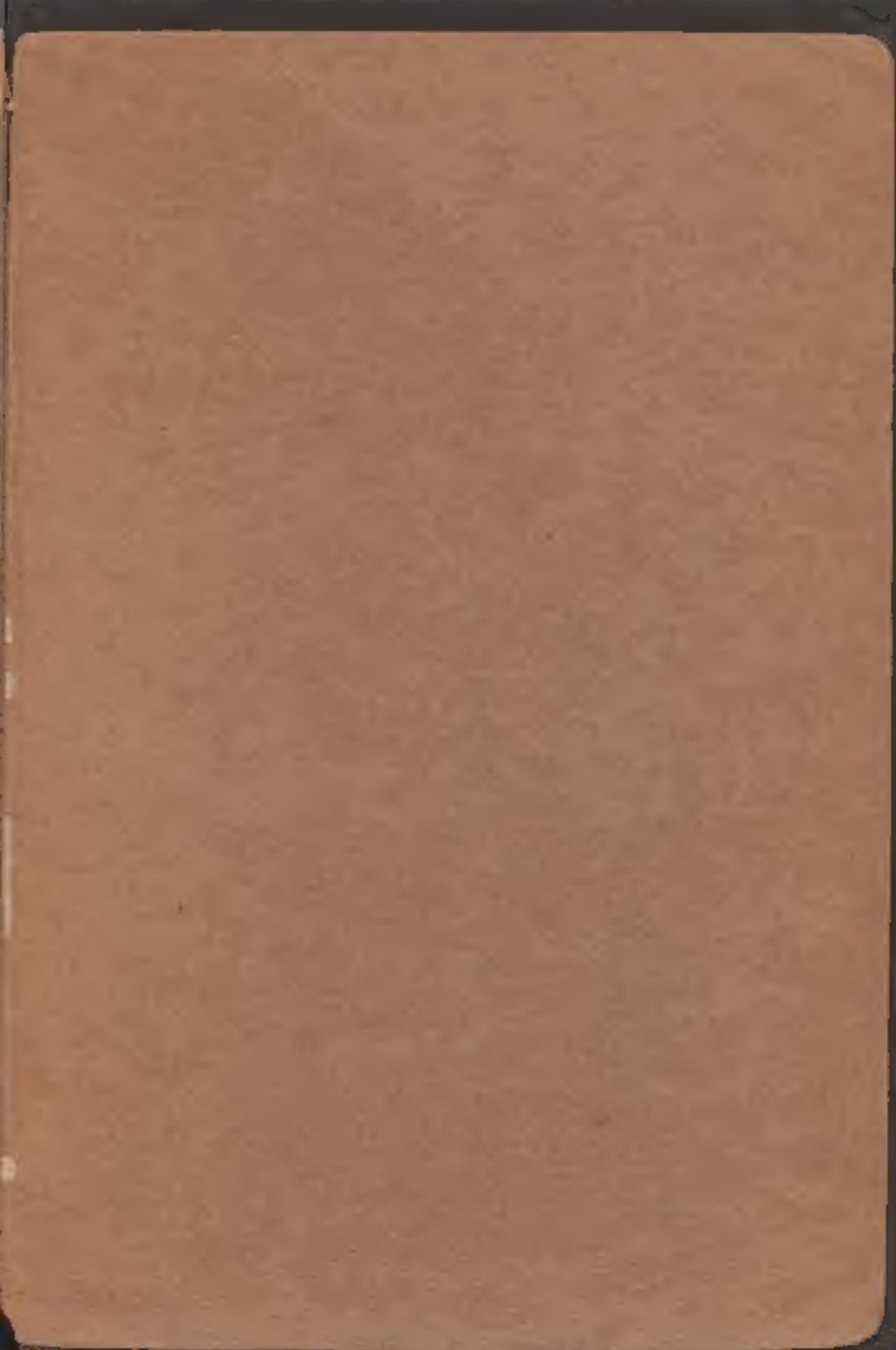
مملكة نجد وماعقانا

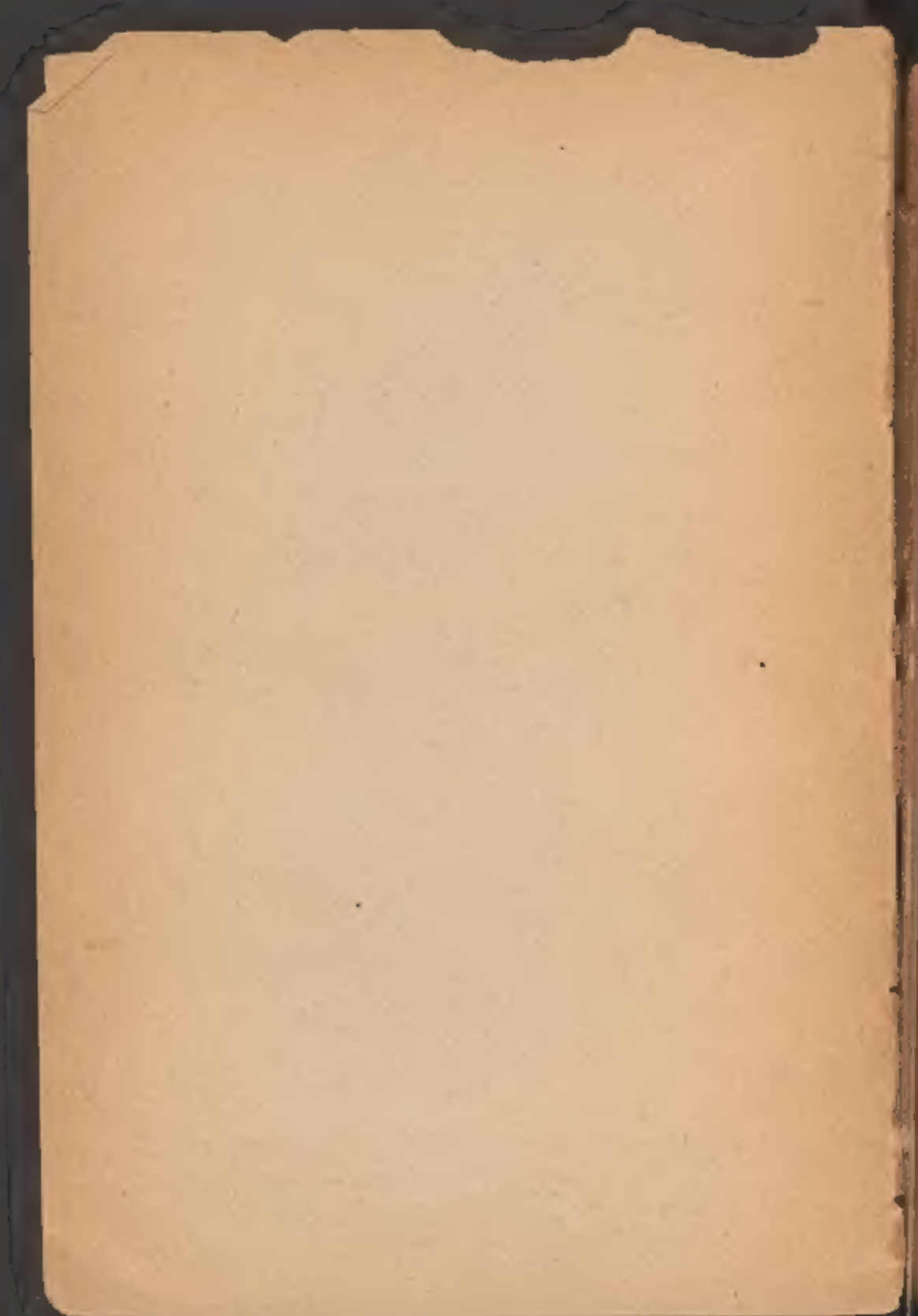
الكويت - البحرين - العراق

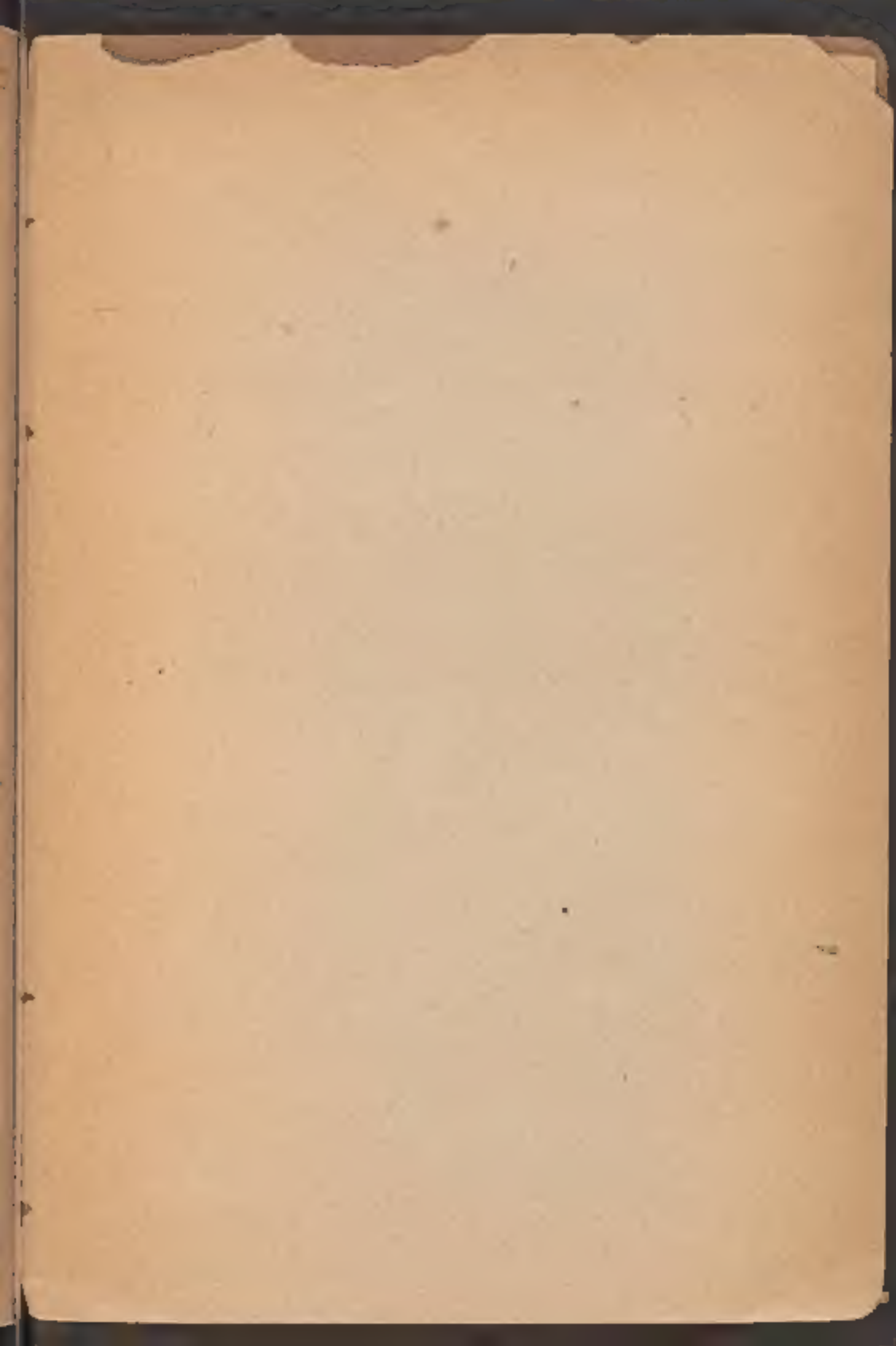
الطبعة الثالثة

اشرف على تصحيحها وطبعها البعث الوطني بتفريق المؤلف

طبع في مطابع حيدر رجباني - بيروت ١٩٥١







Rihani, Ameen Fares

لهرة للشيخ المرحوم
المترجمة عن
مصر النهر

/Mulūk al-ʿArab/

أمين الريحاني

مُلُوكُ الْعَرَبِ

أو
رحلة في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مترجمة باقراط والرسوم
وفهرست اعلام

الجزء الثاني

سلطنة نجد وملحقاتها
الكويت - البحرين - العراق

الطبعة الثالثة

اشرف على تصحيحها وطبعها البرت الريحاني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر ريجاني - بيروت ١٩٥١

الطبعة الأولى : بيروت - ١٩٢٤

الطبعة الثانية : بيروت - ١٩٢٩

الطبعة الثالثة : بيروت - ١٩٥١

DS

49

7

R5

1957

V. 2

C. 1

فهرس الجزء الثاني

القسم الخامس

عبدالعزيز آل فيصل آل سعود سلطان نجد

صفحة	
١٢	سلطنة نجد وملحقاتها
١٤	الفصل الاول : شذنا حريمه فشاء الله اضرمه
١٨	في بغداد الثاني
٢٥	في البحرين الثالث
٣٢	في ظل الشراع الرابع
٣٦	الملتقى في النفود الخامس
٤٦	في موكب السلطان السادس
٥٣	السلطان عبدالعزيز السابع
٥٩	بين العراق والحيجاز الثامن
٦٦	مؤثر العقيد التاسع
٧٤	العدل اساس الملك العاشر
٨٢	الاخوان الحادي عشر
٨٩	في القصر بالرياض الثاني عشر
٩٧	ونقل فوق ما فعلوا الثالث عشر
١٠٣	الروشم الرابع عشر
١١٨	القصيم الخامس عشر
١٢٧	الدهناء السادس عشر
١٤٩	الحضر السابع عشر

القسم السادس

آل صباح شيوخ الكويت

صفحة	
١٥٩	الكويت
١٦٠	الفصل الاول في الكويت
١٦٦	• الثاني آل صباح
١٧٥	امراء الكويت من آل صباح
١٧٦	• الثالث مشكل الكويت
١٨٢	• الرابع الشيخ احمد الجابر آل صباح
١٨٦	• الخامس الشيخ خزعل

القسم السابع

آل خليفة شيوخ البحرين

١٩٧	البحرين
١٩٨	الفصل الاول سلسلة من المدهشات
٢٠٩	• الثاني مهد الحضارة والشرائع
٢٢٣	• الثالث البحرين
٢٢٩	• الرابع البحرين في التاريخ الاسلامي
٢٤٠	• الخامس آل خليفة
٢٥٩	• السادس الشيخ عيسى والانكليز
٢٦٧	• السابع النهضة الوطنية

القسم الثامن

الملك فيصل والعراق

صفحة	
٢٧٨	العراق
٢٧٩	الفصل الأول
٢٩٥	من العروبة الى التجرب
٣٠٢	لا حكومة ولا انتداب
٣١٢	مآدب النعم
٣٢١	الامير فيصل في الحرب
٣٢٦	معان وعمان
٣٣٦	مناطق القوضى
٣٤٥	لجنة الاستفتاء الامير كبة
٣٥٠	مرجعيون
٣٥٧	ملك سوريا
٣٦٢	ميسلون
٣٧٤	الثورة في العراق
٣٨٠	فليحي الملك
٣٨٨	المعاهدة
٤١٣	اصحاب المعالي
٤٤٠	اصحاب القوافي
٤٥٣	السادس عشر حجر الزاوية
٤٦٠	الحقبة او تنمة البحث في الوحدة العربية
	فهرس الاعلام

فهرس الحرانط والرسم

صفحة	
١٠	مظلة السلطان عبد العزيز آل فيصل آل سعود
١٥٧	ممو الشيخ احمد الجابر آل صباح
١٩٣	خارطة مقاطعة الاحساء
١٩٥	ممو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين
٢٧٦	جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي



عشمة الملقان عبد العزيز آل واصل آل معود

القسم الخامس

عبد العزيز آل فيصل آل سعود
سلطان نجد

سلطنة نجد وملحقاتها^(١)

سنة ١٩٢٢ م ١٣٤٠ هـ

•

مروءها : شرقاً خليج فارس من الجافورة وقطر الى رأس المشاب ثم منطقة الحياض بنجد والكويث من رأس المشاب الى رأس القلبة .

جنوباً خط يمتد من أبيها في نجد الى ملتقى الخطين الثامن عشر من العرض الشمالي والسادس والأربعين من الطول الشرقي ، ثم يدور شمالاً الى السيلك ومنها حول الربع الحالي شرقاً الى الاحقاف فحدود قطر فالجافورة حتى الخليج

شمالاً منطقة الحياض بين نجد والعراق ، وهي في شكل قطعة بقلادة بين الخطوط ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من العرض الشمالي والخطوط ١٦ و ١٧ و ١٨ من الطول الشرقي ، ثم خط يمتد من قروب شعب الاعوج شمالاً الى بئر ليفه ، ثم شمالاً بغرب الى بئر منيا فبجذبله فجبل عنيز الكائن بين الخطين ٣٢ و ٣٣ من العرض الشمالي والخطين ٣٩ و ٤٠ من الطول الشرقي .

اما غرباً من جبل عنيز الى شرقي الاردن ومن شرقي الاردن الى آخر الحجاز الجنوبي الغربي فلا تزال الحدود مختلفة عليها .
الا ان الجوف وحرّة خيبر هما اليوم في حوزة سلطان نجد .

(١) محافظة على التاريخ اقيمت اسم سلطنة نجد وحدودها كما كانت يوم رحلني و يوم صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب . ■ تطور البلاد النجدية واتساع حدودها . ومباينة سلطانها ملكاً بعد ذلك فقد دونت اخبارها في كتابي « تاريخ نجد الحديث »

عرو سكانها : نحو مليوني نفس .

ساحنها : نحو خمسة الف ميل مربع .

اهم قبائلها : مطير وحرب وعتيبة وسبيع والدواسر والسجبان والقوازم
والسهول وبنو مرة وقحطان .

اهم بلادها : الرياض وزييدته وعنفه وحابل وثومده وشقرا والحججه
وحريظه والمخزوف والتطيف .

مزاياها : الوعابية والشبة وبعض السه .

الفصل الاول

شئنا حريته نشاء الله أضرمه^(١)

القبائل الثلاث بيني وبين ابن السعود - في غير الأوكار - بطن - العبيد والجهري
والانكيز - قلت نجد : فقالوا : العراق - جا - الاذن بالسفر - الفرقة السكتاني
في بيهي - السفر الى العراق - سقوط معزود - الامر الذي يتعلق بسفري -
وكيل ابن السعود يصل الى بيهي - مولانا السلطان يرحب بكم - والاكيز
٧ بالذئب - كتاب من كاتب اسرار الطاهر العام في الامور السياسية الى مدير
الفرقة في بيهي .

حكنت في طبع يوم حكنت الى عظمة السلطان عبد العزيز اطلمه على
الغرض من رحلتي في البلاد العربية واستأذنه بزيارته والسياسة في بلاده .
وكان بيني وبينه بحر الهند ثم النفوذ ثم الدهناء ثم الانصاف . اما العتبات
الثلاث الاولى فقد حكنت والحق يقال سهولة بالنظر الى الاخيرة . هي ذي
العقبة الكأداء . حقاً وقد يكون في قصتها عجة للسياسيين وفائدة للسائعين
والقراء . كتبت كتابي قبل ان سافرت الى صنعاء وارسلته بواسطة تاجر
معروف في عدن ليرسله الى وكيل ابن سعود في البحرين . وفي الكتاب
وجوه من عظمة السلطان الاسراع في الجواب من يد رجليه القصبي حتى
اذا مررت بالبحرين في سفري الى العراق اكشف بطر تتوقف عليه خلتي في
الرجل . وكان في نيي اذا حكنت الجواب بالاجاب ان اسرح في نجد قبل
ان ازور العراق . هي خطة يوجبها المسلك الجبراني وطرق البحر ، فضلاً من
الاقتصاد بالوقت والمال .

جئت بعد ثلاثة اشهر من صنعاء الى عدن واقت فيها تحت سراق

(١) مثل من امثال نجد يضرب بمأكبات الزمان ، وحريته وضربه بلدان في
العارض ثم يسكنون فيه الاسم أضرمه .

القيظ ، في فم البركان ، بين فشاخ الجدي والحى ، ستة اشابيع انتظر من اصحابي الانكليز اذنًا بالسفر الى - الى نجد ؟ كلا . بل الى العراق . فان ابن سعود عند هؤلاء الاماخذ شخص مقدس لا يدنو منه غير المقربين من قدس الاقداس على شاطئ التيس . وانك اذا جهزت لاحد الوكلاء او المندوبين السياسيين في السواحل العربية رغبتك فضلاً عن الاستئذان تجد الرجل واحداً من ثلاثة : فاما انه يرجى . ويسوف سياسة ، او ينتم هزأ ، او يرفض شافاً . وقد بقيت الثلاثة في اولياء الامر بعدن . قلت : نجد ، فقالوا : العراق . قلت : ابن سعود ، فابتسموا ثم رفضوا : لا علاقة لنا بالوجع واميره . ثم جاءني كتاب من الحاكم يقول فيه : قد وصلنا نبأ برقي من المندوب السامي في العراق يأذن لك فيه بالسفر الى بغداد . ومن كتاب آخر فلاة علمت ان لابس برووي بالبحرين ، وفي بعد مقابلة اولياء الامر في بغداد اسافر الى نجد اذا كان جواب ابن سعود يأذن بذلك .

كان قد مر اربعة اشهر ونصف على كتابتي الى السلطان عبد العزيز ، فوافرت من عدن الى يباي قصداً من هناك البصرة ، وفي قلبي تشوق الى الجواب شديد . ولا اكتم القارىء ان رغبتى بزيارة رجل نجد الكبير كانت ترداد شدة كلما تحدثت وحالات دونها البقات .

وصلت الى يباي فوجدت ان امري موككل برجال الشرطة هناك . ولكنهم اكرموا وفادتي فزرت الدائرة ولم يسكلفوني زيارة السجن . وقد اظهر المدير رغبته في التعرف الى هذا السائح العربي الاميركي الذي تفتحه له ابواب افقت مراراً دون سواه ، اذ ان السفر في تلك الايام حتى الى العراق حصان محظوراً على غير الانكليز . وقد علمت ان بعض التجار الاميركيين انتظروا شهرين في يباي ليجيئهم الاذن بالسفر الى العراق ، وكانوا بعد ذلك من الخائنين . فلا عجب اذا احكبر امري . وقد ظهر لي ، بعد ان اقلت

اسبوعاً في بياي وتحدثت وبعض رجالها من تجار وكتاب وسياسيين ، ابي من
المفكرين في سفري الى بغداد . ولكن ذلك لم يسرني كثيراً .

شئنا حرمه قشاً الله أضرمه . قال المدير : امرنا بان نسهل طريقك الى
العراق . واظنهم ابي « اولياء الامر » في ما كتبوا اليك يقولون ان لم يصلهم
بعد الجواب من ابن سعود . سأبحث عن الامور وارسل نسخة اليك اذا شئت .
شكرت للمدير هذا التلطف وعدت الى القزل فاذا بعض التجار والادباء من
المسلمين يتفقدوني هناك . وقد اخبرني احدهم - وما كان حديثي في تلك
الايام ليتفقدوا من سؤال عن نجد وسلطان نجد - ان عبد الله القصبي وسبيل
ابن سعود في البحرين وصل صباح ذلك اليوم الى بياي . فبادرت في اليوم
التالي اليه بصحبي الحاج علي رضا زينل احد كبار التجار في الهند وفي الحجاز .

وكان موضوع الحديث السلطان عبد العزيز وكتابي اليه . قال الوكيل :
نعم وصلنا كتابكم بوقته وارسلناه الى حضرة الامام ، فجاء الجواب مرحباً
بكم وقد امرنا باعداد كل ما يلزم من اسباب السفر والراحة عند وصولكم
الى البحرين . ثم قال : ونحن من زمان نتظركم ، ابطأتم في السفر او انكم
غيرتم في الخطة التي كتبتم الى حضرة الامام منها . قلت : لا التغيير ولا
الابطال بيدي . فقال : بل يريد الله . فقلت مستغهاً : واصحابنا الانكباؤ ؟
فضحك الوكيل وسكت وبعد رجوعي الى القزل استلمت كتاباً من معاون
مدير الشرطة ضمنه نسخة الامر المتعلق بسفري ، وهذه ترجمته الحرفية :

رقم ٣٥٨ -

الدائرة السياسية . مكتب كاتب الاسرار . بياي في ٢٢ آب سنة
١٩٢٢ من أي . ف . كينديولي كاتب اسرار حاكم بياي في الامور
السياسية الى مدير الشرطة .

الموضوع سفر المستر امين ديجاني الى البحرين ونجد .

سيدي :

جواباً على كتابكم رقم ف - ٢٠٧١ المؤرخ في ٢١ آب سنة ١٩٢٢
اقول ان قد امرني الحاكم ان اخبركم لكي تبتغوا المستر امين ريجاني ان
الاذن بسفره الى نجد لم يصلنا حتى الان ولكنه منتظر في البحرين .
اما سفره الى العراق فلا اعتراض عليه . وفي كل حال يجب ان يسافر
اولا الى بغداد . الكسوف يا سيدي بان اكون

خادمكم المطيع

عن كاتب الاسرار السياسية

دجاي . اراتون

اما التناقض بين كلام الوكيل ، وكيل ابن سعود في البحرين ، وبين
امر الحكومة ، حكومة بريطانيا العظمى في الهند ، فسوف تنجلي الحقيقة
فيه ان شاء الله .

الفصل الثاني

في بغداد

حقيقتان جوهريتان - ملتان نجد - انكليزية عراقية - ولا تزال امرأة -
 التكاثر السريعة - الملك فيصل - صراحة يعطود - سكوت يخط عن الرقيب -
 وما المرحل العجيني من وحلي - ٥ جزيت على ابتسام بانشار - المندوب
 السامي - حادث العيد في القصر - زيارة ابن السمود - عهد الفتية - ٥ والتميز
 الانكليز ٥ - العذلات الاديبة - اما السياسة فالبيداه قولها - تباركت المراه -
 الباب ينفتح - تمللي بالوعود - ٥ ما بقي في بغداد الى ان يجيني الاذن بالسفر
 الى نجد - صوت في الهاتف يقول : ٥ مستأجر من المندوب السامي ٥ - ما
 قصت به الحكمة -

لم يؤذن لي بالسفر الى البحرين .

شفا حزنه فشاء انه اضرمه . وصلت الى العراق وقلبي يحدني بنجد ،
 وفكري يمدني عن حسن الظن بالانكليز . وقد وجدتهم في بغداد ، كما
 هم في بيبي ، السادة المطاعين برغم النهضة الوطنية والدعائم السياسية
 ثم يدت لي حقيقتان جوهريتان استمرت بهما قولاً وعملاً في عاصمة السياسيين .
 الحقيقة الاولى هي ان مفتاح نجد الاجانب الذين يبعثون الدخول الى تلك
 البلاد من الحجة الشرقية انما هو بيد المندوب السامي . اما الثانية فهي ان
 الباب لا يفتح غير الانكليز ، بل لاولئك القلائل منهم المتشدين لأمور
 سياسة او القربين من النظارة الخارجية . وقد رفض الوكيل السياسي في
 الخليج الصبح غير مرة ان يأذن لبعض الاطباء الاميركيين في البحرين بالسفر
 الى نجد . هذه هي الحقائق الواهنة التي جُيِّهت بها في الدوائر السياسية وغير
 السياسية . بسوا جبارتي بل لجهاتي في الحديدة ، واحالوني في عدن على
 المندوب السامي ، وسوفوني في بيبي ، فاذا عسى ان يكون من امرهم في بغداد ؟
 بعد ان زرت جلالة الملك فيصل على شاطيء دجلة الشرقي جئت الى دار

الوكالة في الشاطي. القرني، لا قابل السيدة جرتود بل كاتبة اسرار المندوب السامي في الامور الشرقية ، والمراقبون يدعونها الخاتون . الا انها في قوامها ونحوها وتفظها انكليزية لا غير عليها . كانت المقابلة الاولى في مكتبها . وكانت ، وهي الغابضة على زمام الحديث ، تدغن السيكرة تلو السيكرة ، ثم تنهض عن الديوان فتدخل في القاعة ، ثم تجلس وترقع . جلأ على رجل وهي تسكلم ثم تسكلم بدون انقطاع . فقلت في نفسي : لا يزال الخاتون امرأة والحديث . برحت امامي علقها في الجلسة الاولى فاعجبت به ، وكشفت الحجاب عن راحة من قلبها فدهشت . بل كادت ترفع الستار السامي كله اتريني انها اخلصت الصل فيصل وامراتين ، وان الانكليز لا يزالون احدا . العرب واقرب الناس اليهم . ثم قالت : لا شك انك تيقنت ذلك في رحلتك يا امين افندي .

كنت شاكراً لانها لم تقف لتسبح جوالي بل استمرت في الحديث .

واطلعتني على امور تتعلق برحلي لم يدهشي عليها ، لاني اعلم ان وكلاء انكليز السياسيين ومندوبيها في البلاد العربية يتبادلون التقارير السرية من حين الى حين . ومنهم من يكتب تقريره كل اسبوع فيرسل نسخاً منه لزملائه في مصر والسودان والعراق والهند الغربية .

عادت السيدة جرتود الى الملك فيصل الذي كان في تلك الايام غاضباً على المندوب السامي وعليها ، فلا يوقع المعاهدة المشهورة بين الانكليز والعراق . فقلت : قد سميت سبياً متواصلاً من اجل الملك فيصل ، فاقنعت رؤساء المشاور واستلمتهم اليه . وكانوا يقولون لي يا امين افندي : هذا حجازي اجني . وكنت اقول لهم : انا اكفله ، انا الكفيل . صدقني يا امين افندي الي احب العراق اكثر من حي بلادي . انا عراقية .

تفقت في مجلس الخاتون وتفككت . على ان اعطيني بها وهي امرأة

كان أقل من ارتياني بشأنها وهي ولاية الأمر أو ولاية العشائر في العراق . ولا بظن القاري . ان كتابة المندوب السامي باحث بكل اموارها الشرقية والعربية والعراقية في الجلسة الاولى . لا ولا في الجلسات العديدة التالية . فهي من هذا القبيل تكذب ما نسيه نحن الرجال عن النساء .

ما جئت على ذكر السيدة جبرود في هذا الفصل من الكتاب الا لانها كانت في عهد السربسي كوكس تقبض على مفاتيح الامور السياسية في العراق ، وفي البلدان العربية والعجمية على الخليج التي يتولى المندوب السامي البت في شؤونها . ومفتاح نجد من هاته المفاتيح ، فهل تأذن به يا ترى ؟

سألها سؤالا دون ان اكشف عما جال في صدري من الريب بحسن نية زملائها ، ودون ان اشير الى التناقض في ما قاله لي وكيل ابن سعود وما كتبه حاكم تبلي ، فتعجرت عندئذ لهبتها وقعب اسلوبها ، فلم تجبني بانصراحة التي عرضت امامي مثالا منها في حديثها عن العراق . ذلك لانها كانت لا تزال في ريب ما قد يكون من امري وسلوكي السياسي في بغداد . اجبت مبشرا بالوحدة العربية ، ام جئت اضرم نار الثورة على الانكليز ؟ جئت انصر الحزب الوطني او الحزب الحر او اصحاب الانتداب ، ام جئت من امير كارسولا مسريا لتمركة من شركت النفط هناك ؟

هي بعض الاشاعات التي انتشرت في بغداد وحامت على مكتب الحائون ، ولكنها لم تنازل ان تسألني سؤالا واحدا صريحا بخصوصها . بل كانت في حديثها تشير اشارة الى ما فيه الحجة الراهنة - بحسب ظنهما - على علها الوافر الشامل بكل ما يختص بالسياسة الانكليزية في البلاد العربية . اظن اني اتخذت سكوتي دليلا على الاقتناع ، او انها قرأت فيه شيئا من الميل الى التصديق . واللوم او بعضه علي . فقد كنت حتى في اقباسي اول مرة قابلت الحائون غير الرجل الذي اعرفه ويعرفه الناس . وما ذلك الا خوفا ان تحول

دون رغبتي ، فداريتها في دارها . على اني لم اخاف ، ولم اداج ولا جمعت الكلام في كل ما القيته من الخطب في بغداد . خرجت من مكتب المس بل وفي نفسي يتنازع الريب والامل . هي الحاملة المفتاح ، مفتاح نجد ، فهل تفتح لي الباب ؟^{١١}

بعد ذلك قابلت المندوب السامي السري كوكس ، فكان نقيع كناية اسراره الخاتون في انه اولى جليسه اولاً الحديث . سأني سؤالات تنعق برحلي فاجبت عليها بصراحة ربماها التحفظ . ثم ذكر حادثة القصر عندما راح يني . الملك بعد جلوسه ، فتكلم بنا بديء نفسه من العصف والاستبداد في نفيه زعما . الحزب الوطني واقفال جرائده وناديه . ثم انتقلنا في الحديث ، فاخبرني حضرة المندوب ان في نيته زيارة السلطان عبد العزيز قريباً ، على يتوفى الى رفق الامر بينه وبين العراق ، وهناك معاهدة يريد استئناف المفاوضات بخصوصها .

قلت : زيارتكم اذا في سبيل السلم والولاء بين اثنين من ملوك العرب . فقال : بل اكثر من اثنين ، وان اقصى غنياتي ان امهد سبيل الاتفاق والولاء ما استطعت . فقلت : هو كذلك قصدي وسعي . خنتي ملك اذا الى ابن - جود فاعدمك في ما تأذن به ولا اتقاضاك والحكومة الاتكليزية اجرة على ذلك . فضحك وفاء بكلمة لم اسمها . لان الخادم دخل اذ ذاك يقول : الغذاء حاضر . فاستأذنت وانصرف .

خرجت من مكتب المندوب كما خرجت من مكتب الخاتون متيقناً ان محبتي لا تزال بعيدة ، بل ان العقبة الاخيرة بيني وبين نجد هي كما قلت في اول الفصل اشد العقبات مكلها . وليس الذنب في ذلك ذنب ابن سعود .

(١١) في الفصل الرابع عشر من القسم الثامن ثمة الكلام على هذه الامراة الغدة التي توفيت في صيف سنة ١٩٢٦ في بغداد رحمتها ان .

فقد اجاب على كتابي كما تقدم بالايجاب والترحاب . بيد ان الانكليز في سياسته عوامل يتساهل احياها . امرض منها ليسكن من مقاومة ما هو جوهرى خطير .

جلست اسأل نفسي واتاقشها : هل ينعونك وانت اميركي ؟ قد منعوا غورك من هذه التبعة ، وهم يكرهونها في العراق . الا يستطيع قنصل اميركا السعي من اجلك حكما فمل زميله في عدن ؟ هو لا يعترف بالميز ولا يتيقن الفوز اذا سعى . الا بقدرور خدماتك في اليمن وعسير فيجازوك عليها ولو باجازة سفر الى نجد ؟ الانكليز لا يعترفون رسمياً بمجتمعات تقدم لهم مجاناً . قد يشكرون وبعد ذلك لا يذكرون . واذا رعب ابن سعود بزيارتك وهم رغبوا عنها فاية رغبة تحقق يا ترى ؟ لا رغبته ولا رغبة ابن سعود . لان سلطان نجد لا يقيظ الانكليز في صفة او كبرى من اجلك .

هذا ما كنت اعتقده بسياسة ابن سعود في تلك الايام . ولا ازال على شيء من الظن انها الخطة المثلى - وان حكائنت علي فلست اوم - في ما لا يضر بصلته ولا يبعث بحقوقه . فن هو الريحاني ليمادي سلطان نجد الانكليز من اجله ؟ ومن هو ليتقلب على الانكليز ؟ عيت عن الجواب ، ولكني لم افقد الامل ولا ينست . بل سررت جداً برعم معقولي عندما قال المندوب السامي : سأزور قريباً ابن سعود . فرأيت نفسي - وما الفائدة من الجبال ومن الاحلام اذا كانت لا كسر كك بنعيمها ؟ - رأيت نفسي مسافراً راياه الى الحساء ولم يحني اني في عملي هذا اثبت التهمة على نفسي فيقول المخدوعون من الاصدقاء . والاعداء : الا ترونه مسافراً والمندوب السامي ؟ فكيف لا يكون في خدمة الانكليز ؟ ذا ناس بذلك . كنت اعود ، ساعة يستحوذ علي اليأس ، الى هذه البرزيا فأنعش بها املاً بزيارة محمد كاد يتلاشى ، فيمشي الامل واسمع ان ذلك همس صوت يقول : ولتغابن الانكليز .

أقيمت الحفلات الأدبية في بغداد، الأولى والثانية والعاشره،
 وكانت الحكومة حكومة الانتداب تبحث من يسمع فيجدها أو يجهر
 بالآخرى المس بل يا أقول . واطلتي هدمت جانباً من معقل الويب في اول
 خطبة فمت بها . تبارصكت في مثل هذه المواقف المرأة ، فانها أسرع الى
 التصديق وحسن الظن من الرجل . دعيتي المس بل الى بيتها بعد ذلك مراراً .
 واقامت في مكتبة السلام التي هي رئيسها حفلة دعت اليها كبار العراقيين
 والانكليز وافتتحت هي الحفلة بخطبة ما اثر في ثناء مثل الشاء فيها ، ليس
 لانه من امرأة عالمة فهية ، بل لانه من نفس احسنت بعد ان اصابها الظن ،
 واختلصت بعد ان اظهرت النوداد .

ومع ذلك كنت عندما أقول : نجد . تقول هي : العراق . وعندما
 أقول : ابن سعود ، تعلني بالعود . وفي الشهر الاول وتلاه اسبوعان من
 الشهر الثاني في بغداد وانما رعين مكارم الادباء العراقيين ومهم كما اشرت
 بعض افاضل الانكليز . وقد تسنى لي ان اזור اثنا ذلك الاماكن التاريخية
 والاثار القديمة في العراق ، فلم يبق في النفس حاجة ولا في البلاد اثر يشعني
 او يسليني عن امتيتي القصوى .

معي شمع السائح من بلادنا تقفل ابواب عقله دون الاستفادة منها .
 كان من اسبابها ومظاهرها . شبع من العراق ، وسنت الإقامة خصوصاً
 في بغداد لاني مرضت ثلاث مرات فيها بالحمى . زد على ذلك اني صككت
 مشتاقاً الى بلادي واحلي ، فعددتني نفسي مراراً بالسفر الى سوريا . الا اني
 كتمت ذلك عن المندوب وعن الخاتون ، وما اظهرت غير تلك الرغبة الشديدة
 في زيارة ابن سعود . بل أشعت في مجالس رسمية ان سوف لا التحرك من بغداد
 حتى يجسني الاذن بالسفر الى نجد . اخرب تحفة وحرب الارادات لا تخلو
 من الخداع . اني على يقين ان لو علم المندوب السامي آنشد بما جال في خاطري ،

لو علم اني ستمت الاقامة في بغداد وكنت على وشك السفر الى سوريا ،
لسوفني اسبوعاً آخر ولأقلمت سياسة الملاطفة والتأجيل . فأكون قد حرمت
علم أهم ما في البلاد العربية اليوم .

ولكن المرء بل اخذت الامر بنهايته عندما حان وقت السفر المندوب
السامي ووالتي مرفوعاً اسجله لها ، شاكرأ سعيها وحسن ظنهما . كفتني يوماً
بالمخاطبة وقالت : ستسافر مع المندوب السامي . بيد ان سقوط وزارة لويدي
جورج في ذلك الحين اضطرت المندوب اني تأجيل سفره . وبما اني كنت
وعدت ادهاء البصرة بزيارة سافرت من بغداد قبله ، وفي نيتي حسب الاتفاق
ان انتظره هناك ، فتفراقنا الى البحرين ثم الى المقبر

اشرت فيما تقدم اني مظهر في سلوكي الادبي والاجتماعي هو ثمرة الاسفار
في البلاد العربية ، بل ثمرة الحكمة المدنية . فلو ان تلك الحكمة كنت
فشلت في اولى المراحل وعدت خائب الامل ، اجل ، قد داربت في بعض
الامور ، واكثرها سطحية ، لا أفوز بشكل « اروع من العلوم والاختبار . او
بالاخرى كنت صريحاً على عادي عند ما كانت الصراحة تنيد . وقد كنت
اشد تحفظاً واتقاً . في المعيشة والاسفار عيلاً بالرجوع سالماً أولاً الى اهلي وقائماً
الى مهنتي . اذ ما الفائدة لمثلي من رحلة عربية اذا كنت لا اسلم فيها لأخبر
عنها ولو في كتاب واحد ؟

كانت الحكمة العملية شرعتي اذا ودليلي . فهي التي حملتني على السفر
وحدي الى ابن سعود . واضنها أوحى للسريسي كوكس كذلك في
الموضوع فانتصح مثلي بتضييعها ، فابرق ينجولي بانه سيتأخر اسبوعاً ثانياً وان
لي ان اسافر قبله اذا شئت . حسناً فعل المندوب السامي وحسناً فعلت انا
كما ستري في سياق هذا الكتاب .

الفصل الثالث

في البحرين

نجدي يحذرنى من السياحة في نجد - رسول البلقين والبلور - عتقت السلطان
 يلتفتكم في الحسا - من سراديب بغداد إلى قصور البحرين - في حيافة وكيل
 الحنان - الشوق يبعد والنكر يشتت - من هو ابن سعود؟ - ما حبيته في
 البحار وفي العراق - رأي الألكول - رأي الأمير نجدي - كتاب من السلطان -
 ما تغيب الصحراء .

وقد حاول بعض اصحابي في البصرة ان يحذروني عن غزوي وقصدي .
 قالوا اني لا اقوى على مشقات الاسفار في البلاد النجدية ، في تلك البلاد
 الغنية بالمقار والمال . جئوا في عيني الخطاير في ركوب البعير ، وفي الدهناء ،
 وفي بلاد البدو والاخوان . كنت ذات ليلة ضيف حضرة الفاضل احمد باشا
 الصائم متصرف البصرة ، وهو نجدي لا يزال يلبس الماء والمقال ، فقلت
 خلال الحديث عن اليمن : عندما دخلت الى صنعاء اجسست اني رجعت
 بفتة الى الجبل العاشر . فقال احمد باشا : وستجمع الى الجبل الخامس في نجد .
 ما لك وهذه السياحة وكها مشقات وخطار ! يمكنك ان ترور ابن سعود في
 الحسا وتجمع . هوذا نجدي يحذرنى من السياحة في نجد . فهلا انتصمت
 وارعويت ؟ لا انكر انه اعتراني آتذ شي . من الحوف .

على انه زارني في اليوم الثاني اديب من الادباء ، شامت الاقدار ان
 يكون بعدئذ رقيفي في السفر وعشيرتي في الرياض ، فمرقت فيه العربي الحر
 ابن القنار والبحار الذي يسرك ويسر . اليك غفراً دون تصكلف في احد
 الامرين . ويجمع القاري ، من حين الى حين ، بالسيد هاشم ابن السيد
 احمد الوفاي من الكويت . كان يومئذ في خدمة سلطان نجد حكايباً من
 كتاب ديوانه ، وقد جاء البصرة في مهمة رسمية ، فزارني يوم حكنت والحق

يقال في حاجة شديدة الى زيارة مثله . حدثني السيد هاشم فازال ما كان يحاورني من الخوف في السفر الى نجد ، ومن الرب برغبة ابن سعود الحقيقية في زيارتي ، ثم قال : عظمة السلطان يعرفكم بما بطالعه عنكم في الجرائد التي تصله كل اسبوع ، وهو منشوق الى مشاهدتكم ويشتد في الحسا . نعم ، السلطان عبد العزيز يحب الاجتماع بكل اديب عربي مخلص للادب . وقت هذه الكلمات في اخي وقع الانعام الطوية . ولكنك قبلت السيد هاشم بين يديه لو ان الرسميات التي الفتها في البلاد العربية تسمح بذلك . الا ان القلب وقص طرباً دون ان يشين ادي او يحط من حكراتي امام الزائر الكريم . سافرت واتا في هذه الحال الى البحرين . ومن حسن الاتفاق ان السيد هاشم كان رفيقي في الباخرة .

البحرين ، جزيرة الاولو ، هي بعد الكويت اهم محطة في الجهة الغربية من خليج المعجم لبواخر الهند وللتجارة بين الهند ونجد . وهي كذلك درجة امام الباب - باب نجد الشرقي - لا يد للسافر ان يقف عندها فيستبدل فيها البضار بالتراخ اذا كانت وجهه المقي او القصب . وفي البحرين وكالة لابن سعود يرأسها عبد الله القصبي احد اعضاء البيت التجاري المشهور هناك .

تزلنا من الباخرة بعدد من الجزيرة وسرنا في شراع فوق منازل الاولو الواحد تحت الامواج ، والبحر ساحتنا رهو ، والهوا عليل ، وشمس الصباح تنهادر بين الاتين . فبدت المامة خلافا مشرقة يضاء كأنها ابراج شيدت من الاولو . بل هي اميرة اللآلي وقد صعدت من اماكن النوص واستوت على عرش الخبيج . وكان الشراع يهمس سلاسا كلاما بشرع آخر ، وكلها مثل اجنحة الحمام تفيض وتنهدى على بساط من الزرد ، كأنها تنلوا القصاد في مديح ربة الدار ودرة البطار .

وما سادنا ان وصلنا اليها لانها عن كسب وعن بعد سواد . فن الرصيف

سرفنا الى بيت على البحر جميل اعده القصبي لضيوفه وضيوف سلطان نجد .
 وكنت انا والسيد هاشم في اليوم الاول سيدي تلك القوف الفسيحة المشرفة
 كلها على الخليج ، وذلك الايوان الواسع الطويل المحيط بها من الجهات الاربع .
 ثم انقردت في اليوم الثاني بالسياسة فانساني هذا القصر سراديب في بغداد
 كنا نأوي اليها في النهار ، وسطوحاً نلجأ اليها في الليل . ليست البحرين
 بنجد ولا من بلاد نجد اليوم . على ان ضيافة ابن سعود وممكاريه تبادر
 الزائر اليها لترحب به وتحببه باسم سيد العرب في بلاد العرب . جاءني القصبي
 بكسوة وبخياط يوم وصلت فاصبحت في اليوم الثاني واقفا عري نجيدي في ما
 تحت وما فوق الثوب^(١) ووزرت في المحرق الشيخ شيخ آل خليفة فقلت آسفا
 اني اضطأت فيما سبق من امري فلم ازل ضيقاً عليهم . ولكني انت بعض
 الواجب الادبي وكان علي على ما انتل مرضياً .

عند دخولي البحرين فقدت حريتي في ما يتعلق بالاسفار او بالارحى
 تنازلت للسيد هاشم عنهما . وكان من فضل الرجل انه وقف نفسه على خدمتي
 قبل ان يشديه السلطان لذلك . فتمت اليوم الاول في الجزيرة الى آخر يوم في
 الرياض توأصلنا وقآعينا في ما يشمل العقليات ومثبات من الروحانيات . بيد انه
 لا بد في مثل هذه الاحال من فترات تنقبض فيها النفس فتضيق الطريق ،
 ويسى . الرقيق الى الرقيق .

سافر السيد هاشم وحده الى الحسا ليجيب عن المهمة التي انتدب لها في
 البصرة ، فأولست معه كتاباً الى عظمة السلطان اخبره بوصولي الى البحرين .
 وعشت بعد ان خاوت بنفسي الى النظر في ما اجتمع لدي من الاراء المتضاربة
 فيه . عندما قربت من الرجل سكن الشوق قليلاً واستيقظ الفكر وما يلزمه
 من الهواجس والظنون . فقد كان شوقي قبل وصولي الى البحرين كمنار النضا

(١) الزبونة في العراق وفي نجد من الفداء او ما يسمى في سوريا القنباذ .

تأجلاً ، فاصح وقد قربت محبتي ، وزالت - ذُلت - العقبة الكبرى ،
كلهيب الرفج صاماً عادئاً .

ذكرت ما قيل في الحجاز وفي العراق : ابن سعود بدوي جاهل ، ابن
سعود جلف ، لا قلب ولا دين له . هو من الخوارج له بل من الذين يُخدعون
وينافقون باسم الدين . والاخوان رجاله ذئاب تعصير ضارية يذبحون
ويحقدون الله . يسلبون ويهيمون ، ويكفرون من لا يقتدي بهم . يشتمون
بالتلّي في الحرب ويتركبون من القضايع ما تقشعر منه الابدان . . . ان
دعوة ابن سعود مذهية لذلك لا تنجح خارج نجد . لا أمن في الجزيرة ولا راحة
للعرب ومطامع ابن سعود السياسية تُرداد يوماً فيوماً . هذا ما يسمعه الناس
دائماً في الحجاز وفي العراق ، وقد رددت مصر والشام صدى القطرين .

وذكرت ما قيل لي في المدينة وفي عدن وفي دار الوكالة الانكليزية
ببغداد : ابن سعود رجل حكيمة . هو نامة بلاده ، هو السياسي المحنك ،
والقائد الباسل ، والحاكم العادل . هو اكبر امراء العرب اليوم واقوامهم . . .
رجل عظيم وجل مجد . هو ابن البادية التي ينبع فيها من حين الى حين كبار
الرجال . فيظهرون فجأة ويسودون الناس بالمثل قبل ان يسودهم بالسيف .
هذا ما كان يقوله الانكليز وبعض العرب خارج الحجاز والعراق .

اما رأي الفريق الاول فصدره مكة والاشراف . بل هو ثمة ذاك العدا
التقديم الذي لا يزال مستحكماً بينهم وبين الوهابيين . ومصدر رأي الفريق
الثاني انما هو المشاهدة والمنقول عن شاهدها . وقد يكون مصدره السياسة
او المصلحة السياسية . كنت اعجب عندما اضرب هذه الاراء المتناقضة في
سلطان نجد لما تبقى في الغريال فاقول : وشهادة الصديق مثل شهادة العدو ،
اساسها الميل والفرس . فلا تصدق الاشراف ولا تصدق الانكليز . الرجل
حليف هؤلاء ، وصديقهم ، وهو عدو اولئك الاكابر .

ثم اجتمعت في البحرين رجل يري غير ما يراه الفريقان ، وهو اديب
وهالي من ادياء نجد معجب باين سعود ، الا انه قليل الكلام فيه . سألته
رأيه فقال : انت ذاهب اليه والراغب مثلك في الحقيقة يحم اذنيه ويفتح
عينيه . ثم قال : اسألك يا حضرة الاستاذ بل ارجو منك ان تشيخ علي
عبد العزيز وتلح عليه بان يفتح المدارس في بلاده . رستت هذه الكلمة في
ذهني لان قائلها مجرد عن الاهواء السياسية والمذهبية . هي مصباح بيد
صديق لابن سعود اضاء موطناً من موطن الضمف في بلاده . وقد ذكرتني
سكفة متصرف البصرة : مستقل وانت في نجد الى القرن الخامس .

كان في البحرين يومئذ رجل آخر معجب باين سعود ، واغلب في تحسين
حال من احوال نجد ، هو الميجر دكسون وكيل المندوب السامي او بالاحرى
مأمور الارتباط بين المندوب السامي في العراق وبين السلطان عبد العزيز .
ذلك لان السلطان طلب من الانكليز ان يكون اتصاله بحكومة لندن رأساً
اي بواسطة مندوبها في بغداد لا بواسطة حكومة الهند^(١) . والميجر دكسون
انكليزي ولد في سوريا وله شغف بالعرب وبلادهم . حدثني ذات يوم قال :
اين سعود رجل عظيم وقد يكون نظري فيه نظر من يؤله الابطال . هو
اطاكم العربي الوحيد الذي تمكن من تأديب البدو وعرف كيف يحكمهم .
عنده السيف ، وله القلب الكبير ، ولكن يلزمه ادارة في ملكه . ويلزمه
زيادة في الخراج . اتي اود من صمم قلبي ان يكون القطيف ميناء كبيراً للنجد
توسو فيه البواخر فتتحول اليه التجارة من البحرين ومن الكويت . على ان

(١) الفرق بين الاثنين كالفرق بين فريق العربات في الجبال وطريق الرجل في
المقربة . والسلطان عبد العزيز من ما اعلم يكره الدورات . ان الحكومة الهند مثلاً
وكبلاً في البحرين ، ولها دوائر سياسية ونقادة خاصة في لندن لا يهم ابن سعود شيء
منها ، لان علاقته هي مع نقادة الخارجية . وما حكومة الهند بمرعبة ، بل هي
مثل المدعاه يته وينها .

ذلك يستوجب ان يكون في التعطيف قنصل انكليزي. والسلطان عبد العزيز
 لا يقبل قناصل في بلاده . حدثه في الموضوع عندما تقابله .

هاك من انكليزي معجب باين سعود نووا بضي . موطناً آخر من مواطن
 الضعف فيه . وهل هو من مواطن القوة ؟ كآني باهل نجد يقولون نحن نحنى
 الاجانب ولا يزيدهم في بلادنا . الرجل الاولى نجر وراهها الالوف . انه
 لعذر مقبول ، ولكن ما العذر في الجهل ؟ أيسره التعلم غير البدو ؟ أيرغب
 في الجهل غير البدو ؟ أبدوي اذا سلطان نجد ؟ وهل للبدوي اخلاق سامية
 وشعور لطيف ، ومطامع في الدنيا مقرونة بالحكمة والاعتدال ؟ ها اني
 قربت من ابن سعود قربت من الحقيقة فيه ، وبنت انتظر جوابه لأهل اليها
 وثيقتهما بنفسى . وهاك الجواب الذي جاءني بعد اسبوع من سفر السيد هاشم :

باسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود الى حضرة الوطني
 الفيود والمصلح الكبير امين افندي الريحاني المحترم دامت افئذاله امين
 -الاماً وشوقاً وبعد فباشرف طالع وودني كتابكم الكريم النجى .
 بوصولكم الى البحرين واتكمم بزمون التوجه الى طرفنا . اهلاً
 وسهلاً على الزعب والسمة . بالله لقد سررت جداً بذلك فطالما كنت
 مشتاقاً للقيام . وقد حققت الايام شوقي والحمد لله . الا انه لا يسعني
 الا ان اظهر شديد اسفى لعدم اشعاركم لنا تفرافياً في حين توجيهكم
 من البصرة ذلك الامر الذي اوجب فتوراً قليلاً في اعتبارنا وكياننا في
 البحرين ملاقاتكم لاني سألت الحبيبن بحرفة اوقات وصول المراكب
 الى البحرين وعطت منهم ان المركب القادم من البصرة ربما يتأخر ولهذا
 وحده حصل تاخير منا فارجوكم المسامحة . نحن بانتظاركم وقد امرنا

وكيلنا القصبي ان يبي. اكتم - فينة نقلكم الى القدير ويوصلكم اليها تجدون السيد هاشم بانتظاركم وبالحتمام تقضوا بقبول الاحترام ودمتم.

الحتم

في ٢٧ ربيع اول ١٣٤١

هذا اول كتاب جاءني من السلطان عبد العزيز ، نشرته لتظهر حقيقة فيه اثبت الحجة بخبرها . فالرجل لا يتكلف اللطف ولا يتكلف التواضع ، لانها من خلاله الفطرية . ولكن اللطف والتواضع اجل ما في الكتاب لولا دوة الاخلاص . ومع ذلك فلا بد من التحليل والتعليل توصلنا الى الحقيقة كلها . قد تقفون عقراً رقة الشعور بالشد حتى في البدوي ، فهو اذ ذاك رجل كبير الحلق . وقد تقفون كرهاً اي صناعة ، فهو اذ ذاك سياسي يحسن التليس والنجاة . وقد لا تقفون قطعاً ، فهو اذ ذاك ، اسوأ . كان شديد الأساءة دمت الاخلاق ، رجل عادي له من يومه ما لقاة الناس . فهل الرجل الذي انا زائر من طبعوا على شية اللطف والرفقة وكانت القوة فيهم او في اعمالهم بنت الحوادث والاحوال ؟ ام هو سياسي محنك يغلب خصره بالمكادوم ويسود امته بالدهاء ؟ هل ابن سمود من اولئك الافراد القليل عددهم في البلاد العربية بل في العالم اجمع ، اولئك الذين يبقون على شيء من الفطرة معها عظموا او تعاضلت شؤونهم ، اولئك الذين يسعون الى محبتهم في الصراط المستقيم فيأخذون الحكمة من روح الوجود لا من الكتب ، يبقون ولا يتفوقون ، ويكرهون ولا يخافون ، ويحبون ولا يلقون ، ويسودون ولا يظلمون ، ويعملون ولا يخافون غير الله ؟ اننا في الطريق ايها القاري . وسنتكشف لنا الحقيقة التي تحبها الصحراء دون ذلك الافق اللازودي ، ورا . تلك الاسلم الذهبية .

الفصل الرابع

في ظل الشراع

حسنت السفر البطيء - المشقة والظلمة - مشكوكات البطار - في ظل الشراع -
الجلوبوت - مشكوك الرعدة - طرد في الحية - الامر وفق الشراع - ٢ شلتا وتوكلنا
على الله - الرعدة لسبق البطار - الصلاة في ظل الشراع - الامور والقتل -
ما حيا في نجد - البدر - موافق للسلطان الثلاث - الطريق الشريفة او جد -
سفر البحر وسفن الصغرى تتهاطل احبالها -

من حسنت الاسفار تنوع اسبابها وطرقها . وان الانباء في العديم منها
أحب الى السائح من الانباء في الحديث الذي اخترق ليطارد الريح ويسب
حسكها يقال المسافات . ما الفائدة اذاً من بحار لا يحسن التهرب ؟ اجبرت من
مدن ووجهتي ابن سعود فاجرت أولاً بحر الهند في باخرة كبيرة فغصة الرياح
معتدلة في سرجها . ثم خليج العجم ففصرت الباخرة ، وبجست المدة ،
وطالت علينا المسافة والايام . ثم قطعت فيافي العراق بين البصرة وبغداد في
قطار مخلف مرجرج - هو اثر من آثار الحرب - لا شك ان قطار انشحن في
اميركا اسرع منه ثم عدت من بغداد في مركب من مواكب دجلة وقد آليت
على نفسي الا أكون في شرفي كسول فلا اعد الساعات ولا احاسب السفار
والآلات . فحسنت السفر لذلك جميلة ، قصرت وان تعددت ايامها . ثم
في رجوعي من البصرة الى البحرين خرجت في البواخر ابطلها سيراً فقلت :
تباركت الاقدار في الاسفار . هي تبدل في الاسباب التي ترداد ابطاء كلها
قربنا من عجبنا ، فنتبرن اثناء ذلك على الصبر والتحمل ، وعلى التأمل
والتفكير . ومنصل الى تلك المحبة برغم طول المسافات وبطء المظايا البخارية
والحيوانية ، اللهم اذا ثبتنا في السير والترحال .

قد كان سروري في خروجي من البحرين مثل سروري في الوصول اليها .

وكيف لا وحصل خطرة الان تدنني من البغية القصوى ، فقد ذللت من العقبات البحر والافكلير ولم يبق امامي غير زاوية من الخليج نأى البخار ، وارض لا تلين لغير الابل . ان الساحل في تلك الزاوية جنوباً بغرب من البحرين ، على مسافة اربعين ميلاً من المنامة ، هو اول ما نشاهده من ملك ابن السعود . هناك القبر^(١) وشاطلي الاحياء الذي يرمى من مكان في اخر الجزيرة يدعى رأس الهر . اما المسافة بين البلدين فهي رهن الشراع ، والشراع رهن الريح . فاذا لانت كان حفظك من السفر على طريقة الاجداد ست ساعات فقط . واذا غارضت تقوّر بالتلّين . وقد تتجاوز التلّين اذا كنت الى " بيتون " من المقربين .

احبني الله البحر فاستيقاني في محلي بالجلبوت^(٢) نهاراً واحداً وليلتين . اذ بعد ان خرجنا من مياه المنامة مساء سكنت الريح ولم تحرك بنا برحى الله والشراع حتى انتصاف الليلة الثانية . وكنت اننا ذلك اذكر القصبي بالحيرة اشكره خصيصاً على حسن جملته سريري وعلى طام انمشي بشي . من المرق . وبينما نأتم في الليلة الثانية ، او بالاحرى برمي كطرد في القبة وقد برد الدم مني وتمددت الاعصاب ، سمعت صوت التاخوذاه يصدر الاوامر برفع الشراع ، وسمعت الملاحين يرددون انشاداً : شلنا وتوكلنا غلافه . شلنا - وتوكلنا غلافه . فتحركت في مقلي الصغير وقد انعشي الهواء كما انعش من الجلبوت الشراع . وشكرت مسكن الرياح وشكرها . فقلت : لا شيل

(١) اللاف في جنس الكلمات تلفظ بها في نجد فيدونون المسجير .

(٢) الجلبوت مركب ثراعي صدره ، وهو للبخاعة ، مرتفع مستطيل وفي مؤخره قبة او علة للمسافرين يسير الملاحون مرتبة . وهو اذا كان كبيراً شبيه بالهجرة في المراك وبالسنيوك في البحر الاحمر . واذا كان صغيراً فلا يكون له مرتبة فيشبه اذ ذاك البلم . اما اسم جلبوت ، ولا يسمى كذلك الا في البحرين ، هو على ما اظن تحريف Jolly boat في الافكليرية اي مركب للفرقة لطيف .

يقيناً ولاه ، ولا توكل على سواه - شلنا ونوكلنا على الله .

كنا في الحجج الثاني من الليل قوبيين من بر ظففة الاحياء . فإ صدق الظن . وقد ما كانت دهشتي وخيبتني لما علمت اننا لا نزال عند بر الجزيرة . على ان الرياح تجاري اذا شامت البضار ، وتسبق الحديد الدوار . ولا اظنك اذا كنت ملاحاً تماريني في ذلك . اجل ، عندما ينتفض فيستل . الشراع ، فقل للمسافات : الوداع . ان هي الا ساعة حتى اجترأ رأس الهد وكان الهواء قد انقل جفني تمت قليلاً ، ثم ايقظني صوت الملاحين وهم اذ ذاك يشغلون في قلب الشراع طوعاً اليه ويرددون : صل على النبي صل . عالا الثاني ا ووبك ايها القاري . ما صنعت في انعام الليل على المياه اطرب منها . الا ان يكون صوت المؤذن في الخليج وهو يؤذن الفجر . ليس في صلوات الامم كلها ادعى منه الى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو اجل وقفاً في النفس من صلاة الملاح في ظل الشراع

صلى اخواني الفجر « عندما دخلنا ميناء البقيع ، ورفعوا العلم ، علم ابن سعود ، وهو اخضر ذو حاشية بضاء . مكتوب عليه : لا اله الا الله . وقد كان يتقارفاً هناك على اذ صيف السيد هاشم وابي الفجر ، فشبنا معها الى البيت المقد للضيوف ، وفيه سرير لبيبي مرآة . واعجبت من ذلك بدوق رفيقي الذي علم السبب في ابطاء السفينة وقرا في وجهي قصة الميائتين ، فتركني والسرير وانصرف .

ذكرت الامير والقصر . فلا يظن القاري . ان القصر قصر وان الامير امير . بل هي اسماء اصطلاح اهل نجد عليها . فهم لا يرغبون في الاقارب بل يزدرونها ، ولا يرون غير المساواة وقد ساروا بينهم دين التوحيد ، شرعاً وسنة . اما اذا شاء امامهم ان يسمى عماله اسراء ، وقد يتضمن ذلك التعقيب لمن يدعون النبالة ولا يستعقرونها ، فهم لا يعترضون . واذا شاء التجدي ان

يسمى خربة له في الصحراء قصرًا فلا الامام يقرض ولا الرعية . اما الامير
الحقيقي عندهم فهو من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به احداً . ولا يخاف ولا
يرجى سواه . واما القصر الحقيقي فهو المسجد .

لبست القبر بمدينة او قرية ولا هي حتى مضرباً من مضارب البدو . انما
القبر اسم لقصر من القصور التي ذكرت ، وطرك من حمارك تحدي الاحساء
على ساحل الخليج . القبر هي احد دواني . المملطان الثلاثة ينسبها القليل
والجليل شمالاً منها . ولكنها دواني . قلما يرى فيها غير المراكب الشراعية .
ومن القبر نبدأ الطريق الشرقية الى نجد .

اما القصر فهو بناً كبير مستطيل يقع في جناح منه الامير والضيف ،
ويستخدم الجناح الآخر للجسر (الخاصية التي لا تتجاوز العتبة الانتفاخ .
وامام القصر على الساحل ساحة كبيرة ترحب فيها الابل وتقل اليها البضاعة ،
فتبادل سفن الصحراء وسفن البحر . الحام والاوز والسكر من بني
والزيت من عبادان - احملها يا بيع الى ما وراء الدهناء . والتمر من الحسا
والجلود والصوف من سدرة والوشم ، والسنن من الخرج والافلاج - خذها
يا جدوت الى البحرين لتفعل من هناك الى ما دون الخليج والبحار .

الفصل الخامس

الملتقى في النفود

قدوم المندوب من العراق - خروج السلطان من الحسا - اول يوم من الذلول -
 الفواشك - النفود - امر السر - العطار للجان - المزاب - ولسان - الشيوخ -
 الارض اللعينة - الساقط والقدم يلمسون - حذر تحققت الامام - ٥ من الزبد ٤٤
 ٥ السلطان فاده اليكبر ٤ - التائب لاستقبال - سعادة روحه وفار محبوبه -
 ٥ يا سعيد : ٤ - الليل والنفود - ٥ هه المكان بموكبه السلطان ٤ - المظفر
 يدور في الغيبة - ما قيل له وما قاله بخصوص تريمحالي - امره التوب والوجه
 الرمية - ٥ حنا نحن العرب ٥ - الاول من ذها الامراء في الاجتهاد والانتلاف
 - رجل يشق باطه ويثقبه .

يوم سفري من البحرين اخبرني الميجر د كسون بان المندوب السامي السر
 برسي كوكس يسافر من بغداد في القريب العاجل وقد يصل الى الجزيرة بعد
 بضعة ايام . وعندما وصلت الى العقير اخبرني السيد هاشم بان عظمة السلطان
 يخرج قريباً من الحسا ، ايلقي المندوب السامي في المكان الذي نحن فيه .
 فاخرجت خريفتي وقمت المسافة بين الحسا والعقير - ١٠ ميلاً - وقابلت
 بين اثنتي عشرة ساعة على الذلول ذهاباً ومثلها اياباً ، اذ لا بد من الرجوع
 مع السلطان ، وبين يوم على الشاطي ، استعيد فيه قواي واستعد ، اقرن على
 ركوب البحر ، للسفر في البادية ، فكان الحكم والحكمة في جانب الثاني ،
 وحكمت الى السلطان اطلمه على حقيقة حالتي واستشير في الامر . - اذا
 امرتم بالقدوم اليكم او بانتظاركم في العقير فسموا وطاعة في الحالين

من كتابي نجاب الامير صباح الثلاثة ، وعاد صباح الادباء ، بجواب فيه
 ما تناهى من لطف الاسلوب ورقة الشعور . - الامر واجع لرغبة حضرتكم
 وتباً لراحتكم . وقد اخبرني السلطان انهم سيخرجون يوم الخميس من الحسا
 ويسجلون المويثا ليصلوا صباح السبت الى العقير . حكمت قد عزمت على

ملاقاته في منتصف الطريق اذا قويت على ذلك ، وعندما علت من السيد
هاشم بان سموه قد غلب في الاجتماع في قبل ان يجتمع بالتدوير السامي
شدت حقوي وقلت : الى البادية .

أعدت لنا الركائب فمرحنا - سافرنا - صباح الخميس ١١ ورفيقي
الاديب بصحبته خمسة من الخدم . وكان اول عهدي بالذلول "والنفود"
فايجتي هذه واذهبي ذاك . بل كنت في كل حركة احس بشيء تخمي او
حول رجلي وجني لا يجوز في نظري ان يكون هناك . والفراتان "بيتان"
تدق الواحدة صدري والاخرى ظهري كلما حدثت الى الامام والى الورد .
والكود ، اكاد اطيح منه . هو مائل الى الامام ، مائل الى اليسار مائل
الى اليمين ! والشداد - الرجل - ان فيه إما يجتثك بالجنب ، وما يقرص

(١) الذلول الفحين المد الركوب من ذلل ذله للركوب . ولا يكون الذلول
غالب الا ناقة وما سمعت له جمعة فم عندما يريدون الجمع يقولون الركائب
(٢) النفود بادية دمل بين ساحل الخليج والاحساء عند من اللطيف شمالا الى واس
المرور جنوبا ومرضا من حيث قطعها الى الحدا ٢٥ ميلا . اما الاسم فقد يكون
مشتقا من قد اي نفدت الارض من الماء . الكلاء . والنفود تختلف عن الدهناء في
مكون نخلها ارمية وعلوها . ففي بعض الاماكن شجرة الببال وليس فيها عقارب
اي مراعي . والدهناء في بلاد العرب واحدة . والنفود كثيرة .

(٣) الفرانان شجران مرتفعان مستقيمان في الكود ، واحدة الى الامام والاخرى
الى الورد . تدان الركاب من المفاو ، وتستخدمان في التحميل لسد الجبال وتطبيق
الاحمال - وما في شكلها وفي وضعها انواع - والفرانان في عهد مثل المطين المستقيمين
في الهندية ، او مثل المستقيمين في سمرقند واحد . وفي بعض الاكوار تراها مائتين
الواحدة نحو الاخرى وترى الركاب يشعا كأنه فحة في ملط . ولكن العجدي
على الذلول يقوم من الفراناة وامت . في الشمال اي في بادية الشام فالفراناة توضع
في شكل زاوية متفرجة Optuse ، الواحدة الى الورد . والاخرى الى الامام .
فيصبح مكان الجلوس في الكود متفرجا والراكب معا حدا في مأمن من الدق
والاحتكاك . اما اهل عمان فهم يستنون من الفراناة ، والكود عديم مثل السرج
الانكليزي .

الرجل ، وما يسي . - اي والله يسي . الادب يا سيد هاشم . . . فاجابني بقوله : ابشر ابشر .

بارك الله فيه ما كان الطفل في تلك الايام واكرمه . انحنى الركائب ، وجاء احد الخدم يقول :^(١) فعدل الرجل واصلعه . ثم ركبنا وتوكلنا على الله ، فاجتريا الال والكثي من افاق النفود الذهبية ، ووصلنا الى مكان يدعى ام الذر^(٢) ، انحنى فيه وكنت انا اسرع الى ذلك من سواي لان اسم الخادم لم تصلح الرجل ولا الالنت قلب التزالة . عند ما انحنى طفق الربيع ينسكون الرمل بايديهم فيظهر الماء تحت قدم او قدمين منها . ان ام الذر مورد القوافل الوحيد في هذه الطريق من النفود .

ملأنا القرب واستأنفنا السير . وكان معنا حمار بحان ، كنعن الاسفار والمذيان ، يحمل حمارة بعض المواضع والخطب ، وهو يعدو وواه كالسمدان ، ففردص رجليه ويديه ، ويسمنا سكات اهل الامصار - البصرة والبحرين والسكويت - ويمثل لنا رقص البطن ، ويردد كلمات ما سمعنا لا في الشرق ولا في الغرب . حمار كان اما رأيت اصقع منه حينما كان يجثو على ركبتيه كل مرة يظن نفسه اجاده وما اجاد بفقر البذاءة لفظاً وبناء . على انه انساني بعض ما كنت افاشي من ركوب الذلول . وكانت ضحكاتي تضيع لي في قوة الربيع ، وكلعتي تتلاشى عند اوج ترتيم .

- اسمع يا هويدي - تعجب عبد الحادي - جابوب الاستاذ . هو يسالك ابشر الـ « موثر »^(٣) ؟

(١) سم مختصر بسم الله في اصطلاح اهل نجد .

(٢) ام الذر من شجر حول المكان يدعى الذر وهو شبيه بالتمر .

(٣) في البلدان العربية على ساحل الخليج وفي العراق يسون السيارة « موثر » من اسمها الانكليزي Motor ويطلقون في البصرة اسم التوت على الرافعة التي تجيد الرقص .

- الموتى يا أفندي نجوي ، وتقول ، وتدور . الله ، الله ! الدهشوقة ،
الحقيقة ، السريعة الحركة هي الموت .

قال هذا ووقف يتركتفيه وعطفيه . مها كان من بداية الرجل فقد
احسن الي في يومي الاول في البادية ، فخطت مشقة عشرين ميلاً اجترناها في
ذلك اليوم . ثم مرحتاً^(١) انصر في مكان يدعى الغلاة^(٢) وعلمنا من بعض
الذين كانوا قادمين من احسا بان الشيخ^(٣) مارحون في الخشة على مسافة
عشرة اميال منا . فارسل السيد هاشم رسولاً يطلبهم فكانوا مراراً ، واننا
سلفنا لهم هناك في الطريق صباح الغد . واظفته رغبة في راحتي ، اناح للرسول
بما كنت احول كتابته . قل الامام : ذبح^(٤) الذلول الاستاذ .

ولكن التسب والالم لا يدومان طويلاً في مسح الزمال وسكينة النفود .
فبعد ان نصنأ الحية وشيئنا النار وقهونا^(٥) تماقت حسنات المسكان علي .
فلكني من السرور ما كان قد هجرني راكباً ، ورحمت اتفني بدح ارض يحلو
هواؤها ، يحلو شكلها وفساتها ، يحلو لونها وسكونها ، يحلو وطؤها ، تحلو
عشتها . وبعد المشاء تبارينا برمي الحريد ، وقسابقنا حفاة في العدو ، ووقف
ماجد علي يديه ليهن لوجهان ان وجليه ارفع من رأسه (اي رأس رجحان)
وانه مستقيم وان كان ابدؤي - بدؤياً - كيئفاً وقف او مشى ، واذه قوي

(١) مروح اللوم اي اناحوا للبيت وسرحوا اي خرخوا من مواضعهم . ويسر
المسكان المراح . اما الاناقة فلا تكون الا للراحة والشرب القهوة اثناء الرحيل .
(٢) الغلاة من علو المكان على ما اظن وهو لا يعلو اسكنو من ثلاثة قديم فوق
سطح البحر .

(٣) يطلق لفظ « الشيخ » في الاصل على الامام وحاشيته من اقاربه وخدمه اذا
كانوا مجتمعين . ولكن اهل نجد يخرجون عن القاعدة الاعلية فيقولون الشيخ . وم
يريدون السلطان او الامام بينه .

(٤) انصكه واضناه في اصطلاحهم .

(٥) شربنا القهوة .

يغلبه بكل شيء . : بالصراع ، بالعدو ، بالقنص ، بالركوب ، وبال . . .
أوقفناهما عند هذا الحد في الفاعرة ، فاستعاضوا عنها بالقاء و « اللعب »
أي الرقص .

دخلت الحنية والخدم لا يزالون في السر ، فاستلقت على السرير وأنا
في بهجة من حققت الأيام حلقاً من احلامه فما هي الصحراء ، وهذا المجهين ،
وهؤلاء العبيد عبيدي ، وما إذا جاز لاميير من امراء العرب ، السلطان نجد .
ما كاد هذا الحلم الذهبي يغمض جفني حتى سمعت صوتاً يسأل : من الربيع ؟ ثم
انأخ عند ثارتنا رجلان مرقعها السيد هاشم ، رجلان من رجال السلطان ، جاءا
بنشاننا بأن وصلوا وان سموا - ثم السيد هاشم مذهوشاً وبأدب الي
يقول : ثم يا استاذ ، في حالاً . السلطان قادم البنا .

نهضت مبرعاً فلبست قياي . وما احسن الثياب العربية خصوصاً في مثل
هذه الحال ، حبيك عماء تغطي بها قبض النوم ثم كوفية وعقال ثم - حي
الله الجلي ، مرجباً بالضيف .

راح الربيع يجمعون الحطب للنار وفرشنا انا والسيد هاشم البيت امددنا
السجادة ثم وضعنا الكور في الصدر مستنداً على عادة العرب - وهذا كل ما
هنالك تأهيلاً لاستقبال ملكك من ملوك العرب .

وكان الليل حافي الخيف ، رفعت الجلباب ، شأنه في البادية . تدنو النجوم
في صفائه من الارض بريقاً ، وتسمع فيه الاصوات ، كأنها على طول المسافات ،
الايواق في الثغابات ، لها دوي لطيف بنجد وينور ، وصدى يتسرج كالنور .
وما اذهب وما اجل صوتاً صمته أثثر وراء . الاكام في مروج الليل ينادي :
يا مستعبد - يتعسايتدا ! ميسراً يقدم السلطان او يردده في ذلك
المكان . ان المناهي ليتقدم الموكب السلطاني حتى اذا صممه احد من البادية
او الحضر يروم من سيد البلاد امراً ، او يحمل اليه شكاية ، او يبغى

الركاب في مركبه ، فهو يقصد مسرعاً الى مكان الصوت فيفوز بهينه -
يا سعيد - ينعقاداً (١).

وبعد هتية ضج المكان ، يركب السلطان ، فاتاخ عندنا ، على اكتاء
حرد شراعتا الضيق ، مشان من الركائب ، وهي تريد وترعي : أخ - أخ -
- وصوت الخيولان على رقاب البعيرين كصوت المطر على التخييل . ثم نصبت
حجام ، وشئت عشرات من النيران ، ونصحت على الفور المذاق في الاجران .

خرجنا ببادر الى استقبال الزائر الكبير ، فاذا هو قد خف البنا ، وفي
معه : النان فقط من حاشيته . قلت الزائر وهو الذي شا ، تطلقاً وتنازلاً ان
بماتس الابه . وكانت المشاهدة الاولى على الرمل ، نحت البنا ، والنجوم ،
وفي نور النيران المتقدة حولنا . القيت رجلاً لا يمتاز ظاهراً بغير طوله ، وسكن
يلبس ثوباً ابيض ، وماءة بنية ، وعقالاً مقصباً فوق كوفية من القطن حمراء .

اذا ابهة الملك وفضضة السلاطين ؟ اذك لا تجدهما في نجد وسلطانها .
وان اول ما يملكك منه ابتسامة هي مناطيس القلوب . لست ادري كيف
حيته واقا في دهر وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة . ولكنني اذكر انه
حيي ياماً بالسلام عليكم وظل قابضاً على يدي حتى دخلنا الحنية ، فجلس
واستور الى يمينه يستند اليه ، والناو لباته تدب وجهه . ثم عرفني بن كان

١١ سعيد الصغير الصغير الشافع كاهراً في غد وسعيد نداه ابن - مرود يدل صل
مر صم في امراء هذا لبيت جميل . كان الامير يقول لكل واحد من رعيته : ان
الامرأة الكبرى من اذ . وانما الصغير الصغير منها فقد بعثكم من الامير . ولا كثر
امراء العرب مادون وكثرة نداه خاصة جم يادى جا كذلك يوم يخرج الامير
الى الحرب او الى القزو . في المعجاز مثلاً كان نداه الملك حيدر : يا مرودان .
وفي جبل شمر كان نداه ابن الرشيد : يا مرزوق .

في معيته ، وهما الدكتور عبدالقادر الموصلي^(١) وعبداللطيف باشا المتدليل^(٢) فجلسنا كلنا في صف امامه .

وما اضمتا وقتاً في تبادل المتدليل من السلام والتحية . اعتذرت عن الابطاء في الوصول اليه وقلت ان ساعطيه على حقيقة الامر فيعلم ان الذلة ليس ذنبي . فقال : علمنا بذلك واستغفناه . اما نحن فلا بدونا ولا انصاء في الجواب . وكيف زد من يعني زيارتنا وهو من صميم العرب ؟ قال : انك امير في جنت تكثر الدين المسيحي في البلاد العربية . وقالوا انك تشرب بعض الشرهات وحبست تبغي الامتيازات . وقالوا انك قادم من احبب وانك شريف في معنى لتحقيق دعوة الشريف . وقالوا نعم ذلك . فقلنا اد كلنا في الرجل ما يضر فحين نعرف وكيف نتقيه . واذا كان فيه ما يضر فنعرف ايضاً وكيف نتفجع . ونحن اعلم يا حضرة الاستاذ بهما . فارتد الله قبلك .

فاستأذنته اذ ذاك ان اخبره بالمقاصد الثلاثة في رحلتي فقلت : وقد اريد الاول بشاهدتكم ، وسيت الثاني بما سأكتب ان شاء الله في ما شاهدت اما الثالث فلا يتم الا بمساعدة ابن سعود . واني متيقن يا مولاي ان الوحدة العربية لا تتحقق الا باجتماع امراء العرب كاهم فلتعارف اولاً والتفاه ، واما اليوم في منزل بعضهم من بعض اذا لم نقتل في احتواب دائم ، ولا يعرف

(١) الدكتور عبدالقادر الموصلي هو طبيب السلطان وكان في الامم الخارجية ، ورسول ورجائه ووكيله في ما يختص بالاحباب سواء اكبراً من رجال الحكومة ام من رجال العلم الساعين ، والدكتور عبدالقادر درس في الاساتذة ورجال الطب في الحروب وخبر الحياة في عواصم اوردها ، انطاف وشاف وعاف ، عافاه الله ، ثم رما في عدد .

(٢) عبداللطيف باشا المتدليل ، صديق السلطان الخميم ووكيله في العراق ، هو عدو الاصل ، عراق الاقامة ولا يزال للداود اثر في حديثه وفي سره كالحرب . والحاشية في آخر الفصل الثاني عشر من القسم الثامن .

الواحد منهم الاخر معرفة حقيقة .

فاجابني بكلمة صريحة ردفتها بثلاثها دون ان ادرك انها تلمس فيه وتراً
حساساً . فقد تسكنت في حضرة من امراء العرب كما تسكنت في حضرة
سواه وكنيته ، وهو يعرف انه كبيرهم ويظن انهم في غير بلادهم لا يستند
كثيراً بهم ، لم يسكت عما قلت . فاحسبت انشغي من كلمتي ان امراء
العرب في عزلة معظمهم عن بعض حتى قال : ومن هم العرب ، بحثاً العرب " ^(١)
قال ذلك وضرب السجادة بقضيب يحمله من الخيزران

من عريب الامور اننا في الجلسة الاولى تناقشنا في الموضوع . وما كان
ذلك نقاشاً في تأديني . فلم احسب ان اقدم على مساجلة في تلك الساعة لو لم
يتقدمني بصراحة علمت بمدقذ انما من سجاياها الكبيرة ، وانه قلما يقدف فيها
من حد من حدود التحفظ . ابل ، قد هدم السلطان بكلمة من حكاياته
حواجز الرعيات ، فجعل نفسه تنازلاً في مقام الصنو والرفيق

- لك الحرية يا حضرة الاستاذ ان تسلك معي بكل حرية . ولا اتقبل
منك غير ذلك . وانا اكلمك بكل حرية . ولا تتوقع مني غير ذلك . انت
تقول امراء العرب . اسمع انا اعلمك . انا اعرفهم ، وقد خدعهم ، سمعت
بهم ، العرب يا حضرة الاستاذ لا يعرفون الا مصالحهم ، وغالباً لا يعرفونها
فندمهم بها ونكرهم عليها . وقد قاصبنا كثيراً في سبيلهم ، وكانت الحياة
في اقرب الناس منهم اليها .

دخل عبد من الصيد يحمل بيده البسرى ابريق القهبة وباليدين القناعين
نصب للسلطان أولاً ثم لي ثم للحضور .

- اقمرف يا استاذ اننا اول من دعوا امراء العرب الى الاجتماع
والائتلاف ؟ وسقطتلك ان شاء الله على ، اثبت ذلك . فتأكد اننا اقربهم

الى الاتحاد والاتحاد . نحن اهل نجد لا ننفي المحافظة الا على امرئ : حينئذ
وشرفنا . . . ثم قال : ولا نتعل عليك اليلة وفيك تعب يذهب الى النوم .

فنا فشيح السلطان ، وكان قد انتصف الليل مضى على المضارب السكون ،
ولم يبق حوها غير بصيص من النار . وعندما عدت الى الحجرة التي كانت منذ
حين مجلس سلطان اقل ما يقال فيه انه عربي حر كريم لم يكن في " في " لا
تعب ولا نوم ، فاشطت الشمة وكتبت في مذكرواتي بطع صناعات انقل
منها ما يلي :

" ما قد قابلت امراء العرب كلهم فاجدتهم فيهم اكبر من هذا
الرجل . لست مجازفا او مبالغا في ما اقول فهو حقا كبير : كبير في
مناقبه ، وفي ابتسامه ، وفي كلامه ، وفي نظراته ، وفي ضربه الارض
بعضاه . ينصحب في اول جلسة عن فكه ولا يجتري احدا من الناس
بل يفتي سره " وما اشرف السر ، سر رجب يعرف نفسه ، ويشق بعد
الله بنفسه . " حنا العرب " ان الرجل فيه اكبر من السلطان . ولقد ساد
قومه ولا شك بالحكم لا باللقاب . . . عريب عريب ! بنت ابن
سعود والقلب فارغ من البغض ومن الحب كما قلت له . فلا رأي
الانكليز ، ولا رأي الحجاز ، الا التناء ، ولا المطامن اثرت بي . وما
قد ملأه . ملاه حيا في اول جلسة جلستها . على ان الحب لا يكون
مردونا دائما بالاحباب . سقى . قد عاهدته على ان اكلمه بصراحة
وحرية . وسأكون في ما اكتب كذلك حراً صريحاً . . . ولكني
احسن شيئا من القراءة ، وصرت اركن الى ما تشعر به النفس في المقابلة
الاولى . فضلاً عما عدي الآن من الملوك لمقابلة والتفضيل . . . اني
سعيد لانني زرت ابن سعود بعد ان زرتهم كلهم . هو حقا ملك
الحمام . "

كانت الساعة الاولى بعد نصف الليل عندما غت والساعة الرابعة عندما
 ابتغاني رفيقي السيد هاشم قائلا : قام السلطان . وكانت ضجة التأهب
 للرحيل . صحت الابل ترغو وتصح ولقد بلاد العبيد والحخدم اليها بالرجال
 والاحمال . ورأيت النار تشب في كل جانب ، وصمت المداق في الاجران
 قدق البن ، ثم صوتاً يؤذن الفجر : الصلاة خير من النوم . الصلاة خير من
 النوم الا اله الا الله ، لا اله الا الله ! وما هي الا فتنة حتى صلى السلطان
 ورجاله وشربوا القهوة وارتحلوا . رفع الحرب الحيام ، كما يقول الشاعر
 الانكليزي ، وسرحوا ماسكين .

الفصل السادس

في موكب السلطان

السفر في عهد - اعلنت في الامكنة - مهارة لجيش في جهاز حالي - في موسى
السلطان - من أهل السامرة في النفوس - حديث في السياسة - لمصرها والفرانس
ولسبون - أوروبا باب من مدينة لا على - داخلة - للجنس - الاستقبال من القوم
- في قصر الطائفة في مجلس الله - في الدوام - ساعة مع السلطان - القلوب في
البلدية - الصلاة - السلطان يقطب - فيهد الهدال والاكليد - لا يعني طور الحق
ولا لظلال طور الله .

من عادات العرب في السفر ، خصوصاً عرب نجد ، انهم يكونون وغالباً
يسرون . والسلطان عبدالعزیز ابكر المبكرين دائماً واعجلهم تأهباً للرحيل .
حتى انه ليحلى القجر احياناً قول وقت الصلاة كي لا يضطر الى الاناغة بعد
ذلك قبل الضحى . هو نظام عسكري يتشى عليه ، ولا بدع فالرجل قوي
البنية ، شديد العصب ، يكفيه من النوم ساعتان ، ثم ربيع ساعة للرحيل .

وها هنا غليت . قد يكفيني ما يكفيه من النوم ، ولكنني في يومى
التالي في البادية لا استطيع ما يستطيعه لا في التأهب ولا في الركوب . الا
ان اعجوبة حدثت صباح ذاك اليوم فكان قد سبقنا الموكب الكبير ، موكب
السلطان ، وسرت اما والسيد هاشم في موكبنا الصغير تحت الرصاالب حتى
لحقنا به بعد ساعة . وكان الشفق يتسوج وردياً وعصفراً على الاكلم ، ومقال
سلطان نجد الذهبي يادياً في رأس الموكب فوق شكل الرؤوس . فاختزلت
الصفوف ، احث ذلولي ، وانا معجب بمهارة في الركوب جاءني دفعة واحدة ،
فجأة ، كما يجيء الوحي الشعراء^(١) . . . فاعتزلت ريمي وسرت مستقلاً ابغني

(١) قد يكون الفصل في ذلك للذلول لا لي . وقد علمت مدد اخا من العائيات
اي تحالب الابل التي تأتي السير الا في مدعة الخيش .

في جانب السلطان مكاناً ، وفُزئت به فادعته فقال اذ رأيته ما ظننتك
بعض يا كرمًا .

صنعت ان سعود اول مرة من على السنام في النفود ، وسرت وياه فحدو
في وجه الشمس بصف يتراوح عدده بين الخمس والخمس عشرة من الركائب
يتبعه خمسة صفوف او خمسة عشر آخر دون نظام في مثل هذه الحال ، انما في
الصريق لا الى القرد ايها القاري ، بل الى ، وقور سله يُعقد في البداية ، لذلك
كنت ترى البنادق " ملقاة بالرجال من وراء ، والسيوف في اغمارها ثم في
بيوت من الخلد قتل حولها المفائف الجراء ، والشرابيب الطويلة . وكل في
رحله ملتحف بعباءة السكينة والاطمئنان ، انه لم يركب بهيج مهيب ، وكنت
احمد المير في مآخذه لا من النظر منه ولا رغبة اشده ، وواجب احب الي .

السلطان عبدالعزیز فصيح اللسان ، سريع الخاطر ، لطيف الجواب
ومثل امراء العرب كلهم بقية السياسة في الحديث وتتمه على الخصوص
منه سياسة اوروبا في الشرق الاخرى ، على انه شاء صباح ذاك اليوم ان يكون
الموضوع اميركا وسياساتها مع الاخلاف .

سألني السبب في سقوط الرئيس ولستون فاعلته بطرق الاستغاثات هناك
من الاحزاب السياسية من السيطرة على الحكومة وعلى البلاد .

- عجب ألا يسوقهم الشقاق الى الطروب ؟

- يحملون مشاكلهم السياسية بالاعتراع .

- زين . وما حزباً عندهم ؟

- الرئاسية اثنان والثانوية كثيرة .

- زين . وكيف يرضي الحزب المنتصر بقية الاحزاب ؟

١١) العرب يختصرون لفظة بتولية فيقولون بتدق جميعا بتادق .

- الأقلية تخضع دائماً يا مولاي لحكم الأكثرية .
- وكيف سقط ولسون إذا وهو الحاكم والأكثرية مع الحاكم .
- لم تكن معه في الانتخاب الاخير فقد هجره من انصاره كثيرون .
- انقلبوا واقتدوا عليه .

فهر السلطان معاه يريت به رقية الذلول وقال : لا اظنهم احسنوا
 لأن ولسون رجل عظيم ، وله الفضل الاكبر في تنبيه الشعوب الصغيرة المتقدمة
 استنهضهم ولسون الى الحرية والاستقلال . وهو ايضاً برافنا بامير . . .
 كنا نعرفها قبل ولسون . اما اليوم وقد تكلم لحسنها فله فضل عليها . ان
 فضلها على العالم . . . اما احترم اميركا ، يا حضرة الاستاذ ، وان صفات
 سياستها الآن مع الاخلاف غير سياسة ولسون . . . اميركا ام الشعوب
 الضعيفة . ونحن العرب منهم . والعاقل يكفيه التنبيه والاشارة . . . انا
 احسن اليك - ومال بوجهه اذ ذاك الى من حكان في الجانب الاخر . . .
 أفتبني كذلك ان اطعك بيدي ، ان اضع الثقة في ذك ؟ يكفي . علة
 اميركا ، ما قالت للشعب الصغيرة المظلومة ، ما قاله ولسون عنها . والماف
 من سمى وانتفع .

اما اوروبا فللسلطان بيدالعزيز رأي فيها اصبح عنه بكلمة بليغة وجيزة
 اذ قال : شبه اوروبا اليوم بباب حديد كبير ولكن لا شيء داخل الباب .
 وهو لذلك لا يلوم اميركا على اعتزالها الاخلاف وانسحابها من السياسة
 الأوروبية . ثم قال مخاطباً احد رجاله : ان مشاركة اميركا اوروبا اليوم
 مثل مشاركة انا ابن سود وهدية الشام . ترى الصحيح .
 فهر الرجل رأسه استعساناً .

صعدت الى اكة فيسيحة مستديرة بين الحلاة وام القدر اختارها السلطان
 مناساً فانحنوا وتفرقتا ارحاماً كل رهنط جلس في حلقة على الرمل . وكان وقت

الضحى^(١) أي ساعة الظهور فطاف الخدم بجفان^(٢) كان قد طبع المائلة بالبرحة من الارز والنعم ، ثم قدموا التمر وحسبوا اللين من القرب لمن اراد ، فأسمنا وعلنا ايدينا ، وكان قد اتم السلطان عمله مثلنا فسمنا بتنادي من مكانه : آخيتكم ان نجيزونا ؟ فادركنا اليه فتصافحتا ثم عرفني ببعض حاشيته اذكر منهم اخاه محمداً وعبدالله بن متعب امير حاييل الاخو وعمه فيصل بن الرشيد ، فوقفوا صفوا امامي بعد المصافحة والتسليم دون ان يفوه احداه بكلمة ثم ، مباشرة من السلطان ، انصرفوا فجلس اذ ذاك سموه على الرمل وقال : تفضل يا امياد ، هذه احسن سعادة عندنا

بقينا هي كذلك ، فاني فرحت النعم من رمل النفود والظلف ؟ واية سعادة اجمل لونا واعجب صفوا ؟ جلست متربعين على افخر الطنافس في مجلس افه . وكان السلطان قبنا اجلنا اقتضاة والصفحة في لغة الحكمة والورع اسانا : « حنا » اهل نجد نبيي المحافظة فل كل شي . على امرين « ديننا وشرعتنا »

ستأنفنا السور واتحنا بعد ساعتين عند ام اندر التي كانت مراحنا ذاك اليوم ، فدرجت الابل ، ونصببت الحياء ، وكان وسط السافل على رأس الاكمة والمضارب حوله ميثرة متنوعة ، منها الخيم الاوروبية ، ومنها بورت من الشعر كبيرة وحديثة ، ثم احفرت الحفر وشبت فيها النار ، واخرجت المعامل^(٣) ، وبعد قليل شرع السقاء يطوفون بالابريق والفناجين . جاء اذ ذاك عبد يدعوني الى مجلس السلطان فشرمت القهوة هناك وبقيت وسموه ساعة كان الانسكاف فيها موضوع الحديث .

عدت الى خيمتي وفي شي . من التعب والناس « فوجدت فيها جيتا من

(١) قبل الظهر بساعتين والكان الذي يبخون فيه للظهور يسمى المحضر .

(٢) المعامل في اصطلاحهم هي ادوات القهوة اي سلاة التحميم والجرون والابريق والفناجين .

بواب استحال علي طرده والتغلب عليه . ^{١٤} وأيت حياتي تقل واقع من
لذهب في الساقية ، في صحراء العمل ، في تلك الجنة التي جردها الله من كل
شيء سوى السكنة والهواء الطيب ، فعاد الذباب يفسدها عليك ومن
من يجي . ^{١٥} هو موكب الذلول وإياك . على ظهرها ، وعلى ظهرك ، وعلى رأسك ،
يرافقك مواخياً ، فيسببك إلى الحية ويذبح فيك ما تبقى من أمل بالحياة .

ثم يجي الله سبحانه الأمل عند الغروب . فيخرج الناس من الخيام ملينين
بعوة المؤذن وبسطافون وراء الأمام ، والسلطان في وسط الجماعة وأحد الحجاب
يراه يحمل السيف ولا يشترك في الصلاة ^(١٦) وكانت أول مرة سمعت المؤذنين
يصلون وهم يوتون بعد تلاوة الفاتحة : آمين ، فتجني شبيهة بعبادة المسيحيين .

بحر المقصوب عليهم ولا التدين . إذ ذاك يصعد من الصفوف صوت متين
من المصليين يوم ترونها : آمين ! ويترجم الصوت في الفضاء المهيب كهو
أحراس في الجبال ساعة الغروب . ^{١٧} ما أجمل اصوات المصلين في تلك الساعة
التي تبشر بقدوم الليل وبركاته . اصوات المصلين وهم يذكرون الله رب
العالمين - أهدنا الصراط المستقيم ^{١٨} فمن ذا الذي يردد هذه الصلاة خصوصاً في
ساقية ؟ إنها لطفلة ناصح حقيقة كما صحت عجازاً في تلك القباني والمقازات

في طائفة . إن كل من سار حادياً في بحر من الزوال ، في أرض شيب فوقها
لويح تسحر بنظرة حكن أثر فيها من قار الشر والحيوان ، لبني الصراط
الستقيم . والله لهنك بقية إذا ضللتها .

في صباح اليوم التالي جاء محجب من العاير يحمل البريد الذي يتبع السلطان
في حيث يكون ، وفيه خبر من البحر عن سفر المندوب السامي إليها . فدفع
كتاب إلى أخيه ثم إلى بعض حاشيته فتناوبوا قراءته وكل بهمس إن الحمد
نظم السلطان .

١٤ لكل الإمام تركي بن سعود في وقت الصلاة فجرت المادة منذ ذاك الحين في
استخدام حاجب يحرس الأمير ساعة يعطي في الجماعة .

سار الموكب والمكوث يظلك والمهابة تاشبه ، فاصكنت بسبع عير
 صرير الرجال وطى الحيف ان على رقاب الركائب ، ثم رفع احد الركب صوته
 بشيئين من القران ، وكانا يحدو في وجه الشمس ما كتين خاشعين ، وتحدو
 تحت الامس على نعم الايات . وبعد قليل ساد المكوث ثانية وقد نجم فيه
 عدد الشيوخ . ثم نكروا فاعلنا اعضاءه سابع ذلك اليوم .

ان المندوب الذي عني به يظهر قد اضطرب رجلاً عير مرغوب فيه ،
 احد من العرب الناعم عليه ابن سعود . وهو فهد الهذال^(١) شيخ العبارات
 في كمال ، والعبارات عند من عقرى^(٢) . ولم يكن فهد دخيل في السياسة
 او على الاقل في المصالح التي سيقصد مؤتمر القوم من اجلها . بيد ان الانسكاف
 فهداً ماضياً به كذا ظن السفطان وقد جاءوا يحققون هذا القصد على حساب
 ابن سعود . وقد يكون فهد الهذال كذلك قصد جاءه يحققه على حساب
 الاصل

مربع رجل نجد صوته في تلك الارحاء الرملية ، وهو على ذلوله ،
 واخيراً بيده يسير في راس الموكب ، بين اثنين من رجاله .

— لا اذهابا يصير . لا ننتازل عن شيء من حقوق اجدادنا . اما اذا
 قال الانسكاف ينبغي هذا منك وجاؤوني باسم عثوم قال ابن سعود اسلم لهم :
 ولكن في اول فرصة تسنى اسمى لاسترجاع حقوقي المهضومة . ترى الصحيح .
 وماذا ينبغي لابن الهذال ؟ وماذا ينبغي ابن الهذال منا ؟ دعهم يقولون فاننا
 لا نتحول عن حادة الحق . ولا نعمل عملاً فيه ظلمة او غرور . ووجه هذا

(١) فهد الهذال اشجع حشد مصري في المعركة التايبي في العراق . وبعد
 اربعة ايام من الدروب التايبي فانه حكا قبل خيل بالحدود بين العراق وحده
 واحدية اير لسياسة الانكسار كانت ترحب اعطاء بعض الاستقلال في ناحيته او
 تيسر شحنة مسافة من الدواب بين العراق وحده عن طريقهم حول مدن .
 (٢) العرب يسكنون فاه الاسم فيقولون انه ي .

الضحى ، لا نعمل عملاً ولا نقول كلمة فيها ظلمة او غموض . ولا نطلب غير
حقوقنا ولا نخاف غير الله . . . ومن هو ابن الهدال ليحراً علينا ؟ ابن الهدال
الفرال ، ليقرن وعشاره ما شاؤوا وليقرن . . . الانكليز . . . من ادهم .
قال ذلك وهو يرفق الاستشارة بحركة من حباته الخفيفة . انا ابن السمور لا
اسرف غير اجادة القوية ولا اقبل غير الحق . لست من الفرالين . اما
« الانكليز » فهم اصدقائي وانا صديقهم . اذا قالوا : تبقي هذا منك ،
قلت : انكم ما تشاؤون . ولكن - ولكن الصبر له حدود . ويظهر اننا
تربنا منها ذا الحين . ترى الصحيح .

الا لا يجهلن احد علينا فتجمل فوق جيل الجاهليين

الفصل الرابع

السلطان عبد العزيز

شمل ويتعجب - عيشه وعمله - القوة والشغل في شمله - ساعة الضحك -
 ساعة الضحك - نهضة - نكتة من نكتات - الزمير العالي - مهنة القدر -
 سلطان في السطوط - عرش وفراش - ساعة والاسورة - ساعة الكبيرة
 الصغيرة - ساعة وتيقظ - ساعة الكثرة من ساعة متحدة - ساعة السلطان
 الرمز - ساعة التي تله والي علنا .

السلطان عبد العزيز طويل القامة ، مقنول الساعد ، شديد العصب ،
 متناسق الأعضاء . وهو امير اللون ، اسود الشعر ، ذو خبة خفيفة مستديرة
 وشارب يقضيه على الضربة الوهابية . له من السنين سبع واربعون ، وله في
 التاويبه ... تاييخ محمد الحديث - محمد اذا قيس بالاصوام تجاوز السبع والاربعين
 والمائة . ينس في العيب اثواباً من الكتان بيضا ، وفي الشتاء « قنابيز » من
 الجوخ تحت عماء بيضاء ، وهو يتعلم ، ويتعلم ، ويحمل عصاً من الشوحط^(١)
 طويلة بسنتين . على الأفصاح عن اوانه - على تشكيل كاليته ، اذا صحت
 الاستشارة ، وتكتبها . ان له في الحديث غيرها من الاعوان . له اقل طويلة
 لدنة بشير . في مواقف اللاعة . وله عبتان عسيتان تنيران اما كن المؤلف
 والاعراف ساعة الرضى ، وتضرعان في كلامه ساعة النبط قر النضا . وه قم
 مع كبرق الورد في الحالة الاولى ، وفي الحالة الثانية صكالديد . يتفلسف
 فيشند ، فهو اذا ذاك كالنصل حداً ومضاء .

يجل ان ابن سعود يستنير ساعة الضحك كل التبر ، فيذهب العطف من
 نظيره ، ولون الورد من شفتيه . ثم في افقاره يستحيل النور قرأ بيضاء ،

(١) الشوحط شجر تتخذ منه القسي او نوع من شجيرة شبيه بالشربان ينبت في نجد العربية

هو اذ ذاك رهيب . سألني لما كان يصيب غضبه على هذا والآخرين : " و
 ربك يا استاذ ؟ " وكان بيني وبينه بضع مطبوع ولا رأي لي اصرح به في
 الساعة ، فاجبته بكلمة مبتدلة : ان افه مع الصابرين يا مولاي . فردد
 الكلمة وركز كثف ذلوه بوجهه ، قراح يدرهم وتبعناه كما ندرهم .
 لا اكنم القاري . انه اعتراني شي . من الانقباض اول مرة شاعرت ان
 سعود غضباً . وكنت عندما يقاطعني الحديث قائلاً : اصبر انا اعلمك . امر
 اي في نحو رجل عبر الرجل الذي رآني في خيمتي بالنفود " . بعد انه سرج
 الغضب سريع الرضى . فهو اذا ضرب الارض بمضاهوة يفس القاب دك
 عشر مرات . وقد يتسرع في الكلام احبائاً ثم يئنه لذلك فيتخرج من خصمه
 السلاح . يحصر امامه رجل يجيب عن ذنب اققره ، هال بعد ان سمع
 قدسه : الحق علي لاني لم احذرك ، فلا تقاصك هذه المرة .

ان في الرجل ضميراً حياً كحلوه وسرعة خاضر تقارن التيقظ في ذهنه
 يبدد بكلمة عيود الانقباض في محامه ، ويخلو العاق قد يكون الاضطر
 ايه من كلامه . وهو تخفيف الروح . حلو النكتة ، تخفيف التهكم .
 يحضر مجلسه احد الثقلاء المتجرفين وهو من بيت معروف في نجد ومما
 السلطان يصفه يوم : هو ربيع الدنيا . ثم اردف كلمته بـ « الخالي » .
 الدنيا الخالي . وقد اشار الى اربع الخالي في بلاد العرب - الخالي من
 شي . غير الرمال .

عندما نصبت احياء المؤقر في القبر كان نصفها ممدداً المندوب النديم

(١) اي اصحاب الماخذ والنقد .

(٢) الدرهم : درهم بدرع نوع من الحبب واللفظة من اصطلاح غرب نجد والحجة
 وهو ثلاث درحات : درهم خفيف ، ودرهم « صديوي » سنة الى الخيل المقلوبة .
 ودرهم بقرص من الفارة .

(٣) النفود : اي صحراء النفود بين ساحل الخليج الفارسي والاحساء .

ورود العراق ، وهي من الحيام الكبيرة الجيدة ، وكانت في منزل عن خيامنا
بيننا وبينها قرب مئة باع ، وفيها فسطاط الاستقبال وآخر الأكل تناولنا فيه
الشيء يوم وصولنا . فقال سموه : هذا شيء متدن - ولكن قد أصب مع
الحليب في فناجين كبيرة بدل أن يكون صرفا في الاقداح كما هي العادة في
تمد والحجاز - شيء متدن .

وسلطان يتحكم ويصر - كان عندها ينتقل من الجهة العربية الى تلك
الجهة الاوروبية يقول لي : الى مدينة العقير ، فقال يا استاذ اسافر الى الازاد
المستدنة . لا تقلنا بعيد كثيراً عنها ، نشر خطوات فقط وها نحن
في المدنية - مدينة العقير - هات الشيء يا علام انتم جلوس على البصيرمي
قائلاً للتمت قبيلنا - بفضل يا استاذ شاركنا في النكد . وهو يشير الى
كروسي آخر .

عُيِّنَتْ خِيَامُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ دُخَانًا عَلَى قُلْ شَرَفَ عَلَى الْخَلِيجِ وَفِي مَعْرِ
سِ الْمَعْرِ . وَكَانَتْ خِيَمَتَا الْأَوَّلَيْنِ هَاهُنَا . عِنْدَ رَأْسِ التِّلْ قُورِ
الْفِطَاطِ السَّاطِلِي الْكَبِيرِ فِي الْأَبْوَابِ الْأُورَةِ الَّتِي يُخْتَرُ وَيُقْفَلُ بِهَا . وَفَقَا
لِطَبِّ الرِّيحِ . وَارْتَبَةِ مَوْدِ فِي الْهَوَاءِ . كَانَ الْفِطَاطُ مَقْرُوشًا بِالْطَنَافِيسِ فِي
الصُّدْرِ فَرَأْسَ فَوْقَ سَعَادَةِ فُضَّةٍ وَرَاحِلٍ يُقْبَضُ إِلَى عَاسِ . مَجْلِسُ السُّلْطَانِ
- عَرِشُهُ - وَمَجْلِسُ الْآخَرِينَ بِكُرْسِيِّ أَكْرَامًا خَاصًّا مِنَ الصُّدُوفِ .

لكل عربي ، من هذا القبيل ، بيته وعرشه اي المشرق ، والجماعة ،
والرسل . والسلطان عبد العزيز مثل كل عربي ينال على الفراش والجماعة
في الليل ، ويضعه تحت على السكور في السفر . وهو لا يحمل شيئاً في جيبه ،
لا ساعة ، ولا قلماً ، ولا ذهباً ، ولا فضة . وإنما يصعدون في شاة جيرة
الثقة . الا انه يحمل ساعة في خراج عند السفر ويضعها تحت الوسادة عند
النوم في مكان . يحملها في الصندوق الخفي الذي جاءت فيه من المعمل

ويجمل كذلك ناظره صغيراً لا غنى له عنه . فهو دائماً يواكب من محله
حركات رجاله وخدامه حتى انه لا تغيبه في الافق الا رقع اليها الناظر
ببقية شيئاً . - امرنا مشكلاً يا حضرة الاستاذ . علينا الكبيرة والصغيرة .
فاذا كنا لا نداول المراقبة لا نكون عالمين بكل ما يتعلق بشؤوننا . . .
المد والامور ، عينا على الاثنين حتى نندم دائما الاثنين وبعدها بيدها .

حكان اذ ذاك يواكب قافلة انما عند خيمة المونة تحمل اليها الحضر
والمد من الاحياء . فامر ان يحضر فيها ، فسأله سؤالاً بخصوص رجل من
الحان . فقال القيم : هو سرون يا طويل العمر . فاجابه السلطان : اتركه
يرس مع الجيش^(١) لا ترجمه .

ثم عاد الى حيث وقف في الحديث فاستأنفه قائلاً : العدل عندنا يبدأ
بالا - الابل - ومن لا ينصف بغيره يا حضرة الاستاذ لا ينصف الناس .

كثيراً ما يقف السلطان عبد العزيز في حديث مه ينظر في امر ظاهره
طفيف ، ثم يدخل عليه احد الخدم او الكتاب فيقطع عليه الحديث ثانية
فينظر في الامر الثاني ، ثم يعود - وهذا ما كان يدهشي جداً - الى الكلمة
الاعده من حديث الاول دون ان يسأل كما هي العادة في مثل هذه الحال عند
كثير الناس : ماذا كنت اقول ؟ لا . ما سمعته مرة ، وهكذا احاديثنا
ممرضة دائماً للتقطع ، يسأل هذا السؤال . فهو شديد الحافظة ومتبعة دائماً
عنه الصغيرة والكبيرة يفتياً . وله اليد الصالحة المصلحة في الاثنين .

اقنا في المتجر ثلاثة ايام قبل وصول المندوب السامي وحكان الخدم في
انام . - العرب وديك - يشتغلون في تشييد المدينة الجديدة ، مدينة العقير
بصور الحيام ، وغرشوها بالطنافس ، والكواشي ، والمنضدات ، واواني
الشرب ، والفصل ، ومعدات الكتابة . لم ينقص حتى في فسطاط المائدة

(١) الجيش تطلق على مجموع الابل من ركائب ومعدات .

شيء من اسباب المدنية وفواقلها - فقد جني. لاخواننا المتدينين بالمال ليس من وراء الحساب بل من وراء الحمار - من اوروبا في القناني الخشونة . وما فات الانكليزية منهم شيء من القوة . امر نحن في مضارب البدو فما كان فينا على ما اظن من يخدمه على ذلك .

اصيب لهؤلاء الانكليزية الذين لا يتناولون من شيء من « انكليزياتهم » حتى في البادية . رأيت احدهم في رحلتي بسج وفي قافلته حمار يحمل صندوقين كبيرين من قناني الصودا . واطن ان الوسكي فكانت حبة في الاحمال الاخرى . ولما دُخِيت الى تناول الطعام على مائدة المندوب السامي فكان سعادته وسعادة حاشيته وصاحب الاقبال مندوب العراق في الثياب الرسمية (smokor) بالفيو ا وانا وحدي مع السلطان في الثياب العربية . فسر صموه بذلك . ولكنه لم ينتقد « الانكليزية » حتى ولا مندوب العراق العربي الذي لم يتناول بلبس البادية والمقال .

اكلنا تلك الليلة بالاسباب ، اي الشوكة والسكين والمعلقة ، وشربنا من « بريد » الماركة ، وقدم لنا الطعام بانتظام وترتيب ، وحكاهات الحلويات تريد على « تعودنا » ، وفوق ذلك الثار من موز وتفاح وبرتقال ولصحتنا لم نشعر في تلك الليلة بان سعادتنا قد تمت على الارض وكُثِلت في زاوية من الجنة تدعى القصر .

خرجت من « حدة » المائدة الى فسطاط الاستقبال فوجدنا المتدينين عند الباب ، وسرت والسلطان عبد العزيز ، وقد تزعنا تعالنا ، نتمشى ويدي في يده . حفاة على الرمل - على الرمل البارد المنعش ، تحت النجوم القريبة البريق ، الدافئة الضياء . فاحسنت اذ ذاك بان ما يقربني من هذا الرجل وينبهره مي ليتجاوز القيافة والاشتراك ذوقاً ببعض الهذات . هو هو السر الذي يقرب منا النجوم ويعود تحت ارجلكم رمال البادية . اليك ايها القارئ . كلمة اخرى من مذكراتي :

• مها قیل فی ابن سعود فهو رجل قیل کل شیء . رجل کبیر .
 والتفنی والوجدان . عربی تجسست فیہ فضائل العرب ان حد یسری
 میر الملوک الذین ذینت آثارهم شرنا وتاریختنا ، وتجسست فیہ كذلك من
 آفاتهم ما لا یحاول ان یخفیہ وجہ صافی الذهن والوجدان ، فہ من
 الادعاء والتخلف ، خا من النظام الکاذب . قص علينا بلکہ
 قصة حرب من حردیه ویدت الرشید وختم قصته السجیة بیده الکلمات :
 لا اخذناهم فی تلك الوقعة ولا حکمرونا . نری الصمیم . حندی الی
 لنا والی علينا^(١) تنفیخ بعد ذلك فی یدہ وقد رفعها فی شکل یوق الی وہ
 كأنه یقول : نشرها کالموا . لمن یوبدها ولا تخاف غیر ان

(١) حکمی الذی لنا والذی علينا . عرب العراق والشام یلفظون الکاف تش
 وعرب نجد یلفظونها قبلها تش . حندی - محلی .

الفصل الثامن

بين العراق والحجاز

مؤتمر الحبر - للمعاهدات بين نجد والعراق - المصبرات والنفط - حر الحنا
 - وشنق حجة - لاث قريها - وعالية اجدادا - بالمبارات والروك فخلدان
 - حجاز - نوري الشعلان وفهد البدر - ابن سعود والاكلاط - الشريف
 - وولادة - مريضة القبة - سحاب من الملك - حاري نور - مصالح
 - الاكلان في القبة المهيمة - ابن سعود عافي وفتانيا المكي - لا يماثلون
 - الامراء في عقد مؤتمر حرر عام ولا يتكئون الامراء - ولدهر - صيف يحسونه
 - العدالي - ابن امير متفاحسون .

اول مرة قابلت المندوب السامي في بغداد قال لي ، كما يذكر التاريخ ،
 ان القصد من زيارته لابن سعود هو ابرام المعاهدة بين نجد والعراق ، تلك
 المعاهدة التي عقدت في مؤتمرها المحيرة ولم يوقعها السلطان عبدالعزیز لان مقدمه
 ناهل يومئذ في امر القيسيتين ، العبارات والضعف ، اللتين يدعيهما وتدعيها
 كذلك حكومة العراق . وقد قال لي الملك فيصل ان خير حل لهذه القضية هو
 ان تعين لجنة من الحجاز ، بالشان والحدود للنظر فيها ، وان تقبل الحكومتان
 حكمها . فجاء السر برمي حكوكس الى المقيز ليقنع صديقه ابن سعود في
 وجوب عقد المعاهدة وقبول حكم الحجاز في العبارات والضعف .

ولكن السلطان عبدالعزیز جاء الى الحسام الى المقيز ليعر هذه التاية ،
 ولم يكن يحظر في ياله ان المندوب السامي وحكومة العراق يفيان بتجديد
 النظر في معاهدة المحصرة . فلما علم صباح ذلك اليوم بقدم المندوبين غضب
 تلك القضية الشديدة وهو ركب في موكبه يجتاز النفود . وما قاله لي انه
 هو الذي طلب الاجتماع بالمندوب السامي ، فدعاه الى الحسا ، وجاء من اجل
 ذلك يلاقيه الى المقيز . اما العبارات والضعف ، كان يكلف نفسه الحرج

من الرياض من اجلها . وقد حكان احد لشعوبه في مؤتمر المحمرة دفناً عن حقوقه فيها هذه خلاصته :

أولاً : عند سقوط دولة آل سعود ، انقسمت الى قسمين كان احدهما بيد الترك والاخر بيد ابن الرشيد . ثم ظهر السلطان الحالي ، الذي احيا تلك الدولة واستعاد ملك ابائه واجداده . فاستولى على نجد ، واخذ القصيم من يد ابن الرشيد ، وهزم الترك وطردهم من الاحساء والقطيف . وهو لا يزال يطالب باقتي من املاك اجداده وعشائره شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً .

ثانياً : ان مشيخة الضفير التي تتطعن اليوم الشامية « بالعراق » كانت في الماضي من رعايا آل سعود . اما البهارات والرولا فها فخذان من اخاذ مري ، وحكائوا يسكنون نجداً خصوصاً القصيم ، ومشايخهم بنو الهذال وبنو الشمال هم ابنا . هم آل سعود ومن رعاياهم .

ثالثاً : ان الانكليز عند ما احتلوا العراق احترموا فيه حدوده السابقة التي كانت تخضعها الحكومة العراقية . كالحُدود الشرقية بين حكومة ايران والعراق مثلاً ، والجنوبية بين العراق والكويت . وقد اعترفوا ايضاً بالاحوال الجارية والقواعد المارعية بين الترك قبلهم وحكام العرب المجاورين لهم ، وفي مقدمتهم اماره بيت الرشيد . وبما ان سلطان نجد الحالي استولى على اماره الرشيد . وادخل في ملكه وحوزته جميع ما حكان لتلك الامارة المتفرقة من بلاد وحضر ، فله الحق بمن يشر او يسرب منهم ، اي البهارات والضفير ، الى العراق .

كثيراً ما سمعت السلطان يقول : هم رعايا ابائنا واجدادنا ، بل هم ابنا . معنا . وهذه الكلمة الاخيرة كانت غالباً تسبق كل حجة في كلامه عن الخلاف بينه وبين اسراء العشائر — هم ابنا . معنا . اضحككني مراراً منه هذه الكلمة ،

بل شملت بالي - فقد خفت ان تصل دعواه الى سوريا والسوريين وهناك الطامة الكبرى - الا ان قوله ان ابن الهذال وابن الشمال من ابنا عمه هو مبني على كونها شيعي المبادئ والاولا - وهاتان القبيلتان فخذان من عتري كما قلت ، وعتري كما هو مدون في كتب الانساب ، اخو وائل من ربيعة ، ونسب ابن سعود السلطان عبد العزيز يتصل بيسكر ابن وائل - قبيلة هزلي اذن هي كلها جماد ابنة عمه وله عليها حق الرعاية - واذا كان نوري لا يحسن سياسة عشارها وفهد لا يستطيع ان يؤدب بدوها ، فالشوحط بيد ابن سعود يلي الطلب - وما الشوحط الا خشة ، اذا كان لا يسارع به الى الشمال فيحتمي فمار ابنة عمه عتري المتكررة الضاربة في برادي العراق والشام ، تعالي جبل عتري شرقاً وغرباً ، ويعدها حسن السلوك ، ليطمن بالك يا فهد ، وليطمق بالك يا نوري ، وليطمق بال صديقكما انكلكما وفردا - ان لشوحط ابن سعود ما يتفقه عنكم الان - ولكن من يكفل المشاهرات والانتقادات الى الابد ؟

قلت ان السلطان عبد العزيز هو الذي دنا السريسي كركس اليه ، وجاء يلاقيه في الصبر - اما القصد من هذه الدموي قردوي - حدي صمو - قال : - بظن الناس انه نقبض من الانكلاف بالغ كسجة من المال ، والحققة انه لم يدفوا لنا الا اليسير مما نستحقه الاعمال التي فانا بها انتاء الحرب وبدنها ونحن لا نخلف معهم قبل ان يخلقوا معنا بيتنا ويدهم عبد تحافظ عليه ولو تضرروا في انفسنا ومصلحتنا - الانكلاف مديونون لنا - ترى الصحيح يا استاذ ، ونحن لا نطالبهم - من العار ان نطالبهم - ولكن - هي سياستهم الان ، تراهم يقرولون ويقرولون - تراهم يلبسون الدمايس علي - علي انا صديقهم ابن سعود - احاطوني بالامداد - اقاموا دويلات حولي ، ودموا من اعدائي ملوكاً ، وهم يدوتهم دائماً بالمساعدات المالية والسياسية - الشريف في الحجاز ، وابنه عبدالله في شرق الاردن ، وابنه فيصل في العراق - ما

القصص من هذه الاعمال ؟ وما الداعي إليها ؟ انا ابن سعود صديق الازكلى
وعم في مياستهم الشريفية ياملونني مطاعة العدو . . . ومن هو ابن سعود
في نظر الشريف واولاده ؟ هو الخلف الصكافر الخارجي . ترى الصحيح
يا حضرة الاستاذ . قد قالوا ذلك . بل قالوا اكثر من ذلك . وعم مع ذلك
يطلبون مني ان احمل على الفرنسيين في سوريا لاخرجهم منها . ترى الصحيح ؟
ونادى اذ ذاك احد صحف ديوانه ، فامر ان يجهر بعض اعداد من
جريدة القبلة ، فاطلني فيها على قصيدة تنبت كلامه الأخير . قصيدة لشاعر
حجازي يستنجد بسلطان نجد على الفرنسيين في سوريا . وفي عدد آخر مقالات
صحفها مطاعن في ابن سعود الخلف الخارجي . فقلت : الصحافة يا مولاي
واحدة ، ان كانت في ظل الحرمين او في ظل برج ايقل ، والرجل الكبير
لا يسكت باقواء . فقال السلطان وكان قد احترم عيظاً ، فذهب القوم
من شقب ، ونور السلف من تافريه : اصعب . انا املكك " . هذا قول
الشريف لا قول احد الكتاب المستذقين ، واساطلك على ضده ، بخط يده
هات حر كتاب جادة من مكة .

خرج الكتاب .

— هات انهم .

من عادات السلطان انه حين يحتدم غيظاً يطلب القهوة . فنادى الصدي
الاب . انهم . وكرر الصدي خارجاً عند النار .

« . . . كانت تطبق هذه الكلمة » انا املكك « حتى سمعنا من السيد ومن احد خدامنا
فقال صديق السيد هاشم وقد طلع الكيل : ايلمني حق السيد والبدو في بلادكم وم
لا يتسبون شيئاً هنا ، ولا احد يتنازل ان يجرنا او يلقط بانادتنا ؟ فاحبني السيد
اليك ذلك . « ابن نجد يمشك وهو لا يريد غير الخير . املكك هو اصطلاحهم في
اخبرك . او ما سمعتم يقولون : هات حلوكم اي اخبارك ؟ فلا يتل للظلم على
ملكك يا استاذ .

- لا نسلم بذرة من حقوقنا ، ولكننا لا نقول في اعدائنا ما يقولون فينا ،
ولا طلب غير « كان لأبائنا واجدادنا قبلنا . ليعلم ذلك اصحابنا الانكليز .
وجميرت بالشروط المجاعة عند قدميه .

جاء الخادم بالقهوة فوقف امامه وقفة جندي الماني وسلم ثم انتظر الى
ان ينتهي من كلامه

- وليم ذلك الشريف واولاده ، قاطبا بلهجة اشد من الاولى ومكنها
مصرية اخرى . ثم مد يده ، فصب الخادم القهوة ، ثم صب لي ، ثم للمحضر
دعوى ذلك الكاتب يحمل كتاباً نتاوله السلطان ، وبعد ان شرب ثلاثاً
دفعه لي . قرأته وانما مذهوش - بعد ان قرأت منه لة الفقرة - مما جاء فيه من
« التورود والاحكام والتبجيل . اسلوب الديوان الماتحي لا يتغير . ثم
دفع لي منعقاً عنه غير خط الكتاب وفيه الخمر اليقين ، حاوي غير « فمروا :
ان الملك حينما يدعو السلطان الى الصلح والى الولا . والاتفاق « ويعرض
عليه ذلك مقيداً بشروط منها ان تعاد ترابه والخربة « الى الجباز ، وان
مد لي ان الرشد ملكه في حائل وسيادته في جبل شمر .

- سلام - كلام ولا ندري انصدق الكتاب ام اخبرته

ثم سألتني رأيي وكانت قد تغيرت لمجته وسكنت فيه ثورة الغضب

« رأيت يا حضرة الأستاذ ؟ لا تقل لي ان لا دخل لك بالحياسة ،
« سباحث في بادئ سباحة علياً فقط . « حنا » نفهم . وسر يد علي
حيه وهو يد « يسته الحلافة لا نخدعنا يا استاذ . لا تقول عندنا في المقاصد
والانتم اصدقنا الخبر . فقد قابلت الشريف وحدته ، وقابلت الامام يحيى
ورأيت سي والملك فعدل وحدتهم حكاهم . فأعطني الان رأيك . انمي
ان حدثك . تكلم ويكفي ان نقول رأيي قسداً كذا ، ولا جزم فتقبله

فأكد لي السلطان ان الانكليز لا يعملون لا هذا ولا ذاك . ولو سيرا
 سياً اكدوا لي جميعاً امراء العرب ووقفوا بين المتعادين منهم لا يفلحون ،
 ان يزيدون الحرق اتساعاً . ثم ضرب مثلاً على ذلك فأطلعني على طريقتهم
 لفرض ان شيخين من مشايخ العرب مختلفان في الحدود بينهما ، واختلاف
 بسيط يمكن حسبه بواسطة شخص ثالث من البلاد . ولكن الانكليز يتدخلون
 في الامر فيعقدون المأمورهم او وحشيهم السياسي فيصبح الحكم بين المتعادين
 مستجلاً اما الحق في ذلك فليس على المأمور الانكليزي وحده . كما ان العرب
 انفسهم يشاركون في ذلك . كل من الشيوخ المتخاصمين يقول في نفسه :
 لا بد ان يتحزب المأمور الانكليزي . في واما على . وهذا الكيد مما
 عادة الانكليز في تدخلاتهم كلها . فيضاف العربي مطالبة بشرة اصعاب .
 واسان حاله يقول : اذا كان الانكليز معي فيعطوني حفي وريادة ، . . .
 صفاوا علي في الاقل بعض ما اطلبه ، ولا بد ان يكون فيه نفع .
 من حقي .

ثم قال السلطان : هذه طريقة العرب يا حضرة الأستاذ ، وهذه طريقته
 الانكليز . . . ان الله يعلنا فنمقل ويؤذيهم فيمدوا . . . هات الله .

الفصل التاسع

مؤثر المقيـر

بلاد العربية - حياء الكفاية والمير - المرفيق العرب - الامتداد المير - القوق
والبحرين في السطاط - القوق والبحرين في المضارب - السر - اشعار جيلية -
" الله بغير الانكسار " - وصول المندوب السامي - حول حيلة من حيل
مؤثر المقيـر - منبهة الماطاد وتكتله - الحكومة والعشائر - الحكومة الضعيفة
شخصية الحكومة العربية تطرحه - " المندوب السامي يظنون اشهر
مسيره فيدمون " - رجال الاقتصاد في اواسير - التكاية المعروفة الشرقية -
مركبة عاذلة - امتياز العسا - يظهر قولك حوص - عهد الهدال - مندوب
حكومة العراق - السر رسمي كوكس يوكل به السلطان .

لما الإقامة في المقيـر ونحن ننتظر المندوب السامي . وما المقيـر غير
مراشر من الخليج والنفود ، تحبها في شهر سكانون عريقة ، وطلوبة هو انما
تدوث حتى الابل . ولها مزية اخرى بعدها العرب من الافاق ، العرب الذي
لا يقصرون زماناً في مكان وهم يستأنسون كثيراً بالاسفار . فقد قاروا ان المقيـر
من العربية بميناء ، تمدحهم عن الاوطان ، عن الامل والخيال . ساد في المضارب
روح الساحة والكفاية فكانت أشد وعانة من الطلوبة في الهواء .

صحت حتى السيد شكور . وكانت خبثي ، وانا الوحيد بين هذا الناس
المعينة حقا عن الاوطان ، السيد من الامل والحلان - واحق منهم لذلك
بالشكوى - كانت خبثي حياء الكفاية والقيم . فسألت رفيقي الاديب
المدد هاشم عن السبب في بؤس حاله :

- هل هناك عير الهواء . والوحشة والانكسار ؟

- لا شيء من ذلك يا سيد .

- وهل هو مما يستطاع مقاومته ؟ هل يمكنني ان اقوم بشيء .

وحالته عليك ؟

- لو كنت يا عزيزي الأستاذ مزيماً ، وكان عندك مقص وكنت ترغب في خدمتي لعلت

ففتحت اذ ذاك حقيبي وقلت : شروط ثلاث تم منها اثنان ، هما
لمنس وها انا ذا اتبعي ان اقصر شعرك ؟

- لا يا استاذ - بل هذه الهبة التي تطاولت علي ، فافسدت عيشي ،
... فت ايامي

ولكنك لم تفر بتغيير شيء منها ، اي من ايامه . فبعد ان شذبت لحيتك
... حبة لحية لجمدة قديمة - مندودة - قال السيد الحزين : الله يا استاذ ما اضعف
الانسان وما اضعف اواه ساعة يستولي الحزن عليه . حاولت ان اخفي حزني
في حينتي فانا وجدت اضعفكني : مومن - ذى الله حالك - ولكنك لم
تفرح بي - فهدر من قال : لا تخف ما صلت بك الاشواق . وكأنه لم
يرأني ، شدته الى حد الانين يد المهر والنوى ، فان لسان حالي يقول :
واشرح هواك فكلمات عشاق .

- كان في امرأة يا حضرة الاستاذ بلوعة جميلة ، حسنة الخلق ، اطلبة
لدراس ، شديدة افياء ، وكانت وحيدة قلبي وبيتي . متعني الزمان بها سنتين
ثم جاء الفؤاد الموت الخاضعها من بين يدي . فهجرت الكويت وجئت نحو
ابني تلاحاً في البعد والتسيار . ولكن المقبر تعبد الي "المذكوري" ، ادتني
لتقبر من الكويت والاحزان فقه ما اضعف الانسان . . . يا هويدي^(١)
عاز القهوه^(٢)

(١) مريدت صديق عبدالغادي

(٢) في نقد يسكور الامم وهو يكون العبر اذا كانت مكتبة ، او بالحري
مفكرة من نسخة الماء الى العيون ، فلا يقولون قهوة او شعرة او الدهناء بل اقهره
واشعره

ولما كنا ذات ليلة في مجلس السلطان جاء النقيب بالبريد ، وفيه رسالة
لأناس في ميثه فودعت عليهم . ثم شرع عظمته يقرأ كتبه والكاتب جالس
عند قدميه فيطرحها إليه شيئاً ، حتى وصل إلى كتاب عرفه قبل أن يحضره ،
فأريد جيلته وهو يضالعه . ثم مال وجهه إلي وقال : هو من الأهل . ثم
يشكون البعد والهجر . منذ أربعة أشهر هنا في الحيا ، وفينا مثلاً فيهم
من الشوق والحنين . ما كنا نبطي . بالرجوع لولا المندوب السامي وهو
مدبقتنا . أنا أحب السر برمي كوكس واحترمه ، ولكنه أبطأ ، أبطأ جداً .
وهذا الهواء الردي ، هواء القيق ، وهذه الوحشة التي لولا أمك يا استاذ لما
كانت تطاق . هذه أهل العارض لا تحمل هواء الساحل . سنة الإقامة
هنا ، مرضنا . وسريع إذا كان لا يصل السر برمي كوكس نداء ، أي باله
توجع ثم كلم الخاجب في الباب : هات القهوة . فردد الخاجب : اقوه .
واجاب راعي المعامل عند النار : أي واقه اقوه .

وبين ذلك عائدتين تلك ليلة إلى الحيا ، مورداً بحاقة من حلقات الربع
حول نار مشبوبة يؤمها كل من يبغي القهوة من الخدم والسادة . وكانت
حافلة ، مرة تباري النار تاجج والذهب حنيناً . فافسحوا لنا مكاناً وهم
يواصلون قص القصص ويروون من الأشعار ما يفضح عما فيهم من الشوق
والحنين ، فيردد الجلوس آخر كلمة من كل بيت وفيهم طرب يمازجه القم

يا ليتني حرته ^(١)	أجل ذهايه وماء .	الجلوس : وماء
يا ليتني مبرته	وؤنته ^(٢) عن عداه .	عداء : عداه
يا ليتني محنه	وأكل معه من عشاء .	عشاء : عشاء
يا ليتني نعلته	وأطامعه ما وطاه .	وطاه : وطاه

(١) حرته أي ناقته المرة النجبة .

(٢) وؤنته في اصطلاحهم أفسده أو حماه .

- زين باقة زين :

ولكنها آيات قيلت في مدح ابن رشيد فقال راوية : ولكنها لسان
حال صديق لي بالمنقوحة

جالي احب ما فجلاء تجلي المودة وتغطيني^(١) اجلوس : تغطيني
سراي احب طوي المالح^(٢) عزت سراوية تشجني^(٣) اجلوس : تجلي

زين باقة زين :

د يا دحية^(٤)

فقال دحيم وهو يصب القهوة : حنا العرب لا نصر على البعد والجلقاء
فقال اخر شامخاً ممدحاً : يقول دحيم ، اننا لا نصر على البعد من الحرم
نسفي النساء أبداً ، دائماً ، والشيوخ شدداً شوقاً اليوم ، الله يفرجل الانكلاف^(٥)
وقد استجاب الله سبحانه طلبه الامواني ففرجل قريباً منهم في اليوم
التالي وقذف ما في القربال الى شاطي . القدير . اجل وصل المندوب وحاشيته
ما ، فادر الحدم اليهم بالحيل ولاقامه السلطان على اخصيف عند التصبر .
ثم عادوا كلهم واكبين ، فترجلوا عند قسقاط الاستقبال ، كان قد انجز بنود
قنديل اسمه ، اللوكس ، ويدعى هناك بالكهرباء .

حسن المندوب السامي الى شمال السلطان^(٦) والى جانبه مصائب سره .

١٠ - مدح اخي المودة الانظر لي ريمدني اي تدوني فتعها .

١١ - اللها . قدر شعير الطلح . ولكي يستقيم الوزن واللفافة يجب ان نلفظ اللها على
الداعدة النجدة بـ كين اللامين اي اللها . وهذه الايات من الشعر النبطي الذي
يتلى به اهل نجد .

١٢ - دحيم نصيبر عبدالرحمن .

١٣ - قلنا يسون في عهد ولكنهم اذا افتاعوا من احد بقومين : الله يفرجه . اي
يربرز اثره ، واذا شد فبهم وسخطهم يقولون : سلط الله عليه .

١٤ - كان المندوب اول من دخل الى القسقاط واقتد اختار المكان نادياً ، اما الشيخ

بعد ١٥ - انظر ان عطية السلطان احلوه الى اليمين .

والوكيل السياسي في الكويت والميجر دكتور. أمود الارتباط في البحرين
وجلس الشيخ فهد الهذال بين وبين عظمتته الى البيت .

اعتذر المندوب العامي لانه ابطاً ، قبل السلطان العذر ، وشرع يصيح
عما كان يتقد في صدره وهو ينظر اليه غير مكثرت بسواه ، معات الكلمة
الاولى فنبلة زعمت المكان . - ان لا اختي الا رجل القوي لا شرف .
ولا دين .

ثم قال : لا تدري يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكنك ترون .
بها الحذر . وما نعلمه علم اليقين ان المثار ، خصوصاً مشاة العراق ، لا تواقع
الى حكومة قوية شديدة الساعد ، بل لا تبقيها . لان الحكومة اذا كانت
عوية قضيهم تؤذيهم ، فيتأديون . اما اذا كانت ضعيفة فتسببهم كما هي
الحال اليوم . المثار يا حضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف . والآن هم
يركبون على ظهر الحكومة ويسوقونها والبلاد الى هادي الخراب . . . اشبهوا
السيف يرتدوا ، يتأديوا . اغمدوا السيف ينهبوا ويقتلوا . ويتقاضوا .
ذلك الحق .

فاه عظمتته بهذه الكلمات مولياً وجهه المندوب السامي وظهروه .
الهذال . وكان الشرح الطويل بيده يسامد بالافصاح والتسكين ، فرائي
بل راغني . . . هذا التصريح ، فقلت في نفسي : سامع افه عبدالعزيز . قد
اخطأ في استرساله الى غرضه . ولكنه وهو السياسي المحنك اراد ان يمه
ابن الهذال بانه صريح مع الانكليز كما هو صريح مع العرب ، وانه في الحق
لا يهاب بشراً . على ان المجلس اذهب هنيهة من كلامه فبدأ هو على نادمه .
حسرت قلت سابقاً ، يجوز بكلمة نظيفة فأزال الانقياض الذي استولى على
النفوس لانه في غرضه قناة الهذال اهان حكومة الانتداب التي تدعي .
شاهرة ليحفظ الامن في البادية بين العراق والشام .

- اعدوا السيف يقتلوا وينهبوا -

تم مال بوجهه الى الشيخ محمد وقال ميتا : اليس كذلك يا محمد ؟
نعرف بعضنا . فضحك كل من كان في المجلس سوى شيخ العبدات الذي لم
يحدث نظره في السجادة ، ثم دفعه خلسة الى المندوب السامي كانه يقول
لا بارك الله ساعة جئت فيها ملك .

هذه اول جلسة وان كانت غير رسمية في مؤتمر المقيرو ، لكنها حدثت
سرية بين السلطان والمندوب ، وجلسات هومية حضرها رئيس وفد
وكيل بريطانيا السياسي في الكويت ، والشيخ محمد لهدال ، من المندوبين
والمفوضون - الميجر دكسون من الجهة الانكليزية والمندوبين بمداة من
الجهة العربية والاختصاصيون ايضا من البدو الخفراء بارض الشمال وسوءهم
واماكن الماء فيها ، يؤمنون من حين الى حين حيثي الصعوبة فترت نارهم
الفرخين باسلم رغبة حقيقية ، والاممي مع ما تخلله من وعيد وتهديد على
متواصل حتى النهاية ، فشكلت في اليوم الخامس اعمال المؤتمر والتعجيل

وم يحرم مؤتمر المقيرو غير ممثلي الصحافة . اما رجال الاقتصاد وطلاب
الامتيازات ، الذين يحرمون على كل مؤتمر بمقد في اوروبا في هذه الايام ، فقد
شرف بعضهم المقيرو وكان البعض ، وهم على الشاطئ العربي من الخليج
يتقربون من ذوي الامر فيه باسم الصداقة للعرب - والبقول - فقد كانت
ان السير آرند ولسون رئيس شركة الزيت الانكليزية الفارسية في بغداد -
مكتب الى صديق له في المؤتمر يثاله مقايضة السلطان عبد العزيز بمحصول
امتياز في الحسا .

ولكن الذي كان قد باشر المفاوضات فيها بنفسه ووصف خيمته بالعربية
من قسطنطين السلطان هو الميجر فرانك هومس وحكيل النقابة العموم .

(١) راحة تاريخ نجد الحديث الفصل الخامس والثلاثين ص ٢٧٨ و مؤتمر المقيرو .

الشرقية بلندن . كنت قد صمت بالميجر في عدن وعبر ، فأدعشتني امره
عندما أحتضت به على رمل المقيور . هو في القدر الخامس من العمر ، وفي طور
الشباب همه وفشاما . فقد ساح في تهامة وفي الأحساء بالرغم من انه لا يعرف
كلمة في اللغة العربية ، وهو يبحث عن الزيت وينشد مثل شركة عبادان
الامتيازات .

على ان الفرق بينه وبين تلك الشركة هو ان حكومة بريطانيا العظمى
تعطدها لانها تلك سبعين بالمئة من اسهمها ، وتقاوم كل شركة - وانما تبني
امتيازاً في الشطر الشرقي من البلاد العربية . قال في الميجر هومر ذات يوم
في المقيور : لا ختم لنا غير حكومتنا . ولكن لا دخل في السياسة ، نحن
نحيا . نعيش وننتفع .

فذلك منحه السلطان عبد العزيز امتيازاً ، الحساء بالرغم من مقاومة
الحكومة الانكليزية التي كانت تفضل ان تمنحه شركة عبادان . ثم شد
الميجر اظفانه في الكويت وفي البحرين حتى وفي العراق فاذا جاء فوزه
مقارلاً لجزء من حبه ، وكانت شركته بعيدة دائماً عن السياسة ، قد يصبح
اشهر من قالوا امتيازات في البلاد العربية واجههم الى العرب .

وقف في صباح اليوم السادس مندوبو المؤتمر المصري فينا وقفة الرضى
والامتنان . وكان الميجر هومر مع الفريقين ، من تصبروا ومن صبروا .
ثم انتمى العدد وحدثت كلمات اوداع ، فعاد الكل في سيله يشي على رجوع
المؤتمر ، بل رجل نحو الكبير السلطان عبدالعزير . حتى ان الشيخ فهذا كان
صباح ذاك اليوم من الراضين . المسرورين ، فنادحين . سألهم السلطان عند
الوداع : هل من حاجة نقضها لكم ، فاجاب : نعم يزمنا بعض العنايات ^(١) .
فقال عظمته : ارسل احد رجالك منا ترسلها اليك من الحساء . ففعل . ثم
^(١) التوقى العنايات من نعمان وهي الغيب الابل واحرها .

جاءني يعتذر ، والرضى ابو الطاف والاتضاع ، لانه لم يرد زيارتي فقال : ان اشغال المؤتمر حالت دون ذلك ، واسر كاتب سره ان يدون اسمي في دفتره ، دفتر الحارين المصروطين . ثم دعاني بارك فيه الى ديرته في الشمال قائلاً : سنقوم هناك راجعكم ان شاء الله .

ان مندوب حكومة العراق فامره بحزن . كان قد مرض في الطريق الى المقيع فوصل اليه وردفنه الحى . وكان أثناء المؤتمر يشكو كل شي . بل الهواء ، وملوحة الماء ، ووحشة البيداء ، وظلم السماء ، ويقبل مع ذلك يد السلطان عبد العزيز . اظنه كان يجهل ان اهل نجد لا يقبلون يد السلطان ، وان تقبيل الابدي هو مستحكر متدبر . سألتني عند الوداع قائلاً : اصحيح ذلك . سافر مع السلطان الى نجد ؟ فقلت : نعم ، تعال معا . فقال : وان اعطيتني ثقل رمال البادية ذهباً لا اخطر خطرة اليها . هاهنا - وأشار الى البحر - خلاصي . البحر يوصلني الى بغداد . وكان في كتاباته وفي تنهاته يشل لعاشق المشاق ، البعيد عن جزر الواق الواق . مسكين المتسدد الذي لا يستطيع ان يستفي من المدنية ولو يوماً واحداً .

اما الانكليز في المؤتمر فامحنتهم مرة يشكون ، شأنهم في كل مكان . فهم يقبلون كل حال حسنت او ساءت ، عاملين علمهم جادين ، راضين بقسوتهم الوقتية ساكنين عابرين . وذئوني ولسان حال كل منهم يقول : عنناً انت ، يا ليتني سافر معك !

ولكن المندوب السامي السريسي كوكس قال لي ساعة الوداع : وهلا سافرت الى الوبع الحالي ؟ فقلت ضاحكاً : كأنك تبقي هلاكي . ثم فاه وهو يودع السلطان بكلمة انستي الاولى لان فيها منعت ضمناً حق الحماية الاسكاجرية . قال باللغة العربية مخاطباً السلطان ومشيراً الي : هو بدمتك . فاحب السلطان بكلمة الطف منها واجمل . قال ويده على كتفي : الاستاذ نجدي الان ، هو منا .

الفصل العاشر

العدل أساس الملك

عدل ابن سمود - الغرم - الهند في المذهب الوحاني - عرب المبادية - العباد
 = « لولا الشجوة والله لا ذبيحة » - الامر في نهد - من التلطيف الى ايها ومن
 راضي التواسر الى واهي سرحان لا يسأل فاسافر من اين وقد ابن - طريقتي العبد
 في عهد الاثراك - « العزة » ميل شعبة اميال - هبدات ابن اجاوي - « من
 الاحياء يروى به » - « اذا صنا لا ليهما بالفسنة فكيف لعدل في عودنا ا -
 لعموم بني مرة - نمالية وودوس تظفر في ساحة الهقوف - التداخون في نهد -
 الفلانة - من ياحطون عيون يدخثون ومن لا ياحطون في المسند »

العدل اساس الملك ، ومن العدل ما كان يعجب ، ومنه ما كان يوجب
 ويخيف . وقد شاهدت من مظهره في بلاد نجد ما لم اشاهده في البلاد
 العربية كلها . بل ما وجدت خارج نجد بلاداً تمثل فيها هذه الحقيقة
 « العدل اساس الملك » ذاك التمثل الصحيح الشامل ، ذاك التمثل المعجب
 الخيف معاً . عدل ابن سمود ! كلمة تسعها في البحر وفي البر وفي طريقك الى
 نجد قبل ان تصل اليها . كلمة يرددها الركباني في كل مكان يحكمه
 سلطان نجد ، من الاحياء الى تهامة ، ومن الزرع الحثالي الى الجوف .

وما عدل ابن سمود غير الشرع - غير عدل النبي . اصف اليه قسوة في
 بعض الاحكام الاجتماعية اشتهر بها المذهب الوهابي . فمن يدخن مثلاً ببسط
 وكذلك من لا يصلي . اما احكام الشرع المعروفة الا انها تنفذ في نجد با
 تردد ولا محاباة ، ولا موافقات لوليات طويلات . حكم ابن سمود لا يعرف
 في سبيل العدل كبيراً او غنياً . كل الايدي الانيمة عند الحائكة سواء ، وكل
 الرؤوس سواء عند السيف . وكل من عين في اول عهد هذا السلطان الكبير

(١) البسط عديم هو ان يطرح الرجل الى الارض ويضرب بالرطب . عيب ينتحل

قطعت لمربعة صغيرة . وكمن من رؤوس طاحات الى الارض لذنوب يخففه في غير ذلك الحال وذلك المكان عذر وندامة . ان مثل هذا العدل يشيخ خواطر المتدين ويغضب من عاشوا في ظل الاحكام المدنية التي لا تخلو من الرافة والحلثان ، وان كان العدل لا يسلم دائماً فيها .

شاهدت بسط رجل في الرياض لاعتصامه فتاة صغيرة . بسطه العبيد على بطنه وأمسك عبدان منهم يديه ورجليه وسقط الصدان الآخران بالصعب الاخضر على ظهره بمدون الضربات الى ان هدوا الحسنيين او الستين . نفرت من ذا المشهد نفسي ، وسئمت البئس بعد ذلك اياماً . ولكن من يعرف مرمب البادية ويقم بينهم ويجهشهم يرى وجوب مثل هذه القسوة في تأديبهم وضبط امورهم .

اما المظاهر الجميل في مدل ابن سعود فاليك مثلاً هتيراً منه . حكنا في القير محتاج الى الكثير من الحطب ، وكان يحكي . البدو باعمال منه يبيعونها الى رؤساء الحشم بأسعار غالية فقلت الحطب في ذاك المكان ولعلهم بحاجة الشيخ وضيوفه الانكليز اليه .

وقفت يوماً احد هؤلاء الخطابين ومعه اربعة جمال محملة . ساروا قدام السلطان عليها ، فطلب الجلال روبيتين^(١) ثمن حكل حمل ، وسعره الاعتيادي نصف روبية . نزل الجلال الى روبية ونصف . رفض القيم شرائها . ساق الجلال جهاله . فاداه القيم ودفع له روبية فأبى . فقال القيم وحسبان الجلال قد رلى باعماله : أبدي قواد . لولا الشيوخ وافه لأدبته .

ولو كنا في معسكر تركي او اردني وكان الجيش بحاجة الى الحطب فهل تظن انهم كانوا ياملون هذا الخطاب مثل هذه المعاملة ؟ بل كانوا يسكروهن على البيع بما يريدون ثم يستغفرونه . لولا الشيوخ لقلل الحدامون

(١) الروبية من مئة الفند وهي تساوي نحو مئة قروش مصرية .

بالبدو الخطابين مثل هذه القملات . ولكن حتى البدو يطمئ لهم - وحقوقهم ان يبيعوا ما يملكون بما يشاؤون ويستطيعون . اما حتى ابن سعود فيؤخذ منهم بالعدل ، وان اقتضى الامر بسيف العدل البتار .

اذا كان العدل اساس الملك فالامن اول مظهر من مظاهر العدل . وفي نجد اليوم من الامن ما لا نجد في بلادنا او في اي بلاد متشددة . لا يظنني القارئ مبالغاً بما اقول . ولست على ما اقول مستشهداً بنفسي ، مع ان رحلتي التجدي استمرت حصة اشهر ، قطعت في اثنتائها الدهناء مرتين ، جنوباً في طريقي من الحسا الى الرياض ، وشمالاً في طريقي من القصيم الى الكويت ، وكانت حقائقي وفيها مالي مكسرة الاغفال مفتوحة وهي مع الحملة بعيدة من النهار كله ، وكان في خدمتي ائام من البدو ، فلم اقدم مع ذلك شيئاً من حوائجي ولا ورقة من اوراقي . الا اني لا اقدم نفسي حجة لاثبات ما اقول من الامن في نجد لاني كنت اسافر بطريقة ممتازة مصحوباً بعشرة الى خمسة عشر رجلاً من رجال الساطان .

واكن الامن في نجد لا يحتاج الى رحلتي مثلاً واثباتاً . ان له اسكبه دليل واقطع حجة في اهل البلاد انفسهم ، المسافرين من قطر الى قطر ، وي القوافل التي تسير اربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف الى طرف ، من القطيف مثلاً الى ابها ، او من وادي الدواسر الى وادي سرحان دون ان يتعرض لها احد من البدو او الحضر ، دون ان تسأل من اين والى اين .

قدمت مثلاً صغيراً على العدل . وهالك مثلاً جديراً على الامن في نجد اليوم . كانت الطرق في الاحساء في عهد الاتراك لا تجد الا بقوة عسكرية ، او بدفع « الحوة » . وكانت الطريق بين الفقيه والحسا ، وهي طريق التجارة الى نجد الاسفل ، اكثرها واشدها خطاراً . فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول الى المهرف - مسافة اربعين ميلاً - يضطر ان يدفع

« الحوة » كلها اجتاز خمسة اميال او عشرة من هذه الطويق الخفيفة ، فربط
التجار والاموال . جاءها العجبان من الجنوب ، وبنو مرة من الزبيح الحظي ،
والمناصير من قطر وما دونها ، وبنو هاجر من الشمال من نواحي القطيف
والكويت ، وجاء من داخل البلاد ، من وراء الدمام ، والدواسر الاشواش ،
فصاموا على هذه الطريق وربطوها ، وقطعوها ، وتقاسموا اموال قوافلها .

هكذا يجيء التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل ان يطلا بوجهه القدير
« حوة » للعجبان ، ومن القدير الى النفل خمسة اميال وخمسون ريالاً « حوة »
للمناصير . ومن النفل الى ام الذر خمسة اميال وخمسون ريالاً « حوة » لبني
مرة . ومن ام الذر الى القلعة خمسون ريالاً « حوة » لبني هاجر . ومن القلعة
الى ... الخ . واذا فاز التاجر المسكين بحياته وبقي شيء في كبسه ، فمن
المؤكد ان احماله لا تصل كلها الى الحسا . وكان اذا خرج عسكري التوك
لتأديب احد من هؤلاء العشائر يطاردون البدو فيقبضونهم ، يأخذون ثيابهم
ونياهم ، ويحبسونهم الى الحسا حفاة مراء . ثم يجيء البدوي منهم راسياً
حصان الجندى التركي ليعطوه على مرأى من السلطة المدنية .

هذه هي حال الاحسا . قبل ان سقطت في يد ابن سعود . اما اليوم -
فقد مورثا في النفود بجمل بارك ، رازح تحت حمله . فسألت عن صاحبه فقيل
لي انه سار في طريقه وسيجمع بعد ان يصل الى البلد بجمل آخر بجمل الضاعة .
وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة ايام فيعود صاحبه
فيجده ، وما مسته يد بشرية ، كما تركه في مكانه . كيف يمكن ابن سعود
من اقامة مثل هذا الامن وتوطيده في بلاده ؟ يا مريم : اولها الشرع وثانيها
الارادة والوجدان في تنفيذ احكام الشرع تنفيذ لا يعرف التردد ولا التيسير ،
ولا الرأفة ولا الحماة .

ليس السلطان وحده في هذا الامر الخطير . فان امرائه كلهم يأخذون

عنه ويمثلون به . وبين هؤلاء الامراء رجل مشهور بحكم الحسا . هو
 اكبرهم همة ، واشدهم تعصباً للعدل ، يجلس في كرسي القضاء وحده . فلا
 تجلس معه الرحمة ، ولا تجلس معه المحاجة . عدله عدل عمر بن الخطاب وقسوته
 قسوة البدو . يأمر بالقطع والتعليق ولا يبالى . هو عبدالله بن ابلوي^(١) امير
 الحسا وابن عم السلطان عبدالعزيز . ان اسم عبدالله ليرعب الناس اليوم
 ويروع منهم المجرمين . ان له صدى يقوم مقام الشرع في كل الاحساء ، امن
 اطراف القطيف شمالاً الى وادي جهن جنوباً . انه ليخيف اصحاب البدو ،
 واكثرهم استهتاراً . بل هو اسم تخوف الامهات به اطفالها .

ان لعدله عبدالله بن ابلوي حياءً واحدة لا ترى غير المذنب ولا ترى في
 ذنبه غير ما يستوجب التأديب في الحال . وهو امرع في تنفيذ احكامه
 واشد من ابن عمه السلطان عبدالعزيز . ان ساحة الموقوف لساحة الدم ، ساحة
 القطع والتعليق . خذوه الى الساحة وبعد هتية بلع سيف السيف في فم
 الضحي فتقع اليد او الرجل او الرأس في حجر القضاء ويبرز العدل رأسه
 استجاءاً

جاء عبدالله ذات يوم رجل يشكو ولداً ضربه برشته . فسأل عبدالله :
 ومن الولد ؟ فقال الرجل : لا اعرف اسمه . فقال عبدالله : وهل تعرفه اذا
 عاينته ؟ فاجاب الرجل بالاجاب . فامر الامير ان تجتمع عنده اولاد ذاك
 الحي من البلد . فاحضروهم كلهم وجاء الشاكي فنظر اليهم واثار الى غريمه ،
 همس احد الحضور في اذنه : هو ابن الامير . فجمع الرجل بعض كلمات
 اراد بها الاعتذار والعدول ، فرده الامير ، وسأل الولد فأقر بذنبه . فأمر
 الصياد ان يمسطوه امامه وان يقدموا للشاكي عسيماً اخضر من النخل . فتردد

(١) اصله جلوي من جلاجلو ولكنهم في نجد يسمون نقاء من الاسم ومن ذلك
 أيضاً قولهم : ابدوي اي بدوي .

البيد واحجم الرجل . فاختذ الأمير القضيبة بيده وشرع يضرب ابنه ويقول :
إذا كنا لا نبدأ بأنفسنا فكيف نعدل في غيرنا .

جاء ذات يوم إلى القصر في الرياض بضعة رجال من بني مرة ، أشد
القبائل في الجنوب توحشاً ، يطلبون عيشاً وكسوة . فكان لهم من السلطان
ما يفتنون . ثم أوتخلوا شرقاً إلى احسا فمروا في طريقهم ببعض الأهالي فوعى
فساقدهم امامهم فشكاهم اصحابها إلى السلطان في الرياض ، فبحث السلطان
بنجانب يحبل الحقد إلى الأمير عداقة في احسا . وصل النجاش قبل ان يصل
مرة بني مرة ، فتمركت اسباب العدل عند الأمير بالسرعة التي اشتهر بها .
ركب اربعة عشر من رجاله وراحوا منتسفين اربعة اقسام ، شمالاً وشرقاً وجنوباً
وعرباً ، يقتشون عن عربان بني مرة اللصوص . وما من اربع وعشرون ساعة
حتى جاءوا بهم وبانصارهم المسروقة إلى المفوف ، فاوقفهم امام ذاك العربي
الروماني ، العربي شرقاً ، الروماني عدلاً ، وصحان سؤال ، وكان جواب :
كانت السكلة : إلى الساحة !

هناك امام الأمير والجميع المحتشد يشغل السيف ويشغل معاونه والطريقة
في الانعدام بسيطة سريعة مذهلة . فيها دقة نظر وفيها مهارة . انهم يركعون
المذبح على ركبته ، ثم يرقص امامه المعاون ليليه من السيف الآخر المرفوع
فوق رأسه ، فيكزه أولاً بالسيف وكثرة شديدة سريعة في رقبة تحت الخيش ،
فيتحرك الرأس إلى الامام ، فيتقلع حصب الرقبة ، فيضربها اذ ذاك ضربة
— ضربة واحدة — بطيخ منها الرأس إلى الارض . دقيقة واحدة تبدأ
بالرقص وتنتهي بانقطع ، فيتحدث بها الركبان في نواحي البلاد كلها .

وفي ذاك اليوم الزهيب لمع سيف السيف لمعات ثمانية في ساحة المفوف ،
وفي عس الضعيف ، ففرقت على الارض ثمانية رؤوس من بني مرة . . . يادامي
البعدين ، ضاع لنا بعر فهل عاينته في الطريق . . . هودا يا خوتي البعر

تعال خذ . . . العدل اساس الملك وسياجه . فان القلاع التي بناها الترك في الطريق الى الحما هي اليوم مهيورة متهدمة ، والقوافل تسير ثائرة ميل شرقاً وغرباً وثائرة ميل جنوباً وشمالاً في ملك ابن سعود وهي تدعو له بطول العمر وتشكر الله .

قلت انهم يسمعون من يدخن في نجد ، ويسيطون كذلك من لا يصل . وللكلمتين شرح توجيه الحقيقة والانعاف ، لان الناس في ما يسمعون من عجيب الامور ومنكرها يبالغون ، ولا يهمهم من الحقيقة غير ما يثبت منها المبالغات .

التدخين ممنوع في نجد بل في ملك ابن سعود كله ، ولا احد يدخن دنان او في الاسواق ، لا في الحما ولا في العارض ولا في القصيم . ولكنهم في الحما وفي القصيم يدخنون في بيوتهم ، والمشايخ يتساهلون . وقد رأيت في اريض من يدخن سراً حتى في حضور اقرب الناس الى السلطان . ذاك ما به لا يرون في الدخان ما يراه المتصهون من العلماء . اما السلطان فهو يحب اوراق الطيبة ويشتر من رائحة الدخان . وما كان ليؤورني كل ليلة على ما ارض . كنت ادخن يوم كنت ضيفه في القصر بالرياض .

حدثنا المستر غلي في كتابه « قلب البلاد العربية » قال : صكت اما ورفيقي ندخن ذات ليلة (وكانا مثلي ضيفين في القصر) اذ دخل علينا عبد يحملنا بقدم الشيوخ . وحسبنا الغلايين وعلب التبغ مبعثرة على الدوالي ، فخبأناها سريعين وقتعنا الشبايبك كلها . الا انه عندما دخل السلطان كان الدخان لا يزال منتشراً في الغرفة . فجلس متجاهلاً ، وكان لطيفاً على عادته . ولكن احد العبيد جاء تواء بالجمرة وفيها الطيب فقدمها لسيده ودار علينا بها مراراً ثم تركها على السجادة في وسط القاعة تطهيراً للهواء .

تجاهل السلطان مع ان دخان الغلايين اكره شيء لديه ، وكان لطيفاً على

ملوكه . ولكنها كانت اول زيارة منه الى ضيوفه في مقرهم ، وآخر زيارة .
هالك مثلاً آخر من تعلقه وقساهله .

في الرياض حي يسكنه العلماء . وللعلماء حاسة شديدة تحترق الجدران فتعرف ما وراءها من دخان ، وتقرب بين الحلال منه والحرام . لذلك لا يعرف احد في ذلك الحي ان يشعل سيجارة لا سراً ولا في عرفة مظلمة تحت الارض او اذا خاطر بنفسه واستهتر ، فاكشف امره ، يحاصيهم امام الشيخ ، وعند الناس الحرم ، بعد استماع الشهود يُسقط في الحال لا محالة ، « يعققه » - يضربه - المبيد من اربعين الى ثمانين ضربة حسب خطورة الذنب وسوابق المذنب فيه . وقد سمعت السلطان عبدالعزيز يقول : من من اخصانه كان يبحث يومئذ عن بيت لينقل اليه : في محلة الشيخ التي في حي العلماء المذكور ، بيت صغير ولكنك تعلم انهم هناك يواظبون على الصلاة ويشددون في الاحكام فتصغر ان تصلي دائماً في المسجد .

ان في كل مسجد بالرياض كما قيل في حريدة باسماء الذين يصلون فيه . يقرأها الشيخ كل يوم صباح مساء . فاذا كان احد غائباً يزوره . وقد من الاخوان في بيته . قد يكون مريضاً فيمرده ويؤاسون ، وقد يكون مستغرقاً في النوم فينبهونه وينصحون ، وقد يكون كسولاً فيعظرون . اما اذا تغيب عن الصلاة تائباً بلا سبب فيعظرون ويوكلون ، واذا تكرر غيبته ويبسطونه لا محالة ، ويمسكون في ظهره الذيل او الخيزران .

هي حقيقة الوهابية في العارض ، بل في الرياض ، بل في حي خاص من احياء الرياض ، وكما بعدت من ذلك الحي ومن تلك المدينة ، وكما بعدت من العارض شيئاً او شرقاً ، تبعث من القلق في الدين - دين التوحيد - ومن التعصب في تنفيذ احكامه الاجتماعية .

الفصل الحادي عشر

الآخوان

رسل الآخوان ورسول التوحيد - جشود ابن معروف - غفور من يمين يمين جديد -
 - الفاضل التوحيد ابن من طاعة الله - العرب الشهيرة - تأسس التوحيد
 طساجد - شجاعة الآخوان - موسيقار - حيث جبهة الحق - ان انت يا توحيد /
 - آتوا الآخوان - موار مثال من الآخوان - الزكوة - التوحيد - الفاضل - نور
 - يهي من رسل التوحيد الكافر - احدهم بالدين - الله يهتدوا بالدين - نور
 - النار - الآخوان - الفاضل - الآخوان - التوحيد - الفاضل - فاضل في
 لعدة والقر - قوة حالة تحبها ديرة ولطاف - طبعة الشان طباطمير وهو
 بلور الآخوان -

من هم الآخوان ؟ من هم اولئك التجديون الوهابيون الذين يردد الناس
 في كل قطار من الاقطار العربية اسمهم مستبشرين بافه ؟ وهل من يعرف حقيقة
 - هـ - ، ويدرك سر اشتباهم . نعم رسل الغول والموت ، ام رسل دين لا
 يعرف غير الله والكتاب والسنة ، دين النبي محمد والصحابة ؟ اقول نعم جواباً
 على السؤالين .

الآخوان هم الفئة المهاجرة ، الفئة المنصبة ، الفئة المدنية^(١) جديداً في
 توحيدية . الآخوان هم جنود عبد القزوين - مورد الذين كانوا بالامس من
 العرب الرحل ، من البدو الجاهلين ، فدينوا اي دلتوا بدين التوحيد فصاروا
 مدنيين ، وهم في غلوهم يمتقدون ان من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم ،
 فاشيروا الى ذلك في -الامر بعضهم على بعض - . السلام عليكم يا آخوان^(٢)
 حيا الله المسلمين . واحيا مسلم عليهم سني او شيعي فلا يردون السلام .

(١) وان اي مذهب تذهب الوهابية في اصطلاح اهل عد .

(٢) اهل غد يدخلون في المناذلة الى التعريف على الاسم فلا يقولون يا آخوان
 وبلا لغير مثلاً بل يا آخوان وبلا لاميير .

من الحقائق الناصحة في الأديان ونشأتها ان كل من دان بدين جديد او كان حديداً في الدين ، يأخذ منه الغلو مأخذاً يلتوي عنده العقل ، فيستمرس في ما يظنه فضيلة ولا يطيب له عيش الا بالتبشير والجهاد . قد كان كذلك المسيحيون الاولون ثم البروتستانتيون ، بل قد كانت شيع الاسلام كلها في بدايتها مازعة الى السيف . مقتدة ان الدين كل الدين في نشره في الناس حرباً او سلماً ، كرهاً او اقتناعاً .

وها ان الاخوان في هذا الزمان يحملون البنادق واليارق باسم الله ، فيحملون او كانوا يحملون على حكمل من لا يدين من العرب وكأني بهم لا يرون غيراً في حياة لا اكراه فيها على التوحيد ، فيتادي الاخ منهم منشقاً . . . او واقفاً بتدقيقه : انما خيال التوحيد اخو من طاع الله ، بين رأسك يا مدو الله ! انهم من هذا القبيل مثل رجال البروتستانت الاولين الذين حاربوا شارلس ملك الارمسترونج . والسلطان عبد العزيز هو شبه رجل تلك الثورة الكبير كرويل .

على اننا لا نحتاج الى الامثال والمقارنات من تاريخ الغربيين وعندما في تاريخ الاسلام مثل الوهابية الا على . أجل ان مثال > خيال التوحيد > انما هو النبي . وان حروب الوهابية اليوم شبيهة من وجه خاص بالحروب النبوية . عودوا الى الله ايها المشركون ، عودوا الى النبي والسنة ، عودوا الى دين التوحيد . واذا كنتم لا تعودون فتكفرون بالطاغوت ولا تتركون احداً مع الله ، نحن الاخوان عليكم . ان سيفنا بشار وبومنا عصيب ^(١) .

قد برهنوا على ذلك في مواقع عديدة وانبتوا جوابي على السؤال الاول

(١) عند حروب النبي التي كان يمشي دفاعاً عن قومه وابائهم وبعضها تعزيراً لدين التوحيد صار الفاتحون المسلمون يرضون من الامم التي ينظرون عليها الخشوع استلهم دون ان تغير دينها . وفي القرآن : لا اكراه في الدين .

فكانوا رسل الموت ورسول الموت في كل مكان فعمت فيه «هوسهم» المشهورة : هبت هبوب الجنة ، أين أنت يا باغيها ؟ فلا الحجاز يتسام ، ولا الكويت يذخركم بلخير ، ولا العراق يحسن بهم الظن ، ولا الجوف ولا الجبل ولا القصيم يسكنهم في ساعة الوغى سواعم ، ويردد غرقاً واعجاباً غير اسمهم . الأخوان ، زرعوا الموت في كل مكان . الأخوان يحاربون مستبشرين مستشهدين . روى الناس الموالون منهم والمعادون أخبار الشجاعة والبطولة التي اشتهروا بها . قالوا انهم شياطين الدين ، وقالوا انهم ابطال المسلمين . وما كانت البطولة بغیر الايمان الحلي والثبات في الجهاد . لولا ذلك ما كان الأخوان ، وما كان ملك ابن سعود . هبت هبوب الجنة ، أين أنت يا باغيها ؟ وكل يبغيها . لذلك يحاربون ولما يهزمون . الجنة امامكم والنار وراءكم . فمن منهم اذن يتقهقر ، ومن منهم يولي مديراً ؟ هم شوكة ابن سعود في ايام الحرب ، وهم في ايام السلم الشوك في غصن الدين . يحاربون سلم التوحيد بالعرض ويصجون احياناً حتى سلطانهم العزيز . حدثت كثيرين منهم فما وجدت وراء اللسان غير قلب فيه اتون من الايمان ، فلا يهاب صاحبه الموت ولا يخاف غير الله . ولكنك تسألني : أمن روح هناك فيها شيء من الختان ؟ ام من سفلى فيه ذرة من البرهان ؟

هوذا نوار اقدمه مثلاً قوياً كرمياً . وما نوار غير راعي بغير اكثره منه شاب كان في خدمة السلطان يسافر الى القصيم . كنا يومئذ على اهبه ارجل فأراد الشاب ان يراعيه قليلاً ، فخرج راكباً منا من الرياض ، ونوار صاحب الذئول يشي امامه او ورائه . وكان في بعض الاحايين عندما يتعب ، ينسحب الى الرجل رديفاً ، ثم يرجل مستعيداً بانه . ذلك لان الشاب الذي اكروا نوار بغيره هو «ازسكوت»^(١) يدخن ويغني والقنا في نجد اليوم محظور وفي حض

(١) ازسكوت لفظة فارسية معناها من لا امل له ولا يبال ، وتطلق في نجد على من ينقض ايامه في قصر السلطان او الاخير خادماً او حول القصر ينتظر قصة .

مدن الغارض والقرى الجديدة ، المخبر ، محوم مثل الدخان . اما الزكركت فكان يرفع عقيرته كلما خرجنا من قرية وصرنا في القلعة ، فيتلو اذ ذاك نوار التعويذتين . وعندما رآه لأول مرة يشمل السبيل حكايد نجين . كان ذلوله ماشياً الى جنب ذلولي وحكايد نوار وقتند رحيقه ، فوثب فبجأة الى الارض كأن ناراً اشعلت تحته وهو يردد بصوت عال : اعوذ برب الفلق من شر ما خلق . . . اجرونا اللهم من النار . . . اجرونا اللهم من النار . والزكركت اثناء ذلك والربع كلهم يضعون .

حكايد الاخ نوار مع ذلك لطيفاً وذا مروءة تشكر . فيطاون الحكيم ، ويرمي الزكركت عند المراح ، ويجمع الحطب ويشب النار ، ولا يأكل الا قليلاً . راقنا هذا البشر الغريب ، آخانا كرهاً ، عشرة ايام ، وما من مرة سلم علي او كلمني او رد سلامي . مرضت اثناء السفر بالحمى فكنت ذات يوم على القواش في خيستي ونوار واقف اتفاقاً في الباب . فقلت مازحاً ، بل كنت اضايقه هماً : يا نوار انا مصغن - مريض اليوم - . قال بوجهه الي هاتفاً والحمد لله ! حكايدت عصاي طوع يدي قرب السرير فوميته بها لما خلفته منه وقاحة بل قسادة وحشية ، فأصابته منه الرأس وابسكتها لم تحرك اللسان بكلمة واحدة .

ثمضت بعد ذلك وخاطبته وهو واقف عند النار : انت يا نوار رجل تقيم ورع صديق وانا رفيقك في السفر - مريض - «خوباك مصغن» اليوم ، ونبهي الرحيل ولا رحيل مع مرض . فجلا ذكرتي في صلاتك وسألت الله في الشفاء العاجل ؟ فلم يجيني بكلمة . فقلت : أفلا نصلي من اجلي يا نوار ؟ خلل معرضاً عني ساكتاً . فقلت مصرأ : انا «خوباك» انهي منك ان قد كرتني

واثر كرت كثير الاسماء هادة وكثير الاخبار ، من المظهر والخلق ، يصر المدة ويصر كذلك التهلك على الاخوان .

في صلاتك . هز الرجل رأسه متأففاً وبعد عني فتبعته وامسكته بعباءته .
واظنتي كنت محمواً فزادني هذا الصدم منه حرارة وغيطاً ، فقلت ولا مزاج ،
اصح يا نوار انا اعطيتك انت واحد و « حنا » خمسة عشر وكانا ندخن ونفغي ،
فاذا كنت لا تصلي من اجلي وتسال الله في الشفاء ، نذبحك والله مثلنا دبح
مسفر هذه الشاة . اظن ان تهديدي راعه فعرك شفتيه بهذه الكلمات : الله
يحياة واياك من النار . وهذا منتهى التساهل منه . لم يطلب لي الشفاء ، كلاً ،
بل اشركني من فضله بالاستجارة من النار ، نار الجميع . ككل الأخوان
المدتين جديداً هذا الرجل ، كاهم نوار .

على ان هناك فريقاً آخر منهم ، قد مر على قديتهم او تدعى آياتهم حسب
من الزمان ، فلطف فيهم سورة الايمان . هؤلاء يسلمون على غير الموحدين
ومعهم من يدخن سراً ويخفي اذا سار في الغلاة^(١) ولا يلوم ابن سعود على
تساهله مع الكفار الانكليز .

وهناك فريق ثالث اكثرهم من جبل ثمر ، دينوا بعد سقوط حائل او
قبله اما خوفاً واما اورتافاً . فهم ينسأهلون تساهل النبي ، ولكن الاخ
الجديد الاكيد يقول : انهم مدغلون .

قد كان في رجالي الذين عشت واياهم شهرين في السفر من المارض الى
القصيم والكريت من الثلاثة الاخوان ، الاخ المجنون ، والاخ المنصب قصصاً

(١) لا اظن احداً من العرب موحداً كان او مشركاً يستطيع ان يقوم ما فعله
القبائل في نفسه من حب الشاة او الهداء . كنا ذات ليلة حول النار بحث في
هذا الموضوع فروي احد الربيع قصة عن السلطان عبدالعزيز قال : خرجنا يوماً من
الحساء مع الشيوخ وكنا عشرين من خاصة رجاله . فلما وصلنا الى الدهناء راع عبدالمعز
المقال ونظرة - الكوفة - عن رأسه ووضعها في المرح وقال : يا ايها
منا . من مكان عنده حس فليسبنا الاب . فرحنا فني والله حين قطعنا الدهناء
وعبدالعزيز سرور عروب .

نسبياً معقولا ، والاخ المتساهل . وكان في الصنف الاخير ظريف ذكي الفاد
يحسن الفككة والجواب ، يدخن دافقا ولا يتأثر بالسبيل بل كان يقدمه عند
شكل « نميرة » الى رفقاته ، صارخا بصوته المريض : « دخنوا يا اخوان » .
بارك الله فيهم قد كانوا طيبة الطريق موضوع التوكم والضحك . احب
قد اضحكونا وفكهنونا في ساعات الضجر الطويلة .

ويقسم الاخوان ايضا الى ثلاثة اقسام : اي المطاوعة^(١) والعلاء والمتعبد
المبتدئين . اما المطاوعة فهم في كل نجد يعرفون من قياتهم التسمية : من
من خلق اطارهم . اما العلاء البيضاء الشبهة بالضادة فان هي الا نصف دراج
من الحام يلغى المطوع فوق النظرة على رأسه ويشكر الله . ثم يحمل عاتق
الشوخط اذا كان كبيرا ، والا فتضيقا من الحفوان ويجوب البلاد في سهل
التوحيد . المطاوعة يعلمون الناس الدين ، والعلاء يعلمون المطاوعة ، وكمهم
يوم الجهاد « خيال التوحيد اخو من طاع الله » . وكمهم في ارم السلام : سعة
في التجميل والقناعة ، في الشدة والصبر ، في الفقر والتقوى . ترى الاخ في
الطريق حافيا لا يحمل غير عصاه ، يفتح الحراء في اطاره فيكشف رء .
وقد يصكون متى يومين او ثلاثة دون ان يذوق الطير او الثمر فسله معه
السلام : « وسأيف انت » - كيف انت - ؟ فيجيبك بصوت مريض ، وقد
وطيد مكانه يمثل دورا في رواية : بخير ونعمة والخدمة . القاهده مضية
الاخوان بل فضيلة التجديدين الكهري . فهم على فقرهم وسوء حالهم في ندبة
قانون راضون ، رقلا نسع كلمة منهم فيها شيء . من اليأس او الشكوى

والسلطان عبدالعزیز اعلمهم في شكل شيء . فهو يعرف الشجاع منهم
والثقي والصبور والعاقل والمجتون ، ويحسن سياسة الجميع ، فيستخدمهم في
سبيل الله وملك ابن سعود . اجل ان عنده لكل من الاخوان وظيفة ومقام .

(١) جمع مطوع أي المطوع في خدمة الله واصله متطوع قدعج .

المختص للخدمة ، والمساهل للتجارة والسياسة ، والمجنون للقتال . اما امر الصنف الاخير ، اخوان نوار ، فقد يستعمل عليه في بعض الاحايين ، وقد يسخر عن ضيقهم دائماً ، لان المسافات في نجد بعيدة والمواصلات كلها اولية . الاخوان قوة هائلة يتفهمها نظام وادارة ، والا فتنتفت من يد سيدها وتكون عليه وعلى سواه وخيمة العاقبة . مثال ذلك ما حدث في الشامية بال عراق يوم هجوم الدويش باهل الارطاوية على ابن سعدون وعشائر العراق فهزموهم شر هزيمة واذاقوهم من هول الاخوان ما لا ينسونه حياتهم .

ولنا في ما حدث في الجوف السنة الماضية مثال اخر . غير ان مذر اخوان الجوف كان واعياً فله يقبله السلطان عبدالعزیز . بل امر بالقبض على رؤساء تلك القبيلة وباحضارهم مقيدین الى الرياض حيث سجنوا ثلاثة اشهر .

كنت في عاصمة نجد يوم اطلق سراحهم فاحضروا امام السلطان فخطبهم قائلاً : لا تظنوا يا اخوان ان لكم قيمة كبيرة عندنا . لا تظنوا انكم ساعدتونا واننا نحتاج اليكم . قبيحتكم يا اخوان في طاعة الله ثم طاعتنا . فاذا تجاوزتم ذلك كنتم من المفضوب عليهم . اي باقه ، ولا تنسوا ان ما من رجل منكم الا وذبحنا اياه او اخاه او ابن عمه . وما ملكنا الا بالسيف . ترى الصبيح . والسيف لا يزال بيدنا اذا كنتم يا اخوان لا ترعون حقوق الناس . لا والله ، لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم . انتم عندنا مثل الثراب . . . ام اذا عدتم وعقلتم فحفظكم بشرع الله نخذوه من هذا الخبز - وضرب بالسبابة انفه - وحقي آخذه منكم دائماً باذن الله . . . انتم ما دخلتم في طاعتنا ونجاة بل قهرنا واتى والله اعمل بكم السيف اذا تجاوزتم حدود الله .

الفصل الثاني عشر

في القصر بالرياض

البحر في نجد - بيت يشر - فتاريمة - خيالات الاخيرين - ولا - الابهاد - ما
 قاصد السلطان عبدالعزیز - السياسة فوق التجليات ولداهب - بيتان من البحر
 فوق باب المجلد - سجيا اهل نجد - بطون التطور وقفا يتكلمون السلطان شينا
 من التلقات - احر مطولنا في ايام الحرب ونحن لمظهر في ايام السلام -
 معرض العطاء - مثل من الجريدة اليومية - ارفير من جميعه وليس التلقيات
 واستمر فلو - امرا العرب يجيئون بك الفرياس مملوون - حذر السلطان مثل
 كرمه - شاموب وزير طائفة والشؤون - « الذي ياتي » تشيده والذي يروح للبيده
 والذبيحة لا شيء - جيت من الكسائل - قهر وقناعة - منات يأتون في القصر
 مرتبة كل يوم .

لا يزال للشمع مقام في نجد وان رثت حراشيه وتقافم اللحن فيه ، فكتبوا
 ما نجد اثرأ على حيطان القصور من حكمة القدماء ونفائس الشعراء يلبثك
 بما يشتر به الامراء والعربان ، او بما كان من حادثات الزمان . وفي القصر
 بالرياض فوق الابواب في رواق المجلس العام ، كتبت على الحائط بالحد الاسود
 بخط ردي . ايات من الشعر منها :

اذا خازلك الاذن الذي انت حزبه فواعباً ان مالك الابهاد

ان اليبس العالم بتاريخ نجد الحديث ليقرا في هذا البيت الوحيد فصلا في
 الحيات والدسائس التي كان السلطان عبدالعزیز هدفا لها وسيفا لاما عليها .
 الحيات في اقرب الناس اليه ، وفي البدو ايضا والاخوان . اما الابهاد الذين
 سالموه بل والوء ، وكانوا له عوناً على اعدائه اثناء الحرب العظمى ، فهم حقا
 من الابهاد ، الابهاد جنساً ، الابهاد ديناً ، الابهاد مزراً . وما كان ليربط
 آل سعود بهم غير السياسة والمصلحة . ليس قصدي ان اخفض الان في الكلام
 عن تلك الرابطة واساليبها ونتائجها - سينفص الحبال لذلك في الكتاب الذي

اشرت سابقاً اليه - وانما القصد ان اشير الى ما في حياة ابن سعود من شدة قاساها ، وغم يكتنه ، فيبدو في بعض الاحايين يابساً كالجرح القديم في وجه الجندي .

ان السلطان عبدالعزیز ، وان كان قد ذل القبات ، وفل حد الذات ، واصبح ، اذا صح الحكم على الرجل من حديثه ومحضره ، آناً مطاشاً ، انه ليفصح في هذا البيت من الشعر عن حقيقة لا يزال يؤلمه ذكرها وقد يكون امر بكتابته فوق باب مجلسه ليذكر ايضاً به اولئك الذين حكموا بالامس حرباً عليه واصبحوا اليوم من خاصة رجاله . اما ولا . الا بعد فاعجب به بتجاوز ظاهر امره . العجب كل العجب من مصالح تنصير حتى في نجد ، حتى في الحجاز ، على رابطتي الجنس والدين . فبئساً يكره الناس الاولى ويقدر الثانية . ان عرى الاثنين لتتعل وتقطع ، كأنها حبال شمس . ساعة الضحى ، عندما يمسن منها الضر او يستحشا عليها قصد مادي او معنوي .

وهناك ابيات اخرى من الشعر تفصح عن خلة حميدة مجيدة . ليس في السلطان وحده او في آل سعود او في الاخوان ، بل في اهل نجد حكمة . ولكنك اقول انها تعممها في قلب كل عربي من الاماء والنخوة والشجاعة وغيرة النفس لولا اني رأيت من العرب في غير نجد من لا اتر في انفسهم تلك السجايا الشريفة . اما في نجد في البادية والحضر ، فلا غرو اذا قتل الناس بقول الشاعر الذي رفعه السلطان عبدالعزیز الى ارفع مقام عنده ، فأمر بكتابة كلماته فوق بابيه :

فاما حياة لا تقم حميدة يتحدث عنها من اغار وانجد
تنال المني فيها ، واما مية تربح فؤاداً خار من علة الصدا

هم يجيئون من كل حذب وصرح في ايام الفزو او الحرب وهذا لسان حالهم . اجل ان امراً يصدر من الرياض فيجعله النجاؤون الى اقاصي البلاد ،

ليجبع على أحد الآبار أو في أحد الشبّاب في اليوم المضرّوب الوفاً من أهل نجد ، بادية وحضر ، وقد جاء حُكْل على ذلّوّه مسلحاً ببندقية ، وممّطلاً بذخيرة ، وحاملاً بعض التمر والماء ، فهم اثنا التزو أو الحروب لا يبعون من سلطانهم شيئاً . هم يعطوننا - الكلام للسلطان عبد العزيز - ولا يأخذون منا . ونحن في أيام الحلم نعطهم ولا نأخذ منهم .

قد شاهدت ممرض العطاء في الرياض ، بل كنت أشاهده كل يوم مدة إقامتي هناك ، وأعجب جداً لا لكرم هذا الرجل بل لأيمانه وثقته بالله ، مصدر الحُجْر في المتناهي وولي النعم التي لا تُرول . والأفكيف يؤمل بدوام حال تملكته من العطاء في بلاد لا تُروى ■ ثابتة دافعة ؟ هناك حكومة فردية أوتوقراطية وديموقراطية من نبراً من قواعد الادارة والنظام حكماً ، وبلاد ثلاثة أرباع مساحتها بادية قفراء . ليس فيها من موارد ■ روة غير الانظم ، وربة ثلثها من البدو وأكثرهم حتى اليوم لا يحسنون صناعة ماء ، وأقليم قيطه يحرق ويبيد وشتاؤه لا يصدق ولا يحسن الوفاء ، فتجي . السنون الجهدية فتعقم المقالي ويعم البلاد .

ومع ذلك ترى نجد اليوم عزيزة بعد العزيز ، تستمتع بأمن منقطع النظير في كل البلاد العربية ، وبعدل كبير شامل يحمل السيف والقسطاس ، ونجوى فوق ذلك لا تنفد موارد .

- هذه يا طويل العمر جريدة من نوحوا اليوم .

يقدمها إبراهيم^(١) وقبس التكريفات فيقرأها السلطان ويكتب الى جانب

(١) إبراهيم بن نجيمة من حائل كان من اعداء ابن سعود في احتراجه وابن الرشيد وهو اليوم من اقدور رجال السلطان وأكثرهم اخلاصاً له . قد رافق المشرك علي - حكان أمير حملته - الى وادي الدواسر . فمألت إبراهيم ان يقص علي قصة أهل الوادي والتمر الى الكافور ، التي رواها علي في كتابه . فقصها علي وكان صادقاً ولا

جسكل اسم ما يجب ان يطل صاحبه يوم ارجائه . اذن مقلته باحدى تلك
الجرائد وفيها اكثر من مئة اسم ، فانقل من رأسها ووسطها وآخرها ثلاثة
اسماء ليطالع القارى على احواله ابن سعود كلها .

بخط رئيس التشریفات : حمود بن صریط معه فرسان وذلول

(بعض الزائرین یحبون الهدایا من خیل وابل)

بخط السلطان : القان روية وبشت ویر معلم (اي مائة مقصبة)

وزیون (قناز) جرخ وسيف منهب .

بخط رئيس التشریفات : سليمان بن علي من اهل حابل .

بخط السلطان : اربمسة روية وبشت وزیون .

بخط رئيس التشریفات : هذاع بن سلطان بن زايد داعي (حاكم) عمان

معه عشر ركائب (فوق) هانبات (هدية)

بخط السلطان : ثمانية آلاف روية وسبعون ليرة وعشرون

بندفية وفرسان .

ثم الى رجاله الخمسة والعشرين كل واحد كسوة

ثلث اذا ما وجدت فرقاً بين الروايين . ولكن الفرق كل الفرق انما هو بين
الانكليزي العالم وبين العربي الذي يكاد يكون امياً . للفرق بين اخلاق الاثنين
يسبق هذه الحاشية . يظهر ان المتر فلي ، وهو صاحب المراس ، اختلف مراراً
وامبر جلته . فلم يدرك مقامه في القصر على ما اذن ، وفاته ان عطية السلطان اكرمه
اكراماً متارفاً حين وكل امر جلته الى رئيس التشریفات . اختلف الاثنان في
الطريق وتنافرا ، فمس المتر فلي اللصة في كتابه وجعل على ابن جيمة بلغة لا يفهمها
- طنه في ظفره . ولعمري ان ما قاله لا يليق بشم انكليزي ولا يجوز ان يشر
في كتاب علمي نقاس . اما ابن جيمة فاذا قال في المتر فلي ؟ سأنته مراراً ان
يقس على اللصة كتاباً فابى وتردد . وكل ما قاله مما يشتم منه النفوس . فلي غشوبه .
طبعه ما هو زين . ولكنه كرم ، اظهر كل واحد من الربع من الادب الى المتر
ليرات . حبذا اخلاق العربي وحبذا مهال العلم والتدقيق .

وكيس فيه من المنة الى المحسنة روية
حسب مقامه .

هؤلاء ثلاثة من المثبات الذين ينحرون^(١) الرياض مستطلين ولي النعم
فيها . ومنهم من يعود الى اهل دمه فوق الكسوة والمال حمل او حملان من
النمر والسمن والثمن - الارز - السكر والبن .

ان في الجريدة احاء اناس من غير عاليا ابن سعود ، جاءوا ذاتين مسلمين .
منهم ابن صويط من مشايخ الضعيف في العراق ، وابن مجلاد من مشايخ اترى
في الشمال ، وابن تاييف من بني علي في المدينة المنورة ، وابن سلطان بن زايد
من عمان ، وابن الدخيل من قبل نوري الشعلان . كلهم يؤمنون بالرياض لعلهم
ان فيها رجلاً من حكام رجال العرب اليوم بل اكبرهم . يؤمنونها اما حباً
واجلاً ، واما خوفاً واستطفاً ، واما ابتغاء مساعدة مادية او سياسية .
وقلنا يعود احد من عاصمة نجد خائب الامل .

انها لحقائق ايها القاري . مجودة من الغرض والظور . واذا شئت الحقيقة
في الشعر ايضاً تجددها في بيت لزمير بن ابي سلمى . فكان شاعر الحوليات
نظر بعين الفسب الى ابن سعود حين قال :

ترأه اذا ما جنته متهللاً كأكذك تعطيه الذي انت سائله

وهو في حله مثله في كرمه . جاء ذات يوم شيخ قبيلة حاربه بضع
سنين ثم دانت له فاقام الشيخ اياماً في الرياض وقال للسلطان عند الوداع :
قاراً لي انك سحار يا عبدالعزيز ، صدقوا والله فقد صهرتني . ان اخبار حله
لادعى اليه الدهشة والاعجاب من اخبار كرمه .

ليس من ينيحون في باب السلطان كل يوم الشاهد الوحيد على جوده ،
(١) نحر البلد او الديرة اي قصدها سلاً او فرساً .

وليس من ينجون ممن كانوا بالأمس أعداء ، الشاهد الفرد على حقه واقتداره .
فإن في الخرج والافلاج^(١) وفي القصم^(٢) وفي ظلال آجا وسلمى^(٣) مئات ممن
يمجدون الله ثم ابن سعود على حياتهم وعلى ما هم فيه من خير ونعمة . وفي
الرياض جيش من الباهلة والفقراء يتراوح عددهم بين الألف والالفين يأكلون
في القصر مرتين كل يوم الظهر والمساء . وفيها أيضاً مئة امرأة او ما يزيد
منها امرأة الرشيد ، لا يكلفهم الله على ما يظهر اقل سعي في سبيل
رزقهم . فالبيوت والحيل والابل والثياب والمزونة والجواري والعبيد ، كلها
من الشيوخ ، من السلطان .

— ادفع يا شلهوب . وزع يا شلهوب^(٤)

(١) الخرج والافلاج من مناطق نجد الجنوبية وهي جنوبي الناض .
(٢) آجا وسلمى من جبال بني طي قديماً ، وجبال شمر اليوم وقها حائل .
(٣) هو محمد بن صالح الشلهوب وزير المالية ووزير التوطين عند السلطان عبدالعزيز
وما الوزارة هناك غير مدى الادارة السلطانية وآلة من آلات احكامها . الا ان
الشلهوب هو صليب الشيوخ فيه عذاب وفيه خلاص - وفيه اغلاص لا ريب به .
معاشه متعددة تشمل الكبيرة والصغيرة ، من المدفع الى عود الكبريت . فهو يوزع
امر التوزيع العام الشامل . يوزع الخطب ، ويوزع السنن ، ويوزع السلاح ، ويوزع
المال . طريقته في الادارة اولية بدوية ، وحمايات قروية . قال لا مض فوه : الذي
يجي . نفيدة ، والذي يروح نفيدة ، والنتيجة لا شيء . وليس في طريقته عناية وتفضل .
طرقه في ذات يوم في غارته فدهشت لما في ذمته من الاموال ، وفي ذاكرته من
الاشياء . هذا مخزن السلاح والفخيرة . وهذا بيت التوطين ، وهذه اثواني صنع
الحند لاسن ، وهذا التسق مئات من الاكياس مرصوفة بعضها فوق بعض . ثم ادخلني
غرفة ذكرتي بهاخان الزهون بلندن ويرويوكه كل ما فيها سهل مجهول ومكسد
بعضه فوق بعض سألت الشلهوب عنها فقال : غسانها في احدى المواقع ولا ادري
ما فيها .

ان خلافاً في هذه الادارات ، كلها لا يدركه شلهوب ولا يشعر به السلطان ليتجسم
فيثناقم امره . وليس في تقسيم الادارة حسارة . بل العكس . فإن في توزيع العمل
الذي يصله شلهوب ، وان كلف نائب وزير آخر بل وزيرين ، كسب جزيل السلطان

رئيت العربان والاخوان ينتظرون في الرواق وشلهوب جالس وراء
 حنطته بعد الزوييات ، واعوانه في الخازن حوله يوزعون الثياب . وكنت
 ارى كل يوم عند غروب الشمس صفاً طويلاً من الميبد . ساسة الحيل ، كل
 يحمل وعاء . ويتنظر عند باب من ابواب شلهوب ليلأه شيئاً . ان لشلهوب
 منازل كثيرة ومهرت متعددة . هو مثل يوسف في مصر الفراعنة . وملكناه
 . . . وجعلناه على خزائن الارض . وهو مع ذلك القيم الاول في المطبخ
 السلطاني والمطبخ العام الذين لا يختلفان في غير الثمن اي الارض . فالصنف
 الذي يطبخ للحظاظان ورجاله احسن من ذلك الذي يطبخ للعربان والاخوان .

يوم وصلت الى الرياض هائي عندما اخذنا امر اولئك العربان من يدور
 وحضر واخوان . رأيتهم جالسين خارج القصر وداخل القصر في الازوقة
 على عالس من الطين ، رجال وصية ، ويأيد بهم العصي يشكون بها الارض ،
 او يرفعون رؤوسها الى شفاهم يداؤونها مثل اماجد الاتكليز . وكل واحد
 منهم رب امره ملتف برداء العظمة والسكينة ، كأنه امير خطير لا ينظر
 الى جاره ولا يصككت به . مئات من الامراء . جالسون صامتون -
 بتفرجون ؟ سألت رفيقي : هل جاؤا بتفرجون علينا ؟ فقال : لا . انما الان
 وقت النداء . وهم ينتظرون الامر بالدخول ، الامر من وليه شلهوب . ولكنهم
 في دعائهم لعبد العزيز بطول السر لا يذكرون شلهوباً بغير الذم . ولماذا ؟ -
 الشين ما هو زين . الله يغربلك يا شلهوب .

وكنت ارى كل يوم قبل غروب الشمس ليس في ساحة القصر بل وراءه
 عند باب المطبخ جمأ آخر يجتشد هناك ، جمأ كبيراً من فقراء البدو الحشيين
 خارج المدينة ، نساء يحملن اطفالهن ، وصبياناً عراة ، وبعض الرجال في اطراف
 ممزقة بالية . جمأ تأكله القذارة وتنتشر منه الروائح الكريهة . وكلهم جاؤا
 في هذه الساعة ويأيد بهم اوان من الحطب او النحاس او القفار ينتظرون

شيئاً من الطبع ، ينتظرون فضلات المائلة العامة .

ما رأيت في الفقر مشهداً أشد وبالاً وابلغ فصاحة في ما يشعرون التسخط والاحزان مثل هذا المشهد الهائل . انه انفق في ذل ، وذل في قذارة ، وقذارة في داء ، وداء في قناعة ، وقناعة في جوع وكذبة .

لو كان مثل هذا الفقر في مدن نجد كلها لكان يجتثى منه على ملك ابن سعود . ولكن العاصمة تتأذى عن سائر المدن بمن يحوم على موارد الرزق والحجر التي لسيد البلاد . ومع ذلك فان مثل هذا البؤس في قلب نجد ليحط في عين الأجانب من كرامة ولي الامر والنعم ، وفي عين الحضرة من العرب ايضاً . فبعد هذا العمل باقتراح اقترحه على عظمة السلطان « وهو ان يشغل السباهلة المعطلين بدلاً من ان يتصدق عليهم . ليشغلهم في الاشغال العامة ايام السلم ، كاصلاح آبار المياه في البلاد^(١) واكثرها في حاجة الى اصلاح وتعمير ، فيأكلون اذ ذاك خبرهم يعرق جيباتهم فينضمون ويتفقرون .

(١) وتعيد الطرق للسيارات التي بدأت اليوم «تطوي اليد طي» بين نجد والمجاز

الفصل الثالث عشر

ونفعل فوق ما فعلوا

بوت من الشعر فيه حكمة وفيه حط - المشرقيون والمسلمون - الضامية في العرب
 الانقسام بالاجزاء - لا ونفعل فوق ما فعلوا - ما يثبت هذا القول في احوال
 السلطان عبدالعزیز - السلاطنة والعلما - تساهل السلطان - وفعله في المصحة
 الذهبية - يوجب على سوادهم - الدين والسياسة والعرب - العكر اللامع كاري -
 رأيه في الوحدة العربية - لتقارب بينه وبين الملك حسين -

نقلت في الفصل السابق شيئاً من الشعر المكتوب على الحائط في رواق
 المجلس العام ، وفيه تصوير لاختلاف التجديدين وقواعد في الحياة يتمشون عليها .
 بل فيه ينعكس بعض ما يخالف السلطان عبدالعزیز من ألم الدهسرى ومن
 شريف المقاصد والآمال ، وهناك يثنان آخران فيها مزيج من الحكمة ومن
 الحطل الذي آفقه الشرقيون ، عفواً ايها القارى . اننا نحني على الشرقيين في
 التمسح ، لان اليابان والهند حتى الصين نبذت ذاك المزيج او القامت تصليح ما
 افسده الزمان في التقاليد والاحكام . يجب ان اقول اذن : ذاك المزيج من
 الحكمة والحطل الذي آفقه المسلمون ، فغدر منهم العقل والروح والقلب
 وكذلك . غدر العقل نقلاً بنشاط الى فكر جديد ينشئه ويحييه ، وغدر
 الروح فلا تكثرث بما فيه صحتها ، وغدر القلب فلا يحس بالبلية المشتركة
 احساساً مدنياً قومياً يحمله على نبذ ما آفقه من قديم العادات ، وما يقيده من
 ذمى التقاليد والحزبيات . قرأت مرة في حضرة السلطان ما كتب فوق بابه :

لسنا وان كرمنا او ائنا ، يوماً على الانساب نتكبر

وهو بيت المتنوكل اللبكي :

لسنا وان احساننا كرمنا يوماً على الاحباب نتكبر

جاء مفلولاً مبنی لا معنى ، فقلت ، والمعنى ما يهم : ليس اشرف منه
مبدأ يا مولاي ولا اجل منها حكمة . واني اجلكم واحترم اهل نجد لانهم
يعملون بها ، ولان السيادة والمجد في بيت آل سعود نشأ عنها . انتم عصاميون
ديقراطيون ، ونحن في زمن يرفع العصامي الديمقراطي فيه الى اعلى المقامات .
ولكن البيت الثاني يا مولاي :

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلاً فعلوا

هنا الخطأ الاكبر . ها هنا المستفهم الذي تنتشر منه جرائم امراضنا
الاجتماعية والسياسية والدينية . وانا اذا تساهلنا في تحليل البيت وتفسيره لسلم
بنصه الذي ولا شك يتفق الشرقيين العمل به . اذ لا اظن اننا نستطيع نبذ
الماضي كله بمحذاه . فلا بأس ان نبني كما كانت تبني اوائلنا - ان تكون
محكماتنا ملكية مثلاً . . . فقاطعتي عظمتة قائلاً : نحن نبني يا حضرة الاستاذ
حضر . كانت تبني اوائلنا . ولكننا نفعل فوق ما فعلوا . فقلت : احسنت
يا حبيب العمر احسنت . اصلحوا البيت اذن حتى اذا قرأ كل من كثر
بالمثل لديكم .

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل فوق ما فعلوا

نخدم فيه شعبة الحياة الجديدة ، نسمى وهو يحترم الاجداد في ما يؤهله
لاحترامهم . كذلك علينا ان نسمى لنفوق ما قاموا به من خطير الاعمال
وعبيدها في زمان حرم من اسباب الرقي وال عمران التي يتأثر بها زماننا . والحق
يقال ان السلطان عبدالعزیز آل سعود استعاد في دوره الاول ، دور الفتوحات ،
ملك اجداده ، وعزز هذا الملك بالعدل والامن ، وبالدين الذي هو في نجد
مصدر الاثنين ، فلا يخطئ . او يوه اذا قال نبني كما كانت تبني اوائلنا .
ولكنه في تحضره البدو ، وفي تأسيس الجديد من المدن والقرى التي تدعى

أخبر^١ وفي استخدامه من يحسن الخدمة مها كان مذهبه ، وفي اعطاء امتياز اسما لشركة انكليزية ، وفي ارساله اولاداً من نجد الى مصر ليتقنوا فيها العلوم الحديثة ، وفي استحضاره الى الرياض السيارات وبعض الاطباء والمهندسين ، في كل هذه ما يثبت قوله انه يفعل فوق ما فعل اجداده .

ولا يبالي اذا كان المشايخ والعلماء لا يرضون دائماً عن هذه الحطة الممرانية ، اذ ليس لهم ان يعترضوه بشي . في سياسته الداخلية والخارجية التي لا تس الدين . وهو ، وان قيل انه شديد التعصب المذهبي ، يحسن الإدارة فتباعد في ما لا يضر ، ويتساهل في ما هو مفيد لبلاده . قد يفوق احد العلماء احداً بكافة فيها بعض ما يمكنه من الوجد والامس فيقول مثلاً : في ايام اجداده يا طويل العمر كانت الدنيا مستريحة من هذه المشاكل الجديدة كلها . فليس عبد العزيز ويبدع ثم يسرع في سبيله فيتم مقاصده .

وقدما بكثرت تشييعه هذه الاعداء وفيهم من الادباء من يجهلون نجد الحديث لذلك تضاربت الآراء في كثير من الشؤون التي تتعلق به وببلاده . خاصة في موقفه الحقيقي تجاه الوهابية وانصارها الاولين المتعصبين اي العلماء والآخرين . فقد بددت بعض الظلمات على ما اظن في تصويري الرجل للقارى . تصويراً صادقاً حقيقياً ، رجحت الآن اشغل مصباحاً في زوايا السياسة المذهبية التي كان يخامرني منها بعض الرب .

سأت ذات يوم احد رجال الساطان الاذكياء ان يصدقني الخبر او يحجر لي برأيه الخاص ، فقلت : لا انكر ولا ينكر احد صدق عقيدة الشيوخ

(١) افجر جمع هجرة . وكل مدينة او قرية جديدة في نجد بنائها البدو الذين دينوا وتحضروا فهجروا اليها من الجبال الى المدن ومن البدوة الى الحضر هي هجرة . في تاريخ نجد الحديث الفصل الثامن والعشرين ص ٢٢٢ تاريخ هذه النهضة الاصلاحية الكبيرة التي قام بها السلطان عبدالعزيز .

الدينية ، فهو امام الموحدين . ولكنني حائر يا صديقي في امره والاخوان .
 فهل تظنه يعتقد ان على الامام ان يحارب المشركين في كل مكان ، ان
 يجاهدهم حتى يدينوا ؟ في نيتي ان اسأل عظمته هذا السؤال . فقال صديقي :
 لا تفعل . والذي اراه ان السلطان يعتقد من الواجب . لم يرضني جواب الرجل
 الشبه بفتاوى الكهان الاقدمين . فتطرق ذات ليلة الى الموضوع . وما
 قلت للسلطان على ما اذكر اني في حيرة لا يزيلها - واه ، واذا سافرت من
 الرياض احملها ساكتاً لا اكون راضياً عن نفسي ، وقد امي اليه فيما اكتب .
 فقال عظمته : اسألني كل ما تبني وانا اجيبك عليه . ولا اسألك اذا سافرت
 من عندنا وفي نفسك حاجة نقضيها او مسألة تحلني غاضباً . قلت : هل
 ترون ان من الواجب الديني محاربة المشركين حتى يدخلوا في دين التوحيد ؟

فاجاب على الفور : لا ، لا . وضرب الارض ضربتين بعصاه ثم قال :
 هذا الحما ، عندنا هناك اكثر من ثلاثين الفا من اهل الشيعة وهم يعيشون
 آمنين لا يتعرض لهم احد . الا ■■ نملهم الا يكثرؤوا من التظاهرات في
 احتفالاتهم يمكن مطحن الببال يا استاذ . لست اكا يرانا بعض الناس .
 قلت اسمعوا لي بسؤال اخر . كان سؤالي الاول : هل ترون من الواجب
 الديني وهل ترون من الواجب السياسي ان تحاربوا المشركين حتى يدينوا ؟
 فاجابني قائلاً : السياسة غير الدين . ولكننا اهل نجد لا نبغي شيئاً لا يحلله
 الدين . فاذا حلل الدين ما نبغيه فالسياسة التي نتخذها لتبقيته محملة . واذا
 عجزت السياسة فالحرب ■■ وكل شيء في الحروب يجوز .

في السنة الاسابيع التي اقتضاها في الرياض كان السلطان يزورني في منزلي
 كل ليلة فتباحث في مواضيع شتى ، تجديدية وعربية وعامة ، وهو دائماً في
 حديثه فصيح صريح . ليت شعري اية صراحة ابرر بما تقدم وما سأذكر ؟
 ان السلطان عبدالعزيز مثل كل رجل كبير لا يخشى ان يقال فيه ان هذه اليوم

يناقض عمله بالاسم ، وانه في السياسة غيره في الدين . فهو في حكمه البلدان التي امتلكها والمشار التي تطلب عليها زعمي شؤون اهلها الخاصة من مذهبية وقومية . ويندر ان يؤخر فيها من هو من غير اهلها . هي السياسة اللامركزية التي يؤيدها في نجد امران ، عدل السلطان في الرعية وحب الرعية للسلطان .

قبل ان اتم هذا الفصل يجب ان اطلع القاري على رأيه في الموضوع الذي يشمل افكار ملوك العرب اليوم وقلوبهم ، في الموضوع الذي شغل الصحافة العربية في كل مكان ، فكانت اخبارها واراؤها فيه مزيجاً من الحقيقة الناقصة والترض الاممي ، في الموضوع الذي شغل كذلك سياسة الانكليز وصحافتهم فماروا فيه على عادتهم سر صاحب المصلحة الذي يعد كل يوم اصحابه واعداً ، وبغير كل يوم من آرائه كما توجه الاحوال .

كانت الوحدة العربية حديثنا في جلسات عديدة ، ولكن السلطان ، عندما دعا يوم الرحيل ، افاض في الموضوع فدونت خلاصة حديثه تلك الليلة وعرضها عليه في الليلة التالية ، فقرأها واصلح خطأي فيها . واليكها ايها القاري ، في الحالين :

رأي السلطان عبدالعزيز في الوحدة العربية

من حديث له ليلة ٣ جمادي الثانية سنة ١٣٤١ في منزلي بالتقصير

١- هو يعني الوحدة العربية ويساعد من سمي باخلاص في تحقيقها . فيحضر اجتماعاً يعقد لهذه الغاية ، ويقبل الزعامة والبيعة ملكاً على البلاد العربية كلها لاعتقاده انه اهل لها ويستطيع تعزيزها .

٢- واذا بايع العرب غيره فهو يقبل ذلك ولا يتحول من فكرته ، بل يستمر في خدمة القضية العربية بما يستطيع .

٣- وإذا لم تتحقق الوحدة وكان التحالف أو حلف عربي بين امرأه العرب لتعزيز شؤونهم معنوياً وسياسياً واخذانة مصالحهم الاقتصادية المشتركة فهو ينضم اليه .

٤- وإذا لم تكن الوحدة ولا الحلف فهو على سياسته يحالف دولة تكون المصالح مشتركة بينه وبينها .

٥- وفي كل حال هو رجل سلم في بلاده لا يبغي الاعتماد على احد ، ولكنه يأبى ان يعتدي احد عليه .

كشفت خلاصة الحديث تلك الآية كما هو اعلاه واطلعت السلطان عليها لالتحق صحة الرواية . فقرأ ما كتب مادة مادة ثم اخذ القلم وضرب على المادة الثانية قائلاً : أسأت فهنا فيها . نحن لا نقول كلمة ينقلها عنا الأستاذ الريحاني ولا نثبت عليها . ولكن هذا لا يكون . اشار وهو يتكلم الى المادة الثانية ثم قال : نحن نعرف انفسنا ولا نقبل الرئاسة في غيرها .

أيذكر القاري . ما قاله لي الملك حين ساعة الوداع ؟ - انا لا ابغى - اي الزعامة - واساعد في تحقيقها - اي اوحدة - تابعاً كنت أو مشوعاً . أو لا يذكر كذلك انه رفض ان يوقع المعاهدتين بينه وبين الامام يحيى والادريسي لانها لم يعترفاه بالزعامة العامة ، لم يلقيا بملك العرب .

وإذا قابل القاري ، بين القولين ، قول الملك وقول السلطان ، يرى الفرق بين الرجلين ، ويعجب وان كان شريفاً بصراحة ابن سعود .

الفصل الرابع عشر

الوشم

كبر مرة خفت لي وحلتي - الحمى والحمرة - السلطان المراسي - الموت الذي ينفذ
- السيد عاتق يهضم مثله أمام المرأة - ما معنى إلى الكوكيت - الكتب وصفت
- أحب السيد عاتق حصلي في الجنة - « وقد جعلتك وارث حوائي المصطفى » - ٧
- « يا في العار - مكثير عبدالغفور - الثقافة تحرق من الرياض - الفرقة -
وادي حذيفة - خراب السبيح - تمدد القلب ولا ما - خوان إسماعيل واستودر -
سلامة - الرمد يفسد - ويدرجو - احسن الرياضات الجديدة - العينة
والعطب - الوشم - زهدا وشكرا - نضال ونعيم - « قد را عين فروعك » -
بناشدا وتقوم ههنا - « فزاره لنا في الموشم - قصور الوشم - « دمة » امر
الوشم - بلد الماعز جرد - وادي لشر .

قد عشتني الوشم ثلاث مرات في رحلتي العربية ، قد خفت ثلاث مرات
كما يخاف الناس ، ولا تفلسف ولا اعتذار ، قبض الحرف على قلبي وحلتي في
هنية وهنيئين ، ويوماً ويومين ، فترقع مني الإرادة والأيان ، فعرفت بمنذر
عدو الإنسان الأكبر ، وعرفت معنى السلامة والأعطاشان .

اول مرة خفت على حياتي عندما طلق بنا عساكر الخواشب واطلقوا النار
ليوقفونا من أجل الفطور . وخفت ثانية على حربي في الاقل ، خفت ان
اعتقل في قلعة عظيمة عندما مثلت في مأوية : أحسن انت ام حسني ؟ قالت
مرة يا حسني من رحمة الله عندما امرتني الحلي في القصر بالياض ، فكنت اسيرها
اياماً ودرجة الحرارة تهمس في اذني تلك الكلمة التي فيها خاتمة كل شيء .

نعم خفت مرة في الرياض واحسنت لأول مرة في رحلتي صكلها اني في
القربة ، بعيد عن بلادي واهلي ، بعيد عن اسباب الصحة والشفاء . وعن
الاطباء . بيد اني في تلك الحقبة كنت اتغذى بما عاضني الله من صداقة رجل
تجد الاكبر سيد البلاد والمساوم كلها . فكان يعرفني كل يوم ويحيي . كل

سرة بشيء يخفف سورة الحمى . - هل اكلت الكتكتينا يا هديقي الاستاذ ؟
هذا شراب يعود الدم . خذ منه . خذ منه الآن ولكني في العقابر صفاها
والمرطبات ما وجدت ما ينعشي مثل ابتسامة السلطان ومعاذته وكلماته .

قد كنت مع ذلك هائلاً مكتئباً ، وخائفاً على حياتي . اقول : يا حضرة
التعجب ، خائفاً على حياتي ، وما هي ، وحياتك ، بشيء ثمين لولا ما تسخره
حاجبها كما يقول الاولياء . خفت الموت لا لان الموت يجفني - اقول ذلك
انصاعاً لا فخرًا - بل لانه يزعجني ، يقطع علي حلمي وانا في منتهبة منه ،
يوقفني في نصف رحلتي . وحسنت اسمع صوتاً فيه ارتعاش اذ كانت درجة
الحرارة على حدود الاربع بعد المئة ، وهي درجة يقتدر عندها الهذيان ، كنت
اسمع صوتاً يقول ويردد : الوشم ، وادي السر ، عتيد ، وبريد ، الكويت . . .
الى الكويت . هات الخريطة يا دحيم .

وكان دحيم - مختصر عبدالرحمن - وهو السلحفاء في سيره وعمله يروح
ويجيء في قبعة البيضاء القذرة كأنه طيف الموت بعينه . - ابشر يا استاذ
ابشر . ولكنتني ، قبل ان يجيء بالخريطة ، اكون قد سافرت على ظهر الحمى
الى الكويت عشر مرات . وكان لدي خرائط صغيرة وجدتني في القصر
جسست في نظري المسافات وضاعفت المشقات . اما رفيقي السيد هاشم فكان
قد تصلب من طول الصعبة ، او عاد الى صلابته ، فلم يعد يرتي حلائي . لا
النساء حياتي وهو واقف عند النافذة والمرأة بيده يحكم وضع عقاله ، ويصف
لي مشقات الطريق الى الكويت . وكان كل موة يري الخريطة بيدي
يتناول تلك المرأة ليفن روحه ، فيزيتها وهو يقول : لا ماء الا في الحفر ،
فيبريني الحياة كلها مغازات ، ويسمعي فوق ذلك : كلها منازل . ألا فاستقي
حقاً وقمل لي هو التعم .

الى الكويت ليس في الكتكتين ؟ اذا كنت في غير قلب البلاد العربية ،

ما يدعو الى الحزن والاضطراب . هب انك في بيبي ومحببتك الكويت
فالسعادة توافقت في مركب بخاري تعددت فيه اسباب الراحة والاطمئنان .
ونو كنت في العراق وقلت : الكويت ، لهُناك كذلك البهار ، فيحملك
على السفلات من بغداد الى البصرة ويكذلك هناك الى باخرة تريك ، وهي
تجري في شط العرب ، شيئاً من اخنة على ضفتيه ، وتترك في جون من
الخليج حفرته يد الزمان ، فاطمان اليه البحر والانسان .

وكن تلك الكلمة : الى الكويت ، وانت في الرياض ، ورائك
الدعاء ، وامامك الدعاء ، والتفرد ، ولست يا رجل من الدواسر او من بني
مره ، وليس لديك من السيارات والطيارات غيرة البهل - - الايل - انا
هي امه التي تفاخرك دائماً باخوها الشقا . وابن عمها الموت . ومع ذلك فالسيد
هاشم كان يحب ابنة الاخت وانماها وابن عمها اكروما الشيش احمد آل صباح
والكويت . ونعم اكثر من عشري وفلسفي فاستعبر قلبه .

- الشيخ احمد رجل زين ، يا استاذ ، متعل متأهب ، سافر الى اوروبا ،
وهو يتألق بالاسم وما كنه . والكويت مدينة تنسك الرياض . هي باريس
البلاد العربية . فيها دخان ، وفيها مسكني ، وفيها المباح من النساء ، وفيها
طبيب ومستشفى . نعم فيها طبيب ومستشفى . . . ثم يبادر الى المرأة
فيحكم وضع عقاله ويقول : لا ماء الا في الحظر .

- وقد اموت يا سيد هاشم قبل ان اصل الى الكويت .

- حياة الفلاسفة طويلة يا استاذ . وهب انك مت فقد شاهدت الرياض
والاخوان ، فيؤذن لك بالدخول الى الجنة .

- الجنة لكم لا لي . . . هات الخريضة يا دحيم . . . واعطني الماء .
سأشرب ما يكفيني الى الكويت .

السيد هاشم بعد ان عدل عقاله ووضع المرأة تحت المتمد :

- هلا تعتقد بالجنة يا استاذ ؟
- لا اعتقد لا بها ولا بك .
- ولكن الجنة كائنة بشهادة النبي والكتاب الكريم
- جنة البقة كما قال القرآني . هي لك بحشيش مني .
- انت قزح .
- انا أبيض .
- اتبني حصتك فيها .
- وهتكها كلها .
- او نكتب لي حجة بذلك ؟
- يا دحيم هات الورق والحرير .

وبادر اليّ بهما السيد هاشم فكتبت ما يلي : على فرض ان الجنة موجودة فاني اهب السيد هاشم ابن السيد احمد الكويتي السني الشافعي الرفاعي حصتي فيها . ووقمت الصك ودفعته اليه ، فأعادته قائلاً : دفعه يا استاذ نعمه بالانكليزية ايضاً . فقلت ، وقد دونت اسمي بالهتين : أتعلق ان لرضوان مستشاراً انكليزياً او ان الانكليز اصحاب الانتداب في اجنة ؟ فقال : اعه اعلم . وعاد الى المرأة بعدل عقاله . كنت قد ادركت ما للمرأة من الاهمية في حياة صديقي فقلت والموت يداعيني : وقد جعلتك وارث مرآتي ايضاً .

فقر بالهتين ونادى :

يا دحيم هات اقنونة .

يا دحيم هات الخريطة . هذه هي الرياض وهذا الوشم - مئة ميل - وهالك وادي السر فشقرا فمئيره فبريده - مئة وخمسون ميلاً - ومن بريده الى الحفر - مئة وخمسون ميلاً .

الميد هاشم : لا ماء الا في الحفر .

- نوصلكنا على اقة . ومن الحفر الى الكويت مثلها - الجولة خمسة وخمسون ميلاً ، مئة عشرين ساعة في السيارة وعشر ساعات في الطائرة طير « الموزن » ولكننا في بلاد لا يزيد ان نطير فيها ولا فوقها . فقد طابت لنا حتى في مفازاتها ، واحببنا اهلها واحببنا بياضهم ، فوددنا السير فيها على طريقة دحم كالسلحفاة لتزداد بهم وبها علماً وتزداد حياً .

قال لي احد الموظفين الانكليز عندما كنا في القفر : احسنت في سفرك من هنا نستمد تدريجاً على ركوب الدلول فتصل الى القصيم وقد تصلبت فتقوى اذ ذاك على السفر من القصيم الى الكويت .

انها واحق يقال او عر الطرق في نجد . ومما صحتني من مكازم عطسة السلطان بيد الغزي من اسباب الراحة والامن وخفض العيش فقد كانت هذه الرحلة على اشد الرحلات مشقة وتعباً وهماً . خرجنا من الرياض اثني عشر راكباً وفيها الزفير والدارس والحاذق والطاهي والقهوجي وراعي البعير ، وهو يسوق قدامه عليه من الغنم الذبيح ، ومعنا في الجولة الحيام ، وفي مواضع المؤونة حتى الغسل من عرج والبسكوت من لندن .

على انه حكاية . منا ضيف ثقيل خبيث ما رآه احد من الرب ولا علم به امير الحلة هذلول - هذلول الذي كان يرى ما وراءه كأنه امامه فلا يخفى عليه شيء . يختص بالحلة او بن أجهوت من اجله ، لم يؤذ ذلك الضيف الثقيل ولا علم به . فقد رافقنا من الرياض رديفاً ، رديفي انا بل رديفي الاول ، شياً الحمى او كان يشهر حرباً على من حوّل الى حين ليثبت وجوده وينبغي وجودي فيحمل علي بالنار فاحمل عليه بالسكين . دامت الحرب شهراً ويؤيد ، ثناء الرحلة كاليا ، دون ان يغزو احد منا . فكان يتبع كل وقعة هدنة ،

(١) يقول ابن نجد في السير البطيء : « سير الموزن » .

وكل هدنة صلح كاذب . حتى اننا يشنا من الصلح ففضلنا الحرب عليه . ولم يكتب لي النصر المبين الا بعد وصولي الى العريكة واستنجادي بهواء لبنان .
 ان نحن الان من لبنان ، اننا لا نزال ايها القاري العزيز تحت محارم
 العارض وفي ظلال بساطين الرياض التي تمتد جنوباً الى المنفرجة بلد الاعشى احد
 رجال المطلقات . صعدنا قليلاً في جبل طويق ، وعاصمة نجد التي هي عند سفح
 الجبل وراقنا والمنفرجة دونها . ثم اطلنا ، بعد سير ثلاث ساعات شمالاً ، على
 برج مهدوم اشار اليه هذلول قائلاً : هناك نذهب ابراهيم المصري مدافعه
 واطلقها على الدريجة .

وبينا كان يقص علينا قصة تلك الحرب بدت بعد نصف ساعة الاطلال
 تحتنا غرباً بجنوب ، وبقائنا شرقاً بشمال بساطين من النخيل والائل اغنيات
 فيها القرية التي هي اليوم الدريجة الجديدة . تركنا في شمس من وادي حنيفة
 الذي يفضي الى اليمامة ، وسرنا بين الدريجتين قليلاً ، ثم اتينا في عقيق السيل
 بين ظلي الاطلال والنخيل . وبعد ان امر هذلول بنصب الخيام واعداد المشاء
 ارسل الى امير البلدة رسولاً يطلب الحطب لئلا والى الف للركائب ، ثم متني
 يرافقي الى عاصمة الوهابية التي دمرتها مدافع المصريين منذ مئة سنة ونصف .

صعدنا الى الجانب الغربي من السبل القائمة على حاشيته بقايا قصور آل
 سعود ، فاذا نحن في اسواق مدينة كبيرة كانت تكسرف شمالاً على جبل طويق
 وجنوباً على اليمامة التي هي اليوم بقعة صغيرة في مقاطعة الحرج ، فشينا بين
 جدران تداعت ، وفي ساحات لم يبق من عمرانها غير الرسوم العاقية لا ووقفنا
 على جصور متهدمة بين القصور ، وتركنا في دوحات مجة الى ايار ردها الزمان .

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حائلها زجل

كانت الدريجة منذ مئة سنة اكبر مدينة في البلاد العربية ومحط رجال

العرب من الاقطار كلها . سرنا في اليوم الثاني ساعة في وادي حنيفة ونحن لا نزال في ظلال طاولها الدوارس فلا عجب اذا كانت في ايام مجدها في عهد عبد العزيز الاول وسعود الاكبر ، قطب البلاد العربية بعد الحرمين ، يؤمها العرب من كل قطر قضي للاستعداد بأمرائها وللاحتجار . من عمان ومستط وحضرموت كانوا يجيئون الى الدرعية ، ومن العراق والكويت والبحرين ، ومن اليمن وعسير والحجاز .

هذه هي عاصمة نجد في وادي حنيفة وقد دمرها العدو الاجنبي . وهذه هي بئيلة قرية منها وقد جعلها آل سعود في حروبهم الاهلية مثل الدرعية . وما نحن في " بلد الشيخ " على مسجة نصف ساعة من بئيلة . هي " بلد الشيخ " ، مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب ، الميثة المشهورة ، وقد اتى عليها الذي اتى على البلد . كانت طريقنا بين خرائنها ورسومها ، فسرنا ساعة فيها ، فأدعشنا عدد القبان^(١) التي كنا نزاعا الى اليمن والى اليسار ، وهي عينة ومحكمة البناء ، وكلمها ، يا من اتى على بلد ، جافة مردومة .

كانت الميثة قائمة في وسط سهل مسيح ، سطحه يابس جاف ، غير ان نخته ولا شك مجاري من المياه كثيرة . فاعنى القبان المتعددة لولا ذلك ؟ اما اليوم فلا ماء في الميثة ، لا في بيوت ولا في قليبها . هجرتها السواقي الخفية ، فهجرتها الانس ، فثبت البقي^(٢) في دورها ، والحرم^(٣) في حماها . ذلك تحتها ضلع من الارض ، فتحولت المياه عن مجاريها ، فنضبت القبان ، ودكت فوقها المنازل والقصور . وروا ان في جوارها اليوم بعض الماء لقامت عندها ميثة جديدة مثل الدرعية الجديدة . قد شاهدت في نجد غيرها من

(١) قبان جمع قليب تلفظ بـ " ع " جليب اي بئر ماء وماقية

(٢) جق الحبر نبات ينمو في الصحور شبه المصعب .

(٣) الحرم نبات مثل الطيون لا تأكله المواشي قبل ان حبه يبرج بالقم والورد

امهالا ويصبي الدم

البلدان التي هجرت أو نُقلت لتحول مجاري المياه فتحتها .

كانت المدينة من مدن نجد العامرة يوم قرأ هارياً منها محمد بن عبدالوهاب وجأ إلى الأمير سعود بن مقرن في الدرعية . بل كان هذا الوادي وادي حنيفة عامراً في أيام الصحابة بالبلدان والقرى التي كان يتصل بعضها ببعض من الدرعية إلى المدينة . أما اليوم فقبور الصحابة فيه و « ديرة » مسانعة ، ومسقط رأس الشيخ ابن عبدالوهاب هي مكانها مثل القببان تحت الأرض واحدة في الخراب والفجران . بل قد هجر وادي حنيفة حتى الأطلار والأزهار ، ولم يبق من الشجر غير الشوكي كالطلح والسلم . مكانها غالب الزمان في كبد العمران أو أسكايل من الشوك للأعلول الدوارس .

ومثل الطلح والسلم في الاخرية هؤلاء الاخوان في الدين . هالك ثلاثة ذاهبين إلى الرياض « ليقروا » - ليتعلموا القرآن والحديث . سلموا علينا فرددنا السلام . وراح هؤلاء يحدّثهم ليستطلع « علومهم » - اخبارهم . ثم ممنا واحداً منهم يقول : ردوا لنا سلامنا . وحننا مذلولاً وقد ادير بذلوله بصيح : سلامكم رد اكم . ثم اشعل السبيل فسألته الخبة فقال وهو يضحك ويدخن : بدو جهال . سلموا علينا ثم ندموا على السلام . سأولني عنك فقلت : سوري جا . يتاجر بالبل ، فما صدقوا . وقال اجدم : هو انك لا تزي كافر . ردوا لنا سلامنا . فرددتهم وسلامهم إلى الجميع .

فضحك الميجاني بداح ضحكته المريضة المفضضة ، وراح يدرهم ويغني :
يا راحب التي هجرت زين « يا راكب الناقة التي درهاها اي عدوما حسن »
ما ضيقت صدر راعيها « ما ضيقت صدر صاحبها »
اسرع من رماشتك بالعين « مشر العين »
ورماشة العين قلها « اي النسر بالعين »
مشي العشر تأخذه بيومين

تجبت ما من راعيها .

وكانه كان يتغنى بتدبير كل ذلول من ركابنا الاقامة سوداء شروا .
حرون . مبيتها الخيرون ، كانت قاي السج الا غارة ، فيضطر راعيها سالم
القهوجي ان يتخلف عن الربع من حين الى حين ، ثم يطلق لها العنان فتجني .
كانها « جلود صخر حظه السيل من عل » وهي تبدر كأرعد والبحر الهائج
معاً ، والماء ابل - مواجين الذهوة - المعلقة بالوحل تصفق فها استجساناً . ولم
تسكند تنفق بنا حتى تسري منها الى ركابنا الكهرباء ، فتترق حبل ذلول
لجارتها . فيبادر الركاب الى الارسنة وقد كانت على التوارب ملقاة ، والى
الخيوران ولون بها فوق الزقاب ، وينادي هذلول بذخاً وبذخ يحبس هذلوله ،
حي هلا ، حي هلا ، جاب الخيرون ، شنها سالم الخيرون .

اسرع من وما شئت بالعين ورعاشة العين تلهوها .

كنت في ودانة امري بالفارات احس ان شيئاً في صدري يذوب فيجذبت
فرائغا يذوب عنده النفس . وكانت انصهر الرجل بهاء ويهبط كأنه موجة
تحتي . نجة ، بيد اني بالمروسة منكبت النفس والعنان ، وصرت اهول بالخيوران
كأنني من الدواسر او السجائن . حتى اذا ما دنت بي الخيرون كنت اسرع
الربع الى الخطوة والاعتزاز - خيال التوحيد اخو من ضاع الله - وقربهم
في الفارات .

ان في ركوب الهجين غير الرياضات الجسدية . وهو يبد ولا يتعب اذا
بدل الراكب السج هو ثا بالدرهم ، والدرهم بالغازة من حين الى حين . اي
اذا سار بشي الهون عشر دقائق مثلاً ، ثم مثلاً درهماً ، ثم بضع دقائق
غرة ، وكذلك في المسج كله ، فلا هو يتعب ولا تنعب الذلول . بل في هذا
السج احتياط صحة الراكب والمركوب وسرور الاثنين معاً . فالتقي يشفق
على هجينه لا يسير مشياً دائماً . ولم يسكن هذلول ليمسح باكثر من ساعة من

بطء السير فيقول اذ ذاك : هووا الركائب ، فنشأ ندرهم جميعاً .

قد يخفى على القارىء المتسدين من لا يعرف من اخبار الابل - الابل - غير « سائق الاظلمان يطوي البيد حلي » وعيها في الدواوين ، ما في الصلابة « هووا الركائب » من الحقيقة ، وما في الميل بها من الوجة بالحيران . ليعلم اذن ان السنام البعيد هو من اعضائه الطرية الحساسة وان قل عددها ، بل هو اطرى ما فيه منها . وان الكور في شكله يحرق بالنسار ولا يضغط عليه فيبدو السنام منه لاهواء كأنه قبة من الشحم في اطار من خشب ، فيستأنس البعير بذلك . وليعلم القارىء كذلك ان الجمل المحمل بها نقل حله هو اوفر حظاً من الذلول لان الحمل يضبط على جنبه ويظهره اكثر من ضغطه على السنام . اما الذلول فحماها^(١) الاول الكور - ثم الفرس - وسادة وسجادة وخرج وجلد غم - فوق السنام يمنع عنه الهواء ، ثم الركاب وهو على السنام يضغط عليه فيزيد بصعوبة صاحبه ، ولاصياً اذا سار الفرس فلا يتحرك الا ترجيحاً اي حركة افقية ، فتزداد بالفرك الحرارة ، ويسبي السنام كقطعة لحم مشوية . اما اذا درهم فتغير الحركة ، تصير عمودية ، فيدخل ، وانت تنفخ في الوحل ، شي . من الهواء الى السنام فتتشم الذلول المسكينة .

وحيداً امتنا . اهل نجد بالاشجار اعتناء هم بالابل ، مردة في وادي حنيفة ببقعة تدعى الحبيبة فيها غاب من الطلح والسلم هو اول ما شاهدت في نجد . ولكن الاشجار متفرقة منكسرة ، قليلة الاخضرار ، ضئيلة الظل ، تساقط على اصولها وجديدها الانعام ، وبقتك بفروعها فأس الخطاب . في الحبيبة تحتطلب الرياض . ولكن اهل العاصمة في غلة عما يحمدنه جهل الزعامة وجهل الخطابين . فهؤلاء يقتلون الشجرة واولئك يحجزون عليها ، ولا احد يشكو

(١) قلت في حاشية سابقة ان الذلول ناقة تدعى للركوب ويندر هذا ان تكون من غير النياق اي من الذكور .

ويعلوم . ما رأيت ولا سمعت ان احداً اهتم لغرس الحديد من الطلع والسلم .
فلا ير والخال هذه عتدان من الزمن حتى يضطر اهل الرياض ان ينشدوا
الخطب كما ينشد الرعاة في سنة الجذب الحيا - الموعى - في الاراضي القصبية .
وقد لا يجدونه .

بعد خروجنا من الحليسة نطل على اول بلد في الوشم ، ذاك القاع
الصحراوي بين وادي حنيفة ووادي السر ، الذي يمتد غرباً من سفح جبل
حزريق . ان الوشم مشهور بقصوره ومرارعه ، وتربطه وتعاليدته . هذه الهرة
التي في قصرها وتخلوها واقفة عند الباب ويدها المفتاح الى وادي حنيفة في
تلك الناحية . هي قرية لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة نفس اكثرهم من
عرب مطبوخ وفيهم مشان من الاخوان المجاهدين .

اما ثمدا بعدها ، ثمدا الكتيرة الملائكة ، فان الماء المالح والماء القراح
يجريان فيها جنباً الى جنب تحت التخييل . سكانها من بني تميم واهلها
المنقري الذي اضافنا وحدنا عن الهاممي والتمامي من الرجال هو من بني سعد
وعلم اطيح جدد نيم في الزمان الاول . قال في هذا المنقري الشامي
الهدامي واكد قوله ان عندهم في ثمدا ثلاثة قليب وثلاثة آلاف مجاهد .
ولكن امير شقرا الذي قرأ بمدن المددين في مذكراتي اسقط صفراً واحداً
من كليهما .

- هذا الصحيح . ثلاثون قليب وثلاثة مجاهد ، او لم يملك بطباع
انساء ثمدا ؟ هن يكرهن الاقامة فيها . رجال ثمدا لا يعدلون في النساء .
لا ينظفون . لذلك ترى نساءهم ، والليل على العارب ، في كل مكان .
لم انسكن من الرجوع الى ثمدا لاصح ما يقولون هناك عن نساء شقرا .
ولكن الامير القحطاني اكد لي ان نساء بلدهم مقصورات الطرف لا ينبغي
خارج السور بديلاً . ثم قال : اذا دئنت يا امين نمرسك بينت من يتاذن

نقيم عندها ونحقق قولنا . ونعطيك مع البنية بيتاً وذلولاً ، ونعطيك القرد
وضرب السيف .

ان شقرا لأجل بلدان الوشم واكبهما ، نخبها ، مثل نساها ، داخل
السور بين البيوت ويجعلها بعضها عن بعض . عدد سكانها خمسة الاف وهم
من بني زيد وبني خالد وفيهم قليل من قيم . اما الاماليه فهي لبني زيد وهم
كثيرون من قحطان . وبني خالد من عتري فمدائن ، على ان الجلب في شقرا
من كثر متحابون . ومع ان الناس في نجد يسفرون بالقحطاني ويتكلمون
عليه . ويرمونه بالبدع . فقد وجدته في شقرا مثله في الدين عربياً حكيماً .
نسب ادبي الامير ووكيل المال والشاعر فيها . ولا انسى غياقة حالت دونها
ودوي الحلي . وهم على كرمهم وندانة اخلاقهم مشفقون . ينحرون لك ،
وعند حوائجهم الكفا . ثم يقولون : ما عندنا في نجد غير فاكهتين الماء البارد
في البئر والتار في الشتاء .

ان شقرا مشهورة كذبت فيها ، ذلك الماء الذي ادهش البدوي عندما
شرب منه لأول مرة ، فصاح قائلًا : اقح يا مطار . وعندهم داخل السور ثمانون
قبلاً والى من الاخوان المجهدين يحرثون في ايام السيل الارض ويتعاطون
الشجيرة . اما اعمال ابن سعود فليس فيها من لم يخرج ولو يوماً واحداً الى
الجهاد ، فادى شهادة النوحيد وحمل على المشركين . وانه ليدعشك ما يقوم
به العامل الواحد من الاعمال . فلا دوائر هناك ولا كتاب ، ولا حكاوي
تجلس فيها الالقياب ، وتأخذ من مال الامة بلا حساب .

كننا في شقرا ضيوف وكيل المال محمد السباعي ، وهو رجل صغير نحيل
عليل ، يحمل في حبيبه مفتاحاً من الخشب يفتح عشرين باباً في داره ، ويتولى
الحياة في الوشم كله ، ان بيت السباعي مفتوح وان تارة مشبوبة على الدوام
السباعي حبة غافة كما يقولون هناك . اي انه ذو سر وفضل وحجة . ومع

ذلك فهو لا يوحى كل احداً بعمل يشطع ان يعمله بنفسه . - نياشر امرنا
بيدنا . الكاتب متيسر ولكن ما كل واحد تأمنه على الاسرار . فنصم
على المشقة ولا نشكو غير ضعف في البدن . لو كان لنا ما للبدن من الصحة
والعافية . ثم طلق يشكو البدن . - ثم على صحتهم حكالي ، حاملون ،
ويحب علينا مع ذات ان نلاطفهم عندما ينحون علينا . ونجاملهم « ونحبه »
- نقتله - بين عبوتهم ونحمل لهم الاكل بيدنا . والا راحوا يسبوننا
ويقررون لنا كفار . . . البدوي اذا شاف الخير تدلى ، واذا شاف الشر
تعلّى . ثم انشد بقول :

من لا يحيط والديار بخيفة (في خطر)

لا مرجأ به والبلاد موافى (في عافية)

شكرت الحمى بعدئذ واشكرها الان على يومين في بيت السبائي
وداويت فيها بعلقتين بئس وحديثه .

ذكرت ما في ثمود واستقرا من تعدد القبان ما يدل على غزارة الماء في
الصحراء فان مياه جبل طويق تصب غرباً بنجوب تحت هذا الناع ، فتصل الى
الطوج والافلاج ، فتكون هناك بحيرات شتى ، كما تصب شرقاً بنجوب
تحت اسهلاء والحيان فتظهر في الاسماء . والشاهد على غزارة الماء في الوشم
تعدد القصب في القرى وخارجها في القصور . قد اشرت فيما سبق الى القصور
في نجد فاؤيد القارىء علماً بها ، او بالحري بتلك التي في البد مثل قصور الوشم .
والقصور هناك سور مربع في كل زاوية منه مقبول او برج ، وداخله بيوت للسكن
والالاء ، وقليب ومقهية ومسجد . هو اخذ جامع بين القلعة والمزرعة
فيستخذه في ايام الحرب للدفاع . وهذه القصور بعيدة بعضها عن بعض ،
حول كل قصر متخانة خضراء مزروعة ، وبين كل منطقة واخرى قفر قاحل
كالكرب .

أو عاد في ورائل وقحطان اليوم إلى تاريخ اجدادهم في الاندلس مثلاً
 لقدوا بنا كان لهم على الأرض من الأيدي البيضاء ، للهوايا حكان أو تلك
 الاجداد ينون من السدود والقني الري ، فيساوون بين ككل بقعة صالحة
 للزروع ويستشرونها كلها . التي على بقع من ان الابر الارتوازية في النشم ،
 وبناء السدود والقني ، واستخدم الآلات البخارية للرفع والمدفع تمكن لهم
 من زرع كل باع فيه ، وتزداد غلاله ثمرة اضعاف . وما يصعب في النشم يصعب
 في القصيم .

دع عنك ذكر الزراعة الآن . فما نحن في الطريق التي اكملت قدماً تعال
 التمر . في « الديرة » التي زانها يوماً من قال : قفانك من ذكرى حبيب
 ومثل . است ادري اذا حكان سبط الثرى هاهنا او في ذا الجوار ، واذا
 كانت حومل والدخول بين زهدا والنفود . ولكن هذلولاً وهو شاعر يقول
 ان الى يسارنا الى مسجدة نصف ساعة بلدة تدعى اثاثية هي مسقط رأس
 الشاعر جبر ، وان بين زهدا واثاثية مرات بلد امرى القيس .

ونوضح فالقرية لم يعرف رسمها لما قد جهتها من جنوب وشمال

ولكن اوشم اليوم اصيل ياديه كما اصيل بارضة . فباله من محد عقت
 رسومه ، ومن بلد عقت علومه ، فصار حتى الدوسري يزوري ابن اوشم ،
 والسديري يسخر بقراريشه اي حناويه .

لا تحسبني من قراريش الوشوم من زهدا والمشير والامرات

ان اقدم بلدان الوشم هذين البلدين زهدا و المشير ، وان اكبرها شقرا
 الكائنة في الطرف الشمالي ، وليس بينها وبين الطرف الجنوبي من القصيم عجم
 وادي السر . على ان هناك بين الوشم والزادي ، النفود التي قطعناها بجانبي

(١) النفود جمع نفد وهي مستنة من نفد نقاداً اي ذهب وفيه وعطك .

ساعات . وبكلمة اصح ان هناك نفدين اثنين ، الصغير الذي يدعى البقرة
وهو سير ساعتين ، والكبير الذي يدعى اعزم وهو سير ست ساعات .
وان بين النفدين حاجزاً من الارض الحصوية المتدبة التي تستغرب جداً في
شكلها ومكانها ، هي دائرة بيضاء بين تلك الكتيب الذهبية ، وفي احد
اضراف الدائرة حجارة بركانية سردها عنها متعثرة ومنه مرصوفة بعضها فوق
بعض . اعجب بها من ارض يبهجك تكوينها الوهمي ، ويدهشك ظاهرها
البركاني . بعد ان نصلد خمسة قدم في النفد الكبير ، ونزل مثلها ، نعرف
على وادي السر ، فنحجز الميون هناك ، ونسير في الوادي الى المذنب اول
باران القسم .

الفصل الخامس عشر

القاص

الهواء - الاخلاق - الجاهل في العوشية - لهر متجه من لاه - اهل العوشية
 هذه الارض - لاجل ان عيش عوشة - عاريس لهر - سحر النفود والنهيل -
 حطو النفود - سوقي عوشة - لهر عوشة القديمة - اكرامهم للفرسية - التهمة
 والثاني والمليح - قاعة الاستقبال - النفس على الجدران - هندسة عربية - بل
 سليم - آل سام - التماس في عوشة - لو جاءها تا حليل النصراني في البو
 لاهر - اماها - وادي الرمم - الفرق بين عوشة وبرده وبين اهل المدينة -
 القصر في روم - سويلر - سويلر وحيل الامور - التهذيب العربي في
 مقامه .

القاص يملو زها . الف قدم من العارض ويعد متي ميل عن الفلوي
 الدين ، فيتغير الهواء والنبات ، وتتغير كذلك اخلاق الناس . سرنا في وادي
 السر الى جانب النفود وهي الى عيننا قافلة من الكتب ندفو ربيد منا ،
 فيتقلص ظلها ويمتد ، ثم يختفي معها فلا نرى منها اذ ذاك عجز الاسنة
 واوؤوس الذهبية . وبعد سير عشر ساعات في وادي يكثُر طلحه وشناذه
 اشرفنا على العوشة . على ما يشبه الهمر شرقاً منها . فسألت هنلولاً :
 أمراب هذا ؟ فقال هنلول : هذا القاع . وسألت سالماً فاجاب : القاع .
 وسألت بداحاً فقال : هو القاع بعينه .

وما هو القاع ؟ في اليمن يطلقون الاسم على السهل فيقولون قاع يوم
 مثلاً وقاع الحقل ، ويكون القاع اذ ذاك اما اخضر واما اسود واما احمر اذا
 لم يكن مزروعاً . بيد ان هذا القاع ابيض كالثلج ولم يتغير في قربنا منه
 ولا بدا على وجهه توج يدل على الماء . فمتدا وصلنا الى العوشة بعد الظهور
 تركنا الخدم ينصبون الحيام ويعدون الطعام وسددا خطواتنا انا ورفاقي الى
 القاع شرقاً من القرية . فاجتزنا دستاناً من النخيل ، وغبضة من الطراف ،

وإذاً لا من نبات طويل نرج يدعى الهرطيل ، فإذا نحن بعد ذلك في ارض
سبخة موحلة وإذا بالنهر أو القاع قيد بضعة اواع منا . أنهر في نجد ؟ اي
نعم : نهر من الملح المتجدد ، من فصاف السوداء ، عرضه نصف ميل ، وطوله
من الحصة الى السبعة اميال ، ووجهه كوجه الماء وقد عقده القر جليل .

غضنا الارض الموحلة الى الضيقة البيضاء . فافيناها جامدة مصقولة
كالجليد ، وصلبة كالجلود ، وناشفة كالرمل ، ولا باردة هي ولا حارة .
جلست هناك وتربعت وشكرت الله على ذا المظهر الغريب الغريب في
الكائنات . هوذا نهر مازو جامد جاف ، وهي ذي بحيرة حار جليدها .
سألت رفيقي ان يجلسوا قترددوا خائفين . هي اول مرة جاءوا الى القاع
وتعبروا حقيقة . دقوا ما تحت ارجلهم نجش البنادق ليتحققوا صدقاته
وجلسوا وهم يضحكون ، ثم قال بداح : والله يا هذلول بلاد نجد بحرية
فاجابه هذلول : وامعيب منها يا بداح نحن الذين لا نعرف ما فيه .

قطعا صفيحة من هذا الملح فإذا بمحكما اربع اصابع ويثقله شيء . من
التراب والغش . اما اذا دوت من وسط القاع فيزداد السمك ويصفو الماء
وبقل فيه الغراب . على اننا لم نر في اسواق منجرة ووريدة ملحا نظيفاً . فهم
يجلبونه من هذا المكان ويبيعونه صفائح كبيرة وصغيرة كما يقطعونهم .

العشيرة قرية صغيرة فقيرة لأن تربتها بسب هذا القاع كلها سبخة
لا يصلح زرع او غرس فيها . ولكن اهايا ملح الارض . جامدا وجيهها
يدعونا للقهوة - تقضوا نقهويكم - فقلنا شاكرين ، وكانت اول ضيافة
من مقامها في القصص . جلسنا حول الموقد على الوسائد ورب البيت يجدهنا بيتنا
هو يعمل القهوة . ثم اتمل السيل ودخن وقدمه لهذلول قاداره على الريح .
ثم حانا نخبض يدعونه عبيطاً بملونه من الثمر والسن استاذ ذته واستمره .
فضحك العوشري الكريم وثني على حورتي قائلاً : كأنكم من القصص

جاء هذا العربي الفاضل في المساء برد الزيادة ويشرب التهووة فازدادت اعجاباً به وبكروم اخلاقه اذ قدم لمرحب شيناً من التبغ واعتذر قائلاً : لولا قننه وافته زودناكم منه .

وكانت ضيافة الموشري فاتحة الضيافات في الايام التالية بمنزلة مليكة النسيم . عنيزة حصن الحرية ومحط رجال ابتلاء الامصار . عنيزة قطب الذوق والادب ، باريس نجد . وهي اجمل من باريس اذا اشرفت عليها من الصفا^(١) لان ليس في باريس تحيل وليس لباريس منطلق من ذهب النفود . بل هي اجمل من باريس حين اشراقك عليها لانها صفة ودبة خلابة ماوانها ، كذاها صورة صورها ما^(٢) لفة من قصص الف ليلة واليلة ، وكنائها لؤلؤة في صحن من الذهب ملقوق بالازورد . بل قل انها السكينة بحسنة وقد بنت لها معبد بين النخيل ، زانه باعور من ذهب الزمال ، وصككته باكايل من الال . فهي في محوف من الارض يحيط بها غاب من هذه الاشجار ليرد عنها رجال النفود التي تهددها من الجهات الثلاث ، من الشمال والترب والجنوب . قلت مرة لاهلها : انتم والنفود قوم^(٣) فاصبحوا بالكلمة وتناقلوها . انها الحقيقة ولا مبالغة . فالنفود نجاريهم بالرمال تدفعها الرياح من كل جانب فتسقيها على المدينة ، وهم يحاربونها بالال يزرعون غياضاً فوق الكشب خارج السور .

قد تصغر عنيزة دون اهلها ، وهم زها . ثلاثين الفاً ، لان النفود تقيدوها فلا تستطيع التسلط والامتداد . فهي لذلك مزدحمة بالسكان واكثر اسواقها كالمراديب لاشيم يبنون فوقها الجصور وفوق الجصور البيوت . ولكن هناك سوقاً للتجارة صغيرة منيرة تدعشك با فيها من الاشكال والوان . فتذكرك باميركا وبلاد الانكليز ، وتنقلك الى الهند واليابان ،

(١) الصفا مثل الصبان ارض حصوية مكدبة شري في منيزة واملوها نحو مشي قدم .

(٢) كنود مان Claude Manet المصور الاقراصي الشهير .

(٣) قوم اي اعداء في اصطلاح العرب .

وتتضمن اللغات الأنكليزية والأفريقية والهندستانية ، ولهجات من
الزراعة متعددة .

وفي عنيزة أسر قديمة عربية بالنسب والفضل^(١) قد صاح أبائوها في البلدان
القضية والامصار شرقاً وغرباً فزادتهم السياحة ادباً واتضاعاً ، فزفوا الضيفة
الى مقام تفتتح عنده اجواب البيوت والقلوب معاً . اجل ، ان الغريب يلجئ
في هذه المدينة كونه غريباً ، فحسوا الكون مسلماً ام كافراً ، موحداً ام
مشركا ، فهو يشعر هاهنا انه بين الناس انما هو فوق ذلك الحكرام
الضيف ايا كان . فاستانس اينما استانس وبلي دعواتهم مسرووراً شاكراً .

تفضل نقوشات - هي دعوة شيعة بدعوة الانكليز لاشاي . وفي
الضيافين شي - ير الدعوة وغير الاشاي جميل ، فيها ميل الى الحديث والعارف ،
ورغبة في معرفة اولاد - على ان ضيافة العربي العربي يتار عن ضيافة
الانكليز في ارب الرب البيت بخدماته . فافهم من حين الاستقبال الى حين
الوداع . وقد جعل ذلك الحكوم وثقت اوداعه . فليس ان الضيافين نشأت في
الرب اوسى بالخدمة - الى الابهة للخدمة .

ان قامة الاستقبال عندئذ تدعى القهوه . وهي عادة طرية فسيحة عالية ،
فقطها ، وقد سقط الخشب الا ان قامة على اعمدة من الحجر مربعة باسوار
في اطرافها مزودة بالرفوف فوق الاخرى في العلية الدخان يخرج منها والواضحة
للنهار ، ان في جدرانها رسوم عديدة نقشت بالحصن فوق ارضية من الخشب ،
وتدور في جدرانها البيضاء والخططي كأنها تخرج الفرنسي على قبص عربية . وفي
المصدر يعرف مستطيل لا يزيد الا كبر على الثلاثة لأفرد هو الموقد . يوس
عنده ربة البيت ويجلس الى جانبه ابنه او اخوه او احد من اهله ، فيأكل
واحد بعد الاخر القهوه والاخر يلقى الى في جوف من الحجر صغير شبه برون

السكية في لبنان ، الا ان قطر ثقيه لا يزيد كثيراً عن قطر الهاون . وعند رأس الموقف خزانتان واحدة للحطب واخرى للوعائين هما قيد يد الجالس هناك ، فلا يضطر ان يقف ليناول شيئاً منها . واهم من كل ما ذكر الابريق ، وهي محور الدعوة وركن الضيافة المادي « اباريق النحاس الوهاجة صكاًتها وصلت تلك الساعة من المعسل في دمشق ، وقد صفت امام المضيف صفاً متناسلاً من الاول الصغير الذي يكفي ضيفين الى العاشر الذي يستفي مئة ضيف ويزيد . هذه هي القهوة عندهم وهي في شكلها ورسومها ، ولوني جدرانها ، وسقفها العالي ، ونورها اللطيف الذي قلما يازجه نور الشمس ، تعيد الى ذهنك صورة معبد من معابد الاقدمين فتحدثك بجلال العتي والقدم .

قال هزري دوحلي في كلامه عن عبادته السام : « وكان لجرنه صوت شعبي كأنه جرس الضيافة يدعو الناس للقهوة » . الا انهم لا يقفون في الضيافة عندها ، فهم يقدمون بعدها ، في كؤوس من الزجاج ، شيئاً من الشاي جزوا . الاكبران الحليب والسكر . في بعض الاقطار العربية يسمى هذا الشاي القهوة الحلوة ويقدم للضيف دائماً بعد القهوة المرة . وهم في الضيافة لا يسرعون ولا يلعبون ، اللهم اذا كانت الدعوة للقهوة فقط . اما اذا دعيت لافداء او العشاء فيعد الاكل الاية : واذا طعمتم فانتشروا . ولا استثناء . لذلك كنت افضل الدعوات للقهوة رغبة في الحديث ، وما اكثر الفوائد والدهشات فيه خصوصاً اذا كان مضيفك بساماً او سليماً .

هذا حيدى عبدالعزيز بن عبادته آل سليم وقد اضافنا مرات عديدة بين الصلاطين وبعدها اصيلاً ومساء ، لا ليصمنا حديث ، وما احلاه ، بل ليسمع حديثنا . وحكمت من باب حب الذات والاستفادة اباريه في السؤالات ، فننقل من الجغرافية الى الزراعة ، ومن أمريكا الى كندا الى بلبلاد طي ، ومن الاطباء الى الشعراء . كان يسكن ، عافاه الله ، من ذكر الاطباء ،

خصوصاً « طيب السنون » ، ويشكو خلق عذبة منهم . — قبل لنا يا اخندي
ان امر اطباء الاسنان هم في امريكة . أصبح هذا قد ناسقوا الى امريكة
فنشاهد بناياتها العالية ونصلح اسناننا .

وهذا عبدالله بن خالد آل سليم امير عذبة وقد ازلنا في القصر الجديد
الذي شيد حديثاً لعظمة السلطان عبدالعزيز ، ومد لنا في بيته حماماً ازدهت
فيه الالوان ، وانارته من شمع الاماجد البشاشة والوقار . ثم ادعشنا صباح
يوم السفر باكلة جمعت بين الخبيص^(١) والمبيط ، جي بها في جفنة كبيرة على
حكاؤون من النار لتؤكل حامية . هي الخينة بنت الخبيص والمبيط ، وقد
عملت قوداً كقود اليد ونغست بالسمن والسكر .

والامير عبدالله مثل عمه عبدالعزيز مزارع كبير يشغل ساعات الفراغ في
بساتينه . غير انه مثل كل عوفي لا يزال ، على شغفه بالزراعة « اسير تقاليدنا
القديمة . سألتنا عن الآلات البخارية لرفع المياه والري ، ثم قال : سمعنا ان
السلطان عبدالعزيز يعني استخدامها في الحيا . فحتى فعل زبده ان شاء الله .
الناس على دين ملوكهم — وعلى طريقهم في الزراعة ايضاً .

وهذا عبدالله بن محمد آل بسام يثبت ما اقول . فهو على علمه وادبه
وروحه العصرية في كثير من امور الحياة ، لا يتقدم طويلاً العمر في الرياضة .
لبيداته ارض خارج المدينة حفر فيها قليلاً عمقه ثنوتون قدماً وعرضه خمسة
وعشرون يمشرين ، يشغل في رفع المياه منه عشرة جمال ، وهو مطوي
بالحجارة يحكمهم الماء . مكافه اربعة اعة انكليزية ، وبكافه رفع المياه

(١) الخبيص في نجد هو غير المبيط . الخبيص يعمل من الطحين والماء والسكر .
ضع الطحين في القدر وحركه فوق النار حتى تروح رائحته ، ثم ضع الماء والسمن
والسكر فوقه وحركه حتى تروح رائحته ثانية ، صب عليه السمن وحركه حتى
تروح الرائحة الثالثة . فارفعه اذ ذاك عن النار ودعه يبرد ويشد ، ثم مد يدك باسم
انه ان القدر ولا تكون جشعاً . اما المبيط فهو من التمر والسمن كما تقدم .

يوماً ليرة واحدة في الاقل . اما ثمن الآلة البخارية فلا يزيد على نصف كلف القليب ، وثمن البترول يوماً اقل من اجرة الجمال . وعيدافه البسم الذي ساج في مصر والعراق والهند يدرك ما في الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير والسرعة في العمل ، ولكنه عوي . والعرب في الزراعة على طريقة ملوكهم واجدادهم

اما في النسايل الديني فيج اهل عتبة اليوم واجدادهم يون شامع . ليس في عتبة اليوم من يضرب بالعصا من لا يصلي ، فيسوق الى المسجد كالانعام من لا يلبسون دهوة المؤذن . وليس في القصب كله من اولئك الزعابين ، امثال الاخوان اليوم ، الذين اضلهموا « النصراني الكافر » هنري دو طي وطردوه من البلد ، لم يجد الرحالة الانكليزي يومئذ غير بضعة رجال واوه ، واضافوه ، وساعدوه في محنته ، اجمعهم ثلاثة عم امين عتبة يومئذ وعبد الله القليبي وعبد الله الشام . وقد ذكرته دو طي في كتابه بالحرف . عنهم نافلة في ما اتى عليهم

حدثني صديقه عبدالله قال : كنت شاباً يوم جاء « خليل » الى عتبة وكان الفيني اكبر محبة له وساعديه . فاقطع مسكان المدينة فسيبوه وتجنّبوه . قاروا اليه كانوا مثل الانكليزي وما قد مر على واربعون سنة وانما شاهدنا تطور عندنا . نعم تعرف كثير . عتبة يومئذ والى الغريب ، انا واكرمهم ، ثلاثة فقط . اما اليوم دو طي و خليل . والى وجد ثلاثة يسيئون اليه فملاً او قولاً اهل عتبة اليوم ينتهبون لأقل السدة التي في الغريب في بلدكم .

بين عتبة وبريدة اودى ، وادي الرمة ، والنقرة . ولكن بين مسكان المدينتين فوقاً بكاد يكون ابعد من الفرق بين البدر والخضر . انما بريدة مدينة تجارية وليس لاهلها وقت انوار التجار والحدادة . هي محط رجال البدر

من معابر وهم وشبه وحرب وفيرهم ، يخشونها ببيع والشراء . هي بدوية
مادية لا تتم للدب ولا تعرف من تليد العقل والفؤاد ، فلا تكوم القريب
ولا تشي . اليه . على انه قال يسمع فيها ناكث الكلمة الطيبة ، تفضل نقه ويك ،
التي هي صلة التعارف والولاء . لذلك تسمى عنقوة باديس ، مع ان بريدة او فر
حظا منها في الغزول على النفود . ان الرمال تنفس لها ولا تناوشها . فلو كانت
المدن في السجاطها والتعاضد تبرز في الاخلاق لكانت بريدة في الضيافة ،
في بسط بدنها وقلها الى القريب ، المدينة الاولى في القسم .

وهي لا تبعد عن عنقوة اكثر من ثمانين ميلا . مسير النفود بدنها
ساعات ، والشرف ونحن في اخر ضلع منها على الجيوب التي تطوق بريدة
القلادة - ولادة من الرمد في خيط من الذهب لبدوية القسم . ان الارض
اتسعت امامها ، ونفضها ، وتقف بعيدة عنها مسودة اليدين . لا كُتب
حول بريدة قريبة ، ولا واحات عاليات الجبل - حولها الجيوب . والحلب
متنافض من الارض فيه ماء ، وابل وتخييل ومضارب واككاوخ . الجيوب
خنادق احتلتها جنود السلام اي المياه والايدي الزراعية .

اقدا في بريدة اسبوعا نجد ما وهن من النوى وما نفد من الزاد . فقد
اجترنا في رحلتنا قبا من بلاد نجد تعددت فيه القرى والمدن ، وطابت المياه ،
وبقي ادمنا القدر الاكبر والاوز ثلاثة ميل بين بريدة والكويث ، لا
مدن فيها ولا قرى . وما الا في نصف الطريق . وهناك النفود الكبري ،
والدهناء ، ووادي الرنة ، والبدية ، كلها اقفا رضيع فيها حتى ابناء الفقار .

ترونا في القصر الذي اسمه ابن مهنا وبني جناحاً منه ابن الرشيد وآخر
ابن سعود . هو قصر كبير ذو ابراج متعددة ، واقفية رحبة ، وقلاع للدفاع
الواحدة دون الاخرى . وفيه بيوت للضيافة وماء ومسجد ، وليس فيه في
هذه الايام ، في عهد السلطان عبدالعزیز العادل ، غير حامية صغيرة لا يتجاوز

عددها المئة جندياً .

كان سويلم بن سويلم رئيس القصر وحاكم البلد في غياب الامير ابن مساعد جلوي^(١) وسويلم بن سويلم من الرماض ولكنه ليس من «عائلة الشيخ» فيها ، فلا اثر للتعصب الديني لا في اقواله ولا في اعماله . قد انتدبه مظلة السلطان مراراً لمهمات خارج نجد ، فسافر الى سوريا ومصر والاسنانة ، وكان في اسفاره من الكاسبين . على ان الامطار لا تنفع غير الارض الطيبة . ما اجتمعت بعامل من عمال السلطان انعم صوتاً ، والطف حديثاً ، واجمل صيداً من ابن سويلم . كنت احضر مجلسه ساعة يقضي في الناس فيجئته البدو ، واصواتهم ككالا جراس ، غاضبين شاكين ، فيسمع ابن سويلم شكواهم هادئاً ، صابراً ، ويحكم فيهم ذاك الحكم العادل الشديد الذي امتاز به اكثر عمال ابن سعود . على اني لم اسمعه مرة ينتهر البدو او يغلظ لهم الكلام . ولا سمعته مرة رفع صوته في الحديث او في التوبيخ . كأنه صيني لا عربي .

— سرق البعير يا لامير . ابدوي لص اوافه عابته بعيني . ابدوي قوادا

فيسكته الامير قائلاً : اقصر الله يما فيك . فان لم يسكت يعيد الكلمة ولا يغير صوته او لهجته . بل يضرب الارض بمصاء مثل السلطان عبدالعزيز ويقول : اقصر الله يما فيك . ما اجملها كلمة تسكت بها الصياح الشتام . ولكنها قلما تفيد اذا لم يكن عند صاحبها شيء . من تلك القوة المعنوية الروحية التي تجعل كلماته الناعمة اشد وقعاً على البدو من السيف .

(١) هو عبدالعزيز بن مساعد آل جلوي عينه السلطان بعدد ابي في حائل وجعل المنطقة الشمالية كلها با فيه القسم والجوف وغير تحت امرته .

الفصل السادس عشر

الدهناء

الدليل ونزلان حوله - عين تميم - الاسياح - لا ماء في العفر - النلود
الكبرى - جمال الطومور في المشرق والغروب - النوى والنود والنول
الجموب - الدهناء - لا حلال يهداه : « - سكة زبيده - الميراثه - راحة
ظفر - رعى حد الايل - الفرق بين الدهناء والندود - بعض الثبات في الدهناء
- مسير اهل المعايير - دحير كوير - قبة فكان - مراك ومراك وعود الطيب
- مسير اهل بوعده - راحة - منا اهل المرحا - هوسه الاخوان -
لى لى لى لى لى لى - قصص الحكايات - جملنا هذاول - يداه يقر مصته -
حكاية حصود - ساء والشيد الذي منه من المثل حيدر - ساعة عن التومر -
صوت هذاول : قوموا : قوموا : هذاول - يداه هذاول اصول التوميد
واركان الدين - يداه يطر هذاول : اية النوى - شروط الصلاة - لواقيل الوضوء
- انهاء - خطبة من الاميان - مسير ويداه ينطقان .

ما احتجنا الى دليل في الفارق من الرياض الى بريدة مع اننا مهرا ثلاثة
البحر من النود . ولكنها بيجرات رمل اذا قسناها بالعروض التي لا يمتازها
حتى العرب بدون دليل خبير . واذا كان هذا الدليل ذكرنا^(١) فله بعد امير
الحلة المقام الاول ولا يتنى الا ومعه اركان حربه . نفعا الله بهم وبه . فقد
اصحبنا سويلم بن سويلم برجل من مغلير ساح في الامصار ، ورافق الكبار
والصغار ، وحارب مع الترك في الحرب العظمى ، ثم مع الشريف ، ثم مع
ابن سعود . رجل رهيب له صوت يوجف حتى البدو ، وخطوة كانت تذكرك في
بييت المتنبي :

يطأ الأذى متوقفا في تيهه فكأنه آس يحبس عيلا

اما اركان حربه جيث^(٢) ومبارك وابراهيم فن الروان الشجمان ابنا القر

(١) راجع شرح ذكرنا في صفحة ٨٤ من هذا الجزء .

(٢) جيثان تصغير جيثان وجيثان في محيط المحيط اصول الصليان على وزن غميان .

والطعان . على اني خشيت المنافسة بين الدليل والادبر . ولولا حكمة هذلول
واتضاعه ، ووعيته في راحتي قبل كل شيء ، لما استقام الامر يوماً واحداً .
كان يضحككني المظفر ، وشر البلية ما يضحك « عندما تبيع المراح .
فيقف اذ ذاك جاقياً وقد انتف بعباءته وطرح احد طرفيها على كتفه « كأنه
يشل على المسرح دور امير خطير . ثم يصدر اوامره :

— يا صبارك ساعد مسفر في الذبيحة . يا جميعين هات الاوتاد . رح يا حود
ارح الركائب . وانت يا حمد ساعد في نصب الخربة . القرب يا بداح .
الخطب يا ابراهيم . . .

وكنت ارى هذلولاً ، يارك الله فيه ، يشغل وسالم في رفع الشراع
ويساعد الجميع دون ان يصدر امرأ واحداً . بهذا يتنازع الرجال بعضهم عن
بعض ، وبذا يفلح المامون ، ويقشل ، يلغم عن الحبر والافتدار ، ولي
العجب والادعاء .

كانت طريقتنا من القارض الى القديم شمالاً بغرب ، فاستقانا التمس في
بريدة وسرنا منها مشرقين الى الكويت . ولا ماء الا في الحفر . ما ادر كنت
خجار الطريق وولودة المساك الابد التهب في بريدة ، اذ خرجت القافلة
منها وقد ازدادت رجلاً وراكباً . فاهيك باهتمام ابن السويعم وقد رافقنا
الى خارج الدور فوصى الدليل وألح على الامير بارسال كلمة اطمئنان بعد ان
يختار الدهناء .

ولانا القرب وبعض الادوية^(١) من ماء عين نريد خارج المدينة ثم ملائها
والمدان بقة واحدها صيانة . ولكن جيعتنا ينظر القاموس . فقد اخبرنا ان
امه ولدته ، وجذع الله ، وان جذع الله يدمر رجلاً ، وهو قوي قوي ، فسي
تجبت به جيت .

(١) القرية وطب من الجذع اي البهايم الصغيرة ستا يحسها الراكب ساعة بالرجل .
ولكل راكب قرية . والادوية جمع روي في القاموس الشرب التام . والرواء

ثنية كلها في اليوم الثالث من عين فايد في الاسياح . واطلنا من الاسياح
على العروض ، في القوت الكبرى بين القسم والكويت ، ووراءها الدهناء ،
ودون الدهناء المقازات . وكلها على اتساعها اجف من الاسياح في ذلك
الطريق . لا ماء الا في الحفر اجمع انه نيك يا سيد هاشم كم ذكرتك في
العروض ونحوها في الدارضي . لا ماء الا في الحفر . ودونك ودون
الحفر جبال وجرار من الرمال ، بيد دونها بيدة وسبعة ايام من السير والحمل
تعود يوماً بعد يوم !

ان العروض اي القود الكبرى بين الاسياح وتبعها هي عدة جبال من
الزمل تندخلوا من الشمال الى الجنوب وعرضاً من الغرب الى الشرق . وهي
تسمى دوحاً ، فالله يصرفه اوح بين الحديدة والسمينة قدم ، وبين كل
دعس وآخر نحو اربعة اميال نولاً وضوفاً . احد عشر دعس هي ، على
احدى شجرة كبرية ، كل واحدة اشد من الاخرى ، هلك اقلها اماناً بملوه
الآن او رأساً دعس مدين . وفي شكل افق رسول من الذهب الوهاج
يدعوننا انهم الجبال بل جبال النعيم .

ما اجل ذهب القود في الشروق وفي الغروب ، بل ما اجل ارجوانه اذا
مال الظل وتخرج في الاصيل . وما ارج ايل القود وقد انقشيت رملاً تاماً

ماء الكبير المروي . اما في جدار لوي هو الوطاب الكبير من جدار الابل او الممر
يسمى ، دار خمس قرب من الماء . وهم يحلون في الادوية غالباً ماء الطبخ ، القليل
وكل دونه حل حل .

١ . فلة افان تلفظ جوفاء الامم تسكن في غد قياوون اجبية ، فليسمها
الرحالة الاوروي فيكتبها كما سمعها فليسمها الكتب العربي عن الكتب الاوروي ،
فنجي . مكنوية نجية او جاية او جيبه . ومثلها الدهناء تلفظ اوكما فكنت في
الخرائط الاوروية دهانا Dahana وغيرها من الاغلاط في كتابه الاسماء باللغات
الاحادية ثم في لغتها منهم الى اللغة العربية . اما حان لنا ان نطلع اغلاط دح اغلاط
الاحاد في هذا الباب ؟

كالطير ، وأخيت نجماً دانياً في نوره منك ، كأنه يهسى في اذنك كلمات
السكينة والحب والسلام . وما اجل اشكال الرمال وقد كونت اهراماً
وقباباً وفيها امثلة الصراط وقد شحذتها الرياح فامت كعحد الصيف .

ما اجل - ولكن - كانت ذلولي من العارض الى التقصيم سهلة المراس ،
لطيفة المزاج ، قصيرة الخطى « خفيفة التوجع » فبفتح فرق سنامها من لم يألف
ركوب الجبال . ولكنها انقلبت علي قبل ان تصل الى ريده ، فخرس خلقها ،
وثقلت خطواتها . او انها كانت تحبذة بطريق الكريت ففضلت الرجوع الى
الرياض .

اما الذلول التي ابتاعها ابن سويلم في سوق الابل ببريدة ، وهي اكبر
سوق لبيع البعارين بالمراد في البلاد العربية ، وسمها بالنار على رقبتها بوسم
ابن سعود ^{رحمه الله} وقدمها لي قائلاً : احسن ما في السوق ، فقد كانت عادة
المزاج ، صعبة المراس ، طويلة الخطى ، سريرة السير . فيضطر الراكب ان
يعالجها دائماً بالرسن والحيزان ، فلا يذهل هتية منها حتى في نصف النهار ،
في تلك الساعة ، ساعة الهجرة ، حين يتسلل النعاس الى الجفون فتلقى
الارسان على الفوارب ويستسلم الراكب الى النوم . اما هذه العارضة فلا تؤمن
اذا قيل لها : حبلك على غاربك . لم يكن ذلك ليروعي وقد تمررت وتصلبت
لولا امران . فاهمني طول خطواتها في الارض المنبسطة اليابسة ، وما همني
مزاجها في الايام التي انفردت بالرحل فكنت راكباً وحدي .

ولكن الحمى والنفود - لا اظن ان الاثنين يجتمعان لكثير من الناس
حتى في البلاد العربية . ومتى جاءت الحمى في الدرجة الرابعة من الخطر ،
وكانت النفود المروضة ، وكانت الذلول همانية جوعاً ، فاذا ينفع الرسن
باليد او على الغارب ، وماذا ينفع الحيزان . ان اصعب السير على الركاب
والراكب هو السير في النفود ، ولا اثر البتة لطريق فيها « ولا مهرب من

امواج ومالها . اتهدد الذلول في الدعص الى رأسه وهي توبخ فتفرض حتى
الرسخ ، فتجبي . الخطوة الواحدة وفيها قد بُذل جهد عشر خطوات ۝ فتلق
حتى الرحال من شدة الحلال . اما في القول ، فتنتقم من الدعص الذلول ،
فقروح حاوية فاوية ، وهي تفرض في الرمل حتى الرصكاب ۝ فتجبي . الخطوة
مقدار خمس خطوات ، وفي كل منها للراكب خمس نكبات . زد على ذلك
ان الدليل المطيري كان يعبر المنحدر في خط مستقيم دائما ، فلا يبهه الرفيق
المحموم ، فتنبه الرصكاب غائرة متدهورة اذا لم يكبح جماحها . وكيف
يقوى على كبح جماح ذلوله من كبحته جماحه الحمى ؟

لم تنهني قوة الارادة في تلك الايام ، ولا ما كنت اتدبر به من الكينا
صباح مساء . فقد رميت بنفسي على الرمل مرتين في العروش وانما انتفض من
البرد ، فانتظر بجبي . الحمى ، التي كانت تتبع البرد ، لتستأنف السير . نعم ،
لستأنف السير . فعمل نفق لتعامل الحمى ورفيقتا الاكبر شبح الموت ؟

ليس في ما اكتب الان شي . من تأتير تلك الايام . انما الحقيقة كل الحقيقة
في ما اقول . ولا اقول غير كلمة فيها البرهان القاطع : الماء معنا لا يسكنني
الا اياماً معدودة . فاذا اخفنا كل مرة شرفتنا الحمى لتجاملها حتى نزل ، يتقد
ماؤنا قبل ان نجتاز نصف الطريق . ولا ماء الا في الحفر او كعب يا واهل
وتوكل على الله . لا اضلتي توكلت في تلك الحقبة الفريدة على غير الله . بل
كنت احس ، استغفرك ربي ۝ انك ، وان كانت الحمى رديفي ، راصب
امامي قابض على زمام الذلول وزمامي .

يا ذلولي حبيبه ذلول ابن عيد قريتي قطرت والمشي " يعيد

وما كان بعده في ايام النفود ، في ذاك البحر الرملي الذي تماثلت امواجه

جبالاً ومجبلت جباله اموالاً ، فطاق في اجتيازه حتى صدر الدليل المطيري ،
ما كانت الخلق ولحن حوش عبايه ان له نهاية فتأهى عندما الشدة والعذاب ،
ولكن الدليل عندما انطلقنا على الافق الاعلى ، فاه بكلمة كانت منه الكلمة
الوحيدة التي ابرجني : هناك ظهر العروش ومنه تعان الدعوات .

فأمر العروش : آخر ضلع من ضاوع الاسياح ، آخر دهر من النفود ،
آخر درجة من سلم التعذيب - شكرنا الله ثم شكرنا الله - وعندما اطللنا
على الدعوات ، فانه الربيع كلهم الصعداء وامر هذلول بالتكبير : كنوا بداح .
فراح بداح يدورهم ويصيح : الله اكبر ! الله اكبر ! وكانت ساعة القروب
فأننا فوق السهل الذي يمتد بين العروش والدعوات . وكنا قد عثرنا في ذاك
النهاري على اثر من طريق قسبة هي : سكة زبادة ، اي الطريق التي امرت
بفتحها وتعميدها للحجاج زبادة امرأة عرون الرشيدة ، فبيننا بها وكانت فائحة
الجبر الى يومين .

الكرم له مشارك باسني زبادة وبعثت من المذربين - اذا كان لم يفعل
حتى الآن - ورايت في انسان اليوم اخذ لك حطيرة تجدد في اقل الطريق
التي تشرفت باسمك . فها بركة من المارك العديدة التي بنيت في الصحراء في
سبيل الله والنفوس ، تقوي الانسان والحيوان .

لم افهم من مبارك قواه : هذه البرنشة^(١) حتى وصلنا اليها ، فالتفتها
بركة الماء المطور بل صهرحيا متهدماً مردوماً . واذا صبح فيه التصغير اليوم فلا
يصبح ذاك في ما تبث عنالك من الاعشاب وعن شجر الطلح والحلم .

ان ابرج ما يشاهد الانسان في الصحراء بقعة ارض خضراء . واحسن
الحيوان : ذا السنام كان او ذا القرون ، يشارك الانسان في ذا الابتهاج .

(١) تصغير بركة والكاف تلفظ نس .

وقد تبارينا كلنا حول البعثة التي يدوم اضطرابها طيلة السنة . ان احسانك يا سيدي زبيده خالد البركت ولو في زاوية من الفجر ، خالد هو ما دامت الارض خالدة . انما الركايب لغوى في ظلال احسانك . وكنت انا الطوان الداحلي الفكر اول من قد باح بك شكراً واعجباً . كيف لا وقد لقيت في ذلك المرعى كما بقيت ذولي ما أعتة العين والمعدة .

جاني مبارك وهو نياقي الحلة بيضع ويرقات خضراء يقول : هذا الخاضع . هي عشبة صفيرة فيها حوضه يأكلها اهل نجد ويحملونها في الاقط . وكنت قد سمعت الاحم لانه في الثمرة الاشهر التي حقت كان يصبحني ويشيني كل يوم دون سواء ، فجعلني احن الى ورقة خضراء حين البهرج ام العرفج والارمل . ثم جاني مبارك ، برك الله فيه ، بعشبة اخرى سال ابوها الامام ، وهاج في القلب ذكر الامان والاحباب . فاما احياها راحة تروح في لبنان حول البوت ، ونسج من نزوات الدعاج بالشوك . الرشاد اجمالي مبارك برشاد . وهو في ذمة نجد نفسه في لبنان لا يتغير اسماً ولا ملاماً .

تعدت مباركاً الى حواطين المرعى الطيبة ، ورحلت ارمي فيها كعبير ، بل رحت ادب على الاربع مثل لبوكد نصر ، ثم خشيت ، واشكر الله ثم التفت زبيده ، فالتفت وابتسمت حواشي كلها ، فصرحت اخن ان الرشاد والخصيمس هذا زحفي ما عجزت دونه الكلبة . على الذي ، في رجوعي الى الاصم وبو سامة ، اصعدت ليومين ما افسده ارقوف على الاثنتين .

وهذا الدهناء تبسط لنا الباشي البيضاء وترحب بنا فربني لتقاربه ان يعرف بومر الذي عنها قبل ان فصل اليها . تحنك الدهناء عن النفود اربعة اشياء : - بطولها وهي تعد من الشال الغربي فتساب حكاكية او تخرج كالنهر شرقاً نحووب حتى تصل الى الربع الحلي . - بلون رملها وهو ابيض

الا في اطرافها ٣ - بقلة كثيها وتجوفاتها فلا يتجاوز اعلى كتيب فيها المنه
قدماً ٤ - بتنوع اعشائها وقزارة المرمى فيها . زد على ذلك انها قليلة
العرض جداً بالنسبة الى طولها ، والعرب لا يقطعونها الا في الاماكن التي هي
اقل عرضاً من سواها . لذلك هي اهل سيرا واينس مشهداً من الغود . .

يعرفون بالدهنا خفافاً عياهم ويخرجون من دارين بحر الحقائب

مورنا بها خفاف القلوب في الاقل فقطعناها من الغرب شرقاً الى الكويت
بعد ان قطعناها من الشرق غرباً الى الرياض . وحسبان يومئذ يداح رفيقنا
ودليلنا فصاح ثانية يمثل البدو عندما يصلون اليها طالبين الحيا^(١) : وايك حنا
براس الدهنا ! واطلق مبارك صوته في بيته المحبوب :

يا موافين الحلي يا اهل الأشدة معكم وذين (عديل) الروح الله يردو

سرنا في سكة زبيدة سحر الهون اكروماً الزكائب . وكيف لا نكرمها
والارطى في هذا المكان من الدهناء اخضر جديد ، اشتريت اليه الاعناق ،
ووقفت عند كل شجرة منه تنفكه به بعد ان كانت تتخضم من الغريخ والماء
والثمام^(٢) . ثلاث ساعات حكل ساعة منها عيد لذوي الاربع وذوي الثاخين
مماً . ثم اشحنا فحلى الربيع المقرب ومدوا السباط للمشاء . ثم جلسنا في حلقة
حول النار وطالبتا مسفراً بما وعدنا به مراراً .

(١) الحيا اي الرهي . وفي القاموس المصوب والطر . والعرب تسمي النباتات حيا
لانه يشيب من الطر

(٢) الارطى شجر ثمره كالباب ويسمى ايضاً في نجد عجيلاً لان ورقه كورق الصوبر
مقنول غير منسط . وسم يستخرجون ماء ومن ثمره صابون اصفر . الدهناء شجرة
غصنها اخضر وورقها دقيق تقي في الشتاء فيمنع بها اوبل حتى تذكرك اربيع . ^(التم)
مت ضيف ورقه شجره وورق النخل . ومن نبات الدهناء ^(التم) وفيه وهو لائل كباقية
المحل وقيل هو اللحاء الشوك فيه . ^(التم) الذي يشبه في ساقه الارزاق .

ومن هو مسفر وما وعده ؟ لا اختلف ايها القارى . تأبى التعرف الى الرجل وقد تشاركتني في حبه . مستقر هو مدير الحملة ^(١) ، ورئيس الخدم والعين الكاتبة للزاد ، واليد الذابجة العامة في سبيل البقاء . مسفر هو التفاح الطباخ ، راعي الفأس والقواخ ، حامل الخناجر والسيماخ . وهو في شكله نكتة مضحكة جداً قد لا تليق في مجالس المتعلمين ، وهو في وجهه اقرب الى الريح منه الى يوسف الحمن . وجه مسفر هو ما يصقون في نجد بالعين فيقولون : وجهه عفن وهو ينزل عفاً حتى لو غسله بالخطامض القيتيك تمينا . اورد صباح مساء . هول يصلح الماء والكيمياء انفاً تسطح على خديه ، ولما تطاول الى اذنيه ، وجيئاً داس بشمره حاجبيه ، وعيناً جاءت من القرد اليه ؟

اما في لونه فهو آية في البلاغة والابداع لا يعرف إنجليزي هو ام مجازي ، انثاني ام عراقى . بل لم يكن مرمياً في غير العظورة والمقال . اصف الى ذلك هذا : مرقماً تحض وجهه فيه ، وسرراً كان ابيض ، لا نظائره عمل في عهد او في عهد ابيه ، فوقه مغطى كذلك من الخاتم مفصل مثل الفراك التركي ، وفوق المغطى زمار تلعب فيه الخناجر والسيماخ . الا انه عندما يركب على بعيره الاسود ، فوق احماله ، يبدو كسكين من الاكياس .

هاك الرجل في ظاهره . اما في باطنه فسمعان رب الصكائنت : النافع من روحه حتى في عجائب كلامه . ان في ذلك الوجه العفن مبدعاً ولا مرمي الحسان في جذبه ، مبدعاً يوقفك ويفريك ، ويضربك ويهلك ، مبدعاً ينسبك الغم منه والاذف والميلين ، بل ينسبك الريح ، وضلع الاسباح . اي رافه . كان في رجائنا ، وقبلنا نجد في الرجال ، من هو اخف روحاً .

(١) قسم القامعة الى قسمين الحملة وهي الجمال التي تحمل القامع والراد ، والركاب التي تحمل المسافرين . ومالياً - يمر الحملة قدام الركاب فتسبب ضجعة او أكثر لانه لا يوزن لاصحابه . ودرهم خوف التكدير في ما يحملون ، فتلحق بها ويختم كانوا في الصحراء وفي المراح .

وادعت خلقاً ، والطيف ذوقاً ، وارق شعوراً ، والسرع الى الخدمة يداً من
هذا الدم الكريم . قل : تبارك رب العالمين الرحمن الرحيم ، فهو اذا مسح
الانسان قرداً يهبه من الجمال الروحي والخلقى ما يتندر في يوسف الحسن
وزين العابدين .

ان المصطفى الذي كان بلبسه مسفر جيبياً عي ذلك في حوت . انني
خجلاً ويرة وزراً ؟ اتبني ملعاً او بهراً او شيئاً من مسجوق الماسون
الطامض ؟ اتبني رقعة نسج بها فوجنا او نضد بها جرحاً ؟ اتبني قلماً وورقاً
للكتابة ؟ اتبني مسواكاً من الادرار او شيئاً من الكحل ؟ سداً وطلاءاً .
لم يدهشي عند ما رأيت اول مرة يستعمل لان اكثر رجال العرب يستعملون
وقاية لعيون . ولكنه ادهشي ذات يوم اذ كنا حول النار نشرب القهوة ،
فتناول مسفر جيبياً وضع عليه بضع حمرات ، ثم مد يده الى كيس في
اليد اليمنى ، فخرج عليه حبة حمراء ففتحتها واخذ منها بخراب منبلة ، ورشه على
الانوار الجوزية ، فرد الاربعة الطيب . هو وحده كان يحمل هذه القليلة من
مفاتيح الحياة ونواحيها ، ورياسة في يده العظمى .

اني اني دهشت الدهشة الكبرى . لم تقبل ان ضحكك ، وادما اشار
يا سارة الى راسه . قوله يقول : مسفر زارني شيئاً . ثم اخبرني من به مرآة
صغيرة قدما في لاري وجهي وراسي - احكامهم وضع - دعائي قبل الرحيل
هوذا خلق الله خلقاً له صورة واجههم انفساً واورقاً . وذا اظن انه كان
يحوص على شيء في كل ١٠ يحمله حرصه على المراقبة ، فاصطبر ينسلي بها وهو
راكب فيتأمل طويلاً ذاك الوجه الذي وصفه .

ما الامر في ذلك ؟ هل هو مشغوف ام ماهر ؟ هل يرى في وجهه ما
يراه الناس يا ترى ام ما يراه الله وقد تساوت في نظره الخلق حمة ؟ او
هل هو الربيع ، ذاك المخلوق الاولي فيه ، وقد اصحب به شيء الذي يهكس

وجهه فكان مسجوراً ! ما اقول سادتنا الدماء . هذا الجسد والروح ؟ أفلا يأخذهم العجب من الرجل الدمع ، الدمع الى حد يضعك ويصكي معاً ، الذي يحمل السكاكين والخناجر ولا يضع واحدة منها في قلبه عندما يرى : وجهه في المرأة ؟ ولكنه على ما اظن حب الذات يقينا وبقية شر النفس اذا ما رأت العين مشكرات النكوى الظاهرة . اجل ، لولا حب الذات ، ذاك العرس المبارك الذي عرسه الله في كل حيوان صامت وناطق ، لكان الانتحار سبب التشريح الحتمي وهذه اكثر شجراً من لعب القمار .

استغفرك ايها القاري . فقد اسهت . ولكن غربي القوا روايات ابطالها أشخاص مثل سفر اختلقوها . ولا اظن ان « كاليبان »^(١) و « غونيلان »^(٢) تسابقان الى الصدر اذا جمعه . وسفراً الخمار . بيد ان « كاليبان » راحه خيالان من خيالات شكبير وهوغو . اما سفر فعقبة هر من حقائق هذه الرحلة ، كان يطلبها دجاجة هكل يوم ، ويطيئنا بعد الد بعد الطعام ، ويحدثنا عن امراته وعياله في سدوس^(٣) « هالك الرجل » وهاكه معاً يومه . وما الوعد ؟

عندما كنا في شقرا رحنا ذات ليلة نتفقد سفراً و « خوياء » في منزلهم ، وعندما نحن داخلون الى البيت صوتاً شجراً ينشد نشيد الاخوان ، فاعللتنا من شباك فاذا سفر داخل والسيف بيده يصحب « الهوسة » برقصة رائعة . سألناه بعدئذ مرأوا ان يرقص ويغني قلمي واعتذر . وعندما خرجنا من بريدة كنا نعيد سؤالاتنا كل يوم فيتذرع بالشغل او بالتقاليد التي تحرم النساء في نجد . على انه وعدنا برقصة الاخوان عندما نصل الى الدمام . — وما قد اجترنا

(١) « كاليبان » احد الشخصيات رواية « العاصفة » تأليف وليم شكبير .

(٢) « غونيلان » بطل رواية « الرجل الضال » تأليف هنري مورغو .

(٣) سدوس مدينة قديمة من مدن العارض بنجد .

الدهناء بآمان الله والحمد لله ، وكان الجبور رفيقنا طيلة النهار ، فهنا استغويته
يا مسفر بصوتك وسيفك ، فيظل معنا ليحل محل القمر في ذا السر 7

كنا حائرة حول النار امام الشراع ، وكانت الركايب باركة في حلقة
اخرى حولنا نجتر قاذمة مظنة ، وكانت السماء مافرة صافية الجين فتالآت
كواكبها سروراً لتغيب سيدها القمر ، فزاد الكلام كذلك في نور نهارنا .
- الخطب يا ابراهيم . وكان ابراهيم مامون مسفر الاول في الفتح والطبع
جالساً عند ركة من حطب العرفج والارطى ، فبهد يده وراءه ثم يسطرها
فوق النار ، فتعرقه طرباً وترداد تأججاً . وكان حد البعد وهو يقرب في
حاضته مقلاة البني ، وهذلول الذي اتخذ صحناً من النحاس دقاً ، ويداح وقد
صفق كفاً على حكف ، ينادون مسقراً ويحرضونه . - ثم يا مسفر اسفر
يا مسفر . وكان كوكب السر قد دخل الحية فخرج منها والسيف يلعب
ببينه والخنجر يسره . فوثب وثبة ثم اخرى الى وسط الحائقة ، وحلق
ينشد نشيد اهل العوجا اي اهل الرياض ، وهو يتنقل نقلة خفيفة بطيئة ،
ويتلوى من وسطه الى اليمين وإلى اليسار كالنيران .

ناراً تَنَامُهُ ثُمَّ تُرْمِ - نَاراً تَنَامُهُ ثُمَّ تُرْمِ

حنا اهل العوجا مروية السنين (زوي سنان الإماح)

عادتنا سهج العدو بنحورنا (ان نهجم على العدو ليلاً)

كان يقف عند كل بيت بينا حمد وهذلول يردان عليه بالنحاس ، وهو
يهر السيف والخنجر حزة بطيئة خفيفة ، فيها ريش المول صكانه يتأهب
للقوب . ثم عند البيت الاخير يشب فوق النار وهو يصيح : ليلى ليلى ليلى ليلى
فجريت الربيع : حي على احي على اوحده وهذلول يدقان على النحاس :

ناراً تَنَامُهُ ثُمَّ تُرْمِ - نَاراً تَنَامُهُ ثُمَّ تُرْمِ

وما هذا كله الا التمهيد لموسم الاخوان : هبت هبوب الجنة اين انت يا باغيها ، غير مسفر نقلة رجله تحفة واسراعاً ، ورمى السيف والخنجر في الهواء ، فتناول باليسرى الاول والثاني باليمين . - حطب يا ابراهيم ، كفت يا اخوان .

هبت هبوب الجنة

تاراً تارة تاراً ثم

اين انت يا باغيها

تاراً تارة تاراً ثم

لعب الموس بالرجال ، ورتب الهول من النصال . - هبت هبوب الجنة ! فتغير الوزن من السريع الخفيف الى الاخف والاسرع حتى امسى كرقص الدراويش . فاغمد مسفر اذذاك الخنجر وتوقع الطلوة والمقال من رأسه ، فومى بهما في النار ، فصاح الجميع : اين انت يا باغيها !

ثم اعتزوا مرددين : اهل التوحيد ، اهل التوحيد ! حتى خمدت النار . وقد ذهل ابراهيم في حوسه من وظيفته ، فكان الحنام الدخان والظلام .

حطب يا ابراهيم . وكان الفصل الثاني فصل الحكايات ، فقص هذلول خبر وقعة كانت له مع الجن في وادي الدواسر « فقتل منهم اثنين وجرح كثيرين . وقص بداح قصة غرام هر بطلها ، وهو الناسق الاكبر بشهادة نفسه ، فاخبرنا كيف اختأته الحبيبة في الصندوق متدما عاد زوجها الى البيت وكان قد خامره منها الرب سبها ، فسبته ، فطلقها ، فشكوت الله ، وفادت الخادمة حالاً ليحل صندوقها وهي تبغي الثروة . - فحمل وانا فيه ، والله بالله ، وهي ورانا تضحك » - وبعد ذلك يا بداح ؟ - لا تسل يا هذلول .

وحدثنا حمود قال : كنت حاملاً كتاباً من الشيوخ الى امير غنيفة فتوخت في شعيب بوادي حنيفة لا تمشي . كنت وحدي وكانت الليلة مظلمة . عقلت الهذلول ، وجمعت الحطب ، وشيبت النار ، فسمنت في الخال صوت امرأة تولول وتصح : احبب علينا حبيب الله عليك . فتألفت فمايت تحت

الشجرة وجهاً كالشمس ، وحياة الله ، وشعرها طويل واسود كالليل . ظهر الوجه في الدور لجهة بصر واختفى . فهدت الى النار اشبهها ، فهدت تصيح : لا تشب النار الله يحرقك من النار . احجب علينا اسوداً . هي عروس الجن ، وقد كانت لطيفة كريمة ، فهدت من حمود وقبلته وهي ترجوه ان يسير في سبيله ويتركها وشأنها في ظلمات الليل . فاستجاب حمود طلبتها واسرى تلك الليلة حكلها وهو يشكو من حرق في وجهه . - والله بالله يا استاذ حيتي (قبلتي) هنا وكان فيها كالجرة . وحياة الله اقرب الصدق .

ثم حدثنا مسفر فقص خبر غزوة من الغزوات التي كان فيها وخشيها قائلاً : والله ذبحت اربعة عشر ومنهم ابن طوالة حي موجود . فذبحك الربيع وكانت ضمة بداح طويلة مستنكرة وقرت في نفس مسفر ، فصاح وقد استل سكيناً من سكاكينه : اسكتك او اذبحك بالله . فقال بداح وهو لا يزال يضحك : مثلاً ذبحت ابن طوالة . فونب مسفر فوق النار يبقى دم العجاني ، فصدده هذلول وممكن رومه ، ثم امر بداحاً ان يقدم له بيده منجان القهوة .

جاء دور راعي المعامل القهوجي سالم ، سالم الزين السكوت ، وليد حابل وريب الامصار ، سالم الطواف الذي طاف في الحرب العظمى البلاد العربية كلها من أقصى الاقطار الى اقصاها ، من اليمن الى شرق الاردن ومن البصرة الى الشام . - هات حكايتك يا سالم .

والله يا استاذ ما عندي حكايات . عندي كبيالة على الملك حين حجة وخمسين ليرة انكليزية ايمك اياها بعشر رويات .

- وكيف تقول ما عندك حكايات ؟ هات حكاية الكبيالة . فاخبرنا سالم بانته كان في جيش الامير عبد الله جمالاً يحمل الماء عندما زحف بعد الهدنة من المدينة على تربة . وعندما وصلوا اليها ودخلها الامير صباح ذلك اليوم

منتصراً سأل سالم سموه ان يأمر بالاجازة والحساب لانه ينبغي الرجوع الى بيته وعياله . فاعطاه الامير حوالة على جلالة الملك ابيه بحسابه اي بيته وخمسين ليرة فأخذ الحوالة سالم وراح ينهر الطائف ليزور حاجباً له فيها . فاعترضه بداح يصلح الكلمة فأثنتها . هي صريحة يا استاذ . انا اعرفها . لم يأبه له سالم فاستمر في قصته . اقام بضعة ايام في الطائف ثم تزل الى مكة . وكان ان الاخوان انتصروا على الامير ليلة يوم النصر ، وافنوا جيشه كما هو معلوم ، وحل التعجب خبر النكبة الى جلالة الملك . فلما وصل سالم يحمل الحوالة قال له صاحب الجلالة : الله يموض عليك وعلينا يا ابني ، خسرنا كله شيء .

انصرف الليل ونحن لا تزال في فصل الحكايات ، والليل حولنا لا تزال تجتر قائمة عطشنة ، وسالم يعمل القهوة ثم الشاي ، الابريق قلو الابريق ، فأرقنا وما علمنا ، ولا كنا من القانتين . ثم نهضنا باكراً قبل الفجر الكاخب وصككت اول من سمع هذا لولا ينادي على عبادته : قوموا . قوموا صاوا . بداح ، سالم ، حمود ، مبارك ، جعيث ، قوموا ، قوموا صاوا . اذن يا مسفر . - الله اكبر . الله اكبر . . . حيوا على الصلاة . . . الصلاة خير من النوم .

ثم تهبونا وسرفا في سحر برده شديد يصل الى العظم ، فأنحننا بعد ساعة لنشب النار ونندفي . ارجننا ، وصككت انا في جزمي اسرع منهم ، وهم في النعال شبه حفاة الى ذلك . ليس في البلاد العربية من هم اصبر على الشدة واثبت في المشقات من اهل نجد .

استأنفنا السير وهذا قول اميرنا وامامنا بعلنا دين التوحيد . - يجب على كل مسلم ان يكون عالماً بثلاثة اصول . أولاً : ان الله خلقنا ورزقنا وهذا قال برسول ارسله اليانا . فن اطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار واستدل على ذلك بقوله تعالى - وذكر الآية . ثانياً : ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى

- ذكر الآية . ثانياً : ان من اطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله ورسوله . وذكر الآية دليلاً على ذلك . فاذا قيل لك ما الاصول الثلاثة ؟ قتل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم . واذا قيل لك من ربك ؟ قتل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين وهو معبودي ليس لي معبود سواه . واذا قيل لك بم عرفتك ربك ؟ قتل : بآياته وعطاياته . ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . ثم سأل بداحاً : ما هي اركان الاسلام ؟ فاجاب بداح البجاح : اني اعرفها يا هذلول . اذكرها انت فاردها . فقال هذلول الطيب القلب الورع التقى : اركان الاسلام خمسة : شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . فتنشأ بداح يعد فقال : واحد . واقامة الصلاة . - اثنين . وايتاء الزكاة . - ثلاثة . وصوم رمضان . - اربعة . وحج بيت الله الحرام . - تمام لا تعرفها والله .

ثم قال بداح : وانا اسألك اعرف آية العيون ؟ فاجابه الامير : وما هي ؟ فنطق بداح بالآية التي كنت قد سمعتها مراراً من فيه ولا اظنه يعرف سواها . - كل عين باكية يوم الحشر الا ثلاثاً . عيناً صدت من محارم الله ، وعيناً دمعت من خشية الله ، وعيناً بانث تحرس في سبيل الله .

- هللني يا عبياني . جزاك الله خيراً . وما هي شروط الصلاة ؟

- اعرفها . او ما الاسلام .

- الاسلام . وقاها ؟

كلها يا لأمام^(١) فاجاب هذلول : الاسلام والعقل والتمييز - وكان بداح يرددها وراءه - ورفع الحدث ، وازالة النجاسة ، وستر النورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية . فشكروه بداح ثم قال : او ما هي شروط الرضوخ ؟

(١) راجع الترح في صفحة ٨٢ من هذا الجزء .

— غسل الوجه ومنه المضخنة والاششاق ، وغسل اليدين الى المرفقين ،
 وغسل الرجلين الى الكعبين . . . الخ ، ثم قال : وما هي تواقض الوضوء ؟
 فاجاب العجاني : انا اعرفها . عليها التربع بالامام . فنشأ هذلول يمددها .
 هي ثمانية : الخارج من السيلين ، والخارج الفاحش النجس من الجسد ، وزوال
 العقل ، ومس المرأة بشهوة ، ومس الفرج باليد ، واكل لحم الخنزير ، وتصيل
 الميت ، والردة عن الاسلام اعادنا الله منها . — والله يا هذلول الشرط الرابع
 ينقض وضوئي دائماً . قل انما هي شروط الايمان ؟

— اركان الايمان يا بداح ستة . ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
 واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . والايمان يا بداح هو بضع وسبعون
 شعبة ، اعلاها قول لا اله الا الله وادناها امالة الاذى عن الطريق . والحياة
 شعبة من الايمان .

— هذه الشعبة من الايمان لا يعرفها بداح . الحياة عدو له .

الصوت الذي يعلق بهذه الكلمة صوت مسفر .

فقال بداح : صدقت يا مسفر المدوسي . ولكن عندي اول الايمان
 واخره ، اعلاه وادناه . ولولا حرمة الاستاذ لرهنت لك اني مؤمن فازيلك
 باثنتان الميجوز ، يا شر الاذى ، عن الطريق .

— برر دور والله يا الله ! واستال مسفر خنجره وساق بيمره على بداح .
 فوكرر هذلول ذلوله : كمر فاستوى بين الاثنين .

— وهل هذا من الايمان ؟ الله يغربلك يا مسفر . سلط الله عليك يا بداح .

— ومتى كان ابن الميجان يشتم ابن الدواسر ؟

— اؤدب العجاني . دوزك والحلة . امش . فراح مسفر يهيم ويهيم
 الميجان . فخطبني بداح قائلاً : مسفر لا يحب النسكة . وحنانجب نفيظه
 لنسليك .

الفصل السابع عشر

الحضر

الباطن - ديرة بني هلال - تنجر وآبار - حروب القبان - من يعمي انا -
 - سانه برعمر عند وصوله الى الحضر وسانه يمشي - الرقاب اذنه تهاب الى
 الحضر - جاء صفر بقدر من انا - يقول : شفي تسيه - القرب في الا ورق
 الطبيعة - هربنا من الحضر لتفت لنا الرقاب - وعمره عشر عروق الحياه -
 والورقا - والخطا لا يكدها - قصه ام - ابر والاعراب - البدر يستطاعون
 « عاوننا » - « وايش لون جد الطيب » - « الاربعة » - رقة انا طسة له
 العبي - الحرف على النجر - اجهرة - ربه الشمالي - عيوب الحدة - المصصة -
 الصلا والصفاء في الحبة - الاغلاب في صوم القدر - الراس بالحدوت - اسهم
 الجديسة - شي - من طهر عداول - الوقاء -

بعد ان خرجنا من الدهناء دخلنا في الباطن ، وهو القسم الشرقي الشمالي
 من وادي الوهم ، وفيه كما يقول اهل نجد ديرة بني هلال . ما هنا كانت
 قديماً منازلهم ، وما هنا اماكن حروبهم . ولكنه لم يبق من المنازل حتى .
 شبهه الشاعر بباقي الوشم في ظاهر اليد . لم يبق ثل من الديرة فوق الارض
 اما تحتها فالأبار الصيقة ، الملوقة بالحجارة ، والمحفورة في الصخور ، تدل على
 همة في اولئك الاقوام عاتية . ولا يزال في هذه القبان ما لم يفر عليه من
 الاقدار غير غضب الامطار . فقد تحولت من الوادي المياه ، وجفت منذ
 قرون قبان بني هلال ، فكانت الطبيعة عوناً لهم اذ اجوزت على من تفرق
 منهم وهم يتفانون في الحروب . حتى النبات هجر المكان فقلا تجد في الارض
 التي رويت بدمائهم غير تلك الدابة التي تدب وتساب كالطية وتقر غراً
 شيئاً باليسون . هو الحنظل يمثل مر القضا في « ديرة » القنا .

في الباطن بعض الرمت ايضاً وهو - في القاموس - مرعى للابل من
 الحنض . غير ان الابل لا تدنو منه الا اذا كانت في ارض فيها ماء لانه يولد

الظلمة ، وهي لا توعاه الا قليلا . قال يداح : الرمت هابل مثل الحكر ثلاثان
- يطلب الماء ، واصكته للتار زين . ومع ذلك فان ناقة المتنبئ فضلت دخان
النهر على دخانه .

تركت دخان الرمت في اوطائها طلباً قوم يوقدون المنبرا

ترى الباطن يضيق في اماكن فلا يتجاوز حمة مشر قراعاً ، والى جانبيه
جدار عالٍ من الطبقين الرملية والكلسية . هوذا عقيق النهر الذي كان
يجري في وادي الرمة . وقيل انه لا يزال يجري وفيه مرة واحدة شكل
اربعين او خمسين سنة .

عندما نصل الى مكان يدعى ام المشيم بأخذ الوادي بالاتساع فنقول
ندريجا جوانبه ، فلا يبقى حولنا وامامنا غير رحب القفر وما في فراغه
وامتداده من دواعي القم ، بل من الهول . ان النفس تنقيض من عقمه
المسيم ، فتقلب العين عنه خاسئة . هو القفر المسبب بالذات ، لا حده ولا
صل فيه . وليس في هذه الشكلات ذل من المبالغة .

ان فيه مع ذلك النعم المنتظر . هو القفر الخشن . في تضاعفه ، وراء
افاقه ، الحار - الحار ، الماء ، النعم او صكنا بعد انقضاء بواحة من الماء .
ورياحين ، بتخليل وفلائل طيبة . فواصفاه ! ان الحفر حفرة دنت فيها كل
المانا واحلامنا . هو القفر المسبب بقبأ ، تربة زلالية ولكتها سوداء ، لا
ظل فيها ولا ورقة عشب خضراء او يابسة . والله ليحزن الفلاح خصوصاً اذا
علم بان هذه الارض حول الابار على مسير ساعة في الجهات الاربع هي سوداء
من الساد وبها لكثرة ورود المواشي على مانها .

الماء والهاد والقرية الطيبة ، ولا وريقة خضراء فيها . لم ذلك ؟ ان
الحفر ايها القاري . العزيز ميدان اقتتلقت وقفاننت فيه القبائل . فكان يوماً
في يد الضمير ، ويوماً في يد شمر ، وثارة في حوزة ابن الصباح ، وطوراً تحت

مرة ابن الرشيد . كم وقمة ها هنا ، حول هذا الماء ، روت التربة الطيبة بدم
 ربيعة ومضر ، ووثها بدم ابنائك يا عدنان ، فلا تبت اليوم حتى الحنظل ،
 ولا تغفل حتى الجنادب .

في الحفرة ثنية ابار كلها متهمة الجوانب ، ولا عدة لرفع الماء الا فوق
 اثنين منها . فمن يرد الماء . ليس معه جبل ولا اثا . يعود منه ظمان ، الا اذا
 وجد هناك من يعمه جلاً وقربة . قد تكون الحروب في الماضي اوجبت
 هذا الاهمال بل هذا الظلم . الماء لي اليوم وقد يكون غداً لعدوي ، فلا
 اصاحه واجهزه بما قد يكون فيه هلاكه وهلاك عشقوتي . اذا هي عاطفة
 البدو وقاعدتهم في الحياة . وهم لا يدركون من سر التعاون والتضامن في
 الغزو ثم الفناخ .

اما اليوم وسيادة سلطان نجد تمتد الى الحفر وما دونه شرقاً وشمالاً ،
 والامن والحلام سائدان في بلادهم كلها ، والبدو يسيرون الايوبية آخذون
 بالتحضير ، والارطاوية اكبر المخير^(١) واهمها هي على يمين جنوباً من هذا
 المكان ، ومطير فيها تستطيع حماية الماء والحفاظة عليه ، من الغار اذن ان
 يبقى الحفر كما كان في ايام التفتير ونسأ ، في حروب القبائل والامراء .

قال بداح : المستر فلي^(٢) عندما وصلنا الى الحفر راح يرقص من شدة

الفرح

ولا عجب اذا كان كل من سافر في هذه الطريق من القصص الى الكويت ،
 تقطع النفود والدهنا ، يبتهج ويرقص عندما يصل الى هذا الماء . لا عجب
 اذا كان الرحالة على الخصوص اجنبياً لا تافه له في البلاد ولا جمل . ومع اني

(١) راجع الشرح في صفحة ٩٩ من هذا الجزء .

(٢) هو سان جان فلي مؤلف كتاب « قلب البلاد العربية » ومستشار حكومة
 شرقي الاردن سابقاً .

سحق من المستر فلي بالرقص ، اذ قد نجوت من خطرين ، خطر الطريق وخطر
الحلى في الطريق ، فقد كاد قلبي يتفطر من شدة الحزن عندما انخنا في الحفر .
احتلناه يوماً واحداً فشاركنا في الاحتلال الرياح الارب . وقد قيل لي
ان اثنين منها في الاقل وحكاها غالباً تحمل هذا المكان على الدوام . ذلك
لان واقه مكشوفة ميسولة كفاف البحر . فتجيشه الثال مدرمة ، والجذب
غازة ، والشرقية صامدة ، والعربية مصدقة مرفولة ، فتلتقي كلها وتحتوب في
ذا المكان . دخلت خيستي وافقات الباب وجانبت استمع دوي المعركة ،
التمست غير مرة ان يبت يومى واقه لا يحاط على رأسي .

حامتي مسفر بعد الظهر يا أي اذ كنت انهي ان اسبح . فظننته يرح
وقلت ضاحكاً : نعم . ثم انجست الى احد في امره لانهم لي نجد يعمرون
من حمام بالسباحة . فجاء بعد ساعة بالمرجل الذي يطبخ فيه وقد ملأه ماء
حاراً . فقلت : بارك الله فيك يا مسفر . مسبح في القدر . فقال مستدر كماً
وهو جاد في كل امره : قد مسته بالمرجل ثم بالما الحار .

ثم بعد نصف ساعة عاد يحل في صحن من النحاس الجرد ومود الند وهو
يقول : تطيب . ثم مد يده الى عبه واخرج كمن الاكبر المرأة . وساعدني
في لمس الجزمة ، واحكام الثقال ، وخرج من الحيمة يقول للربع : باركوا
للاستاذ بالسباحة . فقال هذلول فرودت ككلياته : نعيم دائم ان شاء الله .
وقالت الرياح : سناكل سناك مطبوخاً بالتراب .

صدقت الرياح . فكيف يستطيع مسفر او غيره من الطهارة العظام ان
يود عن القدر التراب ما دامت الاربعة الالهية تثيره وتقربه على الدوام ؟
وكيف يستطيع بداح ومبارك وجميعي او غيرهم من الربان الاقوياء الاخفاء
ان يرفوا الماء ليلادوا القرب والاروية دون ان تعرضهم للرياح فتبدمهم مراراً
عن القلب وتخلط حتى ياتنا التراب ؟ ولكن ماء الحفر ، وان كان ذا لون ،

فلا رائحة ولا طعم له . حدثنا الله على ذلك . وسرحنا باكراً كما سرحنا تحت
قسطل من العجاج وبين امواج من دوي الاهوية نغم . اني اذكر الان ان
كنا وقتئذ في اخر شهر شباط ، في ما يسمى ببلدان المسترضات .

قلت سرحنا ولو كان في الامكان لسرحنا غادة من ذلك المكان بغني
السكينة والاطمئنان في الشبان . ولكن الركائب نفسها كانت تفتي
كأنيها مصعدة في النفود ، فتلوي الرقاب وتضك الركاب ، من شدة صدمات
القدر المحيق بنا . وعندما انحنا للذهاب كانت لا تزال سرياته تبيع حوله
وتتبع ، فآخذ كل منا شيئاً من الخبز والطعام بيده ، وجلس على الرمل فرقع
العبادة على راسه كالخيمة وشد اطرافها تحت رجليه .

كذلك جلست . وكان الرمل مع ذلك يسبق الاقعة الى في . وجاءت
الحلى في ذاك اليوم المصيب تجهز على لولا رحمة الله . على ان الرياح هدأت في
اليوم التالي وحكنا قد بعدنا من الحفر ، من القفر اليباب والموت ، فلاح في
الارض حولنا شيء من الحياة . هي ذي الزوينة ، زوينة العام الماضي وهم
شبيهة بالرمث الا ان المحوطة قليلة فيها فتقبل عليها الابل . وهذا زيت
اخضر ، من خلانح الحيا في هذا العام ، ولكنه ليس من الحيا بشيء . لان
الانعام لا تدنو منه . اما امرأة فقرت به العين وانتش من الغذاء . قيل لي
انه يدعى بـصقران وهو شبيه بالشجر ، زهره اصفر ، ورائحته قارصة .

وهالك في الجو جناحاً صغيراً يصف فيؤنس ، ويولج امام الهواء حكاية
ورقة خضراء سوداء ، جناحاً اسود فيه اخضرار يرفرف حولنا فيبشرنا
بالحياة ، ثم ينسل في وهم من خيوط الشمس . هو الخطاف الذي يسمى اهل
نجد الرقيمي . وجاءت معه الورقاء - أم سالم - تتيم زهر البجران وتجر
تبعاً ذيلها ، ذنبها الطويل ، على الرمل . قال الاعرابي وقد عرفه رفيقه الى
أم سالم : اي بانه وامن هو ابو سالم ؟ فاشار الرقيق الى الخطاف فقال :

الدبدبة ولا تزال تابعة لمن يملك الحفر . الا ان قديماً صنعوا منها دخل اليوم
في حدود العراق .

والدبدبة كثيرة المثالي ، مخضرة الجوانب ، رقيقة الاديم ، منسطة
الارجاء . تنحى غالباً اثر الطريق فيها فيسير من كان تاحراً الكويت وظله
امامه او وراءه ، واذا اسرى فخرج الجدي الدليل الذي لا يضل . وفي
الدبدبة من القاص الجباري والقطا والارانب والنزلان . على ان الماء قليل ،
وهو غير موجود في الطريقين من الحفر الى الكويت . اي الطريق الشرقية
في خط مستقيم الى خربة الدويش وطولها مئة ميل والطريق التي اتخذناها الى
الجمرة شمالاً وهي مئة واربعون ميلاً . فلاما بين الحفر والخربة ولا مابين
الجمرة والحفر .

ومع ذلك فقد ظفرتنا في الدبدبة باربعة ايام طيبة سرقا فيها سبع الخون
اكراماً للوكائب ولا تفننا . وقد كان الله ما كان لها من الحبر والذرة في تعب
المواء والمناظر والمرعى الغاليل تستلذ العرفج والاولى الخضراء . وكانت في
الدبدبة رافرة من نعماته . ونحن نستلذ الجباري والسكا ، وكان مبارك
وجيش يقتصان بينا ابرهم ومسفر وسود يبحسون في الارض ويجشوننا كاهم
في المساء . بتا يتدر في باريس ولندن من نعماته ، الا اذا ابدل في ميلها كثير
من المال . لا اظن ان في الشمال كاة تفوق خصياً ولدة كاة الدبدبة ، اربعة
ايام طيبة ، ثم الحى !

الله ما ابدك وما اشد احبتي فيك ، ابتها العجوز البصرة . اذا حكت
تظنين انك تحبين في اليوم الخامس كفسدي علينا هذه الاربعة الباركة
فتنسبنا حشرات الدبدبة كلها . جنت . لا اكوم الله مسواك ، وترا ضيفاً
علينا ، فأسكت ما تبقى عندي من الكينا وملح الاثارة وعدت بخفي حنين .
الفو ، يا حنين . هي اول مرة في حياتي الجأ الى خفيك لاطرد بها عجوزاً

شظاءة . . ولولم تكن عربية الاصل ومن البصرة ، هذه الحمى ، ولولم اسكن الان في البلاد العربية لما ازعجتك يا حنين ، ولا اتحدث ارضي نعلك القديم الجليل .

راحت المسكينة قمرج ، وشمشنا في اليوم السادس بعد نصف الليل منشطتين ، فامرينا في ضوء القمر لنصل الى الجهرة صباحاً . وما ابهجها ساعة اطلقنا فيها ، على البحر البحر بعد اربعة اشهر في قلب البلاد العربية ، ما احده رجماً وما اكرمه بدأ ، وما ابلفه وزأه القفار ابعدتني من العالم والبحر بعيدني اليه . القفار قربتني من الله ، والبحر يقربني من الاهل والحلان . وانه ليذلي ، وانا من الناس ، ما يذل لعامة الناس . فلا اكتم القاري . ان الشرية الالهية الدافئة تضايقت من لم يتحصر ولا حاول موة ان يتحصر على الجسد . اني اعجب بالقدس انطاكيوس وبسيمان العمودي . ولكي بعد اشهر اقتها في ظله تعالى ، واحسنت مرة ان الظل نجم قدامي على ظهر الذلول ليساعدني على الحمى ، بعد هذه الاشهر المزرقة ابقي الرجوع الى ما فيه شيء من الساب البسيط القاني ، ابقي الرجوع الى قواعه المدنية وتذلات الحياة البشرية

الجهرة بلدة عند جبل الزور على ساعد من الخاضع يند عرباً من اخوت وراء مدينة الكويت ، والمسافة بينها وبين العاصمة لا تتجاوز خمسة عشر ميلاً . وهي مشهورة بكثرة ابارها ، ويقصر فيها الشيخ الكويت ، وبها الوقعة بين اهلها والاخوان التي سيجي ذكرها .

اتحنا خارج السور على كتيب من الرمل وارسلنا بداخا سكتاب الى صو الشيخ احمد الجابر آل صباح نعلمه بوصولنا ونستأذنه بالدخول الى المدينة . كنت قد كتبت اليه من الرياض وجاءني منه الجواب مرحباً بي . ولكن هذاولاً ، وهو ولي الامر ، حرمص على الرمحيات فلا يدخل مدينة قبل ان يسبق منه علم بذلك الى اميرها .

ما كدنا ننصب الخيام حتى جاء بعض افضل الجهرة وفي مقدمتهم امير

لقصر يزوروننا ويدعوننا للقهوة في بيوتهم . فذكرونا بأهل القصر في
ترحيبهم بالترتيب . قضينا بضع ساعات من يوم رحلتنا الاخير لشرب القهوة
والشاي ونسمع ما يتسرب من العاصفة الى هذه القرية من اخبار العالم . على
ان اهلهما يهشون لما في البادية ، على ما ظهر لي ، ولأخبار نجد والاخوان اكثرا
من سواها . اخبرني بان الجهرة محلة تارياح مثل الحفرة ، وان الجنوب التي
مها الشمال مساطة عليهما . على انهم لا يخافونها بقدر ما يخافون « عيوب
الجنة » التي مها الجنوب .

وانا اكوه الجنوب سواها اكانت جنوبية ام شمالية ، فشكرت انه ان
مصرحها في الجهرة يوم تولنا فيها سكان خاليا هادئا . شكرت انه . ويدا
كنت عائدا من البلدة رددت آية محمد فسمي هذلول فقال : والحمد لله في كل
حال واسكن هذا المهب .

لم ار له اثرأ حيث كنا ، غير انه سكان يجتمع جيوشه فوق جبل الزور
ودونه في الافق الغربي . وكانت ظلاله كالتيوم السوداء الماطرة وحركتها
ظاهراً بظلمة .

اسرعنا الى المناخ فاقينا الربيع حول ناز سالم يشربون القهوة ويتعاضدون
وهم لاهون عما هو حادث هناك . فصاح بهم هذلول واسرهم بان يرفموا الشماع
ويطووه ، ويوطدوا ارتاد الحجة خيوتي . فما كادوا يتسبون العمل حتى وصات
الينا سريات هرب الشمال .

امر الامير الحدم بان يرذموا الفضل ويتأهبوا للرحيل . ولكن سريات
من الغرب والجنوب احاطت بهم فاوقفهم ، وشكتهم ، وحكادت تذهب
مقاصدهم . لجأوا الى الجهة الشرقية من الحجة فهوت وكادت تقع عليهم .

- انقبضوا^(١) الجبال - حود وحمد وجميعن انقبضوا الجبال ولا تبحروا
الحية - مكانكم .

ففسك الثلاثة مجابها والرياح من النواحي الثلاث تزدري الرمال عليها
وعليهم .

وكانت ساعة المغرب والعشاء . الصلاة . الصلاة اولاً . وكيف يصلون ،
وعم اذا استقبلوا القبلة التي هي غرب ذلك المكان يستقبلون المهبوب - هبوباً
ولا هبوب الحية .

دعوتهم الى الحية فدخلوا كلهم الا الثلاثة القابضين على الاطواب فاذا
مسير ثم صلوا ، وصليت معهم وانا جالس على السرير . أو لا يخلق لي ، وهي
آخر ليلة مع " خويبي " ، ان اشارتهم في الصلاة وفي العشاء .

- مسفر وابراهيم يميلان الرجل الكبير الى الحية فرقا القطا ، فاذا
على وجهه قطيفة من الرمل ، فكشطها مسفر بالمعركة وصب في من الارض
والا . نحرنا الراد ونحن جالسون الفرفصاء . ولكن الرياح وهي تصفر
وتنفخ من خلال فرج الحية ومن تحتها كانت تسابقنا اليه ، فيجيء الرمل ،
في كل مرة من الارض ، كاليد في الصير . وما كنت تسبح مقطعاً او حرفاً
واحداً من الشكوى الا اذا كنت بائساً مي . بيد الى كظمت وتجددت
خجلاً من ابطال جد ، وشكرت ان معهم على عشاء من الارض والرمل .

فلما كادوا في الحية تنص القصص ، والرجال يتناوبون حراستها ، والرياح
تولول حولها وتحاول عتاً اقتلاعها . كنت قد سألت عدولاً غير مرة ان يني
علي شئاً من شعره فاني اتخافاً ، فاطححت عليه - هي آخر ليالينا يا عدول -
ماحكرني .

(١) قضي لذة امل نجد في قبض

وكان قد انتصف الليل فطلع القمر وسكنت الرياح . فقمنا تاهب
الرحيل . أسرينا من الجهرة مكوهين ، وبعد ساعتين اتينا ليم الربع عملاً لا
بد منه . يجب ان يغفروا ثياب السفر قبل ان يدخلوا الكويت .

شبعنا النار وقرشنا بعض الفرس ، حاولت ان انام ساعة بنا ، خوياري
يلبسون انواعهم الزمجية ويريدون نفهم . وانني وجدت شرب القهوة ورعي
التجوز اسهل من النوم .

لبس كل من الربع الكسوة الجديدة التي انعم بها الساطان عبدالعزير
قبل السفر من الرياض . وليس هنالك درجاة السواد اساور فواتها ، ونطقوا
بمناطهم الفشق ، واخرجوا البنادق من سيوتها ، والمطارات الجديدة من الاخراج .
وكانت امرأة مسفر الصغيرة تقوم بفصل القوم بواجبها ، وتداولها الايدي
وهدت لها الوجوه .

وسكنت انا ، ويا للعجب من امرى ، اسير اكنابهم حاولت ان اقول
عليه او اخفيه . هي اول مرة ادر كنت رايقت انا في الموحلة الاخيرة بل في
الساعة الاخيرة من رحلتنا . وكما مرة رددت النهاية وتقت رحلت اليها . على
انه في تلك الساعة ، وانا مدرك ان القمر لا يطلع مرة اخرى علينا ، ملي ولى
هؤلاء الاخوان الحقيقيين ، الحويين الخلفيين ، في تلك الساعة ، ساعة الفراق ،
اعتزاني النعم ووددت من الزمان يوماً اخر نسير فيه الى واحة من الواحات ،
وليلة اخرى نسمو فيها حول نادر سالم ، فيرقص مسفر ردة الاخوان ، ويظم
ابراهيم النار الى ان يتخلل دغاتها خيوط الشمس الذهبية .

« حنا اهل الدرجا - مروة السنين »

ولكن شمر هنالك البطلاني الذي املاه على منذ ساعة - ومستظل بالوعم
من الايام والليالي منذ ساعة - لا يزال يرن في الاذن والقزاد . وما احسن

اختيارك ليها اللوسيري الكريم ، واهل العاطفة في تلك ادبيات التي بعثت
 بها الى احد خاناتك ، وهي تطلق بلسان حالي اذا ما ذكرت ذكرك وذكورت
 « خوبانا » كما هم اجمعين .

يا علي يوم السبت دميث وده (ان وحر)
 يوم ارتحلوا فوق عوص السجايب (افمن الحرة)
 يايتني معكم على كوارهم (اكوارهم)
 مع ربي التي مرجهم لي عجائب (حريمهم)
 بالله يا غلام ناز وجنه
 ساءت يا مشي صفوف السجايب (انبوم التي نجوم الامطار)
 فبر نام تدم ديارهم
 حتى اشوف صريحجي والحبائب
 صريحجي التي مني وانا كنت منه
 مناه (لا - ام) نورت علي الضباب (سحارة الفجر)
 ادلجا من ذلك المكنان واهي الا ساعة حتى ابراج الفجر وبانت من
 ورا . حجاب القضي الماهور مدينة الكويت .





صو الشيخ احمد الجوير آل صباح

الفرع الخامس

آل صباح
شيخ الكرويات

الكويت

سنة ١٩٢٢ م ١٣٤٠ هـ

حدودها : شرقاً خليج العجم ، شمالاً وغرباً وجنوباً خط بيتدي ، عند ملتقى الخطين الثلاثين من العرض الشمالي والثامن والاربعين من الطول الشرقي ويستند في شكل نصف دائرة وير بالشرق غرباً والشمالي جنوباً وبين جبلي أرقان والقوين أو رأس الفيلة على الخليج ، أما منطقة الجبلين الكويت ونجد فهي من رأس الفيلة الى بحيرة الدوش وما بها في خط بيتدي جنوباً بشرق الى قارب الخط الثامن والاربعين من الطول الشرقي ومن هذه النقطة الى عين العبد فرأس المشايخ على الخليج .

مساحتها : اربعة الاف ميل مربع .

عدد سكانها : نحو مئة وعشرين الف نفس منهم ثمانون الف في مدينة الكويت ، والباقي من العشائر خارجها .

اهم بلادها : البصرة وجزيرة فلكه والدمنة والقطيف وادحليفة والشيخية . وفي برها اماكن كثيرة معروفة كالبحيرة عند الحدود الشمالية والشيخية في الجنوب وبحيرة وام الرؤوس وغيرها . وهذه كلها اماكن مياه يرقادها عرب العشائر .

مذاهبها : اهمها السنة ثم الشيعة وقليل من الفرس والمسيحيين واليهود .

الفصل الاول

في الكويت

الثالثة في البادية - أهمية الانسان في القفار - زهر نديه - دهنه الد - المود
الى البصرة - الصالحية جنة - السباط والسف - الكمال غابة الحياة - الاوصى -
فشت في النخس - عنت من نجد احسان - موز القريش - انتباه المكنية في
الغلاة - مسر الشيخ احمد الصيام - القصر والمنة فيه - عذابات القرف -
البروات - بندورة الكويت - الاجاد - السباط والشهاد - عرسى فيه
الكلر ياه - جبريتسه النعيم - الهواء الاصلر - طيب من دجوت - غار
الشمع غزال والحاقية

سكنت قد عاهدت خوياري ان ادخل واياهم الى الكويت واسكنوا
الذلول ، ولكنتا قبل ان نصل الى المدينة رأينا سيارة قادمة منها فوقفت اذ
كنت منا ، فقال هذا ذلول يحاطيني : من الشيخ احمد - نوح -
انحت اسفلا لاني اذ سكت في الحال ان لا يد من الركوب في السيارة
فأخلف بوعدى ، وأحرم لذة كنت أعجل النفس بها . انحت القافلة في البادية
غير قافلة بها كان مدوها ، وليس الركاب ، بها الركاب غير واحد من
المسافرين . لا أهمية للانسان والحيوان في القفار . او ان الاثنين واحد في
فصبح بها الكها .

ولكن القافلة ساعة تدنو من العيران ، من استشارة ، تنوير في مسيرتها
فيمظلم شأنها ، فتدخل بوابة المود وقد اختلطت في قلبها الكبر والسرور ،
وتسير في اسواق المدينة كأنها مركب من مواكب البصر والفتار ، وسكان
كل واحد من الركاب امير على عرشه العالي او قائد عائد من ساحة الوغى .
هو وزعم في عجب ولا مرأ . ولكنه وشه جميل كان يستوقف العقل من كل
مرة نصل الى مدينة كما تستوقف العين صورة جميلة . بل كان يظن في ولا عود
اكثر من جراي لاني حديث العهد به .

لذلك انفت عندما تحت ذلوتي خارج الكويت . ولكني دهش
ومررت ، فنبئت ما كنت اعلن به النفر ، اذ رأيت صديقي القديم يوسف
السلم جلبي آل بدو ومعه الشيخ عبدالله خليفه آل صباح ، وقد جاءا من قبل
ممر الشيخ احمد بخلان الي كتاب السلام والرحيب .

كان آخر عهدي بيوسف جلبي في المدرسة عند جديتنا الاصبه الفاضل
الشيخ محمد امين عالي باش اعين العباسي يوم اذهب لنا دائنة فاعرة في بيته
" الصاحبة " على نهر الصاحبة هناك . فقلت مقصراً بالبيت المأثور .

والصاحبة جنة والصالحون اليها أموا^(١)

كنا يومئذ عشرين وبيعاً من الصالحين - الصالحين للآزال واليامان .
وكان يوسف قد شهد جنازة جالساً الى جاني يوسف الازر سقاً عجيباً ، وانا
الطالب في هذه الطريقة اعجب به واقنى ان يكون لي جزء مما له من المارة
والاقرار . سألته عما اذا كنت مستحق الشهادة في العلم البسيط وهو ان
تأخذ شيئاً من الارز فتجعله بين اصابعك وتدفعه فلابهاهم اني قد
استمرض سفي ثم قال : لا يزال يتقدم شيء من العلم والاتقان . فقلت
قال هذا ومد يده الى الارز فادارها فيه . كانه يحدد دائرة في يلكه .
وقضى على حيلة منه كبرها قد منعتها ، ثم رفعها وحملها ، وهو بمصر
منها السن ، ثمرة متسكة شديدة فقلت بها اذ دلت الى وجهه دون ان
يسقط منها اربعتي بين اذنيه بذرة واحدة . فقلت : حياض الله الذي
جعل الكمال غاية الحياة القصوى . فلا شيء . احمل في الحياة من اتقان في
صناعة او كمال في فن .

قلت ليوسف جلبي ، بعد ان شاهدت معه هذه البراعة ، اني مسامر اني

(١) اشغرك يا سيدي الاستاذ اني اعلم ان أم تسمى بذاعا ولكن التكنة العربية
تسمى " اليها " .

معد فاقترن عدله ، وساعود ان شاء الله اليه ليعطيني الشهادة . وما كان في الحسان ان يستجيبنا التخاذل رغبة ، فتدبر النكسة بعد اربعة اشهر حقيقة . فضحكة . قال يوسف ونحن ساترون في السيادة نعيد تلك الذكرى :
سافعدك اليرم في القعر وتعطيك الشهادة باذن الله .

اول ما يسترعي النظر في الكويت اذ يصل المسافر من البر اليها ذلك السود الكبير الذي يناء اعلاه بعد رقعة الظهرة ليدفوا هجرات الاخوات . وهو سور يحيط بالمدينة من جهات البر كلها ، طوله خمسة ايامال وعلوه نحو اربعة امتار ومحمته في بعض الاماكن متر ونصف ، فيه المداخل والكوى الرمي والدفاع ، وله بوابات ثلاث يقيم الحرس عندها ، وتقال في الليل لم تقعن الحكومة رومية واحدة على بناء هذا السور ، فقد تبع فعل الكويت كل ما يستطيع من عمل او مال واقفوا البناء في مدة شهرين . انه لمن الاهمال المدنية العامة المدعشة خصوصاً في البلاد العربية .

دخلنا المدينة في الساعة الاولى من ذات اليا ، وقفت السيارة في الساحة الكبرى ، فترجلنا وشينا بجاء صف من الناس جالسين في القاعة على الخالس من الحجارة والطين الى حائط يسمى صغير . فوقف اذ وصلنا من كان جالسا في الوسط ووقف على اثره الجميع . هو سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح حاكم الكويت . خرج من قدره بكاشيته وبعض أسرته وبعقبنا في المكان الذي يجلس فيه الناس . ليس احب الى المناسح وليس اقرب الى التدقيق ايامية الحلقة والمساواة من هذه المقابلات الملكية في القاعة .

الشيخ احمد في المقعد الرابع من العبر ، ربيع القامة ، دقيق الملامح ، حسن الخلق والهيئة ، لطيف الاشارة والحديث . وهو اقرب في هيأته الى الشكل الآري منه الى السامي . فلا كان في عجز النمل والذباب العربية لظننته هندياً من البنجاب او اوروبياً من بلاد الاسبان .

هنا في بومولي وأعرب عن دهشته لسفري في البلاد العربية هذه الفترة الطويلة . ثم قال : العرب انفسهم يكبرون هذه الطريق ويخافونها . ومنهم من لا يقوى على تحمل مشقتها . وكيف تحملتم ركوب الدلول بكل هذه الايام ؟ هل تشكروا يا استاذ وزحبت بكم ؟ ولم يشأ ان يطيل الخلسة الاولى رغبة في راحتي . فبعد ان تناولنا القهوة أسر من لاقني ان يرافقني الى القصر . وكانت هناك القصة الكبري . لا أريد بالتفصيل ما فيه نسوة او دين او سياسة ، وقد كنت بعيداً عنها كلها . ولكني فُتنت . اجل ، فُتنت بمقامات الطرف والرفاهة التي لقيت عشرين سنة في مدينة تزدحم وتبذل في زوالها نوافل العيش ونفائس الضافة والفنون . تلك التي كانت تنحصر في الماضي خصوصاً بأوروبا في قصور الأشراف والأعيان ، وفي اليوم هناك لكل من يستطيع من الناس بدل بعض المال .

ثالثاً ما فعل البيداء وعشوة العيش . دخلت القصر في الكويت كأي بدوي لم يزل في حياته قصراً جميلاً ، تزينه الأعمدة والقناطر ، ولم يجلس مرة في صاعة مفروشة بالفاخر من الرياض . وعندما جاء الحشم الواحد بعد الآخر يحملون الأطباق ، فوضوها على السجادة ، وجلست انا ورفيقي اليها فُتنت بما احاطت صحفة الارض من الألوان المظبوخة بالقولات

القولات ! بعد الارز والرمل واللحم والتراب التي كان يطبخها لنا مسفر ومعاوناته الرياح ، انها من البعم التي يغترف فيها الابتهاج والاسراف . تحوت الألوان نحو العاشق المشتاق ، وخصصت بالاميرات بندورة الصكوب التي يشعرون منها الى البصرة ، وهي صغيرة مدهمكة ، يطبخونها بتسهرها دون ان تقسمها للمكين . ثم حث الصكوب المشهور الذي يشبه سمك المشط في طهيها ، ولكنه ارق واخضر . ثم اصناف الطوى وما اشده حلوها واكثر سمنها واسرارها . وعندما نهضنا بغل ايدينا وقف امامي يوسف السالم آل بدر ،

وهو كما اشرت من رجال الباط المشهورين في البصرة والكويت ، فصافني
وقال : اعينك ما اشرت ، فقد صرت منا بس في سف الاوز فقط بل في
سف الباط .

وبعد ان ودعني في تلك الليلة خرجت الى الاوان ذي العبد ، المشرف
على الخليج ، ففدات بشهد البحر والحقن المسزلة بض . الفد ، وثقلت حتى
نصف الليل جالسا في كروسي هندي ، وانا في ثوب النوم ، جلسة اميركية
- وما اخلق ذلك الكروسي يا - رافعا للقدر رجلي ، مطلقا العنان للذيد
الاحلام . فاحسست بهواء البحر البارد الوط الا بعد ساعة ، فدخلت وانا
ارتمش الى غرفة النوم .

فمت قليلا واستغقت اني من شدة الالم . عاد الباط في بطني تاراً .
واستعال النجم جحياً . ففدات عند تلك الساعة حتى الفجر احسن بشي ،
ينمقد في ثم ينال ، ثم يتقطع ، ثم يذوب ، فاذوب منه واحكاد من شدة
الوجع اموت . بن عابنت الموت في تلك القبضة التي تند في غير ادواء الله
يارب المشرفين والمقربين ، يا ارحم الراحمين ، اني الهوا ، الأصفر نهاية حسنة
الرحلة ونهايتي . او انا بندورة الكويت تفعل ما لا تفعله الادوية والاملاح .

جامعي في الصباح يوسف بطي فحزن يطالي ومادر الى الطبيب . وجاء
بعد ساعة الطبيب فاثبت الحزم على البندورة وقال : ان لها شريكة هي
الحمي . - واللاتين مذوة هاكها . غير ان الطبيب نفسه نفني احكث من
عقايره . فقد استأثرت به ايم استئناس لانه من سوريا واسمه شبيه باسمي .
هو الدكتور ربحان من بيروت . وما الذي قدود به الى الكويت ؟ اخبرني

(١) اذا كنت انبي كريباً تخرج فيه ، ونام فيه ، وتذهب الادب فيه ، فليس
اصح من ذلك الكروسي الهندي وقد جعل لظفره درجات فتبسط قدر ما تذا .
ولجانبه عضدان ترفع عليها ساقيك ، فتسرى انك انساناً وتكفر بالله .

انه في مية السردار اقدس الشيخ خزعل خان الذي جاء بقضي بعض الشتاء
 في قصره خارج المدينة . فكان الحبيب هذا كالوردة الحراء في ضمة من الرمان .
 لاني كنت عازماً على زيارة الشيخ خزعل في المحبرة فسررت جداً بقربه مني ،
 وعادت في ذاك النهار العافية مثلاً ولت ، وهي تحبل باحدى يديها ادوات
 العمل والاخرى بمصباح الامل .

الفصل الثاني

آل صباح

أقسام العرب - ربيعة وطيبة آل صباح - غريبة الكويت - أول من حكمها من آل صباح سنة ١١٩٥ هـ - أولاد صباح - حاكم عبادات - حاكم محمد - شتان إلى بيت آل سعود - تدفق النوبة - فتح النجف - مساعد آل صباح لأولة - آل صباح مبارك - لشرق بيته ولد الحوي - الدلاف - الحايمة - ذبيحة محمد و - آل - أشعة أولاد بشتون إلى وائل البصرة - القضاء مبارك إلى وائل بحداد - لمدن العائمة السابعة - فداء يوسف آل الصباح حتى مبارك - هجره على النوت - سفره إلى الحجاز - ما عرفت النوبة من مبارك - وقف والشاهوة إلى الأكتاف - حذوة من آل شهر - انتشار مبارك - يوسف آل الصباح إلى جيل شهر - العرب بين مبارك و - آل الرشيد - دولة الحارثية - باهور إلى - حرد - وفاء آل الرشيد وائل آل الرشيد - الحارثية - مبارك الحارثية - الحارثية مع الأكتاف - حكم الشيخة حار - حكم الشيخة سالمة - خلاف - سوء سياحة - وقعة الحيرة - طريقة انتخاب الحاكم .

ليس من يجهل أن العرب كانوا تقسم إلى قسمين ، قحطان أي العرب العرباء وقحطان أي العرب المشركية ، وأن عدنان تقسم إلى فرعين حضرم وربيعة . أما حضرم فسكنت الحجاز وكانت لها الرئاسة في مكة ، وأما وربيعة فكانت منازلها في نجد أي بين الباحة والبحرين والموثق

وهي أي وربيعة تقسم إلى عمارتين ، بني كلب وبني اسد ، ويتفرع بنو اسد إلى فويزن أو بطنين هما جديلة وعقرى . ومن عقرى يتفرع بكر بن وائل الذي تنسب إليه البيوت الثلاثة الحاكمة اليوم في نجد والبحرين والكويت ، أي آل سعود وآل خليفة وآل صباح .

كانت عقرى تقطن أولا عين الشر في بر العراق على مسيرة ثلاثة أيام

(١٠) للشيخ يوسف آل موسى والسيد عبد الرحمن النقيب من الكويت الفصل في بعض المعلومات في هذا الفصل والفصل الذي يليه .

من الأنبار . ثم انتقلت منها الى نواحي خيبر فقامت هناك ومعها اعيان من
عليه . فصار تفتح وقشقي معهم في نجد . انما من اكبر قبائل العرب
وعى تقسم الى الفخذ كثيرة منها حميلة ، وتقسم حميلة الى فروع كثيرة
منها الشعلان ، وتقسم الشعلان الى عشائر اكبرها : الشهره آل صباح .

اما الكوريت فتاريخها القديم غامض مجهول . وقد لا يكون لها ما
يرون منه قبل ان يجر اليها آل صباح قادمين من خيبر عند نحو مئتين واثنين
سنة . والكوريت تصير حكوت والكوريت في الخطاطح اعلى تلك النواحي
هو بيت عامر يدعى صغيرة . كانت هذه الناحية يومئذ التي خالد يحمون
فيها زادت اذ ارموا في النجيرة ، فجاء آل صباح ، كما هو مفقود ، وسكنوها
بأذن منهم .

ثم انقلب صباح حاكما على العشائر بها وسكن ذلك في النصف الثاني من
القرن الثاني عشر للهجرة ، لاب المرجع هو انه توفي سنة ١١٩٠ هـ بمضافه ابيه
عبدالله الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

كان لما شيخ عبدالله الصباح اول من حكموا الكوريت من هذا البيت .
حكمها نحو اربعين سنة ، فانت في عهده وشاع ذكرها في الخطاطح . ثم
خلفه ابنه جاور عام ١٢٢٩ هـ وخلف جاور ابنه صباح عام ١٢٧٩ هـ .

اما نوع الحكمه فقد كان قبل صباح شوزويا يشترك فيه رؤساء العشائر ،
فلا يقدم الحاكم على امرهم قبل ان يستأذنه . ثم يستأذنون الجاهات .
وتنصت هذه الشوزوة بدأت تنصف في عهد صباح الثاني اي ابن جاور حتى
تقاص ظلمها عاماً في أيام ابنه مبارك الذي حكم بامرهم ، وخصوصاً في العقد
الثاني من حكمه .

من اولاد صباح الثاني ثلاثة تولوا الحكم بعده ، الاول عبدالله الثاني
الذي حكم سناً وعشرين سنة ، ثم محمد الذي حكم اربع سنوات ، ثم مبارك

الذي استمر حكمه احدى وعشرين سنة . ولكن مباركاً ، وهو على عهده
وشذوذه حاكم الكويت الاكبر ، حاز قبل ان تولى الحكم شهرة في القيادة
تقدمت شهرته السياسية .

ففي سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م حدث شقاق بين ابني فيصل آل سعود
عمي السلطان عبدالعزيز ففاوض احدهما الدولة العثمانية بواسطة واليهما في بغداد
يومئذ بمذمت باشا ، فانتهت مذمت القروعة وارسل جيشاً الى القطيف ففتحها ،
ثم الى الاحساء فحاصرها واستولى بعدئذ عليها .

وعند كان لمشايع الكويت الفضل الاكبر في فتح الاحساء . فعاد الشيخ
مبارك الذي كان يومئذ في ريعان الشباب جيشاً كبيراً من المشايخ في طريق
الهد ، ووافق الشيخ عبدالعزيز القائد العثماني بجزراً . ومضى ذلك الحين وقوله الى
حين الناجية التي اوتت مباركاً الحكم كانت العلاقة بين حكام الكويت
والدولة العثمانية شديدة بغيرها مع المشايخ الموالية لها . فقلت بان يكون لها
سيادة امنية في الكويت وان يعرف آل صباح بهذه السيادة .

بعد وفاة الشيخ عبدالله تولى الحكم اخوه محمد وكان مبارك واخوه
جراح طامعين به . على ان جراحاً والى محمداً وكان فعلاً لارحياً شريكاً في
الحكم . فاشتدت المنافسة بين مبارك واخوته وكان لما من غير السياسة
اسباب اخرى . اما مبارك فقد كان ولا شك ابعد الاخرين طموحاً ، واشدهما
بأياً ، واحدهما طبعاً ، وامضاهما غرماً . بيد انه كان متهوراً منسرعاً في
اعماله . وكان جراح صاحب النفوذ الاكبر في الحكم يجب ان يكون ما
يجب مبارك المجد والشهرة . بل كان الاول بجيلة والثاني ليذراً . الا ان
النفوذ الاكبر في المشايخ كان لمبارك ، فترجع الى القروعات ، فقد في حاجة الى
المال دافعة . وكان الاخوان محمد وجراح بنميان عليه دائماً آراءه واعماله .
وبينما كان معاً ، ويمسكان عنه احباً ما تقتضيه ثقافته الحصرية . فصار

مبارك بضع سنين على هذه العادة والى ان يعهد على الدوام . وكان يرى
غوى ذلك ان اغويه مما عثته في سبيل المجد الذي ينبغي للكويت وآل صباح .
فمنعها فرغت كأس العهد ، وامتلأت كأس التقية والنقمة ، عزم على ان
يبيع نفسه وآل صباح والكويت من ذينك الآخرين ، فنهض ذات ليلة
للامر ونهض معه ابنته ، وكل منها يحمل بندقيته ، فقتل مبارك اخاه محمداً وقتل
ابن مبارك عمه جراحاً . وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ للهجرة .

ضجت الكويت لهذه الفاجعة ثم اذنت لشيخ مبارك صاحب الحكم
معه . اذنت الكويت الا ابناء القبائل واشياهم ووجلاً اخر سيجي .
ذكوه . فرأى ابناء جراح ومحمد هاردين الى البصرة فشكروا امرهم الى واليها
القريب هدي باشا . وكان يومئذ رجب باشا والي بغداد فسبق مبارك ابناء
اغويه الى ذلك المقام الاعلى ، فتمسكن بواسطة بعض رجاله من اسماكة اليه ،
وكتب رجب الى الاستانة يقول ان الحادثة هو من الحوادث العادية المألوفة
بين البدو ، وغير الدولة ان لا تتدخل في الامر لان ذلك يؤدي الى تدخل
الانكليز

ولكن الانكليز لم ينتظروا احداً ليتقدمهم في حل هم دائماً متاهبون له .
فكان ان ابناء جراح ومحمد قد لجأوا ايضاً الى قنصل انكلترا في البصرة
فنصرهم على مبارك ، وسمى في سبيلهم وسيلة السياسة الانكليزية في
الخليج سبباً عجيباً اثر ذلك الامر النهائي الذي اصدرته الدولة العلية . فخطب
ابن صباح الكبير بواحد من ثلاثة امور : اما ان يحضر الى الاستانة فيعين
المابين عضواً في مجلس شورى الدولة ، واما ان يسافر الى البلد الذي يريد
تتخذه الحكومة مقراً دائماً ، واما القوة تستخدمها عليه اذا رضى ان
يعمل باحد الامرين . بما لا ريب فيه ان الدولة العلية اصدورت هذا الحكم
ارضاء لدولة بريطانيا العظمى . وبما هو في دائرة اليقين ايضاً ان الشيخ

سارك كان قد بدأ يقاوض رئيس الخليج او كليل السياسي البريطاني
المظني في اي شهر ، فسمع هذا قصته وشكواه متجاهلاً ما كان من زبيله
في البصرة .

انها لرواية غريبة مضحكة جداً . طأ اولاد القليلين اولاً الى حمدي
باشا والى البصرة ، فلجأ القاتل الى رجب باشا والى بغداد ثم طأ طأوا النار
الى قنصل انكلترا في البصرة ، فلجأ مبارك الى وكيله السياسي علي شاطي ،
العميم . كانت حالة المظني تزداد سوءاً ، فاستدعى شاطي دورين معاً ، دور
المذهبي العمومي ودور الخاني عن المذهب فيه .

ضطفت الدولة العثمانية على مبارك فطالب احماءه بالارضية فقاموا من
نفسه ، فالت ويطبقوا المذهب عليه سراً وكراهة . سار مبارك فعلم ما
تفعله يقاتل . فذهب الى الكويت فالت الى الكويت فالت الى الكويت فالت الى الكويت
البصرة وبمصر . فذهب الى الدولة وعمر يمدون الى الشيخ مبارك امرها العالي
ويصفون له به . فصار من حرب الخرافة . فقتل مبارك وبطرد الخراف
العثماني من مياه الكويت .

اقعد عند هذا الحد في المسألة لا عود الى اوله . قلت ان رجلاً اخر عمر
ابناء الغنابيل خرج على الشيخ مبارك وقام بنصر ولادهم . هذا الرجل هو
الشيخ يوسف بن ابراهيم من كبار اشراف الكويت . فقام . قد كان يوسف
بنفسه ثوباً ، دولة ، ورجلاً على مبارك . فاستدعى شاطي . فوقف
ثوبه ، ووثقه ، وحياهه للاخذ بالنار . اجل ، قد كان هو الباطل للبال ، وهو
القائد للرجال . وهو رسول قضيته الى الدولة العلية والى امراء العرب .

اول ما نشره حرباً هو انه جهز اسطولاً من السفن المشجونة بالرجال
المسلحين وتولى قيادته في المعجوم بئنة على الكويت . ولكن لركة دقا من
الاسكنة رآه احد الثوريين ، فحصل الخعد الى الشيخ مبارك ، فاستمد ملاقاته .

الشيخ مبارك

الشيخ مبارك

الشيخ مبارك

الشيخ مبارك

الشيخ مبارك

وكانت المدينة معه ، فلم علم يوسف بأن المدينة مستعدة كذلك لمحاوثة أهل
راجعا ، وخاب بعد ذلك إلى الجفاعة .

جاء بعض قاطلي الطرق وأوغر إليهم أن يأخذوا سفينة من اسفلوله
ويدخلوا بها الكويت ، فيظهروهم الشيخ مبارك من أعداء يوسف آل ابراهيم ،
فيقتلهم منه ويقتلوه . تمت المؤامرة على هذا الوجه ودخل المتآمرون الكويت
بسفينة من صفى يوسف آل ابراهيم يدعون انهم غنموها باخارية ، فاطلت
الجيلة على الشيخ مبارك ، فغرب الرجال منه وجعلهم من حرسه الخاص
ولكن واحد - هم تب إلى ربه قبل الاغتياك وراح يظلم الشيخ مبارك على
الدسيسة . فامر الشيخ بالقبض على الرجال هؤلاء ، واتفقهم من البلاد .

فأبعد ذلك يوسف آل ابراهيم إلى الدولة العلية فصار أبو الطير
يستعين بشريف مكة ورجل في حاشية السبيح والاسامة السبقاني
المسألة ، أو ما خرجت حكايت سياسة السبقاني مؤامرة . فقدر ذلك الأمر
الذي جاء الشيخ مبارك على أن يعلل الحجة الاسكافية ، فاستفهم أن آل
ابراهيم في هذه المرة الثالثة .

وسكن القشل وآل تمدة لم يكن لينة عن قصده ومرامه . فقد سعى
لدى أبي جمل الأمير عبدالعزیز بن الرشيد ، فبراه بعدوه في الكويت ، فشن
ابن الرشيد حملة على عشاقه ، فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر
الحملة . فتمت هذه الحملة فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر
الكويت ، فتمت هذه الحملة فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر
جيشا أولا فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر
بن صباح ، فتم حرج مبارك فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر
آل صباح ، فتم حرج مبارك فمادر الشيخ مبارك إلى الدمام ، فمادر
في آخر ذي القعدة سنة ١٣١٠ هـ (١٩٠٠ م) في مكان يسمى الشريفة .

فقتل خلقاً كثيراً من الفريقين وكان النصر لابن الرشيد^(١).

بعد وفاة الشريف خرج ابن سعود عبد العزيز في نفر قليل من الرجال يمني استرجاع الرياض عاصمة اجداده التي كانت يومئذ في حوزة ابن الرشيد فذبح ماله فيها واستولى عليها^(٢). وكانت هذه النفوة فاتحة غزوات وحروب ادهشت العرب في شبه الجزيرة وخارجها، فاعجب البدو والصديق بنوخ ابن سعود ، بشجاعته وإقدامه ، وبجسده وحله .

وعندما بشر مبارك بفتح الرياض خاف ان يمد ابن الرشيد الكوفة عليه فبعث بنجدة الى عبد العزيز الذي كان قد فاز ايضاً بنصرة اهل الرياض ، فخرج منها بجيش كبير ، وشرع يحارب ليسترجع ملك اجداده . فقتل الامير عبد العزيز الرشيد في وفاة « روضة هبة » في سنة ١٣٢٤ هـ^(٣).

وكان قد توفي في السنة السابقة اي سنة ١٣٢٣ هـ الشيخ يوسف آل ابراهيم فاستراح مبارك من مدوبه ، واخذ نفوذه يتدبّر ذلك الى البادية ونجد .

كان الشيخ مبارك في سياسته مثله في حروبه موقفاً متصراً . فامتد نفوذه الى البصرة والمحيرة وكانت كلته مسوغة في ابي شهر . على انه مع تلك السياسة وذاك النفوذ لم يكن في اعماله شي . يذكر من الذمّ العالم . فقد بنى مسجداً واحداً وقصوراً عديدة ، ولكنه لم يهتم بالتعليم ولا ساعد في بناء مدرسة واحدة . اُخِيف الى ذلك انه كان يوهن بالضرائب الرعية والتجارة .

اما اتفاهه مع دولة بريطانيا المظمية فخلاصته ان الشيخ مبارك تهدد بان لا يكون للكويت علائق مع حكومة اجنبية غيرها اية كانت ، وهي تهدت ان تحمي الكويت من كل اعتداء خارجي من البحر وليس من البر فلا تدخل في شؤون المشرق وروسانها .

(١) راجع تاريخ عبد الحفيظ ، الفصل الاول : وفاة الشريف

(٢) » » » » الفصل الثاني : الالة على الرياض

(٣) » » » » الفصل الثامن : ذبح ابن الرشيد

وقد تبع هذا الاتفاق في اب ١٩١٣ م . اتفاق بين الدولتين البريطانية والممائية بخصوص الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان . فتنازلات الدولة الممائية عن حقوقها في هذه الأسلاك كلها ، واخذت الدولة البريطانية على عاتقها اقامة الخليج ونجفارتها . اما الكويت فنظمت علاقتها مع انكلترا على حالها السابق حتى سنة ١٩٢٥ عندما تقرر ان يحاكم الاجانب فيها في دار الوكالة البريطانية .

توفي الشيخ مبارك في محرم سنة ١٣٣١ هـ . توفيه سنة ١٩١٥ م . خلفه ابنه جابر الذي لم يحكم غير سنة وشهرين . وكان جابر كريم السجايا يحبه الناس . فقد ألغى من ضرائب ابيه المتعددة ، التي يستغرب مثلها حتى في أيام الحرب في تركيا ، ما يتعلق منها بالاملاك . اذ ان مباركاً كان قد فرض ضريبتين هامتين الواحدة على كل عقار يباع وهي ثلث الشئ ، والثانية على كل عقار يؤجر وهي ثلث الاجرة . وكانت تكوز الضريبتان كل مرة بكمور الاجار او البيع .

اما اماره سالم الذي تولى الحكم بعد وفاة اخيه سنة ١٣٣٢ هـ وحكم مدة الحرب العظمى كانوا فقد اشتهرت بامرئ هما اتساع تجارة الكويت ولكبة الجهرة . فجاء في الاول البرهان على مقدرة التجارية ، وجاء في الثاني الدليل على ضعفه في سياسة البلاد .

اما التجارة فقد كان الشيخ سالم رغم الاتفاق بين انكلترا والكويت ، يسمح بدخول البضائع التي كانت تصدر من بلاده الى الاتراك في العراق وفي سوريا . فانسعت لذلك التجارة ورغم ارادة مأمور الحصار الذي عينته الحكومة البريطانية للمراقبة في الكويت ، ورغم المال الذي كانت تقدمه لروسيا . العشار مثل ضاري بن طواله وغيره ليصادروا القوافل في بادية العراق والشام كان الشيخ سالم خشن البادية ، صعب المراس ، متعصب الرأي ، فلا

يتصه ولا يعتد . وكان فوق ذلك شديد الغرقة في الدين اي انه يحكم
بكره الوهابيين والاعوان ولا يتقي . فاذت هذه الحصال فيه الى خلاف بينه
وبين سلطان نجد . وكان الخلاف سبب التنكبة التي اشترت اليها . ذلك ان
مضة الاف من الاعوان هجموا على الجهرة ، فذبحوا مئات من اهلها وقتل
مئتين مئتين ، وحاصروا الشيخ سالماً في قصره هناك فلم ينجح الا بحيلة احتال
عليهم بها^١ .

تدخل الانكليز فردوا الاعوان عن الكويت . ثم تدخل الشيخ خزعل
فارسل احد اعماله مع الشيخ احمد الجابر الذي انتدب ليقاوض السلطان
عبد العزيز بالصلح فساعدتهم بالمفاوضات الاقذار ، اذ فيها كانوا في الرياض في
شباط ١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م توفي الشيخ سالم وانتخب الشيخ احمد الجابر خلفاً له .

ان الوراثة او الانتخاب في آل صباح يسكنون نادراً باتفاق بين الاسرة
والحكومة البريطانية . على ان مبارك كان رشح ابنه جابراً لولاية المهدي دون ان
يسلمه الانكليز . ثم توفي سالم الحكم لانه لم يلب جابراً في السن ، ولم يحل
انتخابه من تدخل الوكيل السياسي ولو في سبيل التحقيق . فقد سأل اعضاء
الاسرة والمتوجهين من الاهالي اذا كانوا راضين بالشيخ سالم فاجابوا بالاجاب .

اما اذا كان تدخل الوكيل السياسي في الكويت لا يتجاوز المراقبة
والاستشارة فهو في عيونه من الاقطار العربية ، كمناساتي ايها القاري . في
البحرين ، يشاورها ، اذا اقتضت السياسة والمصلحة ، الى ما فيه الامر
والاوهاب .

امراء الكويت من آل صباح

- ١- صباح الاول، حكم في القرن الثاني عشر لهجرة والمرجع انه توفي سنة ١٩٠
- ٢- سداف الاول خلف صباحاً توفي سنة ١٢٢٩ هـ
- ٣- جابر بن سداف (حار الاول) تولى الحكم سنة ١٢٢٩ هـ
- ٤- صباح بن جابر (صباح الثاني) سنة ١٢٢٩ هـ
- ٥- سداف بن صباح (سداف الثاني) سنة ١٢٨٣ هـ
- ٦- محمد بن صباح سنة ١٣٠٩ هـ
- ٧- مبارك بن صباح سنة ١٣١٣ هـ
- ٨- جابر بن مبارك (حار الثاني) سنة ١٣٣١ هـ
- ٩- سالم بن مبارك سنة ١٣٣٥ هـ
- ١٠- احمد بن جابر الحاكم الحالي سنة ١٣٣٩ هـ

الفصل الثالث

مشكل الكويت

سبل الشعراء - حصن السفن - المسال والتوثيقون يستعملون - سبل التجار
والفرس - المرقع - مدينة تجارية - المسألة - أهل نجد - التجار والبدو -
أعمال الأعرابي - المسألة في نظر السلطان عبد العزيز - جوارك نجد - أهل نجد
محتشون من المسألة - المسألة في نظر السابليين - طلب سلطان نجد رفضه حاكم
الكويت - الحق من الكويت - كتاب إلى السلطان عبد العزيز أنقر فيه طريقة
للقسوة - وقد الكويت في الرياض - كتاب من السلطان : « سنة الكويت
تعمل قريباً حسب مطالب الجميع » .

من رواق القصر نشرف على مشهد من مشاهد العما في الكويت ، فإن
في ساحته الفسيحة المرتكز بها العلم الأحمر وقد كتب عليه « الكويت »
نجد دائماً عدداً من الناس جالسين على الأرض حول شراع مبسوطة ، وغالباً
نجد ثلاثة أو أربعة اشعة حكيمة والم كل منها عشرة وثيف من النوبيين
يشغلون فيها ، يجعلون جديداً أو يصلحون قديماً منها . هوذا معمل الشراع
الذي يعيش في ظله أكثر أبناء الكويت .

ودون الساحة إذا ما سرحنا النظر في السيف امامنا نرى السفن والادغال
وقد اكتظت واشتكت بعضها ببعض ، وفيها العمال يصلحون قديماً أو يدقون^(١)
سفينة جديدة . هناك مصنع السفن التي تبحر في الخليج وتوصل جبل التجارة
بين الهند والمراق ، وبين الاسا كل العربية والفارسية ، تقوس حيث لا تستطيع
المراكب التجارية ، وتحمل الصادرات والواردات من شاطئ إلى آخر ماجود
لا يستطيع البناء ان يجاري الشراع بها .

إن سفن الكويت ومراكبها مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعا

صنعوا

(١) دق السبقة بناها في اصطلاحهم او استأجر من بينها .

وهي على أنواع، منها للعبور والتجارة، ومنها للعمولة، ومنها للغوص، الكبيرة مثل البوم والجلبوت تصنع بالخشب الثقيل^(١) المطلي بالقار، ثم تغطي بالواح من الساج، وتنفش عرشتها من الخارج نقشاً دقيقاً لطيفاً. أما البوم التي تدعى أيضاً البقلة فهي اكبر السفن واجملها وابعداها بحاراً، فلا يقل طولها عن الثلاثين ذراعاً وعرضها الاثني يتراوح بين اثنا عشر والعشرة الأذرع، ونحوها مثا طن، وهي تصل في اسفارها حتى الى جزائر مدغسكر وزنجبار.

بيد ان اكثر السفن والمراكب التي زارها في الكويت تستخدم لاستخراج المازو في موسم الغوص، وللتجارة بين الهند والعراق فتخرج من الكويت غالباً فارغة وتعود مملوءة اليها. ذلك لان الكويت مدينة من مدن المازو على الخليج، وقيلاً يقرن المازو بصدر آخر من مصادر الثروة. هذا ما لها تشتري به ما يلزم من ضرورات الحياة ونوافذها. ليس في جزر الكويت، جزر المقالي، وليس فيها او في جوارها شيء يذكر من النخيل، فهي تضطر ان تجلب حتى التمر من البصرة او من القطيف.

ولكن عندها كما قلت المازو الذي تريد قيمته على قيمة ما يحتاج اليه من أحصول وملبوس، فتشتري بالزيادة الأشجار. ومندها السفن تحمل الى تجارها ما يشاؤون من البنادق النارية، فضلاً عن البواخر التي يجيئونهم بالاحمال الكبيرة من الهند.

الكويت اخذت مدينة تجارية. بل هي مثل جيزان او ميدي على البحر الاحمر، وان كانت تريد عليها في عدد السكان عشرة اضعاف، اذ لا تقوم تجارتها وتتموجن فيها فقط. فلو اتكملت الكويت على سكانها وعلى العشائر في باديتها لما كانت تجارتها ربع^٢ هي او بالحري ربع^٣ كانت منذ

(١) لفظ الشيف او جلفها هو ان يدخل بين مسامير الالواح وغرورها مثالة السكان وقد غسست بالزيت والقار.

سنتين . اما السبب في سوء حالها في السنتين الاخيرتين^(١) فاذا سألت عنه
التجار هناك يجيبونك بكلمة واحدة : المسألة

وما هي المسألة ؟ سأكتفيك مؤونة النفيس في القاموس فقد لا تجد لها
فيه المسألة هي أن يجي العرب إلى المدينة فيسلبون تجارها أي يشترقون
مالهم بسينة ما يحتاجون اليه من ملابس وأكول . وعالما يعيشون في الصيف
ليشتقون ما يلزمهم في فصل الشتاء كله ، ويدفعون ثمنه بعد أن " يصلحوا " .
وماشيهم أي يربعوها ويشترونها في أواخر الربيع .

اما اكمة من يعيشون في الكويت فمسألة مهم من يجد من رعيا ابن
سعود . يجزونها ويضعونها على الصرة والزرع لأسباب ثلاثة : أولا لانها
اقرب . ثانيا لانهم يجدون في اسواقها دائما ما يحتاجون اليه . ثالثا لان تجارها
يفاضلون بهم ولا يتفحصون دفع ما عليهم . وصر على الدين سنان وثلاث .
وهم مع ذلك قلما يحسرون .

وأية ضمانة يقدمها البدوي للتاجر ؟ قسمه بالله . فهو اذا عاب عشر سنين
وماد إلى الكويت ، وليس معه غير عمله ، يجي . به إلى التاجر قائلا : هذا
حلالات . واذا مات الاعواني قبل ان يمي ما عليه ، وسكان قد مالاه أي
مواشيه ، يجي . احد ابيه أو اخوته . ينمي منها لتسديد الدين أو بعضه ،
ويقدمه للتاجر قائلا : هذا حلالات من فلان . أشعر عليه . هي دمة الاعواني .
أن دمة تجار الكويت في المسألة اذن مثل رمية أهل نجد بل هي اشد
لان عرب نجد . اشترت هم مصدر تجارتهم الأهم . وهم يستطيعون ان
يتساهلوا بدفع المال اكمة من سواهم لان راسمالهم اكبر ، بسبب مدخول
الكويت الآخر من تجارة الأؤلؤ .

(١) كانت الزاديات والصادرات في السنين الماضية فقرا ورح بين الممسة والممسة
الف روية كل سنة . اما في السنين الاخيرة فهي تقدر بثلاثة الف روية سنويا .

عنه هي إحدى وجهات المسألة . وهناك وجهة أخرى هي وجهة
السلطان عبدالعزيز . إن لسلطنة نجد حمارك ثلاثة في المقوم والقطيف وجبيل ،
وهو لذلك يفضل أن يجلب أهل نجد بضاقهم من إحدى هذه الأماكن
النجدية في الاحياء أو أن يسابروا فيها خصوصاً في القطيف . على أنه ليس في
القطيف تجار ذوم بدر فيستصحبون أن يماثلوا النجدي حصاره بماله تاجر
الكويت . والسلطان عبدالعزيز يدرك ذلك .

ومع ذلك فقد جرى عليه عند سيقان المسألة في الكويت فالتهور ،
فتأثر التجار إلى ذلك وشيخ الشيوخ أحمد بدوخل في القضية الرباس . إذا
وقد مسألة السامان فهو أن زعماء مشترون من الكويت ويعودون ناشرون
إلى نجد دون أن يدفعوا عليه رمتاً . وحديثهم في هذه الطريقة يعودون
الأدوية ليخلصوا من دفع الزعماء حركية . وفي أنه لا يستطيع أن يؤسس
الحمارك في الدابة على حدود نجد والكثير من المزاوية الأطراف . وبما أن
السلطنة نجد ميلة . وبها حمارك وقد استمر أمره أن تكون المسألة في أحدها
وهذه في ذلك بين لا مقاطعة فيه . لأن المقاطعة تكون بين شعبين متعاضدين
ولا بداء اليوم في الكويت . نجد

والنجد هناك وجهة أخرى لهذه القضية وهي وجهة أهل نجد وخصوصاً
البدو الذين لا يستطيعون أن يدفعوا نقداً عن ما يشتررون كما هي الحال غالباً
إذا حازوا القطيف لمسألة . فهم مثل التجار متأثرون ، وبما أن السلطان
عبدالعزيز يهتم بشؤون البدو اهتماماً خاصاً ويكره الجور والارهاق فقد اقترح
أكراماً للاميرفين السامان ، النجديين والتجار الكويتيين ، أن يمدن في
الكويت . ولأنه لا يجمعون رمتاً على كل ما يشتره أهل نجد ويدفعوه قبل أن
يخرجوا بأرضهم من المدينة . وطلب أن يكون هذا الرسم سبعة بالمئة .
فرفض سمو الشيخ أحمد الطلب محتجاً بحق السيادة التي لقطر الكويت المستقل ،

مشكل الكويت

اذ ان مثل هذا العمل محجف بها ، ولا يكون الا اذا اُكملت الكويت
عليه فيمد اذ ذاك ضرباً من الاحتلال . هو مصيب في احتجاجة بحق برفضه
ولحسن الحظ ان السلطان عبدالعزیز والشيخ احمد متحابان متواليان فلا يشهد
الواحد منها خطاً تؤدي الى تراخي الملائق الولاية وانقطاعها .

لذلك بعث السلطان الى الشيخ يقول : نحن لا نقيم احداً من قبلنا منكم
ولكننا نؤكلكم في الامر ، فتعينون من قبلكم من يجمع الرسم المطلوب
من اهل نجد المسابيل ، فترسلونه الينا كل ثلاثة اشهر او كل ستة اشهر او
كل سنة مرة كما تشاءون . ولكن الاكثية في آل صباح لا يقبلون حتى
مثل هذه التسوية لانهم كما قال احدكم ليسوا احياء خراج لسلطان احد .

كانت المفاوضات قد وصلت الى هذا الحد عندما وصلت الى الكويت ،
وكان هو الشيخ احمد على شيء من القلق لتعقد القضية ثانية بيننا هو بما لها
بالثؤدة والحكمة . فيطو لي بعد ان مررت بقسم من الارض في تلك النواحي
وعرفت الحقيقة الاولى التي تتعلق بالاسفار هناك ، وبعد ان درست المسئلة
ورأيت ان ما يطلبه عظمة السلطان عبدالعزیز من حكومة الكويت هو في
الحقيقة محجف باستقلالها ، ان اكتب اليه كتاباً أقترح فيه حلاً للمشكل قد
يؤضي الطرفين .

اما الحقيقة التي تتعلق بالاسفار والتي لا يشكها العارفون بتلك البلاد
فهي ان القوافل الخارجة من الكويت لا تسير الا في طرق معلومة ، عرباً
كانت أم جنوباً ، فسير يام معلوم تستقي قبل ان تدخل المقازات . فاما ان
تسير من طريق الجهرة مثلاً اذا كانت مسافرة الى القصيم ، واما من طريق
الصبيحية اذا كانت وجهتها الحسا . وهناك طريق اخرى تمر ببخعة الدريش
ان حدود الكويت ونجد تنتهي الى هذه الاماكن الثلاثة او في جوارها .

فكشفت الى عظمة السلطان افصح من رأيي في المسئلة واطلب منه ان

يتنازل لا من الطلب بالرسوم بل بجمع الرسوم في نفس مدينة الكويت
واقترحت عليه ، حياً بحفظ الصداقة بينه وبين آل صباح ، ان يقيم ثلاث
نقط جرحكية في الاماكن المذكورة اعلاه او قريبا فيسكن ولا شك من
تفصيل الرسوم على البضاعة التي تدخل من الكويت الى سلطنة نجد . ان
هذا العمل لا يكلف في الحياض ورواتب ستة موظفين وبعض العناية .

ويظهر ان المسألة دخلت بعدد في طور جديد لان سمو الشيخ احمد باتفاق
مع الاهالي بحث ابن عمه حضرة الشيخ عبدالله السالم الى السلطان عبدالعزیز
يحمل عنه كتاباً يفصح عن خالص الولاء والاکرام ومعه هدايا صغيرة من
الاورق والمكر والبن . فخرج السلطان بحاشيته لاستقبال الشيخ عبدالله خارج
الرياض واركبه معه في السيارة واتزله في القصر ضيفاً حكيماً مبهجاً . فاعام
هناك بضعة ايام وعاد الى الكويت مسروراً جداً ، يحمل الهدايا الثمينة وشيئاً
ما اشتهر به عظمة السلطان من تلك الصراحة المقرونة بالعلف والاکرام .

وقد جاءني من عظمته كتاب يقول فيه جواباً على اقتراحي : اما
مستلثنا مع الكويت فهذه محل قريباً حسب رغائب الجيم وعلى احسن ما
يكون ان شاء الله .

الفصل الرابع

الشيخ أحمد الجابر آل صاح

ورجل عاقل - اقوام العجوة في بحر - الدابة حديد في كلبها - احماء -
 بالغة العرب - مارحان - كورمها - دارنا الاكبر - السعداء لا امثال
 - امينار القادول - الامراء التي يهتفها - يهتفوا - راي العيون - حكمة كل يوم
 - الكويك - شاعرون - اجابة الدارس - العجوة - حكمة العيون
 والساعة - اراء النور في الحسنة - ابرار - النهضة لادب - دواء الكويك
 وسبقها - راس العار والفتوة -

لو كان عبد الشيخ احمد حاكما في الازمة الاقتصادية التي سبق الكلام
 عليها لم يلج الامر من حاجب عدائي مع شخصي ضد شخصي - وهو حدث
 هذا الحادث لما اختلفت اركان في بيته - فقامت اثار في جماعة الكويت
 وان كان على ضيق وشدة عا للشيخ احمد ، فذلك اجل الله - فقام الجابر
 الدمشق الاخوان - كنه في ليله بل في العجوة - وحي في بيت الى عبد الله
 في الحارة فهدم - هي اذا عدل الى القلعة - وحي في العجوة والهدم
 لا يشعير من ذلك الكفة التي فيها العزم - العزم في العدة متعرة - وقد
 يأنف العزم الزوال ويتعمر الرضا - وقد بين مرمر من الاشهاد الدائم
 الحكيم ان من من فواء كنه - حتى اجوارها الصخرة واستدما من حبر امر
 حين - وهو - في ارجل الحكيم يد - في حكومات

الشيخ احمد مثل الشيخ خرم على وشك الملك ارجل معجب بالمدنية العربية
 ورجلها - وهو من امراء العرب الذين اتوا بمودة حلة الملك جودح الخاضع
 بعد الحرب العظمى ليؤدروا السككرا ، وبذل هناك هدية على الحكومة - وساح
 في تلك البلاد ، وشاهد من مظاهر الرقي والعمارة المادية والادبية ، من
 متاحه الفهم الى المتحف الميرضاني ، ما لا يزال يلهم بذكره ويودر كماله

للعرب جزء بصير منه . ولم يكن حاكم الكويت وكانت تلك الرحلة دليله
الوحيد الى المدينة القريبة لأخذ منه الإعجاب كل مأخذ فتعجب عنه الحقيقة
كانها او القمم الاخر فيها

ولكنه وهو حاكم عربي ، يشاهد أحياناً في رجال تلك المدينة ،
خصوصاً رجال الحكومة منهم ، ما لا يحجزه احكامها ولا يبرره ذاتها ،
فالوكيل السياسي الانكليزي مثلاً صاحب مصلحة من دبره من الناس شريفيين
كانوا او عربيين . هو لا يخضع منهم لمعيار المدنية والاسلام ، والعلة
العقلية او الدينية . والتي كان قريباً من امره ، وهو مدبره ، وهو مؤدبه
بعض الحق ، يؤمن الامر احكاماً ولا يكون الحق من احد من هذه المعتقدات
فيما له اذا كان كما يوافق المدبر ، بل هو لا يوافق المدبر

الشديد عند الحاكم . صباح الذي روي عنهم في كتابهم ،
وكيل مريد من القطار في الكويت وما كان له من شأنه ووفاء رأيه
في ما يراه من سياسة ، ومفهوم سياسته ، ومفهومه في ما يراه من شأنه
ان حكمه يربط الحاكم الى شئ واحد ، وهو ان لا يتركه ان لا
في ميدان متباعد الى الكويت في ذلك لا يتركه ان لا يتركه ان لا يتركه
الخرى التي تفرقة مستقلة من حليته ، ودخل لها السياسة ، وترويضها
احسن جداً من شروحه بتركة عداس

وهو في سائر حكمة مع رده له وامرته ، وفي سائر حكمة مع الانكسار
بشؤونهم وبنه وحض معهم ، لا يتبع ذلك الرأي العام ، وسكته لا يبرره
لا يبرره ولا يبرره في الناس انهم سكر كلامه ، اي في حكمة كل
يوم هي حكمة . وسكته يكون الروح العادي في كرمي الحكيم انهم
لامته وبلاده من الرجل الشاذ الشديد المراسم

لا ينتظر من الشيخ احمد وخصوصاً في هذه الايام ان يخرج بعشائه

خيخارب مثل جده مبارك أمراء العرب ويدخل البلدان فاتحاً منصوراً . واليك
الاسباب . أولاً لأن الشيخ احمد وأن كان يحمل السيف هو أميل الى اليراع
واحب شيء اليه السلم والاداب . ثانياً لأن مشائره وهي قليلة لا تمكنه لو
قال : السيف من ان يقول كذلك : انصر فقد تلبيه فتقلب فتقلب عليه .
ثالثاً لأن الاحوال اليوم هي غيرها منذ حمى مشرة سنة ، فالكويت التي لعبت
ولاية الدولة في الشمال ، وحاربت أمراء العرب ومشايخ القبائل في القصيم
والاحساء ، أصبحت اليوم بين اثنين متحدثين ، وقرنين قاهرين ، وحكومتين
طامعتين بالاستيلاء . ان الكويت بين نجد والعراق لمثل فتاة بين عاشقين ،
وكلاهما يبغوها .

حدثني احد رجال الحكومة في بغداد قال : الكويت جزء من العراق
واهلها يفضلون الانضمام اليها . أراد بذلك ان الكويت تفضل العراق على
نجد اذا كان من ضم وانضمام . وان لم يكن الشيخ احمد كما وصفت ، لكان
ظفر اصحاب الدساس على يمينه ، لأن الذين يعرفون المشائر خارج هذا القطر
يعلمون عليه او على مشائره ، لا يرومون من ذلك غير احداث ذلك الحادث
الذي قد يكون فيه خاتمة استقلال الكويت الاداري .

والشيخ احمد مدرك ذلك ، فلا يذهب مع التيار ولا يستسلم الى الهياج
العام . فهو اذا هجمت عريان نجد او العراق على مشيرة من مشائر الكويت
او على المدينة ، وقام الاهالي يتذفرون بعضهم بعضاً ، وقد تسلم بالحكمة
والعزم في وجههم فيصدم ويسكن روعهم . مثال ذلك هجوم ابن حثلين
شيخ مشايخ العجمان في هذه السنة فبادر اهل الكويت الى السلاح فصدّمهم
الشيخ احمد ورددهم قائلاً : تفاوض أولاً ابن سعود هو صديقنا ، والذي
اظهر انه غير راض عن هذا الاعتداء . فاذعن الناس له وتفاوض السلطان
عبد العزيز فبما منه الحوائج يقول انه متأسف جداً لما حدث وانه مستعد ان
يتفاوض على الكويت كل ضرر .

قد يختلف الناس في هذه الحطة السياسية ، خطة اللين والمائلة . وفي الكويت من لا يستعصمها . بيد أنهم يتفقون إذا ما ذكروا سياسة سلف الشيخ احمد ونسبة الجبهة ، ان في دار الحكم اليوم رجلاً اقل ما يقال فيه انه محافظ على سلامة الكويت واستقلالها .

ومما كان من امر الكويت ومشاكلها التجارية والسياسية فان فيها غير التجارة روة وغير الاثراء كقراً . فيها ذكاء وجرأة وادب شاهدت منه فافج حيلة في الحفلات التي اقيمت هناك وفي المجالس .

ومما كان من مزية الشيخ احمد في السياسة فانه في المساعي الادبية مذكور وان لم يكن من الجميع مشكوراً . وسيرف هذه بعهد النهضة الادبية التي تشرف العاملين في سبيلها . اجل ان في الكويت نهضة ادبية لها ركنان ، المكتبة الاهلية هناك والمدارس اليومية واليلية ، وهي تقتضي فون ذلك بما نشر الاداب المصرية والعلوم الكويتية في سوريا ومصر . ثم ثبت روحها في الربوع التي لا تفصل اليها الجريدة والمجلة ، ولا ينفع فيها الكتاب لان ليس فيها اليوم مدارس .

اجل ، كما ان سفن الكويت التجارية قفيل الى الاسواق التي لا تدنو منها البواخر الكبيرة ، فكذلك ابناء الكويت في اختلاطهم مع البدو والسفارين في داخل البلاد العربية يستطيعون ان ينشروا روح العلم والتهديب ، وروح القومية السليمة العامة ، في العشائر والبادي وفي المدن الكبيرة دون الدهناء والقرود .

الفصل الخامس

الشيخ خزعل

قل من لا يعرفه - قل من يعرفه - ثروته وكبره وادبه - ذوقه الشامل - الفواي
- الثمراء - الاحبار - اجهل غزاهم الكرم فيه - الكثيرة ومعدل المادون
والرافضة - التحاض في غرض القبيح الذمير - ولا يأنك عن الصب - ولا يروى
تعدد النساء في الحرير - « من هي امثلي وتيد » - الرواي - اساسي - جاء في
الكامل - سابع من الملوك - وعن باها روم - ومن القبيح - فيكتوروس
والصولي ابن العربي - اذا ترددت في زيارته - كتابي اليه - جوابه - اجتماعنا -
حديث - اطيعوا الامتنان - وعن الاخوان - الشهرة في مجالس آل صباح - بينة
المال - الرجوة الى الارض بعد الموت - من يذهب ان يوجه الضيف خزعل -

هو متو الدردار اقدس ، معر السلطنة ، الشيخ خزعل خان بن نصرت
الملك الحاج جابر خان الجاسبي المغنيسي الكمي العامري ، امير نويان وسردار
مربستان ، ومؤلف كتاب الرياض الحزلية في السياسة الانسانية . قل من لا
يعرفه من قراء الصحف العربية باسمه ولقبه الاولين في الاقل . وقل من
يعرفه معرفة حقيقية . فهو من امراء العرب وان كان يحكم ولاية من ولايات
الدولة الايرانية . بل هو اكبرهم بعد الملك حسين سناً واسبقهم الى
الشهرة ، وقرين اعظمهم في الكرم . هذا ما يعرفه اكثر العارفين ببعض
البلاد العربية وامراتها .

اما ما يحمله اكثر الناس خارج الكويت والبصرة فهو ان هذا الامير
العربي من طراز الامراء في عهد النبايين . اعني بذلك انه غني حكيم كريم
مما . فهو برمكي في كرمه ، وفي ذوقه ، وفي ادبه . يحب اللهو والفناء
فيه الادب والشعر . بل يميل الى كل ما فيه شيء من اسباب السرور كلها ،
العقلية والاجتماعية والجسدية . وان كلمة قالها صاوية : الدنيا بخلافها
الحقض والدعة . لتصح ان تكون من كلماته .

اجل ، ان للشيخ خزعل ذوقاً انسانياً شاملاً فلا ينفر من غير القبيح والذم في الحياة ، ولا يعرف في مكارمه التفضيل والتمييز . يجي . المنية من حلب او من الشام الى المحصرة وهي لا تملك غير خلخالها فتقيم عدة اشهر في القصر وتعود غنية مثقلة بالخلي . ويجي . الادباء الشعراء وفي جيوبهم قصائد المديح فيعودون من المحصرة وفي جيوبهم اكياس من المال . ويجي . حمر من احياء المسيحيين فيقل على سمو السردار ضيفاً حكرتاً محترماً ويعود . صعباً بالمهدايا الثمينة . ثم يجي . المبشر بالماسونية فيجعل على الاسقف في القصر الخزعلي ويعود بعد اقامة سعيدة كما عاد المحترم قبله .

ان من اجل ازاهر الكرم في هذا العرني تساهله وهو شيمي المذهب . فهو يساعد في بناء كنيسة في ميلاده لمنكوفي الكلدان ، ويساعد في تأسيس محل للماسون ويفتح خزانته لواقعة او مغنية كما يقتحمها لادوي اله والاحسان من الطوائف كلها جماعاً . وهو على مقامه بل بالرغم من مقامه يميل دائماً الى ما فيه هو او تساية او فكاهة . فاذا ما انتابه الضجر في القصر ، وكانت قصر الضيافة فارغاً ، ولم يكن ليرغب في زيارة البصرة ليشرف طاولة " البوكر " فيها ، ينادي اولاده قائلاً : يا ولد الحُجْر تماوا . الا تلعبون . فيجي . السردار ارفع او السردار اجل او السردار جاسم او نصرة الملك او كلهم اجتمعون ، فيجلسون مع عظمة الوالد الى تلك الطاولة الحضراء العريضة الشأن حتى في المحصرة والبصرة .

والشيخ خزعل من امراء العرب المحافظين على تقاليد الاجداد في التعريس ، ولا سيما شريعة المئمة عند الشيعة تساعده في ذلك . فقد قيل لي ان له اكثر من ستين امرأة وانه قلما يعرف اولادهن . حكرتاً ما يحببه احد اولئك الصغار فيسأله قائلاً : ومن هي امك يا ولد ؟ ثم اذا ناوله احد مشايخ القبائل وهم بالخروج عليه ، وكانت له بنت صالحة للنكاح ، يزوره السردار اقدس ويشرفه بالمصاهرة ، فتغمد فيه في الحلال جذوة التمدد والعصيان . سألت عن سمو

الشيخ وأنا في البصرة قبل لي هو تخيب اليوم . فقلت : واين هو ؟ فقال
محدثي : راح يتزوج . وهو لا يزال على سنه الذي يتجاوز الستين اهلاً مثل
هذه المهات .

جاد في الصكامل للبرد ان انعم الناس عيشاً من عاش غيره في عيشه .
ولا اظن الشيخ غرمل يحتاج الى شهادة المبرّد وشهادتي في انه يمتد بهذه
الحكمة ويحصل بها . فهو اذا لبس ثوبه الرمحي في صفته السياسية يحمل على
صدره شهادات من ملوك الارض وفيها وسام القديس غريغوريوس من البابا
بناديكتموس الخامس عشر بابا رومه . وبين تلك الاوسمة والنياشين صككها
ارى وسامين لا يراهما كل الناس بل لا يراهما غير من نظر الى هذا الرجل
يعين الشعر والفلسفة . فهو في صفته الانسانية يحمل وساماً من النيلسرف
اليوناني ابيكوريوس واخر من الحكيم الالهى الصوفي عبي الدين ابن العربي .
ادين بدق الحب كيف توجهت ركبته فاحلب ديني واياني^(١)

هوذا الامير العربي الذي كنت متردداً في زيارته بالصدرة . وقد ترددت
لسببين ، اولها لان المتأدبين يؤمنون تلك الصفة الشريفة وفي جيوبهم قصائد

(١) جاء خطأ في الطبعة الاولى ان هذا البيت للشريف الرضي ، وكنت قد نقلت
في الجزء الاول بيتاً له مغلوفاً . فصحيح العالم النجفي الشريف باللهجة التي صمغ بها
كثيره من صاحب الزمان . (راجع الجزء الاول صفحة ١٨٤) قال نقفاً بطله ونسخه
« لئلا السائح العربي الأحسن يخافه على الشريف الرضي ما رضي الا ان يندركها
فسيب اليه في مقام آخر شمرأ ليس هو من شعره » قصائد الجنابة بالثنتين والستة
سبشتين .

فهل تظن ان الشريف الرضي يرضى « من الوجهة اليناية » بان تحمي « ركبته بعد
الجنابة . وهلا تظن يعقر « من الوجهة الاخلاقية » عن الجنابة عليه اذا كان ذلك في
سبيل الحب . واني في هذا السبيل كذلك اشكر للعالم النجفي اهتمامه بكتاب
« الملوك » وصاحبه .

المديح الطنانة ، ولمت أسره الحظ ممن يحسنون النظم ولا المديح الرعي .
وثانيها انه حاكم بلاد اطلق عليها العرب في الماضي اسم الاهواز وهي اليوم
عربستان من اعمال فارس . على ان رغبت في الاجتماع بامر عوفته من اشراره
انه فيلسوف الامراء ، بل فيلسوف الحياة العملية ، كادت تغلب على اسباب
التوردد كلها « فوطئت النفس على ان امرج على المحمرة في عودتي الى البصرة .
ولكن تقادير الخير امروستي فبجعتني بالدكتور ربحان الذي بشرني بوجود
صو الشيخ في الكويت »

فبادرت الى القلم والورق اكتب اليه كلمة استأذنه بالزيارة ، فوقف العلم
في رأس الصفحة البيضاء . جاءاً . كيف احبي هذا الامر وهو كثير الالتاب
والرقب والاحسة ؟ بل كيف احبي من يتحدث الناس من عرب ومجيم وافرنج
عن مكارم اخلاقه وغرر اياميه ؟ هل اخذوا حذو الادباء فانظم الاسباع ،
في من كرمه كالمسك ضواع ، ومتفق عليه بالاجماع ؟ قد يظننا قصيدة مدح
مني فياملني بما يوجبه شرع المحمرة . لذلك طرحت الرميات جانباً وكتبت
الى مولاي الشيخ خزعل كلمة سلام مقرون بالاجلال والاكرام ، فجاءني منه
الجواب الاتي :

اسعد الله اوقاتك

ايها الفيلسوف المكرم ، حياك الله وابقاك ، وحفظك ونجاك « واني
مشتاق الى لقاءك . فيجب ان ازورك قبل ان تذورني لان لكل قادم

(١) كان الشيخ مبارك آل صباح والشيخ خزعل صديقين حميمين يتراودان دائماً
فوقما الى المكرة حية يلدان جاتلك الصداقة الجيدة . وكان في وسعها تحفيها
فحقها ، فبق الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصرًا في المحمرة وفي الشيخ مبارك للشيخ
خزعل قصرًا في الكويت . ولكنه كان الى جانب قصره في المدينة فحق بهدنة الشيخ
خزعل قصرًا خارج السور يقيم فيه بعض اشهر الشتاء . وهناك اليوم قصرًا للشيخ
احمد آل صباح مجهز بالكهرباء والتلفون ومفروش بالقامر من الرياض .

حتى الزيادة وقد سبقتني بالجميل في كتابك الكريم ، فاشكر ذاك الذوق
 السليم ، واني صباحاً ان شاء الله ازورك في محل الجميع واحظى بنور تلك
 الطلعة واختم كتابي بالدعاء لكم بالتوفيق والسلام عليكم .
 المحب لكم
 خزعل

وكان اجتهادنا الاول في « محل الجميع » اي عند سمو شيخ احمد في الجناح
 الجنوبي من القصر في الساعة المفروشة بالقرش الاوروبي .

الشيخ خزعل في العقد السادس من العمر وهو ، بالرغم من الطيبين في
 معيته ، على جانب متين من الصحة والعافية . الا انه كان يشكو يومئذ من
 اسنانه ومن الطيبين معاً .

— سمعت الناس يشكرون اطباء الاسنان في اميركا . وقد قال لنا احد
 افاضل الاميركيين ان اطباء الاسنان هناك وباعة الخيل ومحاسرة البورص
 من طبقة واحدة . فلم نفهم كلامه فهل لك ان تشرحه لنا .

فقلت : اما باعة الخيل فالمشهور من امرهم يا مولاي هو انهم مثل ما
 يبيعون المالحق في حانة فينتفخونها قبل ان يزوها . اما محاسرة البورص فلهم
 اسم آخر في اميركا فيه اظن الشرح الذي تبنيه . فهم كما يدعونهم هناك
 اصحاب الدلو الفارغ . اي انهم يتاجرون بلا شيء ، بالهواء . فيبيعون زبائنهم
 ما لا يملكون من الاسهم . وكذلك الزبائن يبيعون ويشترون . هو ضرب
 من لعب القمار ، يكثر فيه ما هو محض شر من الاسرار .

— واني وجه الشبه بينهم وبين طبيب الاسنان .

— وجه الشبه في المبدأ يا مولاي — المبدأ واحد هو الوهم والاحتراف به
 هو الهواء في المالحق ، وهو الدلو الفارغ او الهواء في الدلو . فاذا رحت الى

طبيب اسنان تشكو من وجع في ضرس واحد يقول لك بعد الفحص انك جبار لانك لا تشكو الا من ضرس واحد ، وان بقية اضراسك في حالة منجبة ، فيقنعك بما أوتي من علم ان معالجتها كلها لازمة ولو اقتضى ذلك شهراً من العمل . والا فتسبي بعد اشهر وليس في ذلك من واحدة .

قال الشيخ خزعل : قد اخطأ الا ج كيون اذن . فلو كان هذا الرجل عندنا لهددناه من النشالين ؟ فضحك الشيخ احمد وقال : ينشل ما في القم وما في الكيس . فقال الشيخ خزعل : والحمد لله ان اطبباءنا سوربون .

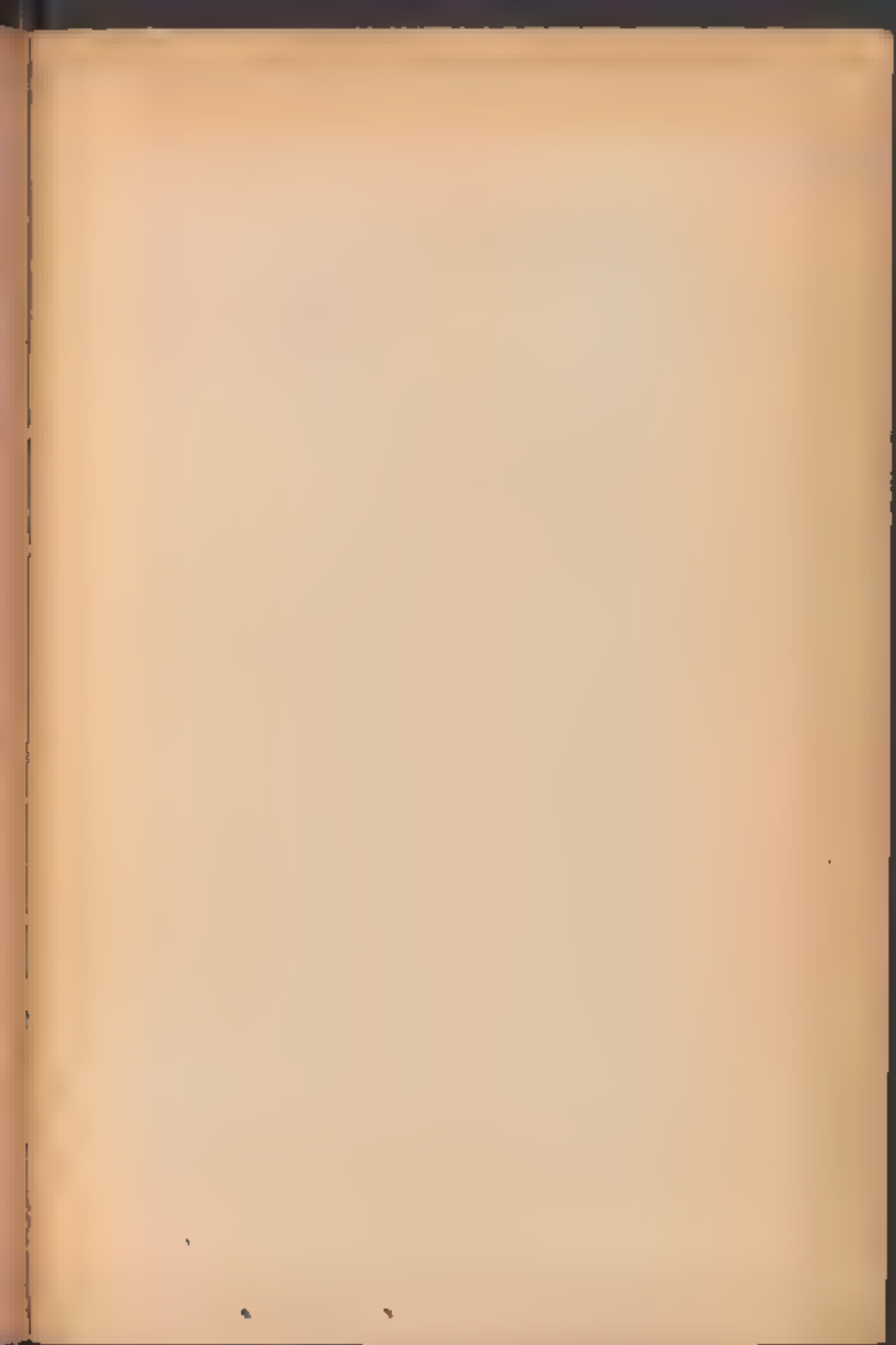
قد كان في معية سمو الشيخ طبيب آخر سوري هو الدكتور رامي . ولكن الطبيبين على ما علمت قلما يصفان من العقاقير غير المتأددة . وهما الصبديان كذلك ، فيسزجونها لسيدهم في المسر وحول الفطام . الاخضر المشهور

جاء الخادم بالقهوة . فعلمت ان مجلس حاكم الكويت الرسمي يختلف عن مجلسه العام بامرئ . الاول ان المجلس الرسمي المقروش بالرياش الفاخر لا يحضره غير افراد من حاشيته واسرته . والمجلس العام المقروش بالوسائد والمساند يحضره من يشاء . من الناس ، فيجلس في المكان الذي يليق به ولا يتعداه . اما الفرق الآخر فهو في تقديم القهوة . في المجلس الرسمي لا يصيح الخدم ويردد بعضهم صدى بعض . وفي المجلس العام بل في مجالس آل صباح اجمالاً اذا ما امر الشيخ بالقهوة يصيح الخادم في الباب : آفوه . فيهتف الخادم الواقف في الفناء : اي والله آفوه ! فيسعه الخادم الجالس مند باب المطبخ فيصيح كذلك : آفوه آفوه من راعي المعامل على الصياحين اجمعين مردداً كلمة السر : اي والله آفوه . فتجني القهوة في اسفل ، وان كان المطبخ على نصف ساعة من المجلس .

انتقلنا في الحديث من الاسنان الى الاخوان فقال الشيخ احمد : التعصب ببلية العرب .

وقال الشيخ خزعل : بل بلية العالم . ولو كان لي ان اوجع بعد الموت
الى هذه الارض لما احببت ان يكون ذلك الا عندنا نصبح ولا اثر فيها
لانعصب الديني . الانسان اخو الانسان احب ام كره .^(١)

(١) اسلفت القول ان المعصرة وما يليها اي عربستان هي من احوال فارس ، كانه
الشيخ خزعل يحكمها حكماً مطلقاً وقتلا كان يزدي الى الحكومة الايرانية السابقة
حساباً . اما بعد الانقلاب ، او بالحري عندما كان رضا خان يسيطر على الجيش
والامة وقبل ان 'تزوج شاهاً' قامت الحكومة الجديدة فحاسب الشيخ خزعل فكانت
نتيجة الحساب انه اضلل وأخذ اسيراً الى طهران حيث هو الان .





الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين وابنه

الضم السابع

آل خليفة
شيوخ البحرين

البحرين

سنة ١٩٢٢ هـ ١٣٤٠ م

•

مردوها : هي جزيرة مستطيلة في خليج فارس وبضلع جزر صغيرة أهمها
اثنان الواحدة شرقاً من المنامة وهي الأخرى والثانية غرباً
منها وهي البديع وهذه الجزر قريبة من الخط الواحد
والخمين من العرض الشرقي وبسطرها الخط السادس
والعشرين من الطول الشمالي .

ساحتها : اربعمئة وخمسون ميلاً مربعاً .

عدد سكانها : مئتا ألف نفس .

أهم بلادها : المنامة والحوثوق والرفاع والحد والبديع .

مذاهبها : السنة من المذاهب الأربعة ، والشيعة من الجعفرين
والإسماعيليين ، ثم الوهابية . وفيها عدد كبير من الهندوس
والفرس وبعض اليهود والنصارى .

الفصل الاول

مسألة من الدهشات

جوي البحر - قصور الشام - الأبرقة واللاون - اسواق المنامة - تجارها
وتجارها - النهضة الادبية - الرضاة الاميركية - المستدي الميركي - القصور
لا يقيد - صومر العسا والى البحر - داما نسب في جمالها - نظمها السجك
والقصير - داية الماتر اذ لا تستسلم ان جاري الحبار - ساعة الزجر هي
ساعة القصور - في مجلس الذبح عيسى في المهرق - خلي في تناول القهوة -
دسي في الدهشات - في بيت النسيم ابراهيم بن محمد آل خليفة شيخ الادباء
والدهاء في البحرين - عتلة السيف ابراهيم بن جمال الدين الافطاني - وعتلة
سرمهيس راسخ - اداب السواك عند الحرب - اودة والعتلة - عتلة من
النسيم ابراهيم - بعض اقوال الادباء - نهضة البحرين السياسية .

ما اخطأت الفن مرة ببلاد عربية مثل خطائي بالبحرين . وما دهشت
في قطار من الاقطار التي ذرتها دهشتي اول يوم في هذه الجزيرة في خارج
قافس . ولا عرو فالجهل يحكم الدهشات . قال احد الاصدقاء . في الحجاز
وهو يصف لي الطريق الى نجد : ستسافر من بياي الى البحرين ومنها في
مركب شرابي الى القطر . فطأنت البحرين جزيرة صغيرة حقيرة بأوي اليها
البيادون ، وفأنت شيوخها من العرب الذين يسكنون الحيام . بل كنت
حتى عند وصولي اظنها معبراً الى الاحساء . وماذا ينفع التظاهر بالعلم اذا
فضحتك اول حيلة منك بعد السلام ؟ اما والي اعنت الادعاء . فلا احاول
الخفاء جهلي وهو جهل عام يكاد يشمل كل ادباء العرب خارج شبه الجزيرة .
اني اعترف عني وعنهم اذن ، وما اتني بعد ان تملمت وحكمت في ما تلمت
سديداً اشاركم في النسيان .

اول ما يدهش الغريب عند وصوله الى البحرين ، خصوصاً اذا كان
قادماً من البحر الاحمر ، عمران مدينة المنامة وقصورها المشرفة على البحر .

ثم المراكب الشراعية « الجلابيت »^(١) التي تشق من مياه الخليج ازرقاً لا صفاء، مد صفائه ، ولا حفيف الطلح من حفيف هواء الخليج وهو يداعب الشراع ويهس في اذن الصباح كلمات الامان والترحيب . انه لينطبع في تلك الاونة من اللونين ، لون الشراع ولون الماء ، صورة في الذهن هي صكلوحة السيف في تغيرها المستمر وحركتها الدافقة . ذلك لان مياه البحرين قلما تخلو من « الجلابيت » السارحة المارحة فيها على الدوام . اما البواخر فهي ترسو على اربعة او خمسة اميال من البر .

واذا ما السائح وطى ارض الجزيرة وجال في اسواقها تأخذه دهشة اخرى اذ يرى فيها للتجارة حركة لا ينهي حتى ظاهرها بيسكل ما هناك . فهو يشاهد في المحارن من الملبوس والمأكول والمشروب ومن اسباب الزينة والترف ما يندرد الا في المدن الكبيرة مثل تباي والقاهرة . اما اذا دخل احد بيوتات التجارة فيستوقف نظره لأول وهلة الدفاتر الضخمة والكتاب . ها هنا وديك ادارة ونظام ، ودواوين يجلس عليها الزائرون لا الزبائن ، فيشربون القهوة ويدخنون . هر الشرق في مظهره القديم والحديث . وفي هذه البيوتات التجارية صناديق من حديد « واكياس من النقود ، ذهباً وفضة ، ويريد تراعى اوقات سفره وقدمه ، وحسابات ومراسلات ، وليس فيها شيء من البضاعة ، وقلما يشاهد فيها غير حركة الكتاب وحركة الزائرين . اما السبب في ذلك فهو بعد ان تعلمه بسيط .

ان البحرين مثل الكويت محطة للتجارة بين الشرق وبين الشطر الشرقي من شبه الجزيرة . ويصح ان يقال فيها من هذا القبيل انها سوق من اسواق نجد ، لان قسماً كبيراً مما يدخل اليها من الهند وايران والمراق ومن اوروبا واميركا عن طريق الهند يباع في الاحساء وفي نجد . وانك ترى منه ايضاً

(١) جمع جليوث راجع الترح في صفحة ٣٠٠ من هذا الجزء .

في اسواق بريدة وعنيفة وحاييل . بل يصل منه حتى الى اليمن وسير والحباز
لان القوافل من تلك الاقطار العربية تجيء عن طرق نجران وقلعة بيشه
والحرمة الى الرياض والاحساء . تجيء بين اليمن وجبريه وتعود حاملة من
البضائع ما يدخل الى نجد عن طريق البحرين والكويت .

ولا تزال في سلسلة المدهشات . فان رابع ما يدهشك ، اذا كنت ممن
يهتم الادب والشعر ، نمضة في البحرين ادبية اجتماعية مباركة . اجل ، ان
في هذه الجزيرة من الادبا والشعراء عدداً ليس بقليل ، وذلك ، ليس بضئيل .
ان فيها نمضة تقارن اخواتها في الكويت وفي العراق ، وتقارنها روحاً وطولاً
على الاقل في سوريا ومصر . وكيف لا وهذا قاضيها الادبي وفيه من الجلات
العربية اكثرها واحسنها ، وهذه غرف القراءة وفيها من الكتب الحديثة
والقديمة انفسها ، وهذه المدرسة الابتدائية وفيها يعلم بعض العلوم التي لا
زال نعد في اليمن مثلاً من بواش الكفر والظلال وفيها من المحدثين المصري
والعراقي والتجدي . ان البحرين ألا معبراً الى نجد احبذا الممر وما فيه من
مدهشات التهذيب والعمران .

والذي بخامسة منها . لست كما قد يعلم القاري ، ممن يهجون بالمرسلين
ويستحسنون التبشير بالاديان . ولكن في البحرين مهبطاً اميركياً ديني الاصل
طبي وتهذيبي العمل ^(١) وهو مؤلف من كنيسة يخدمها قسيس ، ومدرسة كانت
يوم زوت الجزيرة مغلقة ، ومستشفى وصيدلية بدو مما طيب فاضل وبعض
السيدات اللواتي يساعدنه ويثقل عملهن لا قولاً روح التهذيب والادب ، في
زيارتهم اميرات الحجاب والحريم .

ولكن هذه الرسالة الاميركية المؤسسة في البحرين والكويت والبصرة

(١) اي الرسالة العربية The Arabian Mission وهي تحت ادارة الرسالة الاجنبية
of Foreign Mission of the Dutch في اميركا Reformed Church of America .

نستطيع ان تضاعف ثوبها وتعمسه و اقلعت عن التبشير بالدين المسيحي وحصرت ما لديها من اسباب البر والحيي في الطبابة وفي التعليم المجرد من حب الهداية الروحية . ذلك لان المسلمين وخصوصاً العرب منهم راضون رضى عبيدا بدينهم ولا يرضون في سواء بديلاً . واكثرهم لذلك يتعدون عن المدرس التي يديرها المرسلون فلو فرضنا ان في مدرسة الكويت او البحرين ، وعلى جعل من دروسها التوراة ، عشرين قلميذاً فان هذا العدد يزداد اضعافاً اذا امكن التعليم اللغوي او قرئت التوراة في المدرسة كما يقرأ التاريخ . ان المرسلين انفسهم ايعلمون ذلك . وهم في مدة خمسين سنة لم يتسكنوا من هداية حمة من المسلمين ^(١) فما الفائدة من التبشير اخف ؟ حبذا مدارس اميركية لا مزارع دنيبة فيها تهرب المسلمين منها .

فها ايها القارىء . ليس ما يدهش في الانفاذ ، ولكن المرسلين في نباتهم المقيم مدعشون . ولا تزال اذا في الموضوع . وانا ادهشني في اليوم الاول من اقامتي في البحرين . وليس فيما اقول غير الحد والاعجاب . تلك الاثني البيضاء التي تعبر حساً واثقاً غير الحساء . ومعلوم . عند العرب . ان حور الحساء احسن ما في العالم على الاطلاق . حور الحساء ملك الحور . واثني البحرين اميرات الاثني . اما السبب في حسنها ومحبها وقدها ملك ربانها ، وفي نشأها المقرون بالحكمة ، فهو ان اهل البحرين يطعمونها السمك ثم يعكفونها بالتمر . وهوذا غزن السمك . لا تقادر الى التخليص ، ايها الاستاذ ، فالمباحة لا تفيد المعنى . انما الخزن بعينه اريد . وكذا الخزن قبح او شعير ، ترى فيه السمك

(١) « وكان الشيخ يهض ويخرج من المجلس عندما أفتح موضوع الدين . فسألت السبب في ذلك فقول لي انه يخرج ليدخن . . . اما شيخ صود اصود بلدة على شاطئ عمان ، فام يكن ليصبح بالمباحات الدينية ولا الحديث عن الدين . وقد قال لي : هذه المباحة لا تنيد . فلا الرب يغيرون دينهم ولا انهم يغيرون دينكم » .

الدكتور فان يودس في سنة « البلاد العربية المنسية » د ١٢٢٢ سنة ١٩٢٢

الصغير الذي يصنعون منه السرددين في اوروبا مكروماً كوكلم الرول . فهم
يخففونه ويبيعونه مثل القمح او الشعير بالاكياس .

اما « دبابه » المستر فورده الاميركاني التي ترعج السياح حتى في البادية
وفي اقصى زوايا الارض الموحشة ، فهي اليوم من الصعاليات في البحرين
ولكنها غداً تصبح من المبتذلات الخليليات شأنها في كل مكان . فيدق
شرها بتلك الان القاهره السجبة . الا ان في البحرين صعوبات في السفر لا
يصلح لها آلة او انسان . جاءني ذات يوم بعض الادباء يدعوني لزيارة الشيوخ
في المحرق^(١) وكانت سادة الخزر فلم استطع الوصول الى اجلبتون الذي كان
في البحر الا اذا اخترقنا السفحة حفاة ونحضا المياه حتى الركاب ، فرحبتنا
الاتن الى اجلبتون وشكرنا الله ان في هذا المضمار لا تباري « الدبابه » الحمار .

ليس كل من يبحرون من المنامة والخرق او اليها يركبون الاتن ساعة
الزجر ، بل ان اكثرهم رجالاً ونساء ، وقد شعروا عن السباق وعما فوقها في
بعض الاحيان ، يخوضون المياه بن السطلي . واجلابلت وهم يزحون وبضجكون
كانهم يسبحون ويأبحون . لا اظن ان مشهوداً من مشاهد الرقص في باريس
او من مشاهد السباحة في مياه بيارتر في الصيف ينضاهي في العري والبهاء هذا
المشهد البحراني وقد رافق ستاره الشمس واليهاء . بيد ان مسرحه مسرح
القطرة والسفاجة ، فليسيل للدهس ، ولا باب لما ساء من الفكر والاذياء .
واغرب ما فيه ان النساء الخجيلات يشمن كالرجال . لم اقل مرة ان اظهرت
دهشتي ، ويبدني آلة التصوير ، اذ رأيت احدى النسوة تنزل من اجلبتون الى
المياه وقد شمخت بكبرم وضاح ، فقال رفيقي : شي . ماؤف . اخذ صورتهما
ولا بأس ، فصورت آية النور ، اما الوجه فمحذور .

تولنا في المحرق وسرنا الى قصر الحاكم صاحب السمر الشيخ عيسى بن علي

(١) اي شيوخ آل خليفة وفي البحرين والكويت كما في نجد يطلقون الجمع على الحاكم .

آل خليفة ، فاذا في الزقاق الى اصل الحائط عدد من الاعراب عاقدون الحربة ،
واذا في الفناء الكبير جمهور آخر لا يقل عن المئة جالسون في مجالس من اللبن
والجبر كل يحمل سيفه او عصاه ، وقد خيم عليهم السكوت كأنهم الاصنام .
مشيت في الفناء لا ادري أي مجلس انا في معبر آخر اليه . ولما وصلت
الى وسط تلك الساحة الزهية وقف احد الجالسين في الصدر ، وهو شيخ
صغير القامة ، قصير اللحية ، طاعن في السن ، فتقدمت اليه وسلمت عليه ،
فاجلسني في مجلس من الجبر الى يمينه . هو الشيخ عيسى بعينه . رحب بي
ولامني لاني تزلت في المنام ولم اتزل في المحرق ضيقاً عليه .

ثم امر بالتهوية فجاءت في ابريق من النحاس كبير جميل ، يحمله رجل
اسود عليل ، لايس مغطاً احمر مزركشاً بانقصب ، بجمه ولد في ثوب رسمي
كذلك يحمل الفجانيين . وقف الانان امام سمو الشيخ وقوف الجندي امام
القائد العام فلما واليد على الرأس ، ثم اخذ صاحب الابريق فنجائاً من الولد
فصّب فيه وقده . لمولاه ، ثم صب ثمانية وقدم الفجان للضيف فتناولته باليد
اليسرى دون ان ادرك وتشدّ خطأي . لست ادري ما حل بي تلك الساعة
فكنت في حديثي كما كنت في عملي متعمّلاً . قل هي سلسلة من المدهشات .
وقد كنت هذه المرة مصدرها لا موضوع ناتجها .

دُهر الشيخ عيسى ولا ريب من فعلتي الاولى . وعندما شرعت احدته
امام ذلك الجمع الصامت الساكن في موضوع رحلتي نظرت الي وفيه شيء . اشد
من الدهش . وما سكنت اذكر لمرآء العرب وحاجتهم الى التمازج والتفاهم
حتى وثب من المجلس « فوقف الحضور كلهم مثله بنّته » وتقدم بي يشير ان
اتبعه . مشيت وراءه يصحبنا بعض حاشيته وانا بينهم مثل مذنب يساق الى
السجن . على ان يمر الشيخ ، عندما صرنا في الشارع ، انفتحت الي وقال :
« هؤلاء العربان لا يفهمون ، ونحن لا نتكلم في السياسة امامهم . نشي الى
البيت فتحدث هناك » .

مشينا الى بيته الخاص فقصدا الى غرفة فيه على السطح لا بدنو منها
 « المريان » ولا يصل اليها من الرقاب اذن او عين . وكان معنا حفيد الشيخ
 محمد بن عبد الله والذان اخرا من الاميرة الشريفة . جالسا واقبالا ازال اليوم
 نفسي على ما بدا مني فقال سمع دون ان يقصر النطق في فحشه : فكل الان .
 فجمعت ثبات الفصير واقتضت في الموضوع وهو منحت يجر برأسه ثم
 قال : العرب لا يتحدثون . فقلت : وهل تلبون دعوة الملك حسين الى اجتماع
 يعقد في مكة من اجل البحث في شؤون العرب والاسلام ؟ فاجاب قائلاً :
 اذا لى سلطان نجد الدعوة فتحقق نيلها .

وقفنا عند هذا الحد في السياحة ورحنا بعد ان ودعنا حمود زور ابن عمه
 الشيخ ابراهيم بن محمد المشهور اندي حاكم الجزيرة عدة سنين وكان له
 والادب كثير مواقع سياسية انتهت بنفيه وبوفاته في المنفى كما ساذصر فيما
 بعد . اما ابنه الشيخ ابراهيم فهو اشد ميلا الى الادب والشعر منه الى
 السياحة . بل هو شيخ الادباء والشعراء في البحرين ، ومن خيرة رجالها .
 تلقى العلم في الحجاز من كبار العلماء وله تلامذ على الفنون هو رجل عصري
 في افكاره واحكامه ، يتابع اجالات العربية ، ويتبع المصلحة الفكرية
 والادبية في العلم ، ويسعى وهو الرئيس الثاني لمجلس المدارس ، في تهيئة
 السبل في البحرين الى بعض خيرة .

حدثنا الشيخ ابراهيم في مجلسه عن جمال الدين الافطحي الذي عرج مرة
 على البحرين قال : لم يكن في تلك الايام من يعرف لجمال الدين مقاماً ولا
 من يكثر به ، حتى انه لم يجد في هذا البلد من يضيفه . هذا منذ ثلاثين
 سنة . اما اليوم فالفرق كبير بيننا وبينهم في ذلك الزمان . تراها اليوم زحج
 بالعلم ورجاله . وان ادباء البحرين يقتضون زيارة الاديب اللبناني الذي
 قال فيه مركاتيس . . .

ثم انتقل محذني من مجلة سر كيس الى مجلة المتكلم والملاح ، فسرني تناوذه على اصداء في البيدين شككاسرني ما خصني به لانه خلو من المبالغة والمجاملة . وما كدث اقول انفي ما احلاه حتى جاءت القهوة وجاءت معها كلمة استفهام طبعها النايب . قال الشيخ ابراهيم وانا امم يدي الى الساقى : وما السبب في تناولك قنجان القهوة في مجلس الشيوخ باليد اليسرى ؟ قد انتقدوا عليك ذلك . فقلت وانا صادق في مذري : ان في يدي اليمنى وجعاً مصياً يضطرنى في بعض الاحيان الى استعمال اليد اليسرى . فقال فضيلة الشيخ : عذر مقبول وسنشره في البلد دفاعاً عنك ودفعاً في ما بعد للانتقاد . فقلت وصلى ان يعلن العذر بسرعة اعلان الذنب . فضحك فضيظه ومن في المجلس .

قد يدعش القارى اهتمام عالم لمثل هذه الامور الثقافية . ولكنها ليست بتافهة عند العرب ، وهم اشد شعوب الارض شغفاً بالرميات . فانهم على اختلاف طبقاتهم يواظبون على اداب الخلود في انجالس ، وعلى المائدة او الى السباط ، مواظبة الطبقة العالية من الاوروبيين . فترى البدوي في مضربه مثل الامير في قصره يحافظ على المفامات ويرعى حقوقها ، فكما انه يحافظ على العادات والتقاليد ويحسن التمييز في ادق خصائصها .

اما امتناع الشيخ ابراهيم عن مشاركة ادياء البحرين في الحقة التي اقاموها الاديبة اللبنانية فلا اظنه من هذا الباب . فلو كان المقام السبب في الاحجام لما تراس الحقة الشيخ محمد حفيد الشيخ عيسى ولما حضرها غيره من الاسرة الشريفة . اما الحقيقة هي ان الشأن الذين اقاموا الحقة ارادوا ان تنحصر بهم فلم يدعوا لها الشيوخ . وسكنا قد اجتمعنا حلقة حول السباط في دار الشيخ ابراهيم العامرة كان هو فكرها اللامع ، فحدثنا في احوال البحرين وتاريخها حديثاً فيه لذة وفائدة . ثم شرفني بكلمة تفصح عن وطنية جنابها الحسنة وتاجها العلم انقلها الى القارى . مثلاً من نثره وفضله :

والشيخ محمد هو ابن الشيخ عبد الله كبير النحال امير البحرين ، كبيرهم
عقلاً ووطنية وعزماً ، فلا يخلو كلامه من اشارة - سياسية - .

اما الصراحة كل الصراحة فما كفا . ان بين ادباء تلك الجزيرة العربية
الحميلة شاماً ورد ادبه بواسطة اثبات العربية القريب والشرق فاستقى من
الموردين ، فصفت روحه واشتدت لهجته ، وما كان في الاثنين غير صراحة
رائدها الصدق ودليلها الحداثة . هو عبد الله بن علي آل زايد ، سلك الكهولاء
بين الادباء . وكفى به بكامل كلام الرئيس في خطبته تلك الملية اذ قال :

— قل يا عربين اي ردت معسر والحجاز واليمن والعراق ونجد والبحرين
فرايت في هاته الامصار شعوباً تفضت عنها عيار الكسل واستعدت للعمل ،
شعوباً تتوق الى مصافحتكم وانتم اصدقاء ، الى مصافحتكم وانتم الزملاء .
ولكنكم لا ترضى بحال من الاحوال ان تكونوا لها مثابة السادة . . . قل لهم
ان الشعب العربي هو استاذكم الاول ، ومعلمكم القديم ، فلا تقابلوا الاحسان
بالاساءة وتجهلوا ثواب الرشادة اخلالة استبداد . . . قوموا لهم بقام الناصح
المحرر ، لا الجار المسيطر . دعوا الزمان الذي كيفكم بكنيته ، والموامل
التي اعدتكم تعدله . . .

هذا من عبد الله بن علي نثر فيه صراحة ، فيها حقيقة ، فيها جرأة
واخلاص . وقد عم ذلك كله بقصيدة جاء فيها وهو يصف اهل الشرق :

غنيهم بخيل والمداوي عليا والاجانب اولياء

نعم غنيهم بخيل في المصاريع العامة التهذيبية والصحفية ، والمداوي عليا
بما في خروجه من عواقير الحروب والفتن . فاذا ما اصبح الفني في
ما ذكرت كرمياً ، والمداوي سليماً من محرم الحرافات ، فتيقن يا اخي عبد الله
بن علي بان الاجانب يصحون اصدقاء وزملاء .

في البحرين اذن نهضة سياسية هي قريحة النهضة الادبية . اجل ، ان في البحرين من ينشدون الوحدة العربية ، وفي نادي البحرين من يرفعون النهضة الى مستوى الفلسفة العالي ، ومستوى الانسانية الاعلى . فقد ادهشني ايضاً تلك اللملة اديب من ادباء الفرس ، والفرس مهد الفلسفة والحرية الروحية ، في ذكره الشاعرين الصنوين عمر الحيام والي الملا المعري . قال محمد صالح الحنفي : اني احب المعري والحيام واني شغف باشعارهما . وقد سرني بنوع خاص ما بانني من ميلك اليها وغراءك بافكارهما . . . ان البشر لم يزوالا كما كانوا في ما سلف من الزمان وكما وصفهم المعري والحيام . . . ان الاديان الحنيفة روحها واحد وانما تختلف الشرائع التي تشترط احكام المرافعات وفصل الخصومات . . . فالاديان بروحها ومقارها تدعو للاجتماع والائتقاد . . . الشرقيون كلهم عائلة واحدة . . . خلاصهم وسعادتهم في ان يسود النظام بينهم والوفاء والتضامن .

مرحى ، مرحى .

وها قد اطلقت القارىء بالقرائن والامثال على بعض ما يدهش في البحرين - وهناك مدهشات تاريخية وطبيعية سيجيء ذكرها - واسمته في اصوات الادب والشعر شيئاً من الشكوى والالين . فينبغي لي ان اطلعه اذن على الاسباب . على ان البحث في احوال البحرين يجيء قافصاً اذا لم تتقدمه نبذة في تاريخ هذه الجزيرة وفي حالتها الطبيعية والاقتصادية .

الفصل الثاني

مد الحضارة والشرع

أصل الفينيقيين - شهادة التاريخ - مدائن البحريين - اكر قيليقية - قائد من قواد الاسكندر يور ينداقيتيا في خليج المعبر - صور وجبيل هناك - العرب والفلسطيون من اصل واحد - افساق البير واسيات الشرق - التجارة الجديدة - لوانو - البحريين - حصة - يستلمون من الطبيعة - عاصم النواوية - حلف - في انطار - رايه العاصم - وراي القزويني - الكوش والقيصر - اصلاحات هذه المعرفة - حليف يمتدح معجزة البير لوانو - هذه القوس - شهر النواوية - اخطار القوس - القزويني - السبي في حسن لوانو - البحريين - عاصم الطبيعة ومجانب القزويني - القوس تحت الماء - تضر الارض من بعدد الى الامانة - اصل البحريين يفرزون من مياه العارض والسمامة .

قال بعض المؤرخين ان خليج المعبر هو مد الحضارة بل مد الجنس البشري وان سكانه الاقدمين اي سكان الجزر فيه هم اول من رفعوا شرارعا في البحار ، واقتصدوا اخطار الاسفار ، فارسوا الملاحة واتقنوا علمها ، وكانوا الصلة العاملة بين الشرق والغرب . وقال خرون ان الفينيقيين هم من هذه الديار العربية . فقد جاء في بعض كتابات المصريين القديمة ذكر *Point* وهو اسم الفينيقيين قبل ان يحتلوا بلاد الشام . والظاهر انهم من اصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة انهم ظفروا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر المتوسط ^(١)

وجاء في التاريخ القديم تأليف رولفون الافكليزي الذي يسند كلامه الى اصحاب اللغات مثل هيرودوت واسترابون : ان اقدم الدول الاسيوية تأسست عند قدم الخليج العجمي ^(٢) ناهيك بالاثريين الذين يقولون ان القرنة اي البلد

(١) لغة العرب الجزء الثاني صفحة ٢٧٠

(٢) هجر التاريخ القديم تأليف جورج رولفون صفحة ٢٨ و ٢٩ Ancient History by George Rawlinson

السكاننة على ملقى دجلة والفرات اليوم هي المكان السعيد العالي الذي سقط منه الايران الكورثان - هي جنة عدن ، او كانت . ولا تزال شجرة الخير والشر قائمة فيها - ومثيرة - حتى اليوم .

ان علماء التاريخ وعلماء الافكار اذن متفقون مع الانبياء . على انه مهما حكى امر الاساطير وبعدها عن الحقائق الطبيعية والتاريخية ، او قوبها من تلك الحقائق ، فن المقول ان الفينيقيين ، وهم من الشعوب الشرقية السامية ومن رجال البحار الاولين ، نشأوا في جوار الخليج او فيه ، وكانت اسفارهم في البداية بين الهند والشام ومصر ، ثم ظفروا الى سواحل سوريا وخابضوا البحر الابيض ، ووصلوا الى قندل وبلاد الفال ، واصبحوا في تلك الايام الصلة التجارية الوحيدة بين الشرق والغرب الاقصى .

وما قاله رولانسون انهم انتوا يافرون من ارواد بيلوس برا الى الخليج العجمي فيبحرون منه الى الهند وسيلان ، ثم يهودون وهم يحملون الذهب من اوفير^(١) كائهم بعد نزلهم غرباً الى سوريا كانوا يهودون الى بلاد مي بلادهم وقد توارثوا علومها مع علم الملاحة بعضهم عن بعض . ولا عجب اذا كان الخليج وجواره منشأ الفينيقيين ومطلع انوار المدنية الاولى ، فان ابنا هذه الربوع هم الذين مصرخوا ارض الكلدانيين وشيدوا قصور بابل وآشور .

من المؤرخين من يقول ان الصينيين كذلك نشأوا في جوار الخليج وطفنوا شرقاً الى البلاد التي هي اليوم بلادهم . ولعلنا وان عدنا مع علماء التاريخ خمسة آلاف سنة فلا يلزم ، وموضوعنا البحرين ، ان نعود الى الاساطير قبل ذلك العهد او بعده . ان في جزيرة البحرين نفسها ما يشبه رأي رولانسون ،

(١) اوفير هي البلاد الشرقية التي اشتهرت قديماً بكثرة نضارها . وقد اختلف المؤرخون في موقعها فمنهم من قال انها كانت على الشاطئ الهندي قبالة عمان ومنهم من قال انها في افريقية الشرقية .

بل رأي هردودوط واسترابون ، في اصل القيتيقين . ان في الجزيرة اثار تاريخياً
قديماً لم يكشف بعد كل سره .

ركبنا ذات يوم السيارة وسرنا من المنامة جنوباً فوردنا بارض رطل نخيلها
ظليل ومياهها الجارية في القني غريبة ، ثم بخرائب قديمة عربية ، ثم بنايات
وأكام احدث بنا الى ارض تقعر ارة وطوراً تردهي اغضاراً ، حتى اذا اجتازنا
بعدة اريال وصلنا الى قرية علي ، وبكشف امامنا مشهد غريب عجيب
خصوصاً وهو في جزيرة صغيرة مهولة ، بحرين تلال او اطلال تظنها لاول
وهلة اثار مدينة قديمة . ولكنها آكام هرمية اصطناعية قائمة في سهل مسيح
بين في قعر سبب من المنامة والواقع يدعى المواقب .

هي مدائن البحرين وقد بنيت فيها العوج والقبصوم . هي مدينة
الاموات في سكف الزمان ، وفيها احياء كالمدينة متفرقة متحدة . وفي كل
حي مئات من القبور . مدينة دارسة لا يعرف ما تاريخها . كأن مدنها
خلقوا وماثوا قبل ان يستكشف الانسان للقراءة سلباً وللاكتابة مهابراً .

وصلنا الى رأس اكمة علوها زهاء خمسين قدماً ثم نزلنا الى جهة منها فيها
امر النساء . باب كبير وعضادة ونصف عضادة وعتبة امست أسكنة تحت
الاقدام . دخلنا فاذا نحن في بيت فيه غرفتان بنيتا بالحجارة الضخمة الواحدة
فوق الاخرى . ويظهر ان الاموات كانوا يدفنون في هذه الغرف واقفين او
جالسين . او ان هذه القبور العالية كانت لامراء الجزيرة واميانها . هي تختلف
علواً ولكنها لا تنقص عن الثلاثين ولا تزيد على الخمسين قدماً . ولكن
شكل الغرف والمداخل فيها واحد لا يتغير وكلها في جوار قرية علي . اما المقبرة
الفسحة الارعاء ، المقبرة العامة على ما اظن ، فهي عند بيدا في جهتي الشرق
والجنوب ، وفيها من القبور ما يزيد على الستة الاف قبر يراوح علوها بين
الخمس والعشرة الاقدام . هي من اكبر مدافن الشرق ولا يبعد ان تكون
أقدمها عهداً .

ومع ذلك لم يهتم لما علمه الآثار والتاريخ اهتمامهم لغيرها . وقد يكون السبب في ذلك غول ذكر الجزيرة عند عامة الناس ويعدها عن جادات السياح المألوفة . بيد ان رجلاً انكليزياً اسمه دوران^(١) جاء الى البحرين سنة ١٨٧٩م وكان اول من فتح مدفناً من تلك المدافن على ما اعلم وبأمر الحفر والتنقيب ، فوجد هناك مع عظام الانسان قطعاً من عظام الخيل ، وشققاً من الفخار ، وآنية من الطاج ، وسنجاناً وسنائر بالية ، واخشاباً ناعرة من السوس والديدان . الا انه لم يذكر انه عثر على كتابة او صورة محفورة في تلك القبور .

ثم جاء في سنة ١٨٨٩ سائح انكليزي اخر هو تيوودور بنت^(٢) واممن في التحري والتنقيب ، فعثر على آثار صناعية يستشي منها الى المتحف البريطاني ، فدرستها لجنة المتحف وقالت انها فينيقية الاصل . فاثبتت في ذلك رأي المؤرخ رولنسون الذي مر ذكره ، واثبتت ضمناً ان هذه القبور قديمة جداً لان محرة الفيقيين من هذه الجزيرة الى البحر المتوسط هو منذ خمسة الاف سنة كما يقرئ في المؤرخ رولنسون . ان هناك دليلاً آخر على قدم عهد هذه المدافن وهو ان لا اثر فيها على اهميتها للكتابة او للتصوير الرمزي

ان في التاريخ القديم برعنا آخر على فينيقية البحرين . فقد كتب احد القواد المقدونيين عندما جاء الى خليج العجم من قبل الاسكندر مستقياً طريق الهند انه زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج ، ثم جزيرة تدعى نجرين ، وهي على ما يظهر دلرين العرب ، ولا تزال قربها اليوم اسكلة بحرية تدعى جبل . وادهش من ذلك ان على شاطئ عمان الشرقي بلدة كبيرة اسمها صور ، سكانها عشرة الاف واكثرهم نوتيون ، عندهم مئة سفينة حكيمة والغان من السفن الصغيرة تسافر الى الهند والبصرة وبورت سعيد . وصور هذه من المدن القديمة ، وقد كانت في الماضي ، مثل صور الشهيرة على

البحر المتوسط ، محطة تجارية بين الهند وبلاد بابل .

هالك أدلة التاريخ والأند والديار التي لا تزال عامرة على أن الفينيقيين فتحوا من خليج النجم بل من بلاد العرب الشرقية إلى البحر المتوسط ، وإذا كان يريب القارىء شيء من ذلك فلا مجال على ما اظن للريب في أحد أمرين : أما أن الفينيقيين من أصل عوبي ، وهم مثل العرب ساميون ، وأما أن العرب من أصل فينيقي . فإذا صحت رواية رولفسون ثبتت القضية الأولى وإذا صحت رواية قائد الأسكندر ثبتت القضية الثانية . أما إذا كان لا ريب في الروايتين فنشأ الفينيقيين ومهادهم كلاهما في هذه الجزر وهذا الساحل العرب من الخليج .

ولا فرق عندي في كل حال إذا كان العرب الأصل أو الفرع . فإذا استقروا الأصلي فمرحاً بالفينيين إيمانهم ، وإذا ~~صلوا~~ الفرع فمرحاً بالمتحدرين من الفينيقيين . أنت من الذين يتلذذون بتعليق النور ، وتحليل روائع الجود وأنما يتقنه هو أن بين الشعبين الرومي والفينيقي صلة جوهرية قد لا ترى ولكنها لا تنكروا بل هي تروى في سنة الرواية وأدلة الحياة في الحال . إليها إذن أعود بالقارىء .

أن أهل البحرين مثل أهل الكويت بل مثل كل العرب الساكنين على سواحل الخليج لا يزالون من عشاق اليم وسادة السراع بل هم اليوم الملاحون السائدون في الخليج وفي البحر الأحمر ، هذا إذا استثنينا السفن البخارية . أجل ، أن العرب اليوم مثل الفينيقيين قديماً قابضون على زمام الملاحة ، راقمون فوق ساري الجدل علم الشجاعة والأقدام . إلا أنهم اكتشفوا من مصادر الرزق والثروة غير نقل الابضة والمتاجرة في الأمصار البعيدة . فقد اعتاضوا عن التلذذ والزجاج بالخبث النفيس ، بثمن ما يستخرج من أعماق البحار .

لا أعرف من تاديب اللؤلؤ غير شيء من حياته البهيمية . أما اكتشافه

واول من تاجر به من الرجال ، واول من خدع به امرأة ، واول من نحلي به من النساء . فتلک امور اجهلها . وقد يكون فائتي ما قاله المؤرخون في اول من فتح صدقة واستخرج الدرة منها ، وما قاله الاثريون والروائيون في اول من صاها واستخرج القواني بها . قد جاء في التاريخ القديم ذكر ذهب اوفير ولم يذكر على حد علمي اولو خليج الدجيم الذي هو مهد الحضارة والشرع ومهد تلك الصدقة التي يكمن فيها المال والجلال .

ان الاولو مصدر الثروة الاكبر في البحرين واشهر ما اشتهرت به الجزيرة فقد قدم ما يخرج منها سنوياً بثلاثين مليون روية اي مليوني ليرة التركية (١) وقد اجمع الاخصائيون ان مفاص البحرين هو اكبر مفاص في العالم مثلاً اجمع الصاعة ان اولو البحرين بفوق صفاء وحسن ماثر اللاكي . لا بأس اذن ونحن في الموضوع من الالام بسيرة هذه المخالفة الزينة التالية . وان ما اورده الان هو من كتب العلم والجهلاء لا من دواوين الشعر والشعراء .

الاولو بنت المحار ، بيتها الصدقة ، وبيت الصدقة البحر على الدوام لولا يد الانسان . اما الخمار فمرب البحر الاحمر بقسوته الى قسمين ، الصدف وهو الكبير الذي يتدر الاولو فيه والبليبل اي صدف الصدف . بنت اللاكي . فاذا ما استخرجوا الدرة من البليبل يدوم صدفتها ولا يمكنهم يحتفظون بالصدف الكبير فيتجرون به . وقد قيل في ان قيمة ما يصدر من الصدف

(١) وقد مر ما يخرج من الكويت بقيمة ثمانية مائة روية ، ومن القطيف اربعة ملايين ، ومن جبل شمس ستة الف روية ، ومن عمان خمسة عشر مليوناً ، ومن انجم وقبر مليون ونصف فيكون المجموع من الخليج سبعة عشر مليون روية منها مليون ونصف من جزيرتي لنجد وقبر وبما قرب الساحل المسمى الجولي . قد يكون في هذه الارقام بعض المبالغة ولكنها لا تقل عن ثلاثة ارباع القيمة المذكورة . وقد اخبرني السافرون بان مفاص اللؤلؤ يتد من دبي في عمان الى رأس المشخاب جنوبي الكويت وكذلك في الجانب الغربي اي العربي من الخليج .

والأول من البحر الأحمر لا تتجاوز المليون روية لأن مفاصل الأول في قذبة صغيرة .

أما قصة الصدفة فما كها بالأجواز . هي في يوم الولادة تلقى بيضها الأصفر على وجه الأرض في قعر البحر ، وهو مثل حب الخشخاش يتجمع حفاً فيتلون منه القمر ، ثم تنشأ البيضة فتدور كحبة الدبس ، فينبثق عروق خضراء براققة مائلة إلى الأزرق ، فتشمر العروق حتى تصبح ككالانامل طويلاً وهي دقيقة كالشعر ، شديدة كثرة من مسدود . وعندما تشمر عروق الصدفة ترسب وتثبت في مكان صلب من القمر . ومنها ما تطفو فتتحرك بحركة البحر وتنفق بعضها عن بعض ، بل تفلق فتندرج حتى تلقى صخوراً أو شجرة أو مكاناً صلباً من القمر تدق أو تداه فيها ، تسكن عروقها منه . وهي لا تأخذ بالنمو إلا بعد أن تنتهي من الدوران ، وتثبت في مكان . فتفتتح إذ ذاك فيها أي صدفتها للأفداء وجهه من الطين . أما ما قبل بأن الحمار يصعد إلى سطح البحر وقت الشتاء . يشرب الماء القراح فالحظاً فيه لا يحتاج إلى برهان ، وقد أوضح ما تقدم أنه يعيش ملتصقاً بالصخور أو بالأرض الصلبة .

كأنني بالقاري . يقول : وعدتنا بترجمة المأذونة معدتنا بقصة الحمار . على أني قلت أن المأذونة نبات الحمار ، وفي القول من الشعر أكثر ما فيه من العلم ، أما الحقيقة العارية الباردة المؤلمة فهي أن المأذونة نبات مرض يصيب الحمار ، أو بالحري نتيجة خلل يعترض نظام الإفراز فيه والذي يظنه علماء الحيوان هو أن حبة رمل أو بيضة أو حشرة تدخل مع الغذاء فتستجيب منها أوعية الحمار ، فينتج عن ذلك إفراز غير طبيعي يتكون منه كتلة كاسية مائعة هي المأذونة^(١) .

(١) أما رأي علماء العرب فصاحب كتاب عجائب المخلوقات أحدهم بالذکر . قال الفزاري في الجزء الأول من كتابه صفحتي ١٩٩ و ٢٠٠ على هامش كتاب حياة الحيوان للدميري : أن الإبل بوقت الربيع تحمل إلى بحر فارس رشاشات من بحر أوقاس وفيه ماء شبه بالزئبق لرج مثل الغراء فيولد منه الدود بأن تقع تلك الرشاشات

فإذا جاءت الكتلة هذه متوسطة في اللحم كانت نفيسة ، وإذا لامست أو قاربت الصدف كانت رديئة .

وفي سبيل هذه الكتلة الكلية يغادي الكثيرون من رجال القوص بصحتهم وبارواحهم . فالكثير يرففون حيناً يرففون إلى وجه البحر ، ومنهم من يصابون بداء الرقة . ذلك لأن القوص يترده مع الجراحة والحلقة نفس طويل . والنفس إذا طالت تعبت به الرقبة ، وإذا طالت تحت الماء جاء فوق الامساك ضغط تنفجر منه في بعض الناس الشرابين .

أما موسم القوص فهو « من أول برج الثور إلى أوائل برج الميزان »^(١) كما يقول الشيخ الشهابي^(٢) الذي يعود إلى الأغلوك مثل حضل اعزاني ليعدد الأربعة . وقد اخبرنا في كتابه أنه « أورد صفة القوص » وإن كانت مجموعة لاره اعظم على رحلة ابن بطوطة فرآه يصف « فاص الجواهر بخلاف ما يشاهد في هذا الزمان » .

السفن التي تستخدم اليوم للقوص هي على نوعين الأول والثاني^(٣) أما في الماضي فقد كانت على أنواع شتى منها الخلة والبارة وكلها شراعية . وأهل القوص يعمرون عن مخروخ الحفن بالخشب ويصرون اشتداء الموسم الركبة والتهمة القنال وهم يدورون أبواؤ قاشاً والجواهر دانات .

في محل الصدف فائده الصدف كما ينام الرحم المبر . فربما وقعت فيه فطرة كبيرة وتنفذ دراً كبيراً^(٤) وربما تقع رشاشات تنفقد عنها احراء صفار كما ترى في أكثر الاصناف . هذا رأي القزويني وليس فيه شيء من الدلم .

(١) برج الثور وبرج الميزان يشهدان في دورتهما على الاشهر التي تعرف عندنا بأشهر الربيع والصيف أي من أيار إلى أيلول .

(٢) قد قرأت في وصف الموس ما كتبه الشيخ خليفة بن محمد الجهان وهو يطلق على ما سمعته من اللغات فتلخصت بعضه لأني الموضح حقه .

(٣) راجع السرح في صفحة ٢٣ من هذا الجزء .

في البحرين يباشر صغار الفاصة العمل قبل ابتداء الموسم فيجئون في غصص الشتاء الى ساحل البحر ويقصون في عني ذراع او يزيد يلتقطون ما يجدونه من الصدف . وهؤلاء يُستون « المجنى » . فاذا ابحروا وخابوا يومين او ثلاثة يسمون « الغراب » لنزولهم اي بعدهم عن المدينة . وهناك صنف اخر م « الحنجية » اي الذين شجهزوا لثبة اسبوعين في القوص او ثلاثة اسابيع . ثم يتأهب اهل البحرين للقوص العام اذا مضى النصف الاول من برج الثور ، ويقفلون راجعين اذا دخل برج الميزان ، فيبعون ما يفسون من البحر ويتقاسمون .

الكل من يشتغل في القوص اسم يعرف به . فيدعى صغير السفينة « قاعوداه » والذي يقوص « النيص » والذي يجر حبال النيص « السنب » والمساعد لهم « الوظيف » ثم الحاد المثلث هو « التياب » . هؤلاء والبحرية يخرجون في جلوبوت مزود بالزاد والماء الى مكان من امكنة القوص المعروفة التي يبعد بعدها ثلاثين ميلاً عن البر ، ويتراوح العمق الذي يقصون فيه بين ثلاثة ابراع واربعة عشر باماً . يسيرون الى موارد الحطير والثروة وهم يغنون او يرددون بعض الايات انغماً ساحرة . يسرون في ظل الشراع مطشئين ، واذا اشتدت الريح فيجأهدونها في سبيل الدر والحياة . - توكلنا على الله . . . صل على النبي . . .

ها هم في مكان القوص ، وقد طوي الشراع ورما الجلوبوت . هات الحبال ياسيب . هات الحديد^(١) يا رظيف . هات الدُّبِين^(٢) يا تياب . وهذا النيص وقد وضع الفظام^(٣) في انفه ، والحديد في رجله ، والدُّبِين في عنقه ، ثم يمسك

(١) وقد يكون حجراً او رصاصاً يدارج وزنه بين الاثني عشر والخمسة عشر وطلاً يمله النيص في احدى وجهيه ليمر به الى قعر البحر .
(٢) الدُّبِين زئبق من حبال اللبف مشبكاً مثل القربال الا انه واسع الخروقي .
(٣) الفظام مثل المقراض مصنوع من قرن الوعل او من عظم السلحفاة يمله النيص في انفه ليمسح النفس .

نفسه وقد حجب وجهه بكفيه وبطيح . توصلنا على الله الصوت موجة
تتقل فتكون حلقات ، فتكبر ، فتفكك ، فتلاشي . راح تحتها النيص
ينمي الجواهر في المحار .

وهو حالما يصل الى القمر يفتح عينيه ويتزع من رجليه الحديد او الحجر
فيرفعه السيب بالزنبيل^(١) الى السفينة . ومنهم من يلبس قفازاً من جلد ثم
يشرح يشي على يديه ، ورجلاه مرفوعتان والجلد^(٢) بين ايماهما ، وهو يلتقط
الصدف ويضعها في الزنبيل . فاذا ضاق خدعه او امتلأ زنبيله جذب الجلدا اي
حبل الزنبيل فيصبح السيب : نَبْر^(٣) بين هو يسحب الحبل والنيص متدسك
به . فاذا صار على وجه الماء نزع القطام من انفه وقنفس ، يأخذ السيب
الزنبيل فيغرغه في وسط السفينة ويدفعه اليه فيعود الى القوس . وهكذا الى
ان ينتهي النهار . وهم يسون المرة الواحدة من القبول والصدور « نَبْر »
وهي لا تقل عن الدقيقة ولا تزيد على الثلاث دقائق اي مقدار ما يستطيع
ان يستمر النيص تحت المياه . بعد انتهاء القوس كل يوم عند الغروب او قبله
يفلقون الصدف ويخرجون ما يحذونه من الاؤلؤ فيها . او اذا فرغ زادهم او
ماؤهم فيأتون الى البر ليتزودوا ويعودون الى العمل حتى انتهاء فصل الصيف .

الناخوذه هو مدير العمل فيجمع الاؤلؤ كله ويتولى بيعه « فيأخذ من
مجموع قيمته الخمس ويقسم الاربعة اخماس بين رجاله بعد ان يحسم من قيمة
كل واحد قيمة زاده ، فيمطي النيص نصف قيمة الاربعة اخماس ، والبقية
ثلثا الباقي ، والسبب الثالث الاخر . اما التبايع فليس له غير اصكله وفائدة
التبرين على القوس . هؤلاء هم القاصة اي الذين يستخرجون الاؤلؤ بانفسهم

(١) الزنبيل حبل مربوط به الحجر وممثل بالسفينة .

(٢) الجلدا حبل آخر مربوط به الزنبيل . والاثنان يتولاهما السيب .

(٣) « نَبْر » كلمة يردونها متداها يجذب النيص الحبل برجله اي يطلب من رفاقه
بجدة الاشارة ان يرجعوه الى وجه الماء .

وعلى حسابهم .

اما الذين يفرعون لحساب غيرهم فهم يستأجرون السفن ومنهم من يستدين المال . والذي يسكوي السفن ويقرض المال يأخذ خمس قيمة اللؤلؤ الذي يجملونه ، ثم نصف الخمس اجرة السفينة ، ثم نصف خمس اخر فائدة المال . وهم اي الفاضه يتقاسمون الثلاثة الخماس الباقية بحسب القاعدة التي مر ذكرها . اما اولئك الذين يكتفون السفن فقط فلا يدفعون غير نصف خمس اللؤلؤ اجرة السفينة . الا ان الغالب في الطريقتين الطريقة الاولى اي التي يتال بها صاحب السفن والمال خمس قيمة اللؤلؤ المجموع .

وهناك تجار اللؤلؤ واكبرهم في البحرين . فهم يبيعون ما لديهم منه في الجزيرة الى تجار اوروبيين والى البنيان الذين يجيئونها في الموسم لهذه الغاية . او انهم يسافرون به الى بباي فيبيونه هناك . ومن هؤلاء التجار من يسون « بالعلو اريش » وهم الذين يخرجون الى عمل الغوص ويشتركون من التواخذة بعض الجواهر ، فيدفعون ثمنها نقداً واما ثراً وزاداً . والتواخذة يتنازلون الزاد في بعض الاحايين لانه يمكنهم مؤونة الرجوع الى البلد للتموين .

اشرت في ما اسلفت الى اخطار الغوص الى صفاء لؤلؤ البحرين وحسنه . فعلي اذن ، قبل ان انتقل من الموضوع ، ان القى الاشارة بكلمة ايضاح وجيزة . قلت ان من الغواصين من يصايرون بداء الرئتين واكثرهم حينما يخرجون من الغوص يمرضون . وقلنا بهم ذلك . فهم لا يخافون الا من الدول عدوهم الاكبر . وما هو الدول ؟ عدت الى الدمعري والقزويني فلم اعثر في بحر علومهما على الدول . ولا جاء ذكره عرضاً حتى في الكلام على اعجب المخلوقات . في كل حال اني ، وان ذكرت ما قاله القزويني في الصدف وتكوين الدر ، اميل الى سواء من الثقات وخصوصاً اذا كانوا من هذا الزمان . لذلك افصح شيخ خليفة بن محمد التنبهاني الذي خبر الغوص بتقسيد ورأى بام عينه الدول . قال وقام انه شره :

الدول حيوان هلامي لا يهتدي في سيره لجهة ، وإنما تقذفه الامواج على وجه البحر . وهو بقدر الكف فاضطر ، مدور له خيوط طوال نحو ذراع فاطول ، كأنه حرير مشبك . فإذا لامس هذا الحيوان جسم ابن آدم احرقه حرقاً مبرحاً . وربما اعاب الموضع الذي لامسه . ولو رفع هذا الحيوان من الماء واصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماء ، ولم يبق له اثر . . .

اهل القوس يلبسون ثياباً ضيقة ملاصقة للجسم اتقاء شرم . ويوجد كذلك نوع اخر يسمى اللوتيني ، وهو مثل الدول هلامي ، ولكنه احمر اللون وضرره اخف من ذلك فإذا لامس اللحم احرقه بدون تهديد فيدم اللحم فيبقى اثره والله نحو ساعتين . اما اذا سخن الطيب المذروح على النار فالالام يزول منه .^(١)

بقي ان اذكر السبب في تفوق لؤلؤ البحرين وهو من عجائب الطبيعة في هذه الجزيرة . قد اجمع العارفين بان الماء الحلو يحسن اللؤلؤ ، فاستخرج من ذلك ان المطر هو سبب ذلك الحسن ، وان الصدف يصعد الى وجه البحر ليشرب من ماء السماء . غير ان الحقيقة العلمية في التصاق المحار بالصخور قبل غوه تنفس هذا القول . ولو صح ان المطر هو سبب الحسن لكان لؤلؤ جزيرة سيلان ، لكثرة الامطار فيها ، احسن ما في العالم . وقد فأت هذه الحقيقة القزويني الذي نقل من البحرانيين كلمة نصفها صحيح ونصفها خطأ^(٢) . قال :

(١) تاريخ البحرين صفحة ٢٦

(٢) صاحب كتاب عجائب المخلوقات اداء اخرى مضحكة في الموضوع منها : ان الصدف إذا ابتقت المطر خرجت من ثمر الماء الى ظاهره عند هبوب الشمال وطولح الشمس وغروجا . ولا تخرج في وسط النهار لان شدة حرارة الشمس ووعيجها يقصد الدرد (كان الصدف مدركة عليها وطالبة الكمال فيه) فإذا خرجت تحت ظاهرا يقع الشمال على الدرد فينفسد من اثر الشمال وحرارة الشمس ويشكون في الصدف

ان صدف الدر لا يوجد الا في بحر قصب فيه الانهار العذبة . والحقيقة هي خلاف ذلك . فلو قال ان احسن صدف الدر الخ جاء بالصواب .

الماء الحار اذن يحسن الدر ولكنه اذا صب في البحر فقد صفاته . اما الانهار فليس منها في البحرين ، وانما هناك بتاييع من المياه العذبة هي من عجائب الطبيعة . يتاييع في وسط البحر تحت المياه المالحة . ومنها ما هي قلبية من السواحل .

في البحرين نحو خمسة وعشرين نبأ مشهوراً يبعد بعثتها عشرين ميلاً عن المهر ويعملوها البحر من الثلاثة الى السبعة انواع . مياه عذبة تحت المياه المالحة تفور من الارض على الدوام . وتلك التي تقرب من الساحل تظهر ساعة الزجر للعيان فيستقي اهل الحلة منها . على ان البحارة يفوضون للبيدة المنيعة كانوا القزاة فيملأون منها القرب بان يحملوا القربة او الاناء فوق القوارة الى ان يمتلي . ومن هذه التاييع التي يشرب منها اكثر اهل البحرين القرييين من السواحل تشرب كذلك الحار ، فتحسن فيه تلك الكتلة الكلية الهائلة . هي السيب ولا مراء في جمال لؤلؤ الجزيرة ذاك الجمال المتناثر .

واغرب من كل ذلك ان تلك المياه العذبة تصل الى سواحل القطيف والاحساء ونجدة البحرين من موقوفات نجد ، من وراء الدهناء . فقد تقع كما يتكون الجبين في الرحم . واذا تم الدر في الصدف ينتقل الصدف الى موضع سلب ويثبت ووقه فيه . انتهى كلام القزويني .

اما الحقيقة فمكس ذلك كما تقدم . ولا يشرب هذا الخطأ في كتاب جلد عجائب واوهام . هك اغوذجا آخر منه . قال للقزويني : بارض اليمن نهر مند طلوع الشمس يجري من الشرق الى الغرب وعند غروبها يجري من الغرب الى الشرق وايضا هذا باعجب من جبل هرمز بطبرستان (الجزء الاول : صفحة ٢٧٨) الذي يتدل منه الماء وينصب الى وعدة فاذا صاح الانسان صيحة ينف ! واذا صاح اخرى يسيل !

عفا. الجغرافية الذين ساءوا في البلاد مجاري مياهها ومصب أنهرها النائرة .
من المعلوم مثلاً أن الرياض تملو عن البحر ألف وثمانئة قدم وأن جبال العارض
هي فوق الرياض وهي مكلية تمتص جل ما يتسخر من المياه فتجري تحت
الأرض وتصب في وادي حنيقة . بل أن مياه العارض وادي حنيقة تجتاز
الدهناء والنفود فتصل إلى الخليج .

قال المستر هوغارث^(١) : لا شك أن قديماً من هذه المياه (أي مياه العارض
واليامة) عملاً بتحدد الأرض تروشح تحت ما يمتصها من تلهور الجبال فتجري
خلال الطبقات الحصى وتظهر على الساحل فتسقي واحات الأحساء
والقطيف ، وتسكون منها البنايع المذبة في مياه البحرين .

(١) D. G. Hogarth, Penetration of Arabia . P. 342

في كتابه « الترفل في البلاد العربية » صفحة ٣٤٢

الفصل الثالث

البحرين

البحرين في قديم الزمان - بلاد عربية لم يبق منها اليوم الا اسم - جزيرة صغيرة
 صغيرة - جوهر في جيب الخليج - مرصع للشمس والحرب - سكان البحرين
 وسكان نجد - اربعة وخمسون نفس في كل ميل مربع - مدن البحرين - المنامة
 دينا - الجزيرة - الرفاع مدينة الاحرا - الشطرنج حصن الحصنة والسكنة - جبل
 الدخان ولا دخان فيه - البلدة عثر النوايس - جزر وكان فيها قصور شامخة الى
 النور - للمعرق عاصمة البحرين - البلد وفيها الساحة الملويون - غزارة المياه
 والايار - طريقه عند انك بر مرقن في الاسقية - والاستحمام - هي وعلية ٩
 وب - دواليب الهواء - البياض تفتح حمو لحار ٩

ان البلاد الواقعة على الساحل العربي الشرقي كله ، من البصرة الى عمان ،
 كانت تدعى في قديم الزمان البحرين ، وقد اطلق العرب الاسم عليها لانها
 على ما اظن على شاطئ البحرين ه بحر عمان وبحر فارس ، وجهوا عاصمتها
 بغير . ثم خص هذا الاسم بقسم منها بين القنكر والتطيف وهو الاحساء لان
 الطاميين بالسيادة من امراء العرب تنازعوها فتناحروها ، فاشتدت تنزراً
 وتصغر حتى هكذا الاسم يمي بلا مسمى . ولكن الذين توجهوا الى اقرب
 الجزر الصغيرة من الساحل الشرقي ، او باخري هربوا من الجور طالين
 الاستقلال والاطمئنان ، احتفظوا بالاسم فاطلقوه عليها .

كانت قبلئذ تدعى اوال ه ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال : انها
 جزيرة يحيط بها البحر في ناحية البحرين . واوال ضم لبكر بن وائل واخيه
 ققلب ، فسميت الجزيرة باسمه لان بني وائل مع عبد قيس كانوا يسكنونها
 في ذلك الزمان . ساجي . في ملخص تاريخها في الفصل التالي على ذكر من
 استولى عليها بعدد من الامم والشعوب .

اما الان فموضوعي الجزيرة نفسها الحاضرة اسم تلك المقاطعة التي تسكنها

مئة ضعف . هي جزيرة صغيرة ومع ذلك كبيرة . صغيرة في مساحتها التي لا تتجاوز الاربعمئة وخمسين ميلاً مربعاً ، صغيرة في غرائب تاريخها الطبيعي والسياسي . وهي على صغرها ، امة بنتي الف من العرب والاعاجم من الشرق والغرب . بيد انها لا تزال عربية الاصل والحكم ، وعربية اللغة والروح ، لان اكثر سكانها من العرب الاصليين ، عرب نجد ، وفيهم من المذاهب الاسلامية المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي والجمعي . اما الجعفريون فهم مثل الهنود يمدون من الاجانب لانهم ايرانيون او ايرانيو التبعة .

ليس بين مسقط والبصرة اجل من موصلة هذه الجزيرة . وليس اصلح منه للتجارة او للحرب . فهي تتوسط الخليج في زاوية حصينة منه ، كانتها بارجة راسية في جون متسع بين قفار والتطيف . او كانتها باخرة ذلت من الساحل الذهبي اغيط بها ترفع علم السلم والتجارة . بل كانتها ، وهي عند مهد الاؤلؤ ، جوهره كبيرة في جيب الخليج . فلا عجب اذا تسابق اليها الفاعلون في قديم الزمان ، وتنازعاها من الامم ذوات القوة والوفاء . وهي لا تزال محط رحال التجار يحنونها من الهند وفارس ، ومحط رحال الطامعين بالسيادة المطلقة على خليج العجم .

ان البحرين لمثل مدينة كبيرة في ازدهار سكانها . ولولا موارد الثروة من الاؤلؤ فيها ، ولولم يكن مجال التجارة فيها متسعاً ، لانتزع عنها نصف سكانها . اذ قلنا نجد في العالم خارج المدن بقعة من الارض ممدد سكانها في كل ميل مربع اربعة وخمسون نفساً . قابل بين البحرين ونجد مثلاً فتدهشك المقابلة . في مملكة ابن سعود اليوم مليونان ونصف مليون من العرب على الاكثر يعيشون في ارض مساحتها اربعة الف ميل مربع في الاقل . فيكون ممدد سكان الميل الواحد المريم ستة انفس لا غير . ولكن نصف هؤلاء من البدو ، اي الرعاة واصحاب المواشي ، ونصف ارضهم من

الرمال والمقاويز التي لا ماء فيها ولا كلاً ، قليل للمربع قليل اذن على اعرابي واحد مع عياله وانعامه ، كما ان الميل المربع في البحرين ، على كثرة مياهها وخشب تربتها ، قليل جداً على اربعة عشر وخمسين من عباد الله - لولا اللؤلؤ كما قلت ولولا اسواق نجد والحما .

جاء في التواريخ ان هذه الجزيرة كانت عامرة بالسكان في قديم الزمان . فقد كان فيها من المدن ثلاثون مدينة ومعها ثلاثة من القرى . ولحكتها ، وهي دائماً مطمح الفاتحين والمستعمرين ، ابتليت بما يتقدمهم ووافقهم ويتبهم من الفتن والحروب ، فتداعى قسم من عرابتها واضمحل ، ولم يبق فيها اليوم سوى ثلثي مدن وبعض القرى التابعة لها . اما سكانها الذين لا يعوضون ولا يركبون لوزنهم البحار ، فهم يزعمون لارض^١ . والذين لا يزعمون يتاجرون . احكم مدن البحرين النامة^(٢) وهي على الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة . عدد سكانها اربعون الفا من العرب والايرانيين والهنود والاوروبيين ، وفيهم المسلم والمسيحي واليهودي والفارسي^(٣) والهندوس . هي الميناء العام للبحرين ومركز احد فرعي حكومتها المزدلفة ، القوق (الانكليزي) ، وعمود التجارة ، فيها بيت الهيد والبرق ، والمخبر الصحي ، ومرفأ ومخازن كبيرة للبحر كاسر بيناشا الشيخ عيسى آل خليفة . وفيها ايضاً قلعة الديوان التي بناها احد ملوك المعجم ، وكثير من البيوت الفخمة المهندسة والبناء . الا ان ارضها مبيضة يفسد منها الهواء . فتكثر فيها الحيات . وعلى مسافة نصف ساعة من النامة غرباً يجتوب اثر تاريخي قائم في ساحة تدعى سوق الخنيس لان هناك تقام كل اسبوع سوق للبيع والشراء . ذاك الاثر التاريخي هو من عهد عمر بن عبد العزيز الاموي ، وهو بقية مسجد قديم وعنارتين متقابلتين طول الواحدة

(١) حكاه تسمى النخبة فحرقها الاعاجيم الذين استولوا عليها . ومن قائل انه كان فيها قصر لتمام احد ملوكها السابقين فسببت به .

(٢) أي المجوسي من اتباع ازدشت . وهو يعرف اليوم بالفارسي . Parsi

نحو خمسين ذراعاً . وهناك بالقرب منه عين تسمى ابا زيدان وفي جوارها ما هو اهم من الآثار القديمة اي اثر بناتايح من زيت البترول .

اذا سرفنا شرقاً بجنوب من هذا المكان واجتازنا المراقبة ، حيث مدافن البحرين القديمة التي مر ذكرها ، نصل بعد ساعة الى الرفاع ، مدينة الامراء السابقين من آل خليفة ، وفيها بقية قلعة قديمة تبدو في اساس القلعة الجديدة التي شيدها الشيخ سليمان بن احمد . وحول الرفاع رياض مشهورة اهمها الصخير تسكن فيها الميون والآبار والتخيل . اما الصخير فهي على ريدة الى جانب الرفاع القرى اسمها الشيخ حمد الحالا الطالي ، وهي لطيفة الهواء ، عذبة الماء ، فسيحة الغناء . الصخير هي حى الشيخ حمد ، وحى الصحة والسكنية .

من الصخير نشرف على جبل الدخان ، ولا دخان فيه اليوم لا لبركان ولا لانسان . هو جبل مستطيل ، فيه غار كبير ، داخله بيت بقباب منحوتة هكذا من بناء الانسان ، وفي رأس الجبل برج قديم متهدم . واذا استمر السائر شرقاً من الرفاع يصل الى سقرة او كما يقول البحارة « حالة سارة » ثم يمسون « حالة » كل قرية تحيط بها الماء فتجعلها شبه جزيرة . وهي مقيظ الشيخ خالد اخي الشيخ عيسى ، وفيها وفي القرى التابعة لها ميون كثيرة وتخييل وبساتين .

هذه من المدن والقرى في الجهة الشرقية . اما في الغربية فالبلديع قبالة الرفاع وعلى ساعتين من الناعة هي مسكن الدواسر وغيرهم من العرب الاشواش . ومن قرىها قرية آجو تزلها في قديم الزمان احد مشايخ العرب المشهورين بالهبة والاقدام يدعى الشيخ احمد رزق قصرها وبني فيها المساجد والبرك الكبيرة لحفظ المياه ، فقال احد المؤرخين فيه : سكن الشيخ رزق بلدة الجور ، وبني قصوراً شامخة الى الجو . ثم ظن وتزل الزبارة في رأس بحر محمل . وسكن في نيته ان يفصل هذه البلدة عن قطر بخلجس يحفره بينها وبين

البحر طوله ثلاثون ميلاً . ولكن قومه ، وهم من اهل البادية ، لم يرضوا بذلك لاحتياجهم الى المغالي في برقطر يجلبونها موعى لانعامهم .

اما عاصمة البحرين الرسمية العربية اي المدينة التي يسكنها الشيوخ فهي المحرق السكانية في جزيرة صغيرة شرقي المنامة على مسافة نصف ساعة منها في الجبلوت . وهي تفضل المنامة طيب هوائها لبعدها كما يزعم العرب هناك عن التخييل . فهم يظنون ان الادوية تسكن في ظلاله . والاصح انها تسكن في المستنقعات التي يسببها نفس او امال في ري التخييل . المحرق مركز النهضة الادبية اليوم وفيها المدارس والنادي الادبي والشبان الزاخرة بالادب والعلم . وفي جزيرة المحرق مدينة اخرى اسمها الحد يسكنها السادة العاويون وبمض آل ابن علي المشهورين في تاريخ البحرين . ويتبع كل من هاتين المدينتين خمس قرى يتحرب اهلها من يتابع البحر العذبة .

ان الماء القراح غزير في البحرين لو انهم يحفرون له الابار والقي فيجمعونه في عيون يستقي منها اهل المدن والذين يسكنون داخل الجزيرة . اما اليوم فالتابع كلها هي قرب البحر لذلك يقصدها سكان المدن في الصيف فيقيسون حولها بيوتاً من جريد النخل موقفة يتفنون في يثائها لتقيهم حر الشمس ولا تنفع عنهم الهواء . وقد قيل ان مياه هذه الجزيرة معاردم من ابارها تزيد على ما يلزم ارضها وتحتاج اليه سكانها .

نعم ، قد ردم في الماضي كثير من ابارها . والقصة كما يرويها العارفون من اهل البحرين وبعض المؤرخين هي ان عبد الملك بن مروان الاموي لما رأى من اهل الجزيرة بطراً في قتالهم وقرداً على خلفاء بني امية ، امر بردم العيون ليقل زرعهم واموالهم فيقتروا ويخضوا الامراء . هو من اقرب ما دونه التاريخ من اساليب الخفاقة في الاستيلاء . والاستمرار . وان من يقاوم بينه وبين سياسة الامويين في الاندلس ، وما اوجدوه واقتنوه من اسباب

الزراعة هناك ، يستغرب جداً هذا الامر ويكاد ينكره . على اني شاهدت في رحلتي ما يثبت ان العرب في احقادهم وثاراتهم وحروبهم ينكثون مثل هذا التنكيل باعدانهم وبأنفسهم . قد رأيت عيوناً في نجد حكانت بسبب الشقاق بين القبائل ، فلما استوات عليها القبيلة القاهرة وموتها وردتها لكي لا يشرب منها العدو اذا خرجت بمدنذ من حوزتها . علي وعليهم يا رب .
فلا تستغرب اذن فلة الاموي عبد الملك مروان الذي امر بدم عيون البحرين ليقتر اهلها فيطيعوا امراءهم .

ومع ذلك فالجزيرة لا تزال غزيرة المياه كثيرة النخيل والبساتين ، فيها من انواع التمر عثة نوع ويزيد حتى انه حكان بضرب بها المثل فيقولون :
حكانقل التمر الى اوال . وقد شاهدت في الجزيرة مدناً من دواليب الهواء مجلوبة من الولايات المتحدة ، فتضاعفت مياه البساتين التي بكثرة فيها انواع الثمار كالليمون والموز والحوخ والكستري والمنب والزمان .

كافي باهل البحرين ، وقد ادر كوا الضرر الذي سيلحق بتجارة اللؤلؤ من الاختراع الياباني اي توليد اللؤلؤ بالطريقة الصناعية ، بادروا الى امر كما يستجدونها بما عندها من اسباب الزراعة والري الحديثة . فاذا كانت اليابان تحذو حذو المزارع وتباريها فتخط من قدرها ، فالبحارنة يشعرون من ساعد الجدل ليضاعفوا في الجزيرة مواردها الزراعية .

الفصل الرابع

البحرين في التاريخ الاسلامي^(١)

مستعمرة فارسية جاصدها وسكانها من العرب - اتفق بيت الملا، الحضرمي يدعوه للاسلام - عبد قيس ووائل ونعيم يسمون - الرواد - رجاء الملا - خالد بن الوليد - تذهب اهل البحرين - فقه فطر وبلاد فارس - البحرين في حكم الامويين - في حكم الصابيين - صاحب الزعم - القرامطة - ابو طاهر في الكوفة - الامارة المبرقية في البحرين - جتويف خان وقيسورفك - فسكر دي غاما والموسو اليوكوكي - ايرتاتايوب في البحرين - الافراك يخرموب - يورتايب من البلاد العربية - الانكوير يصادف الانراك - القوس في البحر - مستعمرة فارسية - فساد الحكم الفارسي وثلاثه - كمر محمد من عيال الله .

صكانت البحرين ، اي البلاد التي على الساحل من البصرة الى عمان ، مستعمرة فارسية قبل الاسلام وفي السنين الاولى من البشة النبوية . ولكن حالما كانوا غالباً من امراء العرب ، وصكان سكانها من المجوس واليهود والنصارى ومن عرب نجد واكثر هؤلاء . من عبد قيس ووائل وقيم . وفي السنة الثامنة للهجرة اوسل النبي محمد أحد الصابية الملا، الحضرمي^(٢) يدهوا اهل هذه البلاد للاسلام او للجزية . كان المنذر بن ساوي التميمي يحكمها يومئذ من قبل ملك القوس ، فلم يتردد في التفضيل بين الوثنية ودين التوحيد بل بين حكم قريش وحكم الاعاجم .

جاء الملا الحضرمي ، وقد كان من رجال الصابية وصاحب كرامات ، يدعو المنذر واهل البحرين للاسلام ، ولكنه لم يتمكن من هدايتهم كلهم .

(١) قد احدثت في كتابة هذا الفصل والفصل الذي يليه على تاريخ البحرين تأليف الشيخ خليفة بن محمد الثبان المطبوع في مطبعة الاداب بتداد سنة ١٣٣٢ هـ .

(٢) هو عبد الله بن عباد بن بكر بن ربيعة بن مالك بن اكبر بن هوف بن المزروع بن ابياد الحضرمي .

قبل الدعوة المذرة وعربانه حباً بالجنة ورجاء التخلص من ملوك القرم ، ورفضها الآخرون . فتركهم العلاء في ضلالهم يعمهون بشرط ان يقاسموه غلاتهم من الحب والتمر . فقبلوا بذلك . وعاد الصحابي الحضرمي الى مسكه يحمل الى النبي بشري النصر المين وكثيراً من الضائم والاموال .

بيد ان اهل البحرين بعد موت النبي اوتدوا قائلين : لو كان نبياً لما مات . فجاءهم العلاء ثانية ومعه جيش من المسلمين ، فادب اهل الردة وقتل كثيرين منهم ، ولكنه لم ينتصر كل النصر . فكتب الى ابي بكر يستدعه ، فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ، وهو يومئذ في اليمامة ، ليتوجه الى البحرين ينجد فيها العلاء . جاء خالد فرماً ، كما يقول العرب حتى اليوم ، وكان قد فرّ كثير من اهل الردة الى الجزيرة وتحصنوا فيها فامر العلاء رجاله بالزحف عليها .

كان هذا الصحابي كما قلت صاحب كرامات 'حجاب الدعوة' وهماك منها اثنين . بينما كان رجاله يجتازون دفازة لا ماء فيها خلصهم من الموت عطشاً بان صلى ركعتين ثم قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا . فجاءت سحابة كانت جناح طائر فقعقت عليهم واسطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركائب . ثم جازوا الساحل فوصلوا الى الخليج فلم يجدوا سقناً فيه ، وكان المرتدون قد احرقوها . فصرى العلاء ركعتين ثم قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اجزونا . واخذ بمنان فرسه وهو يقول : جوزوا باسم الله فشي ومشي وراءه جيش عدده اربعة الاف ، فلم يقتل لهم قدم ولا خف ولا حافر^(١) .

(١) في رواية اخرى انضم اجنازوا الى دارين لا الى اوال . وكانت يومئذ دارين جزيرة عامرة يومها عرب نجد للساقة . قال الشاعر :

يمرون بالهنا خفافاً عابضين ويرجعون من دارين نير الخفائب

ودارين لا تبعد كثيراً عن ير القطيف . حتى انه يستطيع الناس ساحة الجزر ان يتأوا من البر اليها . فالرواية الصحيحة اذن وان كانت تنافي كرامة العلاء الحضرمي ، هي انضم اجنازوا الى دارين لا الى اوال .

بعد ان اذبح الملا. اهل البحرين وردهم الى الصراط المستقيم حل على الزبارة في قطر وقتل فيها المكفّر عامل كسرى ، ثم عاد الى البحرين فأمر عليها ، اجابة لطلب اهلها . ثم خاض عباب الخليج فوصل الى الشاطئ المعجمي ودخل بلاد فارس فاتحاً . وبعد ذلك دعاه الخليفة عمر الى المدينة وولاه على البصرة بدلاً من عتبة بن غزوان ، وولى على البحرين عثمان بن ابي العاص ثم الربيع بن زياد الحارثي . سافر الملا. صاحب الكرامات والفتوحات الى البصرة ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يصل اليها ، فاستدعاه اليه في الطريق وهو قريب منها . فلبى الملا. الدعوة ولا يزال قبله معروفاً هناك .

دالت البحرين للاختلاف الراشدين ثم لبني امية الى زمان عبد الملك بن مروان ، ذلك الذي امر بدم عيون الجزيرة ليغفر اهلها فيلبنوا للامراء . ولكن عبد الملك لم يسكن من الفاجين . فقد سبقه الى استئثار القفر رجل يدعى ابا فديك الحارثي ، فاستولى على الجزيرة سنة ٦٦٠ هـ ، وكانت جنود ابن مروان قادمة اليها فدخلنها متحصرة وقتلت ابا فديك ومئة الف من رجاله الخوارج ، فوادت اذ ذلك البياسة الى بني امية في الشاطئ العربي والمعجمي من الخليج .

ولسكنها لم تخلص من الاغتصابات . ففي سنة ١٠٠٠ هـ خرج على العامل الاموي في البحرين مسعود بن ابي زبيدة البدي فتغلب عليه ونصب الامت بن عبد الله الجارودي مكانه ، فحكم الجارودي الجزيرة تسع عشرة سنة . ثم عاد الامويون الكرة عليها ، فتم لهم الاستيلاء الذي لم يدم بعد ذلك طويلاً ، لان دولتهم كانت قد بدأت تتخلص وتضعحل ، فضاو الباسيون يحلون محلهم في البلدان والامصار ، فاحتل عقبة بن سليم البحرين من قبل ابي جعفر المنصور ، وظل حال الخلفاء . بتعداد يسكنون في الجزيرة والاحياء حتى سنة ١٢١٩ هـ عندما استولى عليها رجل يدعى صاحب الزنج^(١) احد الانبياء الكاذبين .

(١) هو علي بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد قيس .

كان صاحب الزنج شاعراً بل شاعراً في بغداد مجروحاً مستجدياً على مجلس
المختصر بن المتوكل وحول حاشيته . ثم جاء البحرين وهو يدعي انه من
السادة العلويين فدعا القوم لطاعته فقبضه اناس وخالفه آخرون « فادى الخلاف
الى التمزق فالتصعب فالقتال . وكان اصحاب البحرين اول من آمنوا به ،
فرفقوه الى مقام النبوة » وجمعوا له الخراج ، وقتلوا من اجله الاعداء . وقد
قضى صاحب الزنج فترة في البادية اقتداء بالانبياء يستقر على نفسه الوحي ،
فاوتي في تلك الايام - وهو الشاهد على ذلك - آيات من آيات النبوة
ظاهرة ، فطلق بسبب الخلفاء الراشدين ومنهم عائشة والزبير . كان النبوة
تبدأ بالمسات

قال ابن الاثير وابن خلدون ان صاحب الزنج كان يرى رأي الخوارج .
وقد دُعي بهذا الاسم لانه في بادى امره كان يدعو الفلاح من الزنج الذين
يسكنون في نواحي البصرة فيمدحهم بالمشق في الدنيا والجنة في الآخرة . بل
كان يستفهم بشي . من اجلة سلفاً . قيل انه كان يأمر بالقبض على النساء
من ولد الحسن والحسين والعباس ويبيعن في عسكره ببيع الاماء والامثلة
بدرهمين وثلاثة ، فيشتري الزنجي عدداً من الشريقات ببضعة دراهم .

لا يجب اذن في تليتهم دعوته للجهاد ، فطلق بشن الغارات الواحدة
تلو الاخرى وله في اكثرها القلبة والفناعم . وفي سنة ٢٥٥ هـ ادعى صاحب
الزنج النبوة وكتب على رايته الآية : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ، وراح وزوجه يسلبون وينهبون باسم الله . ان
الغريب في حكم اولئك الباصيين ان مثل هذا الطاغية يثبت اربع عشرة
سنة في طيانه ، فيحكم في هجر اليوم وفي البصرة غداً وقارة في الاحساء
وطورا في البحرين ، فارأى كلاً ، صائلاً طائلاً ، قبل ان يتسكروا منه فيقتلوه .
قال احد المؤرخين ، وهم يبالغون في الكلام على حروب صاحب الزنج ،

انه قتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثة الف شخص . ولم يقتل في اكبر مواقع الحرب العظمى هذا العدد او نصفه من الناس . فتأمل .

كانه كتب لاهل البحرين مثلاً كتب للعباسيين ان لا يدوم السلم والامن حاربلاً في ملكهم السعيد . قتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ فتنتفت بقدر الضمدا . تم ظهور في سنة ٢٧٨ هـ ابو سعيد الارمطي . ويا لمر القرامطة .

ما ابو سعيد حمدان من خورستان الى العراق فقتل في الكوفة فرض ذات يوم ماعده رجل يدعى كرميتة لحرة في عينه (اللفظة بيطية ومعناها حمرة العين) فلما شفي من مرضه سمى باسم ذلك الرجل ، فخفف الاسم بعدئذ فقلل قرامطة . وكان ابو سعيد قرامطة من الزاهدين المشفقين ومن تلامذة عبدالله القداح الاهوازي الاحمدي الذي اسرى في يومه حمية مصرية باطنية من مقاصدها الظاهرة التوفيق بين العرب والمسلم والتأليف بين الاديان كلها . اما مقاصدها السرية ، السياسية والدينية ، فقد ظهرت بواسطة القرامطة بافطار مظاهرها .

دعا ابو سعيد وهو في العراق الى امام من اهل البيت قيل انه محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ، وقيل انه محمد بن الحنفية . كان القرامطة بعدئذ يدعون ترة لهذا ولطورا لذلك ، وفي كلتا الدعوتين فتنة على العباسيين . بل ان نهضة القرامطة ، اصلاً وفعلأ ، هي نهضة ايرانية دينية سياسية ضد الخلافة والعرب . وان ما ارتكبه الخلفاء العباسيون من المظالم وما اعصى ملكهم من الخلل والضعف والفساد ، خصوصاً في عهد المعتضد والمعتز والمعتصم والمقتدر - القاب ملكة ! - فكان ينفر منهم الناس ويساعد كل من قام عليهم من الاعداء .

لذلك اجتمع على ابي سعيد خلق كثير وجلوم من البادية لانه خفف عنهم اثقال العبادة فاختصر الصلاة وجعلها فرضين صباحاً ومساءً ، واقام

من صوم رمضان . فأحب البدو اباسعيد واكبروه وعظموه ، وقاؤا انه
الامام المنتظر بعينه . فنشأ مذهبه ينتشر انتشاراً عجيباً ، فاشقت دار السلام
على اربابها منه ، فجتدت عليه الجنود ، فصدها بمراتبه وحاربها في اماكن
عديدة وهزمها . ثم راح السيف ينشر في البلدان الدنية والقصية ما ناصل في
قلوب القرامطة من عقبة فيها نفى العقائد كلها . فاشتدت حروبهم على
الحلفاء ، وانتزع زعمائهم المالك من مال الباسيين في عمان والحسا والقطيف
والبحرين . اما شمالاً فان جيوشهم اجتازت البادية والحجاز فوصلت الى بعلبك ،
ومنهم من قرى الحجاز واليمن .

وقد نظم الشاعر ابن مقرب الميوني تريحهم فأشار في قصيدته الى ما
كان من امرهم اولاً ودمارهم آخراً بواسطة جدوده . قال :

سل القرامط من شغلهم جاجهم فلما وغادرهم بعد العلى خذما
من بعد ان جل بالبحرين شأنهم وأرجفوا الشام بالغازات والطرما
ولم تزل خيلهم تقشي سناجكها ارض المراق وتفتي تارة أوما^(١)
وحرقوا عبد قيس في منازلهم وصيروا الثور من ساداتها حما
وابطأوا الصلوات الخمس وانتكروا شهر الصيام ونصوا^(٢) منهم صفا
وما بنوا مسجداً فـه نعرفه بل كلما اذكوه قائما عدما

وقال المؤرخ الانكليزي غزن : ان القرامطة هم احد الاسباب الاولى
في سقوط الدولة العباسية . قد استمرت فنتهم ستين سنة وتريد وبلغ القتال
بينهم وبين جيوش الحلفاء اشد في السنوات الوسطى منها اي منذ سنة
٢٣٨٩ هـ الى ان دخلوا مكة بقيادة زعيمهم ابي طاهر سنة ٣١٧ هـ ٩٣٠ م
فكان في ذلك الفتح خسة المجد وخسة الفطائع والمهول .

(١) اسم بلدة من بلدان عمان .

(٢) اي نصروا صفاً .

دخل ابو طاهر سليمان بن حسن القرمطي بجيوشه راكبين خيلهم وأعدوا
السيف بالحجاج ، فقتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف
رجل وألوف من النساء . ووقف ابو طاهر عند الكعبة وسينه بيده وصفر
لفرسه فبالت هناك ، ثم صعد على باب الكعبة وشرع يقول ، بينما كان رجاله
يؤمنون رؤوس الشهداء في يثر زمزم :

أنا لله والله أنا بخلق الخلق وانقيهم أنا

بعد ذلك امر بقلع الحجر الأسود من محله فعمله القرامطة الى الحسا ،
ولكنهم بعد اثنتين وعشرين سنة امددوه كما قيل الى مكة . اما ان الحجر
الذي امددوه هو ذاك الحجر بعينه فافه اطم .

دخلت البحرين في حوزة القرامطة في عهد المكتفي بن المعتض وظلت
في حوزتهم الى ان ضعف امرهم وبدأت سياهم تتلاشى . فقام لقتالهم عندئذ
ثلاثة من العرب هم الامير عبدالله بن علي الصيوني في الاحساء ، ويحيى بن
الغيث في القطيف ، وابو البهلول محمد بن يوسف الرجاء في البحرين . ثم اقتتل
هؤلاء على ما غمروا . وقد كان ابو البهلول ضامناً لجراح الجزيرة فمضى فيها
فجهز عليه القرامطة جيشاً من عرب عبد قيس ، فبرز لهم بجيش من البعارنة
فكسروهم في اول وقعة وطردوهم من الجزيرة . ثم خطب له فيها بالامارة
فاستقام امره بضع سنين فظهر عليه اذ ذاك زكريا بن الغياث الذي استولى
ابوه يحيى على القطيف وكان بطمع بالاستيلاء ايضاً على البحرين .

وما عم ان استولى ابنه زكريا عليها بعد ان كسر البهلول في وقعة
شديدة ، فطمع بضم الاحساء ايضاً الى ملكه ، فقاد جيوشه من القطيف
على الرجل الذي حارب القرامطة سبع سنوات وما انفك يحاربهم حتى انتزع
الملك والسيادة منهم . هذا الرجل هو الامير عبدالله بن علي آل ابراهيم
الصيوني . جاءه الغياث يفتي ما بيده في الاحساء ، فلاقاه بجيش جرار في

الطارق فكسره في الواقعة الاولى وقتله في الثانية ، ثم استولى على القطيف والبحرين . وفي ذلك قال شاعرهم ابن مقرب :

وهار ملك ابن عياش وملك الي اا بهلول مع ملكنا عقدا لنا نظلا

ثم النصر الامير عبد الله فأسر الامارة البونوية التي استمر حكمها في البحرين نحو مئتين وخمسين سنة . ثم انتزع العجم الحكم ثانية من العرب . وذلك ان احد ملوك فارس الزنجيين^(١) الذين استولوا على المملكة بعد اقراض الدولة السلجوقية ، وهو ابو بكر بن سعد الزنجي ، حمل على العرب في جزيرة قيس وهزمهم واحتلها ، ثم اجتاز بجنوده البحر الى جزيرة البحرين ، فاخذها ، واستولى بعدها على الاحساء والقطيف وغيرها من بلدان الخليج ، واستمر حكم الزنجيين حتى بعد ان ظهر جنكيز خان^(٢) فتشابه القرامطة عدة دولته - مئتين سنة - وباهوالها .

وبعد مئة سنة من عهد المغول الاول جادت اليبالي ، ليالي الدمار والبلاء ، دبت في الثاني تيمورلنك^(٣) فأكمل اعمال جده جنكيز خان الفظيعة واستولى على البحرين في ما استولى عليه من البلدان قبل دخوله بغداد . ثم خرجت الجزيرة بعد موته من حكم المغول ودخلت في حوزة شعب جاء من الغرب هذه المرة لا من الشرق ، شعب ينشد ولا شك التجارة ولكنه يسعى في طلبها سعي المعتزل المدمر .

فبينما كان المغول في الشرق حاملين على كل مظهر من مظاهر الحضارة والعموان ، يفتحون البلدان ويدمرونها ، ويدبحون العباد ، ويذرعون الزويل والاحزان في كل مكان ، بينما كانت هذه القصة السرداء الكثيفة محبسة

(١) لا علاقة لهؤلاء بصاحب الزنج .

(٢) ولد جنكيز خان سنة ١١٦٢ وتوفي سنة ١٢٢٧ م .

(٣) ولد تيمورلنك سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤٠٥ م .

على الشرق الأدنى ، تنجيب عنه النور ، وتفسد كل ما في الحياة من عوامل
النشؤ والهدى ، كان قد راس الفكر البشري في أوروبا فشرح يحول في صا .
العلم والبحث والاكتشاف . وكانت الملاحة التي هي يد التجارة البستي اول
من انتفع بهار الفكر والعلم ، فواحت ترفع علم الحلد والاقدام ورا .
الاقويانوس في البلدان الغربية القصية .

جاء زمن ابطل البحار . ومن اولئك الكشافين الوهان البرتغالي فسكو
دي غاما^(١) الذي ابحر حول « رأس الرجاء الصالح » ونحر عباب الاوقيانوس
الهندي فوصل الى سواحل تلك البلاد المعبية ، ضالة الامم الغربية ، وكان
اول من امس لدولته ملكاً في الشرق وجاء بعده زميله القونسو البوكركه^(٢)
فرفع علم دولته في مسقط ودخل المضيق ، مضيق هرمز ، فاستولى عليه
وحصنه تحصيناً ، وتقدم في الخليج متقدماً الجزر واللاكل فيه وهو ينبغي
الوصول الى البصرة ، ليفتح طريقاً مستعمرة بلاده في الهند . ثم استولى
البرتغاليون على جزيرة البحرين وعلى القطيف فحصرهما حصاراً حاصروا هرمز
ومسقط . الا انهم لم يستولوا على الاحساء لان المائتين كانوا قد سبقوهم
اليها ، وبسطوا سيادتهم عليها ، وددوها بوشة جزءاً من اليمن الذي كانوا قد
احتلوا بعض نواحيه .

كان خليج العجم في قديم الزمان كما هو اليوم مفتاح الطريق للتجارة بين
الشرق والغرب . ولا تظن دولة غربية في الهند ولا يستقر امرها اذا لم
تكن هي القابضة بيدها على هذا المفتاح . اما ان الخليج اسهل واصح

(١) فسكو دي غاما Vasco de Gama ولد سنة ١٤٦٠ ونوفي سنة ١٥٢٤ م

(٢) القونسو البوكركه Alfonso d'Albuquerque ولد سنة ١٤٥٣ ونوفي سنة

١٥١٥ اول سفراته الى الهند كانت في سنة ١٥١٠ وهو الذي حاول ان يأخذ عدن

سنة ١٥١٣ فلم ينجح ، فتقدم بامطوله الى البحر الاسمر . واحتل فيه جزيرة فران
الغربية من الحديدة .

الطريق لتجارة الهند قفني عن البيان . هو اقل خطراً من البحر الهندي ،
واقرب خطأ واسهل ، لانه في مأمن من العواصف والرياح . هو حصن اذا
شئت وبابه مضيق هرمز حيث تسكاد بلاد ايران تتصل ببلاد العرب . فضلاً
عما في هذه الطريق من البلدان العامرة ، فمن سواحل الهند الى جزائر الخليج
الى البصرة فينداد قسوريا قصر فاوروبا - هي طريق الكنوز .

ادرك ذلك اهل البرتغال قبل ان يدركه الانكليز . ولكن ابنا
الجزر وان كانوا قد جاءوا الى الهند بعد مئة سنة من محبي . فسكودي غاما ،
فقد تغلبوا على البرتغاليين بعد جهاد طويل مستمر ، تخلله الجلب من الحيف
والتعسف ، فاعرجوهم كما اعرجوا الفرنسيين بعدهم من تلك البلاد .

اما حكم البرتغاليين في البحرين فلم يدم اكثر من اربعين سنة . يستدل
على ذلك من كتابة على صخر في جزيرة صغيرة غربي المنامة تدعى نجدا^(١)
اخذ للبحارنة حجارة منها لتجديد القلعة التي كان قد شيدها اهل البرتغال .
وهذه القلعة التي تدعى قلعة عجاج جددت بعد ان جلا البرتغاليون عن البحرين .

قال المؤرخ : شكنا حاكم دلهي وهي عاصمة الهند الى المماليك ظلم البرتغال
للمسلمين وطلب منهم المساعدة فيجهز لهم السلطان سايمان القاتوني اسطولاً وجاء
به الى الهند فتحاربوا مع البرتغال حتى اعرجوهم منها . . . ثم جاء الاسطول
المماليكي الى مسقط والبحرين واخرج من كان فيها من البرتغال كذلك^(٢)

(١) هذه صورة الكتابة التي على حجارة جبل جدا : نقل من هذه الجزيرة مئة
الف حجر لتجديد قلعة البحرين على يد السيد فيروز في زمن وزارة جلال الدين
شاه في شعبان سنة ٩٦٩ هـ و ١٥٦٨ م تاريخ البحرين لاشيخ خليفة بن النبهان

(٢) بعد ان نائب السلطان سليم على المماليك سنة ١٥١٧ م فكر في احتلال عدن
ليجعلها مركزاً لحملته على البرتغاليين في الهند فجاء ابنه سليمان في سنة ١٥٣٨ باسطول
كبير بمقتضى رغبة ابيه فاحتل عدن واقام حامية فيها . ولكن العرب قاموا بمدد
على الترك فذهبوا الحامية فيها وفسدوا البلد الى البرتغاليين ، فجاء الاسطول المماليكي

وقد كانت للانكليزية في اخراجهم نهائياً من الهند يد قوية عاملة، عاملة في سبيل شركة الهند الشرقية لا في سبيل العثمانيين .

اما جلالة البرتغاليين من البحرين فالمؤلف يزيدنا علماً بذلك . جاء في صفحة ٦٢ ما يلي : حصل اختلاف شديد بين امراء جزيرة البحرين وكان اكثرهم من الشيعة فوقعوا شكواهم الى الشاه عباس الاول الصفوي وطلبوا حته الحماية لقربه منهم موطناً^(١) ومذهباً .

فاجاب الشاه عباس طلبتهم وخلصهم من السيادة الغربية الاوروبية . ولكنه بسط عليهم حمايته الشاهانية ، فمادت البحرين الى حوزة من حكمها مراراً في سائر الزمان والاولان ، عادت مستعمرة فارسية كما كانت يوم جاءها الصحابي الملا . الحضرمي يدمر اهلها الوثنيين والجوس للاسلام .

ولكن الحكم الفارسي في البحرين ، وقد تسرب اليه ما كان قد اعتدى الملك في بلاد فارس من الخلل والفساد ، تحلل فقرات من حكم العرب ، حتى ان اخر عامل عربي من عاملهم وهو الشيخ نصر آل مذكور استنجد حكومة ايران في حملته على آل خليفة في الزارة فلم تنجده . وكانت الوقعة بينه وبينهم (سنة ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م) السبب في فراره الى ابي شهر وفي دخولهم الى البحرين منتصرين .

ثانية الى مدن فأخرج البرتغاليين منها واحاد الحكم لعملي فيها ، ثم استأنف السير الى الهند ليتم حملته على اهل البرتغال هناك .

(١) كانت اصفهان في تلك الايام عاصمة ملوك فارس .

مناوياً على امره وظاهر قصده شراء اللؤلؤ . جاء ينفذ التجارة لا السيادة . فكان حظه من الاتيين وافراً ، احببه اهل الزيادة لورعه وبره ، وكرمه واصاته . رآه ، فرغبوا اليه والى قومه ان يقيموا بينهم ثم امرهم عليهم .

وعدما توفي الشيخ محمد تلجج اللؤلؤ السياسي الابن خلفه ابنه الشيخ خليفة الذي لم يرث من ابيه غير شيء من البر والتقوى مزجها بشيء من الشعر . وقد حج سنة ١١٩٧ هـ وتوفي في مسكة ، فتاب عنه ثم خلفه في الحكم اخوه الشيخ احمد ، وهو يدعى الفاتح - احمد الفاتح الذي احترق وأخر عامل من عمال الفرس في البحرين اي الشيخ نصر آل من تكور الذي سبق ذكره ، فقلبه واستولى على الجزيرة .

الدول اليوم تخلف الاعمار اشد شدة الاستبداد ، والشيخ احمد بدأ غير ما شاءه العاديين . فلما استقر حكم آل خليفة في الزيادة ، باداهم الى الانجاء ، فكاتوا يجيئون الى البحرين شراء اللؤلؤ الذي كانوا يبيعونه في الهند . وكان البطالة من اهل الشيعة وهم يومئذ يكثرهون اهل السنة ويضربون لهم العدا . فحدثت ذات يوم خلاف بين الفريقين انتهى الى قتال قتل فيه احد خدم آل خليفة ، فثار اهل الزيادة ، وحموا على البحارة فاستنات هؤلاء بحاكمهم الشيخ نصر ، فجهز لهم اسطولاً من السفن مجهزة بالبارود وتولى بنفسه القيادة . ولما دنوا من الزيادة خرج عليهم اهلها بالسفن فصار بهم وكسروهم شر كسرة ، فأقلعوا عاريت الى ابي شهر . اما البحرين فكانت قد خلت من الخمية ، فسار اليها الشيخ احمد بقومه واستولى عليها سنة ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م وهي السنة التي توفي فيها اخوه الشاعر الورع في مكة . كانت تجارة اللؤلؤ كذلك من عوالم الفتح الاحدي كما حكى سابقاً من دواعي الفلاح في اماره ابيه الشيخ محمد علي الزيادة .

اقام الشيخ احمد عاملاً من قبله على البحرين ، وعاد الى عاصمته في قطر .

على انه لم يستمتع وقومه بثمار النصر غير بضعة سنين . لان ابنه الشيخ سلمان الذي خلفه كان خواراً ضعيف الرأي والارادة . وكان قد نبغ في تلك الايام رجل في نجد فراح يكتسح البلدان والامصار ويستولي على القبائل الدانية والقاصية . هذا الرجل هو الامير عبدالعزيز آل سعود امام الوهابية الذي كان قد وصل بجيوشه الى الاحساء ، فضاف عرب الزبارة ان يستولي عليهم ، فظفروا بتقدمهم الشيخ سلمان الى البحرين .

هربوا من الوهابية الفاهرة ، من خطر البحر ، فوقعوا في خطر ادهى واشد جاءهم من البحر يقوده ويدفعه السيد سلطان حاكم مسقط . وسكان السيد سلطان ادرك اعوجاجاً في حكم البحرين الجديد فجاء بقومه ، باستأوله وسيفه . فبادر اليه الشيخ سلمان موالياً لا معادياً ، لانه لم يرغب باسكواه البعارة على القتال . وكان قد اطلع ، كما يقول المؤرخ ، على بعض مكاتباتهم الى حاكم مسقط يوثقونه في الاسيلاء على بلادهم . هذا من الشيخ سلمان انصاف في الحكم وعدل في الرعية . الارادة لشعب ! ولكن الدلع الذي عقده والسيد سلطان والذي يمجبه قدم احد اخوانه رهينة الى حاكم مسقط الظافر ، لا يمد في عين عزيز وربيعة من شيخ الرجال . ولي السيد سلطان ابنه السيد سعيداً على البحرين وعاد بالرهينة والفتاح الى مسقط .

اما المتوب فمادوا الى الزبارة بذلمهم وهم لا يزالون موكلين امرهم الى الشيخ سلمان . ولعنهم نهضوا لاسترجاع البحرين ، بعد ان توفي اخوه الرهينة في مسقط ، وشرعوا يفاوضون امير نجد بذلك . طلبوا منه المساعدة فاجاب طلبهم حباً وكرامة . ولم يدركوا ما كان قد ظهر وشاع من مقاصد الرجل القومية والدينية ، مع انه كان قد استولى يومئذ على الحرمين .

اجسروا يا عرب ! هذا ابراهيم بن عتيصان احد قواد ابن سعود الاسباسل جاء بجيوشه يسترجع ملككم - يسترجعه يا بني عتبة يضمه الى ملك اهل

التوحيد وابن سعود . وكذلك سكان . دخل جيش الزبارة ونجدة نجد الى البحرين فضربوا السيد سعيداً فهزموه واخرجوه من الجزيرة .

وكان الكلام اذ ذاك لابن عتيصان : البعارة مشركون ولا يصلح المشركين الا اهل التوحيد . اما آل خليفة فاعاقم القائد النجدي من الاصلاح ، فاهلاً او مفعولاً ، واذن لهم بالرجوع الى الزبارة . فمادوا ثانية مدحورين مقبوتين ، وشرعوا يفكرون برفع امرهم الى حضرة الامام في الدرعية على يوسل من قبله من يؤدب ابن عتيصان ، او على في الاقل يأذن لهم بالرجوع الى البحرين . وبينما هم يفكرون والشيوخ سدان صدرهم يفكر اكثر من الجميع ، اذ اقبلت عليهم سرية من سرايات الفاتح الكبير فاستولت على الزبارة واموت آل خليفة بالسفر الى نجد . وكان الامير سعود قد خلف وقتئذ ابيه عبدالعزيز .

سافر في سنة ١٢٢٩ هـ ثلاثة من آل خليفة ليقابلوا امام الوهابية في الدرعية . فلما وصلوا اليها اكرم الامير سعود وفادتهم ولم يأذن لغير ايمان الزبارة بالرجوع . اما آل خليفة فأتوهم في القصر ضيقاً عليه ، واسراء بين يديه . ولا اظن انه خطر في بال احد منهم قول الشاعر :

والمستغيث بعمروديم كويته كلاسقيت من الرضاء بالنار

لانه لو خطر ذلك في بال احد منهم لما استبشروا بتدوم ابن عتيصان ولما استمروا يبالغون سياسته حتى اوصلتهم الى الاسد في مريته .

ولكن هناك غير آل خليفة من العرب يلجأون الى مثل هذه السياسة وهم يظنون ان الرجل بين عدوين يخادع الاثنين ، فيستغمد اذا حكان حكماً الواحد منها على الآخر . وقلنا يسير الفكر بهم الى ما دون ذلك من نتائج المساعدة . قد كانت سياسة آل خليفة مطردة في مثل هذه الحال .

اي انهم كانوا يستغيثون بحاكمهم نجد اذا ضايقهم حاكم مسقط ، وبجاءه مسقط اذا كانوا في خطر من حاكم نجد .

فلا يستغرب اذن رجوعهم الى السيد سعيد بن سلطان الرجل الذي اخرجوه من البحرين ، يستجدونه هذه المرة ليخرجوا ابن عفيضان منها . وكان الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فضل رسول اخواله آل خليفة الى حاكم مسقط . ولكنه ، على عزمه ودهائه ، لم يظفر من السيد سعيد بغير المال عونا . اخذ الشيخ عبد الرحمن المال وسافر الى سلالة فارس او بالحري الى قرن المنازل الجنوبية وفيها مستعمرة عربية من عرب التصود فالت منهم جيشاً - بالمال تقوم الخروب - وارسل الى اخواله يخبرهم بذلك ويطلب منهم ان يتأهبوا للهجوم . فجاء آل خليفة رجاؤه من الزيادة واتحدوا مع ابن اخيهم عبد الرحمن وجنوده ، فترافقوا مع جيش ابن عفيضان وحكسروه واخرجوه من الجزيرة . افلح النجدي هارباً الى قطر وزل هناك على رجل يدعى الدخنة ابن جابر الجلامحة . ولأروحة هذا دور كبير مهم في تاريخ البحرين ما روي شيئاً منه .

بعد ان استولى عبد الرحمن آل فضل على البحرين ونقل آل خليفة اليها تبهمهم قوم من العرب كثيرون ولما علم الامام سعود بجروج ابن عفيضان مهزوماً حاول استرجاع الجزيرة من الشيخ عبد الرحمن بواسطة احد اخواله الاسراء في الدرعية . فأرسل الشيخ عبدالله بن احمد - بهم يصحبه بعض رجاله ليستظفروا خبر عبد الرحمن ويروا ما اذا كان استولى على البحرين لنفسه او ليعمد اليها سيادة آل خليفة . هي المذاجة في النوايا وفي من لا يزالون على الفطرة الاولى

لا نعلم ما اوصى به الامام سعود رجاله ، ولكن المؤرخ يقول انهم جاءوا الى الشيخ عبد الرحمن بالحسن من الكلام . - كيف يجراً العيال ان

يستولوا على البحرين وآبأهم في قبضة الامام ؟ فقال الشيخ عبد الرحمن :
 دونكم العيال ، فانهم حاضرون فتقدم اذ ذاك الشيخ خليفة بن الشيخ
 سدان وقال : نحن اخذنا البحرين لانفسنا ولا حاجة لنا بآبائنا . وقد يشنا
 منهم وحيتنا باصهارهم »

كفر اولاد الشجاع عن ضعف ابيه فاعضب رجال نجد ، فقالوا يهودون
 الشيخ عبد الرحمن : لو كان يكن لالجف والحافر ان يفتأ البحرين اثرتها
 حصاة حصاة . فاجابهم قائلاً : و كان يكن لثبيت الجابري ان يطبل على
 الدرعنة جملها ، ولها اسفاهها .

وكن الاقدار ممت على اندروية بغيره فبث الجابري لهدها . وفي
 ثالث السنة او بعدها بقليل حا . ابراهيم باشا المصري يجارب اهل نجد فشنل
 الامام ابن سعود عن الاجزاء الصغيرة مثل قطر والبحرين في ملكه المزمعي
 الاخراف ، فاطلى سراج بني خليفة وتركهم وشأنهم ، فنادوا الى الجزيرة
 يتولون فيها زمام الاحكام .

لم يصف لهم الجوامع ذلك ، لان قطر قريبة من البحرين ، وفي قطر
 ارحمة ، وعند ارحمة ابن عبيد ابن ابراهيم . وكان ارحمة بن جابر الجرحمة
 عزيزاً في قومه جباراً متيداً . فلم يدان لآل خليفة ، بل كان يباريهم في
 السيادة ويسمى في النزاع الامارة بن ايديهم . ثم جاء ابن عيصان بزيده غلاً
 ونفورا فوجدت الثعائن والثعائن ، وكان ينتظر من رجلي قطر مباشرة
 القتال . ولكن آل خليفة ، عندما استقر امرهم في البحرين ، جهزوا اسطولاً
 من السفن الشراعية واجبروا الى قطر . توكلنا على الله ! شوخها ان شاء الله !
 وكان ارحمة وابن عيصان قد علنا بذلك فتأها للحوب . توكلنا على الله !

(١) يقول العرب عندما يفتقدون احداً من اهلهم : مينا باسمه .

(٢) الثبيت انه الدبة والجابري اسم سقينة الشكلم .

هي لنا ان شاء الله .

خيم الليل فالتقى الخليفون سفنهم امام المكان المقيم فيه ارحمة وابن عفيصان وهو يدعى الخوير . وكان ارحمة ملاحاً ماهراً وقائداً خبيراً . فلم تسمه مناورة اسطول العدو اذ رأى انواره - - تبثت هذه السفن يا ابراهيم تنبي بوجود الشيخ عبدالله بن احمد فيها . فقال ابراهيم متهمكاً : والشيخ عبدالله من المحبوسين في الدرعية . هات الدليل على نبوءتك يا ارحمة .

- تعانها تبثت قائد خبير ، ولا يمكن ان يكون غير الشيخ عبدالله . ثم استدعى زورقاً واشعل فيه سراجاً وامر احد رجاله ان يقف به وراء السفن ، فلما رأى قائد الاسطول ذلك خشي ان يكون النور نور سفن ارحمة ، فامر سفنه ان تقف وراءه دفناً لهجوم يحمله محصوراً بين العدو والبلد . فلما رأى ارحمة ذلك يقن ان الشيخ عبدالله قائد الاسطول واصعب بدهانه ويتقدرته الحربية .

لا تسمي هذه الحركة يا ابراهيم . هيا بنا الى البحر .

خرجوا بالسفن الى البحر ، وعند انبلاج الفجر تقابل الفريقان فادرك ارحمة ان من الحزم الا يقاتل القوم لان قوته لم تكن كافية . فاعتناظ ابن عفيصان عندما قال له ذلك وظنها جبانة منه ، فاعترض الى احد رجاله ان " يجرب " (١) .

لا خير في رجل يجرب جريته واذا تضايق حربه خلاها (٢)

فغضب ارحمة واعتدى قائلاً : لا باء ما تخليها . ثم امر بنشر الشراع وبرز للقتال .

(١) حارب اي هزج وهي من اصطلاح اللبنانيين وعرب نجد .

(٢) هذا من الشعر الذي يدهم في نجد بالنبطي اي العامي .

اشتكت السفن بعضها ببعض ، فطلطلت الاشربة ، وأنت الاخشاب
من الصدعات ، واصقت سفينة ارحمة بسفينة راشد بن عبدالله ، فجاء ابو
يدعمه بسفينة من الجانب الاخر حاكيا بينه ساعة الخطر الاشد من الفرار .
وكانني بارحمة وقد عان الشيخ عبدالله يقول لابن عفيصان : اتبني الدليل على
نبروتي ؟ خذ يا ابراهيم .

حمي الوطيس بين الجمين ، فدوت البنادق بالرصاص ، وابتدت خلال
الدخان الميوف ، رسالت الدماء من المراكب فضضت الامواج ، واشتعلت
النيران في الحطب والاشربة ، فتطايرت منها الشهب وتساقلت الشظايا
المتأهبة . - تبني الدليل على نبوتي ؟ خذ يا ابن عفيصان . راحت القلى
تسابق الرصاص الى قعر البحر ، وفيهم راشد بن الشيخ عبدالله . ثم حجت
النيران والدخان سفينة ارحمة ، وذهبت فوق عرشها زبد الموج المتضرب بدم
الابطال ، فجاء سيد الجلامدة وحليفه ابن عفيصان على لوحة من خشب . - هل
رأيت حرب الثوب يا ابراهيم ؟ ولكن الهول أصم ابراهيم ومقل منه اللسان .
اما ارحمة فلم يكن من قسكتهم الهزيمة وتقصهم الاموال . لم يوفق
في شركته وابن عفيصان الى مراده ، فاسفر بعد تلك الوقفة الى مسقط
يخطب ود حاكمها سعيد بن سلطان .

- آل خليفة اعداؤك يا سعيد واعدائي . كسروك مرة وكسروني .
ولست يا سعيد بمن يتأمون على الضم . لا والله .

وحلف ارحمة بغز الثوب ، وحلف سعيد برأس ابيه .

ثم ناصب صاحب مسقط الحليقيين الدماء وذلك انه قبض ذات يوم على
تجار من البجارنة كانوا يقصدون الهند ، وفيهم الشيخ عبدالرحمن آل فضل
عدوه الاكبر ، فمرجوا على مسقط فاعتقلهم في برج القلعة هناك . وكسب

الى اهل البحرين يطلب منهم الطاعة والخراج . فأجابه الحاكم الشيخ سلمان ، وكانت منه حيلة من حيل السياسة والحرب : اذا بغني عن هؤلاء وقد فديناهم وصينا ابنائنا بايمانهم .

اما السيد سعيد فكان قد تأهب للحرب فجاء باسطوله الى البحرين يصحبه أربعة الجلامدة ، فقتلوا في سكرة^(١) على شاطئ الجزيرة ، واقاموا هناك ثلاثة ايام فلم تظهر طلائع البحارنة . فتهاكم سعيد قائلاً : عتوبك غابوا - اي ماتوا - فغضب أربعة عتوي^٢ وعندما ظهرت اعلامهم خلال النخيل في صباح اليوم التالي صاح قائلاً : هم عتوي ظهروا يا سعيد . توكل على الله .

ولم تكن ساعة بعد التهام الجيشين حتى اصغرت الرقعة عن عزة اهل مسقط وفرارهم الى البحر . فلما رجع السيد سعيد الى بلاده عم يقتل تجار البحرين المعتقلين عنده . ولكن اخته ردة نهته عن ذلك وابيئة قائلة : هم في جوارنا واسرى بيدك فأبي فخر في قتلهم . دول على البحرين وعقد بنار اخيك . اي جهرنا بها مرة ثانية . واخوه كان قد قتل في وقعة سكرة .

اثر في سعيد شيامة اخته موزة تذكيراً حسناً فساد الى البحرين . ولكنه سالم اهلها هذه المرة فمقد مهادنة مع اميرهم الشيخ سلمان الذي سلم الجزيرة سابقاً الى ابي سعيد دون قتال ، ومن شروطها ان يدفع اهل البحرين قسماً من الخواج الى حاكم مسقط فيطلق سراح المعتقلين عنده .

وبعد وفاة الشيخ سلمان الرجل المسالم تولى الحكم اخوه الشيخ عبدالله ، وهو الحاكم الثالث من آل خليفة في البحرين . وكان أربعة لا يزال حياً يروى وخصاً لا يموت الا قتالاً . لكن الزمان والكروب أوعت منه العظم وذهبت بالبصر . اما القلب الذي تعشق الاخطار في سبيل الجيد فلم يمتدده وهي او

(١) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٢٣

نصب ، ولم يخذ فيه ذاك النو الذي لا يرى شرفاً في غير الشجاعة والنيات .
قام أرملة ومعه بعض قومه يعيد الكوة على البحريين ، أرملة ومعه هذه المرة
لا حليف ولا شريك له . فدخل القطيف واكباً سيفيته المشهورة « غطروشة »
فجرت عليه الشيخ ببداهة السقن ، وقد شتمها بالرجال وخرج بقودها بنفسه .

احاطوا بأرملة البطل الضرب في بيتا القطيف ، فأمر بنشر الشراع
وطلب ميداناً مقبلاً . فاجيب الى مثله . أفسحوا لغطروشة فخرجت
الى عرض البحر ، ثم انقضوا عليها من كل جانب . وكان أرملة وهو جالس
عند خزانة السفينة ومعه ابن له صغير الى جنبه وصده طرار واقف فوق رأسه
يسأل عن السفن الحامدة عليه وعن قوادها فيخبرونه فيقول : هذا لا يجرأ على
مقابلتنا - هذه لا تلحقنا . ثم يصدر الاوامر للذوقية بيتا رجاله ينادون
المدو اطلاق الرصاص . وعندما دنت سفينة الشيخ احمد بن سلمان من
« غطروشة » اخبروه بها فقل : هذا يطابقنا لا محالة ، لان جنبه لا يلامس
ناعات الابدان . اي انه لم يتزوج .

بعد قتال بازصاص شديد تلاصقت السفينتان ، فتجالد الفريقان ، واشتد
الضرب بينهما والطلعان ، بيتا رمية الضرب يحارب بلسانه وجنانه ، فيعرض
رجالاه ، ويصدر اوامره ، ويسأل تارة ابنه ، وطورا يستنصر عبده طراراً .

- ابن صاروا يا وليد .

- عند الدقل^(١)

- جنبوا . جنبوا . . . والآن ابن صاروا ؟

- صدوا النيم^(٢)

سكتت أرملة سكوتة الابدي ، اذ قرن كلمته الاخيرة بالعسل ، فاخذ

(١) الدقل الصادي .

(٢) النيم - طح مؤخر السفينة .

ابنه ووضعه في حجره، وعهد إلى ناز قالقما في ذخيرة البارود التي كانت تحته.
«بيدي لا بيد عمرو». فدوى دوى غرقت فيه اصوات البنادق صككها
وضحك الزيد الخضيب بالدماء فوق برشة العطر وشة.

تسمى هذه الوقعة في تاريخ البحرين «ذبيحة أرملة الجلامه». قل هي
عجده وتخليده، رحم الله كل من مات بطلاً في ساحة الوغى.

كان لأرملة ابن اخرا اسمه بشر حاول الاخذ بثأر ابيه فراح الى صاحب
محطة السبد حميد يستأجده على آل خنيفة. وبنا انهم كانوا قد امتنعوا عن دفع
الحراج جاء حميد، اكراماً لبشر ابن أرملة، يعطهم حفظ اليهود. فخرجه
له الشيخ عبدالله بجيشه وكسره في اول وقعة وقتل من رجائه ثلاثة الاف.

عجائب يابتي بته عجائب ثلاثة الاف ما فيهم شايب

وقد حارب في هذه الوقعة مع آل خليفه يزيد بن هذال وبهض قومه
المبارات^(١).

اخذت نشوة النصر مأخذاً من الشيخ عبدالله فعبيت اليه الفتى والاستمرار.
وهكان قد تجدد بيته وبين امير نجد الحلاف فيجوز - بشاً بحرياً وسار به الى
دارين ففتحها ثم الى تاروت فاستولى عليها، ثم الى سيهات في القطيف
فماصرها. فجاءت جيوش نجد توقفه في قنوجاته، وقامت تساعدهم الفتنة في
بيته. بل افتقدته تلك الفتنة ما كان قد استولى عليه في القطيف.

ان السبب في مثل هذه الفتنة المألوفة في بيوت امراء العرب الحاكمين هو
غالباً تعدد الزوجات التي ينشأ عنه ضغائن بين الاشقاء، ومنافسات بين

(١) لا يزال بنو هذال وشيخهم اليوم يهدى بك مؤسرين على هذا النهج من عتري
الذي يسمى المبارات. وهم من عشائر النبال يقيمون في ارض هند وادي حوران
بين سوريا والعراق.

الامهات تخلصاً اذا كن من قبائل مختلفة^(١).

سكان الشيخ عبدالله عشرة اولاد منهم ثلاثة امهم من آل بني علي ، المشيرة التي مر ذكرها في الكلام على اهل الزبارة . فخرجوا على ايهم يطالبون بالامارة وقصدوا الى الخويلة^(٢) يستجدون اخوالهم فيها فارسل الاب عليهم جيشاً بقيادة حفيد اخيه الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان فهاجمهم في الخويلة وهزمهم في الوقعة الاولى ، فتأبوا وقالوا لايبهم : اننا من الطائفة ، فغزا عنهم واخذ لهم بالرجوع الى البحرين .

هذي هي البداءة والنهاية في مئة ابنائه . ولكن روح الفتنة التي خرجت منهم حلت بالرجل الذي حمل عليهم باسم ايهم وظهرت قرونها بعد ثاني سنوات من وقعة الخويلة . ذلك ان الشيخ محمد ، حفيد الرجل المسالم الشيخ سلمان ، قام على الشيخ عبدالله كأن يتقاضا اجرة تأديب اولاده ، فعاصره في الحق . وكان ابن اخيه سلمان الساكنان يومئذ في الرفاع^(٣) يميلان الى عهم وهو يشي بهما . فاستنصرهما على ابن اخيهما التأثر عليه ، وجهز اكل منها جيشاً كبيراً . فاحتبرا في وقتين فاندسر في الثانية الشيخ محمد بن خليفة . وبعد ان ركل اخاه الشيخ علي بان يرعى الفتنة سراً راح يستجد الاعضاء على الاقرباء .

سافر اولاً الى محمد فصد اميرها ، فعاد الى قطر وارسل الى آل ابراهيم

(١) ان ندد ذوات الملك يزيد بعدد السيامة في البلاط ويوجب بناء القصور العديدة التي يلغى لها نفقات طائلة ويقتل الشعوب في الامرة المشعور الابري والبنوي والاخوي ، ويفسد الاخلاق ، ويضعف القوى الجسدية ، ويمتد على التفتت والترفه ، ويمكن من النفوذ والسيادة في الاسكاف طيلة منحة من الناس .

جورج رولنسون في كتابه موجز التاريخ القديم « صفحة ٢٧

Ancient History by George Rawlinson P. 27

(٢) الخويلة قرية في الطرف الشمالي من قطر .

(٣) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٢٣

الذين كانوا يومئذ في جزيرة قيس من أعمال فارس يدعواهم لقتال أعدائهم السابقين حكام البحرين . فلبوا الدعوة مسرعين ومعههم الجلائمة يرأسهم بشر بن أرحمة . وكان الشيخ محمد في قطر والشيخ علي في البحرين يتعاونان في اضرار نار الفتنة وتجهيز الجيوش لها .

أزف يوم القتال ، فخرج الشيخ علي بجيش على الشيخ عبد الله فكسره وتقدم الى الرفاع فاستولى عليها . ثم جاء الشيخ محمد بجيشه فزحف على المسامة ودخلها منتصراً . وكان الشيخ عبد الله في المحرق فجهز اليها ووقع بينه وبين عم ابيه قتال كان عليه وبالاً . فلجأ وبعض رجاله الى القلعة فحاصروا فيها ، وما كان الحصن حصيناً . فرأى الشيخ عبد الله من القلعة هارباً الى بلاد فارس ، ومنها جاء الى الصكوكيت يستنجد حاكماً فلم يتجده ، فزار منها الى نجد وكان نصيبه هناك الفشل ايضاً ، فسافر بدؤد الى مسقط فرض فيها ، ومات بعد بضعة ايام حزناً طويلاً .

حكم الشيخ عبد الله بن احمد بن محمد بن خليفة في البحرين اثنتين وعشرين سنة ، قضى جلها في قيع الفتن ، وفي ما عفت من الحروب . وخلفه محمد الثاني ، الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان ، الذي كان السبب في انقسام آل خليفة الى حزبين حزب آل عبد الله وحزب آل سلمان . وهذا الشقاق بنا نشأ عنه من الفتن والحروب ادى الى تدخل الانكليز ، فتح الالة التي يتمسكها « سفين » المياسة . ساقص قصة الانكليز في حينها ومكانها .

اما الآن فالحلقة التي نحن فيها من هذا التاريخ تتعلق بالشيخ محمد بن خليفة آل سلمان . وقد علم القارىء مما تقدم من سيرته انه كان شجاعاً عزواً مقداماً ، ولكنه لم يعلم بانه كان ذا بدهة عجيبة تدنو من الرؤيا فتسكنه من تفسير الاحلام ، والتنبؤ بما تجبته الايلم . اما في السياسة فقد كانت الحرباء مثاله الاعلى . ولا غرو ، فالدولة العثمانية كانت قد بدأت ترمق

الكويت والاحساء والبحرين بنظر الام الرؤوم ، وكانت الدولة الايرانية لا تزال تحلم بمرجوع ابنها الخالة فتأم حبل سيادتها في الخليج ، وصكان الانكليز ، بعد ان تبنت قدمهم في ابي شهر ، يسعون في المضيق بين الدولتين الى مقاصدهم الكريهة . فويل يلام الشيخ محمد اذا قام بينهم كالبهلول يدعشهم تارة ، وطوراً يضعكهم ، ولا يرضي باطناً احداً منهم . قيل انه كان ينشر في القلعة عينين ، ملأاً عثائباً فوق العرج الغربي منها وعلناً ايرانياً فوق العرج الشرقي ، حتى اذا حاولت احدى الدولتين التحكم بامره ادعى الفرية الى الثانية . ولكن الانكليز اذركوا سر هذه السياسة وطهروا ان في الحرب انفسهم من لا يسره نجاحها .

تولى الشيخ محمد الحكم سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٩٢ م فحكم مطلق البال ست سنوات لم يخرج عليه اثناءها احد من اعدائه . ويظهر ان ابناؤه حافه الشيخ عبدالله الذين هربوا بعد سقوط ابيهم الى الدمام في القطيف كانوا يتأهبون لذلك . فقد كان في القطيف يومئذ آل ابن علي وزعيههم عيسى بن طريف الطامع بملك البحرين . فانجد وآل عبدالله وجاءوا الى قطر يشبهون الحرب على الشيخ محمد . فبعث اخاه علياً على رأس جيش كبير فازلهم في أم سوية فقتل في الواقعة عيسى بن طريف وقفل الشيخ مبارك بن عبدالله واخوانه هاربين الى الدمام يازمنا يا اولاد بولي حليف آخر دونك يا مبارك وابن سعود .

وكان امير نجد يومئذ فيصل بن تركي الذي نهض للحرب بمسؤول ملك اجداده . فاجاب طلبتهم بأن يمته يخدم بجيش في البحر وسار بقود بنفسه جيشاً يرباً . وعندما اجر آل عبدالله وانصارهم الى البحرين كان الشيخ محمد قد حشد الجيوش برأ ويجراً لمقاومتهم . فطلبهم ثانية في وقعة بحرية قتل فيها الشيخ مبارك وابن عبد آل خليفة الاله بشر بن أرحمة . ثم حاول آل عبدالله

ثالثة ان يأخذوا بثأر ابيهم فلم يفلحوا . فبعد ان حاصرهم الشيخ علي اخو الشيخ محمد في الدمام احد عشر شهراً واضعف شوكتهم طأوا الى ابن سعود ليكون هذه المرة واسطة الصلح بينهم وبين ابن عمهم ، فقام الامير فيصل بهذه المهمة المجدرة وكان من المقلعين . فعاد آل عبدالله الى البحرين فمعا الشيخ محمد عنهم واكرمهم غاية الاكرام .

ومع ذلك لم يصف الجور للشيخ محمد . فلم يكفد يحمده نار الفتنة في القطيف حتى اشتعلت في قطر التي كانت يومئذ تابعة للبحرين ، فقام اهلهما وعلى رأسهم الشيخ قاسم بن ثاني يظلمون نير الطاعة ويهددون آل خليفة وابن سعود .

فارسى الشيخ محمد اخاه عليا ليؤدب العصاة . فوصل الشيخ علي بجيشه الى الدوحة عاصمة قطر ، ودخلها بغتة ، فاحمل في اهلهما السيف ثم دمرها تدميراً . جاء بعد ذلك الشيخ قاسم الى البحرين يلتزم الفهر فالتقاء الشيخ محمد في السجن ، فهاجت لذلك قائل قطر بأسرها وفي مقدمتهم عوب النعم وجازا باسطول من السفن بهاجمون البحرين فلما وصلوا اليها وجدوا جيشاً في البحر مستعداً للقتال ، فعدت في مكان اسمه دامة معركة شديدة ، تلاصقت فيها السفن فشبت بكلايب الحديد ، وتجاهد الفريقان فاحمر وجه الماء من دم القتلى وكان الفوز للبحارنة .

وكانت وقعة دامة هذه - ١٢٨٦ هـ - ١٨٦٧ م - السبب في التدخل الانكليزي بشؤون البحرين .

لست ممن يشككون في ان الانكليز ينفون السلم ويسعون في توطينه في كل الامن في الخليج العربي . بل هم ينفون السلم ويسعون في توطينه في كل مكان يتخذونه طريقاً لتجارهم وسيلاً لتأييد سياستهم في الهند . وقد بان للقارىء في ما سردته من تاريخ البحرين ان الخليج ، وهو اهم هذه الطرق ، كان دائماً مسرحاً للفتن والحروب التي يسببها حب السيادة والامتياز . جاء

الانكليز بعد اهل البرتغال وقصدهم الاسيلاء عليه ، والحفاظة فيه على الامن والسلامة . فسطروا شيئاً من سيادتهم ونفوذهم على بعض الجزر والاساكن على الساحل العجبي ، منها ابو شهر التي هي اليوم مركز الحاكم العام .

وراحوا يشتدون الامن والسلام - والسيادة طمناً - في الجهة العربية منه . فزبد الخليج طربفاً آمنة للتجارة في ايام السلم ، وزيدته في ايام الحرب وهو مفتاح الهند بيدينا وحدنا افا عده هي غاية الانكليز الاولى والاخيرة . ولا ريب ان ذلك - اما الوسائل التي اتخذوها لتحقيق هذه الغاية والسيادة التي انتهجوها لتعزيز سيادتهم في الخليج - فثلاث قصة اخرى لا احرم القارىء حارفاً عنها

قلت ان الشيخ محمد بن خليفة كان شاذاً في بدايته الى درجة تخرج البداية فيها ضرباً من الرقيا . والسكنه لم ير شيئاً والاعلاء ما كنهته الافكار في تقرب الانكليز منه . جاءه الوكيل السياسي من ابي شهر بخطب وده وبعده ثم قد ما هذه امة من له حالاته ثلاثة وسبع عشرة ويطاها العنسى "فن يرفض هاتين العشي ٩ كان الشيخ محمد كما اوضحت محامياً دائماً بالاعداء من القائل ومن آل بيته ، وتزوج حكمه الفتن والحروب ، فرائى الحكمة والمصلحة

(١) حدثني احد افاضل البحرين قال : كان للبحرين اسطول شراعي كبير مسلح بالمدافع والذخيرة - اتفعل امره . فاستولى على حكام الجزيرة على قطر والقطيف فخصي الانكليز عاقبة ذلك لان مصلحتهم تقتضي بان يهر بلدان الخليج متنافرة متشاقة لكل منها امير مستقل فاضطروا امراء البحرين بان للثاني في البحر ممنوع وان لبريطانيا العظمى حقاً بتمتع تشراف لها به الدول الكبرى . فلا يهر اذن ان يخرج اسطولكم الى عرض البحر واذا خرج فالاسطول الانكليزي يقوم بواجبه . فاصبح الشيرج الامراء ان بلادهم جزر مفتوحة فتورها لا حسن لها الا الاسطول . فان لم تدفع بالاعداء ملكوا بلادنا ورقابنا . واذا لم نحاجم هوجنا . فاجاب الانكليز : اذا كان الامر كذلك فان حكومة بريطانيا العظمى اذا امتنعت عن الهجوم البحري ، فتمهد يرد الاعداء عن بلادكم .

في عقد المعاهدة : وان كان من شروطها ان يتنازل حاكم البحرين عن حقوقه في تجهيز الجنود البحرية والسفن الحربية . فقد نهدت بريطانيا العظمى في مقابلة ذلك ان ترد عن البحرين حكل غارة بحرية . هذه خلاصة المعاهدة او الاتفاق .

فذا ثار اهل قطر على حكومة البحرين و جاؤا يهجمون على الجزيرة خشي الشيخ محمد من استيلائهم عليها بيثا هو يفاوض الوكيل السياسي في ابي شهر^(١) وينتظر النجدة منه . فكانت وقعة دامية وكانت فاتحة المحنة الكبرى .

وحسب الوكيل السياسي مراكبا حربيا وجاء يفتح على الشيخ محمد بانه خرق المعاهدة بينه وبين بريطانيا العظمى . ولكن الشيخ محمدا وكل اخاه مليا بالامر وسافر الى قطر قبل ان يصل الوكيل الى البحرين . فمد الوكيل ذلك اعترافا منه بشكت العهد وفرارا من التبعة والجزاء فاسر باطلاق مدافع البارجة على القلعة التي كانت تردهي بطلبي تركية واذا ان تهدمتها . ثم طلب من الشيخ علي ان يتولى الحكم بدل اخيه الذي سقطت امارته بحرقه المعاهدة . قبل الشيخ علي وكان في قبوله الشقاق بينه وبين اخيه . فقد اشار الى ذلك ابن اخيه شاعر البحرين اليوم الشيخ ابراهيم في القصيدة التي يروي بها والده حيث قال :

فنازعك الشقيق وكان قدما خساءك والامور النزاع
واغرى الدهر بينكما وهاجت على الافساد يفتكها الرعاع

كان الشقيقان متعابين يخلص احدهما للآخر ، ولم يبد في خلال ثلاثين سنة التي فيها حاربا وادارا الشؤون مئا اقل ميل في علي الى متنازعة محمد الحكم والسيادة . كانا والحق يقال مثال الوداد والوقا . حتى مجي الوكيل السياسي^(٢) ابو شهر هي على الشاطئ الفارسي وتبد نحو مشة وخمسين ميلا عن البحرين شرقا بشمال .

من ابي شهر . فكان الاخلاق به ان يكتفي بما فرضه على البحرين من المال ،
اي مئة الف روبية ، قويضاً وتأديباً ، ولا يزرع في سياسة البلاد الداخلية
تلك اليدرة التي تاحلت في البيت المال ولا تزال تشيع الفتنة والشقاق .

بعد ان تولى الشيخ علي الحكم سافر اخوه الشيخ محمد الى الكويت
فتدخل آل صباح يصلحون بين الشقاقين . فكتب الحاكم يومئذ الشيخ
عبدالله الى الشيخ علي يسأله ان يرجع الامر الى ما كان عليه ، فقبل الشيخ
علي بذلك . فجاء اخوه الشيخ محمد يصحبه حاكم الكويت واخوه الى البحرين
ولكنهم علموا قبل ان يقرؤا الى الخيرية ان الشيخ علي عدل من رأيه واصر
على امره . ولا شك ان اليد التي كانت تؤيده هي اليد التي اغامته حاكماً .

لا يحكم الصياد اشيا كه الا اذا عكرو بطن القدير

عاد الشيخ محمد الذي لم يقهر مرة في حياته ، الى ما فيه من قوة ودهاء .
فنزّل في دارين وشرع يتأهب هناك لقتال فحشد جيشاً من بني هاجر
واعان الحروب على اخيه . فخرج له الشيخ علي بجيشه فاقترابا قتالاً شديداً
ذبح فيه الشيخ علي وفوق جيشه . فعاد الشيخ محمد الى الحكم الذي ما
دامت الفتنة تشد فيه والمحن ترداد يوماً فيوماً .

كان ابناء الشيخ عديده من الذين نصرروا الشيخ محمد على اخيه « ومج
مسرورون بما حدث بين الاخوين المقتضين الحكم من ابيهم . ثم بادروا الى
الانقطاع بما اسلفوه من مساعدة فادعوا انهم حكاوا السبب في انتصار الشيخ
محمد وقاموا بتأهضونه . ثم قبضوا عليه فسجنوه في القلعة التي كان يرفع فوقها
العدين التركي والارابي . وقد قال لهم الشيخ محمد عندما اعتقلوه وكان في
نبوءته صادقة : لن تظل مدة حكمكم اكثر من ثلاثة اشهر .

وصار الامر بعد كما ^(١) تقوم ^(٢) له جلاوا ولكن لم يطاعوا

(٢) اي ابناء الشيخ عديده .

(١) اي بعد ابيه ومعه .

وكان الامر كذلك، اذ قبل ان يتم الشهر الثالث جاء الوكيل السياسي
من ابي شهر في مركبه الطري وتولى امور البحرين المضطربة . فاستشاره
الاهالي ، بعد ان اطلق بشمة مدافع على سراي النامة ، في من يختارون
حاكماً عليهم فاجمع رأيهم على الشيخ عيسى بن الشيخ علي الذي قتل في الحرب
الاخيرة . ثم طرد من البحرين بني هاجر وعلم اتباع آل عبدالله ، وأخرج
الشيخ محمد بن خليفة من القلعة فاصطحبه ومحمد بن عبدالله في البارجة ، فانزلا
في جزيرة كانت مسمى احد المحمد بن وعمة مسمى الثاني اي محمد بن خليفة بن
سلطان بن احمد الفاتح . وقد نقل من تلك الجزيرة الى عاصي ، ثم الى عدن ،
فأقام فيها عدة سنين اسيراً . بعد ذلك شفع فيه السلطان عبدالعزيز الى
الحكومة البريطانية فأذن له بالسفر الى مكة ولكنه لم ينعم فيها ، فقد
مات هناك سنة ١٣٠٧ هـ . حكاه ابن الشيخ عبدالله في مسقط حزباً طريداً ،
فرثاه ابنه الشيخ ابراهيم بن الشيخ الفصيحة التي رثاها بعض اربابها وفيه يقول :

واسلك الزمان الى خطاوب تذلل لبعض اصغرها السباع

الى ان قال :

فان مكارم الاخلاق عاق	ليس لا يمار ولا يساع
الا يا نفس جدي واستعدي	ون الامر جيد واضطلاع
ويا غلب المعالي انت قصدي	وهل يحشى مع القطب الضياع

الذهبية ، صورة الزمان والمكان والاحوال ، واجتنبت أولاً وانحرفاً الاطراء
والاطتاب ، فوصفت الرجال بما غلبه اعمالهم على المؤرخ .

ولو اني تمسيت على اسلوب التاريخ الذي بين يدي سكان ينفني لي في
الكلام على الشيخ عيسى بن علي ان اقول انه « استلم زمام الملك بيد الحزم
والتدبير ، فدانت له القبائل والعربان ، ونشر رايات العدل والامان ، وقمع
بسيمه البغاة والعدوان ، وشاد بملفه وحلفه وتقواه ركن الدين ، واظل بانصان
فضله الارامل والمساكين ، فالقى السعد عصا تسياره بقصره ، وعصه بين
الانام بنصره . » الخ .

ولكن التاريخ هو غير السجع . يجب ان يكون للتاريخ عيان ، وعقل
ووجدان . ولا بأس اذا كان له شيء من البداهة والتصور . اما القلب فلا
حاجة له فيه ، ولا يجوز . ان التاريخ الصادق هو شاهد لا قلب له . وهو
الآن يشهد ويقول ان للبارجة الانكليزية التي كانت في تنو البحرين يوم
استغنى البحارة ، يداً قوية في ذلك السعد الذي «لقى عصا تسياره» في قصر
الشيخ عيسى . ويقول ايضاً ان ملكه الذي استمر خمساً وخمسين سنة كان
اكثراً عدلاً وسلماً واصلاحاً من ملك من تقدمه من اجداده . ولذلك اسباب
منها ما يتعلق بشخصه الكريم ، ومنها ما يتعلق بالانكليزية ، ومنها ما هو ناشئ
عن روح الزمان في المدنية والعمران .

كان الشيخ عيسى كريماً جواداً ، فقد انعم على القبائل التي كانت معه
في قطر بمبالغ جسيمة من الاموال يوم تقلد الامارة . واعطى في جلسة واحدة
اربعين رأساً من الخيل الاصائل ، ووصل بني عمه بالطرف النفيسة والجواهر
والبساتين . هي السجبة الاولى التي كان يستقرس اليها ويعتمد على ما فيها
من قوة البرهان والاقتناع . حتى انه لم يكن ليرى غير الكرم في بعض
الاحايين سبيلاً الى توطيد الحكم وتعزيزه . وقلنا استبقى من واردات البلاد

شيئاً لنفسه . بل كان ينفقها كلها ، منذ كانت تعد بالآلوف الى ان صارت
تعد بالملايين ، على وفود العرب ، وافراد عشقته ، ثم في الاصلاحات العامة .

اعتمد الشيخ عيسى على الكرم وقلة اعتمد على غيره من مزاي النفس .
او يد بذلك انه لم يكن يشق كثيراً بنفسه او يعتمد عليها . بل كان في جل
اهوره وكلا . فاذا جرب انساناً ولو تجربة طليقة اعتمد عليه ووثق به على
الدوام . فيعم اذنه عن كل ما فيه ذكر مساوئه او الاشارة اليها . وقد
نشأ من هذا الضعف خلل في الاحكام وفي جياة الخراج .

اما العدل فقد كان غالباً موزناً في همه . والحق يقال ان الشيخ عيسى
نفسه لم يظلم انساناً ، عرضاً او عمداً ، في مدة حكمه امشوا خماً وخمين
سنة . فقد كان دائماً يتحرى العدل والانصاف . ولكن ذلك لا ينبغي ما
كان يحدث من المظالم في دوائر احكام البحرين ، وان سدل عليها استاذ من
التوبة لان الرجل كما قلت كان وكلا فلا ينتبه الا بعد حين الى اعمال
معتديه .

ولم يكن الشيخ عيسى يميل الى الجديد والتجديد ، بل كان منذ حداثة
محافظة كل المحافظة على القديم ، فلا يغير شيئاً مما دوج عليه ، ولا يرغب بشي .
فيه بعض الخروج عن المألوف في التقاليد والعادات . وخلل كذلك حتى اصابه
في آخر ايامه سهم من روح الزفة وحاتت به سنن الرقي والعران ، فقام يساعد
في انشاء المدارس وبأمر ببناء المحاجر والمرافق العامة في بلاده . وقد وضع
اول حجر في اول مدونة بيده ، وخصصها براتب شهري بمسد ان افتتح
جريدة الاكتاب يبلغ وافر من المال .

ومن سجاياه المتأذة وفضلاً من الكرم وحب العدل انه كان صادقاً
في ولائه وفيما . فقد احسن الظن بالسياسة الانكليزية لاعتقاده ان انكافرا
لا تريد الا نشر تجارتهما وتمزيقها . ولكنه جهل كما يجهل الكثيرون حتى

من الانكليز انفسهم ما كان متطوعاً من مقاصد تلك السياسة ^(١) ، فامن
مناوئها . اجل ان اخلاص الشيخ عيسى للانكليز حملاً وخسين سنة -
للالانكليز الذين ساعدوا في اقامته حاكماً ، ثم اذله وامتنوا حرمة ملكه
مراراً ، ثم اسقطوه عن العرش الذي رفعوه اليه - ان اخلاصه لهم ، وحين
ظنه بهم ، لمن الفضائل التي قلما نجدها في غير العرب من الشعوب الشرقية ،
وما كان ذلك الا لانهم ساعدوه في بداية اموره ، ولانه عاهدهم على اشياء
منها الاعتراف بالاتفاق السابق بينهم وبين الشيخ محمد ، ذلك الاتفاق
الذي قضى على اسطول البحرين وجعل البلاد مشكلة على بريطانيا العظمى
في الدفاع عن نفسها .

مع ذلك لم يثبت الشيخ عيسى بعهده ، ولا عقد اتفاقاً سرّياً مع دولة
اخرى من الدول . كتب اليه مدحت باشا عندما كان والي بغداد يمرض
عليه مساعدة الدولة برده اتفاق ودي بينه وبينها ، فذفع الكتاب الى احدقائه
الانكليز وكتب الي مدحت يقول : حسي بريطانيا العظمى صديقة وحليفة ،
وقد فاضته كذلك الحكومة الالمانية بواسطة . تمتددا التجاري في البحرين
فكان جوابه : لا اقدم على بريطانيا العظمى احداً ، ولا اعاون عليها عدواً .
كثيراً ما اعترض بعض رجاله على هذه الثقة المطلقة ، وفيها التضاضي عن
المساوي ، فكان الشيخ يقول : ان بريطانيا العظمى اثبتت الامم الاوروبية
في المعاهدات ، فقد اعترفت باستقلال بلادى وحكومة حكومتى ولا اريد
اكثر من ذلك .

فهل قام الانكليز بما توجب عليه الصداقة بل المود بينهم وبين شيخ

(١) حدثني احد الذين حكموا مورنمين في الوكالة السياسية الانكليزية بالبحرين
قال : كان عيشتا ويخرج من عندنا كثير من الرسائل والبلاغات السرية . ان في
دار الوكالة منها ما يلا بضمه صناديق ويدهش قجوها كثيرين حتى من رجال
الحكومة بلندن .

البحرين ؟ قد اعترفت انكليزاً باستقلالهم فهل احقرمت هذا الاستقلال ؟
 سأخذ من تربية البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي ثلاث حوادث فيها
 الجواب على هذا السؤال ، وسأرد عليها بما يجيزه التحقيق من الاجازة .

اما اول هذه الحوادث فهو ضرب الؤامرة سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م التي
 كانت اول ما حكم آل خليفة في قطر عنده ، جاؤوها من الكويت . وبعد
 ان نقاوا منها الى البحرين عدت مشاً للفنق والثروات . ذلك لان فيها الخلافة
 وآل ابن عتي وبني هاجر^(١) الازعين دائماً الى الفت سلباً بالسيادة والحكم .
 فقاموا سنة ١٣١١ هـ ينقضون في نار الفتنة فاضربت في الزبارة ونواحيها ،
 فكثرت جموع الثائرين وقد تأهبوا للهجوم على الخليجيين في البحرين . فرأت
 الحكومة وجوب اتحاد الفتنة ولم تر الى ذلك سبيلاً بواسطة غير الاسطول
 الذي كان لا يزال عندها قمع منه . فتشاور اشيوخ واقروا ذلك ، ثم بعثوا
 يعرضون الامر على الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى في ابي شهر ويستأذونه .
 فحذرهم الوكيل من نقض الاتفاق . فطلبوا منه الدفاع عن البلاد ، ذلك
 الدفاع الذي يوجب الاتفاق . فتملأ الوكيل اولاً ، ثم اشتد في مقابلة الدفاع
 شروطاً جديدة منها ان يكون لبريطانيا العظمى وكالة في البحرين ، ويكون
 للوكالة الحق بالمشاركة على قضايا الزعيا البريطانيين . فاذا يفعل شيوخ آل
 خليفة في مثل هذا الموقف المخرج ؟ ويلهم من الثائرين الزاحفين على بلادهم ،
 وويلهم من البوارج الانكليزية الراسية في الخليج اذا هم دافعوا عن البلاد .
 فباروا بالشروط الجديدة ، فاجرت اذ ذلك البوارج الى الزبارة وفقرت بقائهما
 الاقوام الثائرين .

والحادثة الثانية حدثت بعد عشر سنين سنة ١٩٠٣ وهي بنفسها طفيفة ،

(١) هم الذين كانوا في البحرين عندما تولى الشيخ عيسى الامارة فطردهم الوكيل
 الانكليزي منها لانهم كانوا مواليين لآل عبد الله اعداء آل سلطان .

واسكنها خطرة في نتائجها . فخدم المالقي اهان ابن اخ الشيخ عيسى فضربه ، فشكاه الخادم الى رئيسه ، فرفع الرئيس الدعوى الى الوكيل السياسي الانكليزي^(١) والى حكومة المانيا . وبعد بضعة ايام اتفقت الحكومة المحلية والرئيس المالقي فاعتذرت عما فرط من ابن اخ الحاكم ، ودفعت الى الخادم ثلاثة الاف روبية . على ان هذه النسوية لم ترض ، على ما يظهر ، الوكيل السياسي في ابي شهر وكان يومئذ السريسي كوكس ، فجاء بمراكبه الحربية فرست في مياه البحرين واتت بعض جنودها الى البر ، ثم عرض الوكيل لائحة^(٢) تطلبه الحكومة البريطانية جزاء ضرب المالقي ، فنفذت مادة مادة . حرق ما تبقى من سفن البحرين اعرية ، وحكم على ابن اخ الشيخ عيسى بالنفي خمس سنين قضاها في الهند ، وأحيل الى الوكالة البريطانية بالبحرين النظر والفصل في دعاوي الاجانب كلها .

اما المطاوت الثالث في سياسة الاستيلاء التدريجي فقد حدث في شهر ايار من سنة ١٩٢٣ . ولا بد قبل ان روية من تهديد . قد علم القاري . ما تقدم في هذا الجزء شيئاً عن اهل نجد وشيئاً في ما تقدمه عن اهل الشيعة وخصوصاً الايرانيين منهم . فها كان من اسباب اوتام تجارة واجتماع بين الشيعين اذا حمتها مدينة واحدة ، فالخلاف الديني ، وقل القل في الدين ، فضلاً عن الخلاف الجنسي والسياسي ، كلها متأصلة في القلوب ، متأهة في ساعة الشر للوثوب . وفي البحرين من التجار والعامل النجدي والايواني ، وقد علم

(١) ليس لانكلترا فواصل في الخليج المعجمي لان وميزة الفاصل تجارية . ومما علم في الخليج تقضي ان يكون لما هناك ممثلون سياسيون . ومما في المنصب اثنان الموظف السياسي Political Officer والوكيل السياسي Political Agent وفي الخليج وكيل سياسي اول مركزه في ابي شهر يرجع اليه الوكلاء والموظفون السياسيون في الكويت والبحرين ولنجه وغيرها من الاساكن والجزر . اما مرجع الوكيل السياسي في ابي شهر فهو حكومة الهند . وبما ان في البحرين كثيرين من الهند فقد اطلقوا على الوكيل السياسي فيها لقباً هندياً فهو يدعى هناك بليوس .

القادي، ان الاثنين بموجب الاتفاق الاخير بين حكومة البحرين وحكومة بريطانيا العظمى به يقدآن من الاجانب ، فيجب ان تسمع دعاويهما في دار البليوس اي الوكيل السياسي الانكليزي بالمنامة .

وهذا البليوس ، ابتغاء حزب له من الايرانيين « سعى في عزل رئيس بلدية المنامة ونصب مكانه احد تجزهم محمد شريف خان يهودي الذي اشتهر بكومه للعرب . وقد كان لهذا الرئيس جمعية البليوس نفوذ في الاحكام يدنو من نفوذ الحكومة الوطنية ويتجاوزها في بعض الاحايين . هذا هو التهديد .

اما الحادث فهو انه في اوائل ايار من تلك السنة سرقت ساعة من بيت تجر نجدي ، فاتهم بالسرقة رجل فارسي فقام بعض اهل بلاده يدافعون عنه ، فادى ذلك الى خلاف بينهم وبين اهل نجد « فتعزب الفريقان واشتملت في القلوب الاحقاد الكامنة « فافضى النزاع الى القتال ثم الى السلاح . وكان خان يهودي محمد شريف رئيس البلدية يفري المعجم في هذه الفتنة بقتل العرب^(١)

اما الحكومة فبا ان المتقاتلين كلاهما من الاجانب اكتفت بحفظ الامن ما استطاعت . ولا اظن بما شاهدته في البحرين يوم كنت هناك انها كانت تستطيع كثيراً .

أبرق البليوس خبر الفتنة الى الوكيل السياسي في ابي شهر فجاء مسرعاً تصحبه بارجتان . وكان اول ما طلبه من الحكومة ان يعزل الشيخ عيسى الحكيم . وأبى الشيخ ، فأصر الوكيل ، وجمع فريقاً من الناس فأعلن فيهم

(١) « فلما كان رمضان حدث خصام بين فارسي ونجدي فكانت النتيجة ان رئيس البلدية والبليوس « تبعاً لجانبهم » حضوا المعجم على اطلاق الرصاص . . . فتحول الخصام البسيط الى فتنة دموية « من مريضة قذها وكلاء الامة البحرانية لرئيس الخليج في ابي شهر في ١٧ ربيع اول سنة ١٣٤٢ .

عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه الشيخ حمد مكانه . وهذه البوارح في الغر
نلفت إليها نظر الوطنيين المشاهير .

ثم تبع الغزل والنصب سلسلة من الاجراءات خطا فيها التطور السياسي
والاكتال الوطني خطوات كبيرة . فقد ألغيت المحاكم الوطنية ، وعينت من
واردات الجمر وغيرها ، التي تحولت الى بنك انكليزي في المنامة ، واتب
شهيرة للشيخ حمد ومن دونه من افراد الاسرة الحاكمة . وقد تأسس ديوان
يدهى مركز الحكومة ليقوم مقام المحاكم الوطنية بحضور الشيخ حمد والبلوس
فينظران معاً في شؤون البلاد الداخلية .

هذه هي قصة البحرين والامكليف في عهد الشيخ عيسى بن علي . من
حكومة مستقلة ذات اسطول حربي ، الى حكومة ولا اسطول ، الى حكومة
يرافها وكيل سياسي انكليزي ، الى حكومة تشارك في ادارة شؤونها
الداخلية والاجنبية حكومة بريطانيا العظمى بواسطة بلوسها ووكيلها في
الخليج ، الى - والليالي باطانات جبالى .

الفصل السابع

النهضة الوطنية

شكر الحكومة بصفة - اقرب ايار - احتجاج سكان نجد - عزل رئيس البلدية - حكومة مرفوعة - تكتية النهضة الوطنية - من المبرورين - جندشان جوهرستان في تاريخ البحري - غيرة الامراء العرب - غيرة الانكليز و دورهم في - حكومة انكلترا لا تغير بدليل ما يجري على يد ركناتها - لوكلين افسر الملوكين ولوكلين من اجد - اولئك الذين لا يهتمون العرب ولا يقدرونهم - حكومة الخلفاء وسلسلة الاحداث فيها - اواخر الحكومة في لندن وثمة ما - ثمة - من العرب الوطنية - اقوى لا تتغير بحسب القوة - لوكلين يفسر انجازها - ما جرى على العرب غير المبرور .

لم يكن للوكلين السياسي في البحرين قبل انقلاب ايار سنة ١٩٢٣ غير حق النظر في قضايا الاجانب . ولكنه كان يتدخل بشؤون البلاد على قدر ما تسمح به الاحوال وتحمكه منه السياسة التي تستمد قوتها من مصالح التبعات الاجنبية ومشاكها ، ومن البوارج الواسية في الخليج . وكان هذا التدخل ينعم ويخشن ماساً بالنسبة الى البلبوس ، اي الوكلين ، وصفاته الشخصية . اذ ليس بين بريطانيا العظمى وحكومة البحرين مساعدة - مجلة ، بل هناك اتفاقات كما اوضح مما اسلفت تضمن الانكليز ما حازوه تدريجاً من نفوذ في البلاد ، وتضمن للبلاد حريتها واستقلالها .

سألت عن شكل الحكومة عندما كنت هناك فقلت انها ثلاثة اشكال ، وطنية واجنبية ومختلطة . وكان سمو الشيخ عيسى يومئذ بدير الاولى ، واللبوس بدير الثانية ، ورئيس البلدية الجبسي صاحب الكلمة النافذة في الثالثة . وقد انشأت هذه الحكومة الثلاثة الزوايا اربعة انواع من المحاكم الاهلية ، اي الشرعية وهي التي تنظر وحدها في دعاوي الوطنيين ، والاجنبية اي دار وكالة الانكليزية ، وهي تنظر وحدها في دعاوي الاجانب

كلهم . والمختلطة اي التي كان رئيس البلدية يومئذ عضواً من اعضاءها للنظر في الدعاوي بين الوطنيين والاجانب . ثم محكمة القرض ولها قانون خاص يتساوى به الاجانب والوطنيون .

ولكن انقلاب ايار ذهب بالشكل والشار . فزال الشيخ عيسى كما قلت ، والقيت المحاكم الوطنية ، ثم مزل خان بهدور شريف رئيس البلدية اجابة لطلب ابن سعود . اذ عندما وصلت اخبار الفتنة الى القصر بالرياض ، وعلم السلطان عبد العزيز بما كان لهذا الرجل في اثارها واعرا . قومه بعرب نجد ، طلب من الانكليز عزله فزولوا حالاً . ثم ادخلت المحاكم على اتواها بالمجلس الذي يشترك في رئاسته الشيخ محمد بن الشيخ عيسى واليوس ، فأمت الحكومة الثلاثة حكومة مزدوجة ، وامسى الحاكم الوطني شريكاً للحاكم الانكليزي .

ها قد وصلت الى بعض السبب او حكه في ما سمعته من الشكوى والاذنين هناك واشرت اليه في الفصل الاول من هذا القسم من الكتاب . قلت ان في البحرين نهضة وطنية ، ولكنها سياسياً مقيدة . كانت قبل ايار فانطة فأمت بعده منكرة . وكان السبب في القنوط نفس السبب في النكبة ، لا يختلف الا في درجتي الشدة والاستمرار . ومن المسؤول ؟ اذا سألت البعارة يحيون : الانكليز واذا سألت الانكليز يحييون : العرب البعارة .

هناك حقيقتان في ترويع البحرين وسياستها الخارجية لا اظن احداً من الفريقين ينكرهما . الحقيقة الاولى التي التفت اليها نظرو البعارة هي ان البحرين ، عندما كان لها اسطول حربي قبل عهد الشيخ عيسى بن علي ، كانت وجعائها في احتراق دائم . وقد علمت ما شاهدهه ونمقت في البلاد العربية حكلها ان بلية العرب الاولى - كانت ولا تزال - هي النزوع في كل

قبيلة . بل في كل عشيرة ، الى الامتزال والاستقلال . لا يعرف العرب من مبدأ التضامن غير ما توجيه القبيلة ، او يدعو اليه في بعض الاقطار المنعبد الديني . لا يخضع العرب بعضهم لبعض الا حكاماً ، ثم يتزعون الى السيادة المستقلة اذا وجدوا الى ذلك سبيلاً . الجبل ايها الادياء هو عدو التضامن ، والجبل المسلح ايها الامراء هو عدو الرقي وال عمران . فالسلاح بيد العرب اليوم ، اللهم اذا كانوا لا يخرجون على روح البداوة فيهم ، ولا فيجمعون تحملهم تحت علم واحد ، هو مضر بهم ، مضر جداً . لا يزال اسكتو الامراء جاهلين ، او انهم من الحافظين على القديم البالي ، المقاومين لمبدأ النشور والتجديد . فما الفائدة من القوة بايديهم ؟ اوجه هذا السؤال الى الشبيبة الواعية . ما الفائدة من اسطول يمكننا من الاستيلاء على قطر والقطيف والاحساء ، اذا كنا لا نوسع في الملك غير القوة الفاشية ، الجاهلة ما في روح الزمان من اسباب الرقي وال عمران ؟ يلزم البلاد العربية في هذا الزمان عشرون سنة في الاقل من السلم الدائم المستمر ، فتؤسس المدارس اثنائها - تُفتح على الدوام - وتفتتح لابنائها الاذكياء ابواب العمل في الصناعة والزراعة وفي علوم الادارة والاقتصاد . هذي هي الحقيقة الاولى التي لا يجهاها احد من ادباء وعقلاء البحرين .

اما الحقيقة الثانية التي الفت اليها نظر الانكليز فهي ان السياسة العربية التي تقشوا عليها في الماضي لا تصلح اليوم لاهم ولا للعرب . هي تضر بمصالح بريطانيا العظمى ليس في البلاد العربية فقط بل في الشرق اجمع ، وتضر بالاسم الانكليزي وكل ما يرمز اليه من ادب وعلم وكرم اخلاق وثقافة . السياسة الانكليزية في البلاد العربية تحبطت في مضيق جانِب منه مظلم ، وجانب براق فيه وشل من الماء خدع الخبيث ، يخفيه سراب خدع الاعداء . مثل ذلك في البحرين وعذها الشيوخ بالدفاع عن البلاد اذا هم دمروا اسطولهم الحربي . على ان كل دفعة من ذاك الدفاع اتقد البحرين كما بينت شيئاً من

حريتها واستقلالها . اجل ، قد كان الدفاع درجات الى الاستيلاء . فمن
يشق بعد ذلك بوعود الانكسار ويهود عم ٩ اذا كانوا يبتغون رفع العلم
البريطاني فوق دار الحكم في الجزيرة فليس اسهل من ذلك . ان دولة من
الدول الصغيرة التي لا تريد قوة اسطولها على ربح قوة الاسطول البريطاني
تستطيع ذلك في يوم واحد . ولعمري ان مثل هذا الاحتلال غير من تلك
السياسة التي هي كالمركب او الزلزال ، لا يظهر شيء من قصدها الحقيقي الا
مرة كل خمس او عشر سنوات .

حدثني احد اعيان البحرين قال : اذا كان هناك فرق بين الاستعمار
الانكليزي واستعمار الدول الاخرى فهو ان هذا كالحمار الذي يقتل شاته دفعة
واحدة وذلك كمن يمتدب الشاة وغراً يالار حتى الموت ، فاية اثنين اولي ؟
ولو لم اكن شاهدت ما شاهدت ، وسمعت ثم تحققت ما سمعت ، لكنت
اقول ان محدثي ان هو شرقي يتكلم . ولكننا وبالاسف الحقيقة بصنها لا
مبالاة فيها .

اما ان سياسة انكلترا في البحرين هي نبر سياستها في الاقطار العربية
الاخرى فما لا شك فيه . فقد اوضحت مبادئها المرن في معالجة شؤونها
الخارجية بحسب اختلاف المكان والزمان ، وشرحت ذلك المبدأ في سياستها
العربية في كلامي على طح والدراحي النسخ المحمية . وما ان وزارة المستعمرات
تدير هذه السياسة بواسطة وزارة الهند بلندن ثم بواسطة حكومة الهند
بمبهاي او بدمه ، فلا اظن انها عالمه كل العلم ان محدثه من المشاكل وكلاهما
السياسيون في البلاد العربية ولاسيا في خليج فارس . فضلاً عن ان اوكيل
يوم في بعض الاحايين دفاعاً من عمله وحفظاً لمركزه . قد توخيت الصراحة
الثامة في ما اكتبه بهذا الشأن غير على الاسم الانكليزي وجباً بتحسين
وتعزيز العلاقات الودية بين انكلترا والبلاد العربية . وما ينبغي لي ان اذكره

أن كثيراً ما يسود صقيقتها احد ابنائها المقربين الذين لا يكونون في الشرق مؤثرين ولا نفوذ بعض اصدقائهم واقاربهم في الحكومة بلندن .

حدثني احد الموظفين في حكومة العراق عن ثورة ١٩٢٠ ، وعندما علم اني مسافر الى البحرين قال : ستجتمع هناك بواحد من وصفت . وكان قد افاض بالحدث في طبقة من الموظفين الذين يتخذون السراويل ولون مثالا في الحكم ، فيحذون حذوه في سياسته ، وليس لهم شيء من حسنة ، هم من الضباط الذين لا يصلحون لخدمة العسكرية ، فلا يفهمون العرب ، ولا يحبونهم ، ولا يمتطون اقل العطف على قضيتهم .

جئت البحرين وما تمكنت من الاجتماع باوكيل الانكليزي^(١) فيها . ولكنني تلمسته - وقد حدثني به الكبير والصغير والوطني والاجنبي - فحققت ما قاله زميله في حكومة العراق . فقد كان يقاوم كل فكرة اصلاح في الجزيرة غير التي يكون له فيها الكلمة الاولى والاخيرة ، ولا يرى حقاً في غير القوة ، ولا ، لا في غير سياسة الصف والاستبداد . فهل هي يا ترى سياسة دوائر سترت بلندن او سياسة ابي شهر ؟ وما هي اذا كانت من الاثنين سببات الوكيل وسببات الاصيل ؟

ان البليوس ، وخلف له رئيس في ابي شهر ، والوكيل في ابي شهر رئيس في مسنة^(٢) وولي الامر في محله رئيس في دائرة حكومة الهند بلندن ، ورئيس تلك الدائرة مستشاران او وزيران في الوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات ، وهاتين الوزارتين سياسة ثابتة قديمة التقليد غامضة المقاصد في الشرق وفي البلاد العربية تنحس دائماً عليها . اصف الى ذلك ان كثيراً ما تصدر الاوامر

(١) يا ان الحكومة البريطانية عينت وكيلاً في البحرين بدله ، بعد الحوادث التي مر ذكرها ، فالغرض من تعريفه باسمه في الطبقة الاولى قد انقضى ولا لزوم للتكرار .

(٢) المركز الرئيسي للحكومة الانكليزية في الهند .

من احدهما مبنية على هذه الحطة لا على الجديد المهم من الاحوال في البلاد التي تختص بها ، فتجني الاوامر وما فيها غير القور من المدل والحكمة ، بل ما فيها شي . احياناً من الحكمة والمدل . فتصل الى رجل متصرف متصف ، قصير النظر والافاة ، فينفذها بالطرف ويشير على امته غضب الاهالي وكوامن بغضائهم .

فلو كان الوكيل حصيفاً حكيماً ، مدركاً عوامل النشؤ في البلاد التي هو فيها ، مطوعاً ولو بعض المظن على مساعي الوطنيين في سبيلها ، لكان يطلع حكومته على حقيقة الحال ويسألها التبصر بها والاسترشاد بشي . من حقائقها في تكييف الحطة السياسية وتلطيفها . ولو كان الوكيل رجلاً كبيراً ، مثله الاعلى المدل في كل الاحوال ، او لو كان في الاقل دمت الاخلاق ، لين الجانب ، محباً للحرب ، لكان يتسكن من خدمة بلاده بما فيه كذلك مصالح البلاد التي وكل بها . ليس هذا بالامر المستعيل ، وليس مثله بالرجل النادر في الحكومة او في الامة الانكليزية .

امود الى الحادث الذي اوجب هذا البيان . طلب اهالي البحرين في الثلاث السنين الاخيرة ثلاثة مطالب من الحكومة كلها ولا شك عادلة . فوقفت السياسة الانكليزية تصدم وتقاوم معانهم . طلبوا تشكيل جمعية كسريعية فاجاب الشيخ عيسى بالايجاب واني البليوس . طلبوا تنظيم بوليس وطني فرضي الشيخ عيسى ورفض البليوس وأصر على الرفض . قدموا لائحة اصلاح استحسنها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين قبالة الوكيل وبذل ما لديه من قوة ونفوذ في اجاباتها .

صحت شكايي الوطنيين في البحرين ، وصحتها في ما اتصل بي من اخبارها بعدئذ في القريكة ، فافضت لها مجالاً في هذا الكتاب تستمعها ،^(١)

(١) جاء في طبعة الاولى بعض للتفاصيل التي اصبحت ولا قيمة لها سياسية او تاريخية بعد تبير « البليوس » وتقرير المصير الذي رضي به الاهالي مكرهين .

وكتبت الى احد الافاضل هناك كتابا اقتطف منه ما يلي :

« ان في الامر ما يضعف الامل بالانكليز . ولكن التاريخ لا يبتدأ بحادث من الحوادث كانت فيه احدى الامم القوية الاستعمارية متقلبة وحدها على امة اخرى ضعيفة . بل ترى غالباً ان المقلوب يساعد على نفسه الغالب المتضرر . ماذا يحصله على ذلك ؟ الجهل يا سيدي والضعف والبلين والخنوع والمصلحة الخاصة والطاعة العمياء . اما الطاعة العمياء فقد تفيد في سبيل وطنية عامة . كبرية كما لو كان العرب كلهم اليوم بطيعون ابن سعود مثلاً او الملك حسين او الامام يحيى بن حميد الدين وينتثلون لاورسره . وعندئذ يمز العرب وعندئذ يصلح الاوروبيون سياستهم في الشرق ، وعندئذ ، اذا طعن في البحرين او في قطر آخر طاعن اجني او وطني تذكرونه بكلمة ذلك العربي الى الخليفة الثاني وتقرومون امره بحمد السيف .

« اما الآن فليحكم ان تقسموا العلوم وتصبروا . واني اعتقد ان العلم بالافتداء هو اسرع فعلاً وانبت . لذلك استحسن وجود الشركات الاجنبية المجردة من حكل حصة سياحية في البلاد . فانها تملأنا الاقتصاد والنظام والادارة من حيث لا ندري او نشاء . - والعرب في حاجة شديدة اليها كلها . . .

« ما جنى على العرب يا صديقي العزيز غير انفسهم . كنا وكنا وكنا - حديث مبتذل . يوم افتتحت المدارس في البلاد فعم الجهل ونوارته الابناء . كنا الجانين على انفسنا ، المقيدين بالجهل ارواحنا ، وبالحرافات عقولنا . واليوم ترى العلم والمال بيد الاوروبيين . ويوم حكان الاثنان بيد العرب اخذهما الاوروبيون عنهم . فلا اقتدينا بهم في الماضي فذاخذ عنهم اليوم ثم نأخذ عنهم ؟ وزني في الوقت نفسه روح القومية الشاملة فينا . لو كنت في سوريا وعرفت سبب بليتها قلت : اما نحن فعرب من صميم العرب وديننا الاسلام .

فلا - ميل اذن الى التفرقة جنساً ومذهباً . ولو كان لكم عشر سنوات من التعليم المدني العام لمتمم غيركم في الربيع الساحلية . وعذا ما ابقية لكم . التعليم في المدارس . التعليم بالاعتدال . الا ان العربي الكسلان اذا رأى ما هو مدفون في ارضه من احيويات تتغير نفسيته وعقليته وكذلك اعصابه فلا تياس يا صديقي ، ولا تظن ان الله يخص جبلاً واحداً من خلقه بالكمالات حكماً .

« واذا شئت ان احذثك كطبيعي لا حكاكي اقول : ان النصارى الطبيعي الذي يعمل في عالمي الحيوان والنبات يعمل كذلك في الانسان وفي الاجتاع البشري . ومن البادر ان يرى الانسان فتوه تاماً . بداءة ونهاية ، في نوع واحد من النبات او حيوان واحد من الناس . اما نحن الذين نقاسي ما نقاسيه في هذا الزمان فقسمةنا قسمة من يجيء في آخر دور المشوء او في اعم اطوارها . فترى بين البصيرة نتيجة ما مضى وما هو كائن فتتألم لانها دنية منا وقصبة ، دنية لاننا زاهاء ، وقصبة لان اليد لا تصل اليها . لنجد الله اننا زاهاء في الاقل فنقبل قسمةنا قانعين وعاملين في نفس الوقت في المييل الذي هو روح الناموس والتطور .

« قل لي محادثتك وانت من المفكرين . فكل مفكر ينألم ، ولكن ليس كل من يتألمون واحداً . منهم من يقتلهم الألم ، ومنهم من يزيدهم قوة على العمل . الامة المتألمة اليائسة توت - تساعد المتغلب عليها . والامة المتألمة الطويلة الامل الناضجة الثابتة في نهوضها « انها تعيا » وانها تساعد ابتداءها على المتغلبين . »





جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي

الضم الثامن

الملك فيصل والعراق

العراق

سنة ١٩٢٢ م - ١٣٤٠ هـ

محدوده : شمالاً ، جبال ارمينية والاضول ، شرقاً ، بلاد ايران ، جنوباً ، خليج فارس ، جنوباً غروب ، البادية وحدود نجد ، غرباً ، البادية وحدود الشام .

الولاية : الموصل ، السليمانية ، كركوك ، شبه نواحي اربل ، كربلا ، بغداد ، الكوت ، الديالى ، الحلة ، كربلا ، العمارة ، المتفق ، البصرة .

عدد سكانه : نحو مليونين وتسعمئة ألف نفس ، منهم مليون ونصف مليون من الشيعة ، ومليون ومئة وخمسون ألفاً من السنة ، وثمانية وخمسون ألفاً من اليهود ، وثمانون ألفاً من النصارى ، واثنتان واربعون ألفاً من الاذليين الاخرى .

ساحته : نحو مئتي ألف ميل مربع

شعوبه : العرب والفرس والاكرد والازراك والارمن والاشوريون .

اهم قبائله : المتفق وبنو لام والبر محمد وربة وقيم والدليم وعقدي وشتر والاقرع وعفث وما يتفرع عنها كلها من الاقحاذ والبطون الجديدة .

مذاهبه : الشيعة : جعفريون وبعض الزيديين والاسماعيليين .

السنة : حنفيون وشوافع وحنابلة .

المسيحية : يعاقبة وفساطرة وكلدان وسريان وكاثوليك وروم

ارتودكس وبروتستانتيون . ثم اليهود والصابئة واليزيدية

والفرس والهندوس واليهائيون .

واما توجيهكم الى الرياض فقد أرسل السؤال به الى عظمة السلطان
عبد العزيز ومتى جاء جوابه بعثا اليكم به والسلام . رستم حيدر

هوذا غير ما الفتى في اليمن والحجاز . كتاب عربي الاسلوب حتى في
تاريخه ، خلو من الديباجة والتشويق وفيه الدليل على الفرة من تلك الطريقة
القديمة التي تبدأ غالباً باليسلة وتنتهي بـ ان شاء الله ، ويختم القرض من
الكتابة فيها بين مدحجات التبجيل والتعجيد او يضيق قصاصة عنوانها
« حاوي غير » . فتكون هي الكتاب بقيا ، ويكون الكتاب الرسمي
ترعة من الترهات .

قد احسن الديوان الملكي لدولة العراق المتعربة . ولكن الاحسان في
الاقتباس درجات تتجاوز الخروج من المأوف العربي الى المأوف الغربي علي
اني وان كنت افضل الخط على هذه الاحرف العربية السجدة ، وأرى في
الكلمة المخطوطة حساً لا تظهره بسط نقله احرف الآلة الكتابية ، وقد
استبشرت بهذا الكتاب في مصر اليه ، وان كان في اول سطر منه ما هو في
نظري من قبيل القبيح لاوروبية ، فان الاستعاضة عن اسماء الاشهر
بالارقام في التاريخ لمن المبالغات الحديثة بالاقتصاد عند الغربيين . وما كل
مظاهر الاقتصاد آية في الحكمة والجمال : اما اذا قيل ان المسئلة ذوقية
فجواني هو ان ذوق الشرقيين فيها ارفع من ذوق الغربيين . وفي كل حال
ان اللفاظ اجمل من الارقام نظراً وصفاً ومعنى . اذا كتبت زائها الخط ،
واذا لفظت زائها النطق . مثلاً : ايار وحزيران ولغوز - ١٠٥ و ١٠٦ او شبان
ورمضان وشوال - ٨ و ٩ و ١٠ . فآية الطريقتين اجمل ، بل اي الذوقين اصح ؟
المسئلة لطيفة ولكنها حرة بالاعتبار في ما تومي اليه من عقلية مقلدة .
قد استبشرت مع ذلك بكتاب الديوان الملكي لما قرأت خلال سلطوره من
المقاصد الحيدة في دولة العراق الجديدة . ورأس هذه المقاصد انما هو فك

عبود التقاليد القديمة العقيمة وان كان في تاريخ الوسائل وانشائها . بيد انه يتبادر الى الذهن فسر في سؤال : هل يعد مجرد التقليد الخارجي من مظاهر الارتقاء ؟

سافرت من بياي الى البصرة في باخرة انكليزية من بواخر الحليج . وكان حظي فيها اني شأدت مثالا آخر من الوقي العراقي قبل ان اصل الى العراق . اجاب احد المسافرين سؤالي دون ان يدرك ذلك ، ودون ان يحدثني . هو رجل ابيض الاديم ، اشقر الشعر ، ازرق العين ، دخل ورفيق له بتقدمه ان نقرأ من الخدم يحملون امتعتها . وكان احد اولئك الخدامين اخطأ في ما فعل فاشال عليه المسافر الاشقر بانشائه والملات بلغة انكليزية فيها لكمة قبيحة . اللهجة من البصرة والشتائم من حانات لندن .

عرفت بعدئذ ان رفيق المسافر ارميني وهو يعرف الانكليزية ايضاً ولا يحدث حتى رفيقه بسواها . وما شككت بانها عروفا اني عروبي لاني كنت معلناً ذلك على رأسي بالكوفة والقال . مر اليوم الاول والثاني والثالث فاتفق ان التقينا على ظهر الباشرة صباحاً فسلمت باللغة العربية فرد سلامي باللغة الانكليزية . فقلت : انه ولا شك ارميني . ثم عرفت انه ورفيقه من تجار التبر في البصرة ، فلم يتنازلا لمحادثة غير بعض الانكليزية في الباشرة . الا انه سألني ذات يوم عن الشهر الاسلامي الذي حكمنا يومئذ فيه « فأجبت بكلمة فشكروني باخرى كانت الحانة .

بعد ثلاثة اشهر كنت وبعض الاصحاب نشاهد سباق الخيل خارج البصرة فرأيت هناك رفيق السفر الاشقر الاعمى وهو يحمل ناظوره كالانكليز معلقاً في عنقه ، فبسم لي انقسام الترتيب ثم دنا من احد رفاقي وسام عليه باللغة العربية - التي لا لكمة فيها . فاستطلعت بعدئذ خبره اليقين فقال صديقي : هو من البصرة ، من مسيحي البصرة ، سمارتير . فقلت : يظهر ان عندكم في

العراق طبقة من الناس شبيهة بطبقة المتفرجين في سوريا. المتحذلقين المتفوقين بين قومهم ، المتكسكين امام الاجانب . فقال : نعم ، وهم يتشبهون بالانكليز كما ترى يحمل الناظور ولبس القفازات في الصيف .

اعود الى سؤالي : هل يمد مجرد التقليد الخارجي مظهراً من مظاهر الارتقاء ؟ ان في رفيع السفر هذا جواباً واحداً لا أظن القاري ، يرتاب بصحته . ولكن هناك رفيع سفر آخر وجواباً ثانياً . هناك طبيب انكليزي كان على عادة قومه الامجد في السفر يعقل الناس ، فيجلس في الزاوية او في كورسيه على ظهر الباحرة يدخن النليون ويطلع كتاباً . وهو قلما يكتث بلبس . بيد انه وان كان « بطاونه » غير مكوي و « ساكوه » شبه بالسكيس منه يشوب مخيط ، فاذا وقف ومشي مشى المهابة في ظله وافصحت عن كرم محبته . دنا هذا الرجل يوماً مني فاعتذر وسلم وجلس الى جنبي قائلاً : انت عربي . فقلت : نعم . فقال : وعلى ما اظن من العلماء فقلت : سائح طالب علم . فقال : هذا تواضع منك . قد سمعت من حدثت بك في بياني . ثم قدم بطاقته فبادلته الاسكرام .

- اني مما اعرفه عن العرب وهو قليل احترم الامة العربية كل الاحترام ائت زه آ بي الهند ، في خدمة الهنود - وليس في الطب سياسة كما تعلم - فالتقت جداء بما لقيته في بضعة اشهر في بلاد العرب على هذه السواحل - كرم الاخلاق ، الاخلاص ، الضيافة ، انك لا تجددها في الهنود . اما الشجاعة والرجوية فهما في المسلمين منهم فقط لا اظننا نقاسي في الهند ما نقاسيه لو كننا في الهنود شي . من وفاء العربي واخلاصه اذا آخاك . قد تكون طائفت تاريخ الانكليز في تلك البلاد فتعرف كم من مرة طعننا الهنود في الظهر - خانونا وغدروا بنا - بعد ان عاهدونا على الولاء .

قال هذا ودعا الخادم فطلب كلساً من الوسكي والسودا وسألني متردداً

عما اذا كنت اشاركه . فأجبت بالاحجاب فقال : امرف من المسلمين من يشرب الخمر . فقلت : اني مسيحي واني آسف ان من المسلمين الصريين من يظنون التشبه بالانكليز متعصراً بشرب الوسكي . هذا المسلم المواعظ من هذا القبيل على دينه . فقال الحكيم : صدقت . نحن الانكليز نبالغ في الشرب - شرب كثيراً . غلني مثلاً . اني اشرب الوسكي قبل الاكل واثناً الاكل وبعده الاكل ، واشرب بين الوجبات كما ترى . . . نعم ، الانكليزي في الهند ، وبالطري خارج انكلترا ، يشرب اكثر مما يشرب في بلاده . والسبب في ذلك البعد على ما اظن عن الوطن والاهل ، ثم ساعات الفراغ بين ساعات العمل وليس ما يملأها من الاجتماعات او الملاهي . ثم - وهو الخطأ الاكبر - ما نطقه منها للعواس في ما يصعب كئس الوسكي . ويؤدي لو اقتدى الانكليز بالمسلمين . فقلت بمقراً : المسلمين الذين لا يقتدون بكم في شرب الوسكي . وكانت الضحكة مسك الحثام .

عندما وصلنا الى البصرة صعد الى الباغية موظفو الجرك والصحة والشرطة واكثرهم من الجنود . وكنت قد ارسلت تلقافاً من شياي الى صديق لي في الديوان الملكي ببغداد عله يأمر في البصرة من يلاقيني ليهديني في الاقل الى محطة سكة الحديد . فوجدت نفسي ، ولا احد يسأل عني ، أغرب في هذا البلد العربي القديم مني في « كاركسي » الهندية . وانا العربي الذي قضى الايام والليالي بطالع الحريري والجاخط ، ويطحن كريات دماغه في طواحين الكسائي وسيويه ، - ولا اقول الرحالة الشيخ القادم من اليمن - اراني قد تولت من الباغية بين قوم لا افهم لغتهم . فيكلمني الحوذي بعربية يضطر ان يترجمها الى شي . من الانكليزية يفهم . هو ايضاً هندي . ساق جواده الاعرج يجر عربة مكسرة وفيها بقية آمال مبشرة تدعى الريحاني .

رحنا في قفر سيبب خارج البصرة ، فاجتزنا ممسكراً مهجوراً ، ثم آخر فيه بعض الجنود الهندية ، ووصلنا بعد ساعة الى محطة السكة بل الى بقعة

ينتهي عندها الخط. ولا محطة غير كوخ لبيع التذاكر وجدناه مقفلاً. ووجدنا خارج الكوخ ولداً عربياً، والحمد لله، تطفئ فراح ملياً طلبنا بيعت من الموظف. فعاد بعد ساعة يتبعه رجل - هندي - هو مدير السكة ولكنه يحسن الانكليزية. فسأته -والا تعمدت فيه التعريف- انه يكومني في الاقل بان يخصني بشقة في الربة وحدي. وكان الرجل فرياً كريماً، فكان لي ما شئت. اعطاني تذكرة واحلني في الفطار محلاً فسيحاً فيه ماء وحمام. وكنت قد كتبت برقية الى الصديق امين الكباني في الديوان الملكي بالعاصمة ومهنت بالرجوع الى بيت العرق لارسله فاخذا مني قائلًا: -أرسلها من هنا رأساً. ثم امر بن يعتني باستعتي وودعني قائلًا: اذكركني لدى نوري باشا. الوداع صاحب.

الوداع صاحب. انت وان كنت كرتاً لمن اغلاط الانكليفي في العراق. والمسيحي المتفرنج وان كان عالماً ان اغلاط التاويخ في العراق. والمتغرب اليوم في القشور فقط، مسيحياً كان ام سلباً ام اسرائيلياً، لمن اغلاط الاجتماع في العراق، بل في الشرق كله. جبذا مدينة جديدة تتبع الشعوب على السواء بمنازلها اليازمة. والحق يقال ان ما ترمي اليه المدنية احقة، غريبة حكائت ام شرقية، هو تعميم وتوزيع قياس واحد في اداب المعاملة واداب السياسة بين الامم. فلا يستشرق الغربي ولا تستشرق الصناعة الغربية اذا ما لمعتها شمس الشرق، ولا يتغرب الشرقي في -طلحيات الحياة اذا ما بسم له خادم السيد الادروني.

صفرت القاطرة وجرت، فجرت وراءها قطاراً مستشرقاً جيه به وبعماله من الهند - قطاراً عسكرياً من بقايا الحرب. لا اظن امة من الامم الاوربية او الاميركية تستخدمه لنقل الشحن، فتصلحه مع ذلك وتجدده. والقاطرات في اشد حاجة الى التصليح من العربات. بل قد تكون اجتازت زمن الخدمة فامست لا تصلح للعمل ولا يصلح فيها للبيع غير الحديد.

خرجنا من ضواحي البصرة مساء في قطار العريد السريع الذي يصل الى بغداد ساعة الغرب من اليوم التالي ، اللهم اذا سلت القاطرة من عاديات الطريق . قد سلت والحمد لله ليلاً . فنهضنا صباحاً فاذا نحن في أور الكلدانيين في الوقت المعلن بلائحة السفر . وهذا خادم عربية الاحكل جاءنا بفنجان من الشاي قدمه من النافذة اذ لا مآشي في هذه العربات تحمل الواحدة بالآخرى .

سرنا من أور الى الدراجة فوقتنا فيها وقفة نفدت بالعظم صدمتها . وقفنا فجأة ونهنا نجاه العاديات نبات الابطال . نظرت الى لائحة السفر فاذا فيها : القطار في حماوة . ولكن خادم المائدة جاء بعد ساعة يدعونا للاكل فخرجنا من منازلنا وسرنا نلبي دعوته ونستطلع خبر القاطرة . فعدنا انها ، حوسك الله ، كسرت رجلها ، وانهم ارسلوا الى أور يستحضرون قاطرة اخرى .

وات ساعات الصباح واشتد المجهود ، فصعد الزئبق في الميزان الانكليزي الى درجة المئة والست درجات ، فعدنا الى المراوح في العربات فاذا هي مثل كل شيء . في ذلك القفر نائمة ولا حياة فيها . ثم جاء الخادم يدعونا ذنية للاكل - القداء . فوددنا لو ان ساعات الانتظار كلها ساعات اكل وشرب وحديث ، فتسبنا مصيبة القاطرة ومصيبتنا في فيافي المراق وقبظه .

جاء ونحن في الدراجة اعرابي يركب حماراً يتبعه حريمه وعياله ماشين . جاءوا يمشون السفر الى بغداد في قطار العريد السريع ، وكان وصولهم الى المحطة بعد المياد بخمس ساعات فقط ، فقال الاعرابي مخاطب الحزمة ام عياله ، ما قلت لك يا سيدي ان القطار ينتظرنا . وقد انتظر غيرهم من البدو هذا القطار المستشرق اللطيف . ثم جاءت القاطرة الصالحة من أور بعد الظهور فخرجت بنا من الدراجة وراحت تشيل بذنبها ، برك الله فيها ، فاوصلتنا الى السماوة ساعة الشاي . ثم الى الديوانية التي سكن قد أبعد لنا القداء فيها فقدم عشاء بارداً .

جلست الى المائدة واثنتان من الانكليز منها ضابط علمت من الشرائط الصفراء والحمراء والخضراء التي على صدره انه من ابطال الحرب ، وعلم ، والله اعلم من علم ، اني قادم من اميرصكا . فحدد ترواً الى الرئيس ولسون اسهم قضيه .

— قد تزع من يدنا السلاح الذي لا يصلح لضبط امور العراق سواء ، سلاح القوة ، العزم ، الشدة .

فقال رفيقه : لو لا تدخل اميركا لكانا اليوم نحكم العراق كما يجب . فكمل الضابط قائلاً : ولحق العراق ... وما الانتداب ؟ وما تقرير مصير الشعوب ؟ الفاظ هي ليس الا . قد حكم القوي الضيف مئات من السنين قبل ان اخترع انا ورئيسكم ولئن هذه الكلفة - الانتداب - وحصله حيناً بالعدل وحيناً بالصف والشدة ، بما تسونه ظلاماً . وكان الظلم احياناً انفع له من العدل . وهل تظن ان هذه الكلمات الجديدة - الانتداب - تقرير مصير الشعوب - تصلح الشؤون وتحور الامم ؟ توانا مقيدتين في هذه البلاد بارادة عصية لا سيادة لها ، نعم ، عصية الامم ، وباراء رجل نظري يحلم الاحلام هو رئيسكم المستر ولسون ، فلا نستطيع عملاً مفيداً لا لانفسنا ولا لاهل البلاد .

اصبني من الرجل بغيته وصراحته ، فاجراة الادبية مستعجة دائماً . وما هو بمسكري فقط بل من غواة الادب ايضاً . رأى ممى كتاباً للؤلف الشهير المستر ولس فاستأمره ولم يُعده الي . لعل التبعة في ذلك على القطار لاننا بعد ان دخلنا كل الى منزله لم يور بعضنا بعضاً . وعندما وصلنا الى بغداد الساعة الثانية بعد نصف الليل - اي بعد الميحاد بثلاثي ساعات - كان هو عن خرجوا من القطار وانا عن تاموا فيه . والسبب في ذلك ان ذاك الضابط ، وان كان غريباً ، كان له في البلد بيت يأوي اليه اية ساعة كانت اما انا فلم انتظر احداً

من احدقاني ان يوافيني الى المحطة بعد نصف الليل ولم أجز لنفسي طرق ابوابهم او ابواب الفتاقي في تلك الساعة . فنتت ، فلم يشأ على ما اظن ان يزجني ، فقم بلفظه الكتاب .

فمت ساعة فابقطني صوت ينادي : هلو ، هلو ! ففتحت النافذة فاذا باحد الحالين يعني خدمتي « فطرده وعدت الى النوم . ثم بعد دقائق صمت طارفاً يطرق زجاج النافذة ، فنهضت فاذا بحال آخر ينادي بالهندية هلو « هلو ! فمدت الى المصا وكلته بها . أتبعني لنات الهند الى العاصمة عاصمة السياسيين وقطب دائرة الشعراء المحذنين « رح يا ملعون الوالدين ! وبعد هذا السب والضرب فمت ثالثاً ونهضت باكرأ ، فنظرت من النافذة عينا ، ثم من النافذة يساراً ، فلم اجد لبغداد اثرأ من الآفان ، ولا رأيت على الرصيف احداً من الناس . فساورني شيء من الغم ، كثير من الغم . فقلت في نفسي : الماء البارد للغم خير دواء . وعندك الماء يا رجل . فاستحسنت ولبست ثيابي هادي . البال متشبهاً بالآمال . على وجهاً من وجوه الاحباب يشرق على المحطة مع شروق الشمس .

جاءت الشمس وحدها ، ولم اجد عند المحطة حتى من يتقل امتعتي الى البلد . فبعثت الولد الذي ضربته بالمصا يستحضر عربة وبنت انتظر ، واقفاً وحدي في ذاك القمر المقجم ، افقتي في الآفاق الاربعة عن بغداد . وبعد نصف ساعة ظهر في جهة النخيل عربة لماعة ، يقودها جوادان مطهرين ، يزمن رأسيهما الريش الاسود الكبير . فذكرني الريش بخيل عربات الاموات في جنازات النصارى . فقلت في نفسي : وانت في جنازة يا رجل - في جنازة أمالك ، وغرووك - في جنازة ما كنت تتسكه وتصوره ببغداد .

ركبت في جنازتي ، فساق الحوذي خيله شرقاً الى النخيل فبدا لنا عند ما دخلنا على جانبيه شيء من حركة المقاهي في ظلال تحللتها اشعة الشمس .

ثم سمعت صوتاً يذبح ، وقرقرة ترجرجت الأرض منها . هي عربات النقل - سيارات الجيش الهائلة - يسوقها جنود الانكليز . والغريب ان غبارها وروائحها نفتني تلك الساعة فأخرجتني من الجازة . هي طلائع الحياة في بغداد اليوم . اما بغداد الامس ففي كتاب الف ليلة وليلة تجدها .

وصلنا الى الجسر ، جسر «مود»^(١) وهو مثل الارجوحة معلق بشاطئي دجلة ، يدها ارجوحة من المراكب فتعني تحت ارجل المارين ، وتثقل تحت دوالب العربات ، وتصفق تحت سنابك الخيل ، وتصرخ صرخات مزعجة تحت انتقال سيارات الجنود . وكان النهر في صباح يوم من ايلول صغير الموجة اظيفها ، يسير سيرا بطيئاً هادئاً ، ويجذاف البلاء^(٢) يحرك اللجين فيه فيستحيل ذهباً في اشعة الشمس . وهناك في الجهة الشرقية تبدو بغداد بقاياها الزرقاء وماؤها البيضاء ، وقصورها على الشاطئ . تعيد الى من كان مخفياً بعد الزمان القاهر شيئاً من البهجة والانشراح . بيد ان تلك البهجة قصيرة الاجل ، فهي لا ترافقه الا في النهر او الشاطئ بلفة اهل العراق .

عبرت الجسر فاذا انا في شارع مهم حزين ، كأنه بجائاته ومقاهيه قد خاض عباب الحرب العظمى ، ووصلت الى تزل «مود» فرجعت الى المال يستشارون في الترميم ، قصدت الى تزل آخر ، فاذا الخدم يعلون الصحن وكان صاحب التزل لا يزال قائماً . فخطبني احد الخدم يقول : ولا غرفة واحدة فارغة ولا سرور . ثم دثني على فندق في الجوار المبارك فبادرت اليه ، فاذا هو كالأمل الضائم في صدر الجائع ، فانزلت مع ذلك امتعني ودفعت الى الجوزي ما بقي من تروتي ، ودخلت الغرف واحدة بعد الاخرى ابني

(١) Gen. C. F. Maude, K. C. B. C. M. G. D. S. O. هو قائد الجيوش

البريطانية الجنرال ث ف مود الذي فتح بغداد في ٢٢ جمادى الاولى عام ١٣٣٥ - ١٩١٦

اذا رسته ١٩١٧ فسمي الجسر باسمه .

(٢) التروقي صاحب البلم . والبلم - اللفظة هندية - زودق للمبور والترمة .

احسبها فاذا هي مثال المساواة الاعلى - حكلها صفة مظلمة باردة عفتة .
فقلت لا حول ولا ، قد يكشف القصور البلا .

فطرت ثم سألت الخادم عن الخاقف فقال انه لا يزال قائماً . فقلت :
التلفون اريد . قال : تجده في « المدجستك » فسدحت خطوات الرأس الى
القل ذي الامم الجليل ، فقلت صاحبه في الباب يستنشق هوا الصباح ،
فقلت : عندهم تلفون ؟ فقال : نعم .

- وهل تظن ان احداً في قصر الملك يكاديني الآن اذا تكلمت ؟

- ومع من تريد ان تكلم ؟ مع امين الكسبياني ؟

بهت حقاً ثم قلت : اسأرك انت ام نبي ؟ فقال : انا من قل وكيف^(١)
وامين الكسبياني عندي . ثم نادى الخادم وامره ان يداني على غرفته .

كان الباب مفتوحاً اذ لا نوافذ للغرفة غير واحدة تفتح مثل الباب على
الرواق . وكان الامين في ثوب النوم واقفاً امام المراة يزين روحه ، وكانت
ذقنه قد ابيضت بالصاير فلما رأني ابيض منه الوجه هكذا ، ووقفت
الموسى من يده . ثم رشقني بالشتائم السوداء .

- متى وصلت ؟ وكيف تصل قبل الوقت الميعن ؟ هذه قباحة منك .
تشغل اصحابك بك فيستعدون للقائك ثم تباغتهم هذه المباغلة . وانت
الاديب المشهور بالذوق والادب .

- ألا تسبح بكلمة ؟

- ساحبك الله . ماذا اقول لمن ناموا باكراً البارح لينهضوا باكراً اليوم
لملاقاتك ؟ القطار وصل قبل الوقت المضروب ؟ يقولون لي : ولماذا لم ينتظرونا

(١) قل كيف بلد في الموصل واحده موصوفون بالخذق والنشاط .

في المحطة . واذا قلت : انه وجب مثل القطار شاذ الطبع والسلوك ، فهم لا ينهون ولا يعترضون .

- ألا تسبح بكلمة ؟

- ساعك الله . قد غاب ظني بذوقك وادبك .

فقلت وانما لا ازال واقفاً في الباب ، صابراً على ذي الباب : وانت الذي قضيت حياتك في انكسرتوا ، وكنت على العمل في القيل ادأب منك عليه في النهار ، ايزجيك الرواح الى المحطة نصف الليل او بعده ، وهب انك علمت ان القطار لا يصل قبل الصبح انما يحجب عليك ان تحمي الليل ، اسكراً لصاحبك على الأقل ، لا عاباً بـ « الهيدج » ثم تخرج ساعة الفجر الى المحطة تستشقي الهواء ؟ الحق يقال يا امين ان سنة في بغداد اورثتك الكسل والحول .

بعد هذه المشاقة تصافعتا وسلمنا سلام الاحباب . وجلست اطالع آخر اعداد جريدة « قيس » الانكليزية التي كانت على الارض .

- نحن علمنا ان القطار قأخر ولكنه من عاداته ان يتأخر اثنتي عشرة ساعة .

- مالنا والقطار . حتى ان يكون حالك احسن من حاله . يظهر انك الفت الظلمة في انكسرتوا فأحببت الإقامة في هذا القل وفي مثل هذه العرفة .

- هذه بغداد ، فنادة بها شبيهة بعضها ببعض ، ولا فرق بينها في غير الاصا، والاجور .

- أحقاً ما تقول ؟ الا يوجد في هذا القل غرفة ترمتها الشمس ولو بلحظة ؟ اجاب الامين متبرماً : هذا احسن قول في بغداد وقد نجد لك غرفة فيه .

فقلت مصرأ على المشاكسة : مثل هذه العرفة ؟

- افلا تقنازل الى مساواتنا ؟

— اذكر ان المساواة اقنومين آخرين هما الحرية والاخاء . وما اني قد
أخيت النجوم واقتربت نانية الحرية في بلاد الغرب فاستأزل من المساواة
واقام على السطح .

فسبني بالانكليزية ثم بالعربية ثم قال : جرحت ذاتي — الا تحشى الورد ؟

— اخشى العفونة اكثر من الورد . اين قصر الملك ؟

— لا قصر لجلالته .

— واين هو نازل ؟

— خارج السور — خارج المدينة .

— او لا يؤذن لي ان انصب خبثي خارج المدينة ؟ صدقتي يا اخي اني
امرض في مثل هذه الظلمات . قد صرت بدوياً فلا بطيب لي غير الفلاة .

أليس عندكم بدو خارج المدينة اقول عندهم — مهم — مهم . . . اخذ ثورهم .

فقال الامين متهمكاً : ولكنك تتنازل فتدور جلالة الملك أولاً . أليس

هكذا ؟

— طبعاً ، طبعاً . لا تؤاخذني .

فضحك وفرح بقلبي . فأخبرته اذ ذاك بما جرى لي منذ وصولي الى
البصرة حتى وصولي الى محطة بغداد ، فرنى حالي وغفر لي رزاً انساني الواجب .
وصكنت قد علمت وانا في بياني بالسلبية السلطانية التي اجريت لجلالة الملك
واخبرت في الطريق الى العاصمة انها نجحت وان جلالة قد قاتل الى الشفاء .

— أفلا ينبغي ان اكتب الى جلالة كتاباً اعته بصحته واعلمه بوصولي ؟

سكتك مؤرنة الكتابة .

وهكان قد أتم حديقي ريعين روحه ، ولم شعث طبعه ، فادت اليه
السكينة ، وتجلي فيه الحلم والوقار ، فصار اسلس من الماء ، كما يقال ، وأبين

من اعطاف النسيم . أمّ الهاتف في التزل وعاد يقول : ستقابل جلالته اليوم .
فصررت جداً بذلك .

وبعد ساعة ركبنا سيارة اميركية سارت بنا هائجة تثير النقع في شارع بغداد الجديد ، الطويل المستقيم الوحيد ، الذي يمتد من اول المدينة جنوباً الى اخرها شمالاً ، وخرجنا من البوابة عند مظارة الدفاع ، فوردنا بتسكنة الى اليسار وواصلنا السير الى طريق الاعنلية حتى وصلنا الى بستان على احدى حواشيه بيت صغير انبأت المواقين في فناءه بأنه بيت فلاح يكثر عنده الحليب واللبن . بل هو بيت مدير الزراعة الحاضر لجلالة الملك . ثم تولنا عند بيت آخر صغير داخل البستان ، شبيه بيوت الـ « اسبستوس » التي كانت تبني في ايام الحرب بساعة وتقل من مكان الى مكان ، فاذا هو مفروش بالفرش الاوروي ببساطة افصححت عن ذوق لطيف ، وفيه خزانة كتب مطلق فوقها صورة الملك فيصل مع الكاتب الاقرنسي الشهير افاطول فرانس ، ومنضدتان وراء الواحدة منها شاب مصري ، وضاح النحيا ، عالي الجبين ، حسن البزة ، يادو الى استقبالنا ، وكان في ترحيبه مثله في لبسه انيقاً دقيقاً - رصياً . هو وسم بك حيدر السكوتيد الاول لجلالة الملك ، وصاحب الكتاب الذي صدرت به هذا الفصل .

شربت القهوة في ديوانه ، ونظمت في حديثي بالرغم من حجاب الرمحيات نفساً هادئة كيسة ، وعقلية راقية ، وتتمت بعدئذ انشاء اقامتي في بغداد بشيء منها وراء الحجاب : سأشاركك ايها القاري . به . اما الان فهو الذي عجل ، شكرآله ، بتحقيق ما جئت من اجله . عود الى الهاتف على منضدته ثم قال : سيدنا يقابلكم الآن .

سرنا في ظلال النخيل الى بيت لا يبعد في القاهرة او في بيروت فضلاً ممتازاً . ولكنه مبني على شاطئ دجلة في بستان من النخيل . في جوار الامام

الاعظم « وبقالة المسكان الذي ازدهرت يوماً فيه المدينة المدورة ، مدينة المنصور . دع منك ذكر المنصور والامام الاعظم . البيت قصر حتى ولو كان مجرداً عن المحاسن الطبيعية والتاريخية والدينية كلها . هو قصر لان ملك العراق الاول مقيم فيه .

حياتا جنديان في الباب ، ثم استقبلنا احد الضباط فدعانا لغرفة فيها طاولة عليها سجل الزائرين ، ثم جاء احد الامناء يدعونا الى الطابق الاعلى فدخلنا وراءه ردهة للجلوس ، وبعد هنيئة فتح باب افشى في الى غرفة النوم . وسكان الاسبوع الثالث من العمالية الجراحية وصككت الاول الذي حاز شرف الاستقبال بعدها .

الامير فيصل بن حسين بن علي بن نسي ، ابن بنت الرسول ، قائد جيش الشمال العربي في الحرب العظمى ، مثل الرب في مؤتمر فرساي ، حامل لواء الوحدة العربية في اوروبا ، حاكم الشام ، ملك سوريا ، ملك العراق ا قد تدهت وانا في نيويورك هذه المراحل الباهرة في ذلك التاريخ ، تاريخه القصير الجيد ، وانا معجب به كل الاعجاب ، مكبراً منه الاحمال والاقوال والمقاصد العالمة ، متأسفاً اني لم اجتمع به في باريس او في لندن او في الشام ، محتفظاً بكل شاردة من شوارد الشوق والامل . ثم وفق الله فارحلت شرقاً الى البلاد العربية فكانت عاصمة الباسيين ، خصوصاً لان فيها بطل احلامي ، نوراً من الانوار المقصودة ، ومحجة من المحجبات المنشودة .

لم اشعر وانا داخل الى غرفة النوم ، على ما تقدمها من الرسميات الملكية العربية ، باني داخل على ملك من ملوك العرب ، هو اكبرهم في اوروبا شأنًا واصغرهم في البلاد العربية شأنًا . ذلك لان الحيال متي رافق فيصلاً في الخمس السنوات الاخيرة فادعاني منه فاعصت تلك الساعة ان وراء السار صديقاً لي وانخأ في الجهاد الوطني . وما سكن الحس ولا المنصور خؤوناً .

دخلت فاذا بجلالة الملك جالس على الديوان مكشوف الرأس ملتفاً بماءته . فوقف وتقدم يلاقبني وسلم عليّ سلام الأخوان . وحسبان وجهه الذي شبهه أحد كتاب الأفريج بوجه المسيح أشبه به يومئذٍ على ما افطن منه في الماضي . لأن المرض اكسبه لوناً نحف فيه حدة الحياة وتكاد تضهل ، فيمتزج امتزاجاً لطيفاً بالنور الناعم الجالس هادئاً في عينيّه ، ثم جوفه قليلاً تحت العظم الاعلى فصار يظهر ما فوقه أي الجبين أكثر اتساعاً ورقمة ، وما دونه مستطيلاً مائلاً . اما في صورته وبشامه وإشاراته فقد صوّان أشبه بجلالة الملك أبيه .

شكرته على جميل تعامه في استقبالي يوم وصولي وهو لا يزال في حال النقمة . فقل انه بشاركتي في الشوق الى المشاهدة . ثم هنأته بصحته وبعيد جلوسه - العيد الاول للملك العراق الاول - فابتسم ابتسامة فيها بعض الغم وانتقل بالحديث الى رحلتي .

- انها رحلة عجيبة يا امين وسيكون فيها ولا شك فوائد كثيرة للعرب . كنا مرافقين لك مصيحين بكل ما وصلنا من اخبارك وبنا طالعنا في الجوائد . ثم سألتني بعض سؤالات عن البلدان التي زرتها وعن امرائها وحكامها . وكان لا يزال الضعف يمنعه عن الافاضة بالحديث .

- احب ان تخبرني كل شيء . وسنجتمع في ما بعد اجتماعات عديدة . فاستأذنت بالانصراف فوقف وهو يقول : سنجتمع في ما بعد . ثم اعتذر ، وحسبان ذلك من جميل التواضع فيه ، عن تقصير في القيام بواجب الاكرام والضيافة .

ولكنه بعد ان خرجت دعا الكسبياني فعدته بكلمة ، فبادر الصديق الي يقول : امش - الى القل يا سر جلالته . وقد امر ايضاً بسيارة اثنائه اقامتك في بغداد .

الفصل الثاني

لا حكومة ولا انتداب

بركان الثورة - الملك في يد الاطباء - سقوط وزارة التتبيح - عيد الجلوس عيد
 المائوس - اتحاد الاحزاب - مطالبها - ملحق من النهضة الوطنية العراقية -
 استبعاد الملك حسنة واستبعاد ستة واحدة - وفد الاحزاب في قصر الملك - الشيخ
 مهدي البهزاد يخطب في العيد - رئيس الامانة يحث على كلامه - وصول مندوب
 المعامي مهنتا عيد الجلوس - الشعب يحثه : ليعطى الانتداب ' ليعطى الانتداب :
 - مطالب لزعما النجف - خريطة الصغار - عزل رئيس الامانة - الفرق بين
 السر اوله ولسون والسر بريسي كوكس - اقبال الاحزاب الوطنية - علي الرحبا
 الوطنيين - الامانة ساكنة ساكنة - وعصا الاسلاء لا يستجيبون - تأسيس حزب
 وطني معتمد - سياسة الملك فيصل - لا حكومة ولا انتداب .

يوم وصحت الى العراق كان بركان السياسة قد انفجر من كل جانب ،
 فترامت من النجف الحزم ، واستمرت في بغداد النيران ، وتصادت بين الوافدين
 اللهيبي والدخان . في ذاك الحين قام الزعماء يطلبون رفض الانتداب ،
 وانتخاب المجلس النيابي ، وعلان الاستقلال التام ، وتأييد العرش . وسمع
 بين الاصوات صوت الشاعر الحكيم يقول :

« انا شاعر يفتي الوفاق موحد بين الشعوب سبيله الارشاد
 ما الفرس والاعراب الا كفتا عدل وما الاتواك والاسكراد
 لم تكفنا هذي المطامع فرقة حتى تفرق بيننا الاحقاد »

وكانت الحركة قد اشتدت قبل عيد الجلوس بأيام قلائل ، فأثرت بصحة
 الملك وزادت بآلامه التي كانت الزائدة المعوية سببها ، فأشار الاطباء بعليمة
 جراحية قاجلها جلالته الى ما بعد العيد . اما الوطنيون ، المشغوفون منهم
 والمعتدلون ، فلم يؤجلوا تأسموا اليه شيئاً . ويظهر ان صوت الشاعر اثر فيهم
 يومئذ قائراً حسناً فحلهم على توحيد المطالب والآمال .

وقد كان لحلتهم ثلاثة اهداف، اي الوزارة والحكومة والملك نفسه، فاستخدموا لها ثلاثة انواع من السلاح سلاح الكلام - صويوا مدفعيتهم على الوزارة التي صكان يرأسها السيد عبدالرحمن التقيب فاستعالت ، وطاروا بطياراتهم الخطايب فوق دار الانتخاب فأزعجت المندوب السامي فبات حائراً لا يدري ما يفعل ، ولاسيا ان الحيرش يومئذ لم تكن تكفي لاختاد فتنة صغيرة -

اما جلالة الملك فجاءته الوفود يوم العيد ، اول عيد لتاج العراق ، عيد الجلوس - غير - المأنوس - يهتفونه ويطلبونه والحكومة المشاركة بازعود التي مر العام الاول عليها دون ان يتجزئي . وثما - وكان في البلاد حزبان سياسيان ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، فالتحدا بمقد ان تشافا واجتماعاً اجتماعاً خصوصياً في اليوم السابق لميد الجلوس فقرر فيه بالاتفاق رفع احتجاج الى « اعقاب صاحب الخلافة المعظم » ونقطة الدائرة فيه ان الامة كانت تنتظر بعد التتويج حكومة دستورية نيابية ، فورت السنة الاولى ، والحكومة لا تعرف دستورية هي ام نيابية ام ملكية مطلقة . - ان الامة يا صاحب الخلافة فكابد انواع الاضرار الناجمة عن سوء الادارة « المتقلب عليها نفوذ البريطانيين المناهي لروح الاستقلال لانهم اتخذوا سياسة التفريق وغيرها من الاعمال غير المشروعة رائداً لهم » . وهذه الوزارة وزارتهم استعظنا ، لانها كانت العامل الاعظم في منهضة آمال الامة . وبما ان المجلس النيابي لم يتألف حتى الآن ، وبما ان خطر الانتخاب يهدد استقلال البلاد وحرية العراقيين ، فقد اجتمعت هينا المركز العام للحزب الوطني العراقي والمركز العام لحزب النهضة العراقية وقررا ، عرض الحالة على جلالتكم مسترحين صدور الارادة الملكية في ما يلي :

اولاً - الكف عن الاعمال المار ذكرها لاسيا التدخل البريطاني في الامور الادارية .

ثانياً - تأليف وزارة من ذوي الجدارة المخلصين لكي تطبق الأمة باصلاح الحال .

ثالثاً - ان لا تعقد أية معاهدة ولا تجري أية مفاوضة بشأنها قبل تأليف المجلس النيابي .

ولم يكتف المرصتر العام لحزب النهضة العراقية بهذا الاحتجاج وهذه المطالب فأصدر مذكرة خصوصية من قلب البرلمان ، فيها لفتات الى الماضي وأثبات ، شككا الحزب سياسة الحكومة التي لم يرد الشعب في خلال سنة منها فرقاً بينها وبين سياسة الحكومة الاحتلالية ، ورفع احتجاجه الى العالم المتشددين ، وإلى كل من يؤله صوت الشعب مذبذب الحقوق ، المنسب من طبقات اشدة مليئة بالآلام والاماني . - اننا نخرج على سياسة حكومة بريطانيا الاستعمارية ، وعلى الانتداب وانصاره المقوتين في البلاد ، في هذه البلاد العراقية التي كانت تستعيد في مثل هذا اليوم من العام الماضي ذكوى المنصور والرشيد والمأمون ، « مؤلمة ان يكون بلاءاً للجروح البليغة التي احدثها الاستبداد السنة الماضية في جسمها النحيل . »^(١)

وهذه الأمة ذات الجلم النحيل والقلب المغم بالآلام والآمال تعيد « بدها السعيد بتتويج جلالة مليكتها وارفعاله عرش العراق الذي « شديد فوق حجاجم الشهداء » وقبعت الوفود ليرفعوا الى جلالته اصدق عبارات التهريك والخطايا ، ليسمعه انينها وشكواها .

جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب وفد الحزبين المذكورين ومعهم جمهور من الانصار احتشدوا في فناء القصر ، فطلب الزعماء من الملك

(١) والغريب العجيب ان امة استعبدت ألف سنة كانت حية مليئة بالحواس والشكوى استبداد سنة واحدة في هذا الزمان ، ولم يسمع منها في الالف سنة مضت لا صوت ولا صدى .

ان يأمر بن مثل جلالة لجماع الخطب هناك . فأمر جلالة رئيس الامناء ليندوب عنه . فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني العراقي ، الشاعر الضريد الشيخ مهدي البصري ، فخرج في رئيس الامناء الشيخون فتصب خطيباً . وحق له الكلام اذ كان الملك اقامه منه وحق له ايضاً ان يجر من على حماسة - وقبل حماسة - فيه أفضته انه موظف في البلاط ، وان المندوب السامي لبريطانيا المظفي قادم في تلك الساعة ليعني جلالة الملك بعيد الجلوس ، وان عليه هو واجب الاستقبال والتعجب . وقد انتهى انه بيتا كان حضرة الاستاذ رئيس الامناء يطلب ضد الانتداب اقبل المندوب السامي السر برسي صكر كس ورجال الوكالة البريطانية لاداء التعديك فاستقبلهم الجمع صارخاً : ليقط الانتداب ! ايحاط الانكليز !

وكان قد وصل لسعادة المندوب في اليوم السابق برقية من زهاء النصف يؤكدون له فيها انهم لا يتكثرون « صداقة حكومة بريطانيا المظفي ، صداقة خالية من المحاباة » ويعلمونه برغائب الامة العراقية « التي لا يكتفها التنازل عنها » ههنا كلفها الامر « وهي المواد الآتية : أولاً - رفض الانتداب بشانها واهلائ حكومة بريطانيا المظفي بالثالثة رسمياً . ثانياً - مراجعة حكومة جلالة ملك العراق وزارة الخارجية لا لوزير المستعمرات . ثالثاً - وقع تدخل ممثلي اية سلطة اجنبية لان في الامة نفسها الجدارة لادارة شؤونها .

هذا من علماء الشيعة وجلالة الملك يومئذ مهمهم . الا ان بعض المشائر لبوا الدعوة التي قيل ان دار الانتداب مصدوها ، فاجتمعوا يجتمعون على العلماء ويمطون ولا هم للانكليز . ثم قدموا عريضة بذلك الى المندوب السامي ، فكانت بيده حجة على جلالة الملك . وقد اشار فخامته بان سيطن العريضة اذا حكان الملك يرفض المعاهدة . فلم يكن ليتنظر واحال هذه مثل تلك المفاجأة القبيحة في القصر . اما اذا قيل ان من حقوق الشعب - واليوم يومه - ان يقاوم السياسيين في اي وقت واي مكان كان فيجب ان يكونوا

متأهين له دائماً ، فمن النادر ان يحدث في بلاط ملكي - في غير وقت الحرب او الثورة - مثل هذا الظاهر الرسمي - رسمي هو بوجود مندوب الملك واشتراكه به - ضد دولة من الدول العظمى - بل هي اهانة اقتباها السري برسي كوكس هادي. البادرة ساكتاً ، واطنه سر بها . فقد كان متردداً كما قلت في اتخاذ خطوة الشدة لجميع ما كان ينفذ بشوة اخرى في العراق مثل ثورة سنة ١٩٢٠ ، فازالت حادثة البلاط التردد ، وشجعت فيه عزماً كان موضوع ريب الناس .

ولكنه انكليزي واكثر الانكليزي في مثل هذا الموقف واحد . فلم يدع السري برسي الحادث المزمع يحول دون واجبه ذلك الساعة ، بل دخل على الملك وهناك بعده الاول . ثم اجتمع بعدئذ به فدار بينهما حديث كانت له نتيجتان ، الاولى في البلاط الملكي وهي عزل رئيس الامناء ، والثانية في دار الاعتماد وهي الحطة التي اتخذت النيران التي كانت تقصاعد من بركان السياسة المتفجر .

لا ريب ان الاقدار ساعدت السري برسي كوكس في عمل لم يكن من طبعه ومبادئه . لانه رأياً وخلقاً وسياسة نقبض - انه السري آرند ولسون الذي سبب او سبب ثورة ١٩٢٠ فالسري آرند حاد المزاج ، سريع الغضب ، شديد الرأس ، عالي الهمة ، قصير النظر ، يضرب ولا يحسب للمواقف حساباً . والسري برسي لين العريضة ، هادي . البادرة ، طويل الاناة ، بطالع الامور بالحسنة التي قلما تلعب الى القوة . على انه اهدرك ما لي الحادث من الخطر على منصبه اذا كان لا يقف موقف كل انكليزي بل كل انسان امين رصياً واهيئت حكومته وامته . قد يقال ان الملك في عزله رئيس الامناء اعتذر ضمناً وصراحة عما بدا . ولكن ذلك لا يكفي . بل قد يزيد الوطنيين شغباً وهياجاً . فاقدم على العمل الذي اقتبله العراق ساكتاً ساكتاً .

قلت ان الاقدار ساعدته في سياسة الشدة ، لان جلالة الملك بعد ميد

الجلوس سلم نفسه الى الاطباء ، وكانت الوزارة قد استقالت فاصبحت الحكومة كلها بيده - خلاله الجو - فاحضر امره باقوال الحزبين ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، وبترقيف جرائدهما ، ثم نفى الى هنجام^(١) الزعماء وفيهم الحاج جعفر ابو الثنن وحدي افندي الياججي والشيخ مهدي البصري ، وخطر مجتهدى الكاظمين السيد حسن الصدر والشيخ مهدي الخالصي بتسفير تجليهما ، وهما ، من زعماء النهضة ، الى ايران ففعلا دون تردد او احتجاج .

وكان جلالة الملك رهين الاملاء وموضوع الاشاعات المتعددة ، منها اشاعة موته التي ضجت لها العاصمة واتخذها انصار المؤمنين ومن تبقى من الاحزاب الوطنية حجة على سكوتهم واخلاقهم الى المسكينة . غير انه يستغرب سكوت ثلاث من « جميع الاسلام » المجتهدين وهم : السيد ابو الحسن الاصفهاني والسيد حسن الصدر^(٢) والشيخ مهدي الخالصي ، وقد كانوا

(١) جزيرة في الخليج الفارسي تجاه بندر عباس .

(٢) قد زارت السيد حسن صدر الدين في بيته بالكاظمية فالتفت به رجلاً مطير الخلق والخلق ، ذا حين رفيع واضح ، وخفة كثة يضاء ، وكلمة نبوية . له مبان ما جمران فوق حدين ما وردان . عريض الكتف ، طويل العانة ، مقبول المساعد ، وهو يتم بصفة سوداء حكيمة وبأس قيصاً مكشوف الصدر رجب الوردان فيظهر ماعده عند الاشارة في الحديث . ما رأيت في رحلي العربية كلها من اعاد الى ذكر الانبياء كما يسودم التاريخ وعظام الشراء والفائزون مثل هذا الرجل الشيعي العاملي الكبير . وما اجل ما يبش فيه من البساطة والشفقة . طننني « والما داخل الى بيته » اعبريت احد خدامه اليه . وعندما رأيته جالساً على حصير في غرفة ايس فيها غير الحصير وبضعة مساعد ، وقد كنت علمت ان لقنواه اسكندر من عليوني سبع مطبخ ، وان ملايين من الروايات نجته من المؤمنين في الهند وارجان ليصرفها في سبل البر والاحسان ، والله مع ذلك يبش زاهداً متفكراً ولا يبذل « بحيشة زوية واحدة في غير سبيل » اكبرت الرجل ايما اكبار وودت لو ان في رؤسنا الذين الذين يرفلون بالادجوان ، ولا يندد في امثالهم قبر الاحسان ، ضعة رجال مثله .

حاشية اخرى : قد اعترض العالم للنجفي ابو الخارص المحترم على ما جاء في هذه

كلهم من زعماء النهضة واعلامها . على ان بعض العشائر الموالين للعلماء ، ممن لم يعلوا بسكوتهم ، ظلوا يطالبون بسقوط الانتداب ، فصدرت الحكومة الانكليزية صحيفتها في ارسالها الطيارات ترمي اكوابهم بالقذائف النارية . وقد كانت في غنى عن ذلك لان من يتنادون مع المجتهدين يسكنون اذا هم سكنوا اما اذا نظرنا في الامر نظرة اجمالية فقد افلح المندوب السامي وان كان قد اخمد في عمله ولو الى حين تار الوطنية التي رأى نفسه بعدئذ في حاجة اليها ليقاوم بها الاتراك ودسائسهم في الموصل وفي بلاد الاكراد . ولكنه في ذلك الحين لم يكن ليفي غير امرين ، فقد المعاهدة الانكليزية العراقية وتأسيس مجلس نيابي يحكمها . وكان متيقناً ان الامر الاول لا يتم الا في ثبات الولاة والمزاورة بين دار الانتداب وبيت النقيب . فسمى اولاً في تأسيس حزب سياسي معتدل دُعي بالحزب العراقي الحر يرأسه السيد محمود بن السيد عبدالرحمن النقيب ليكون عوناً للحكومة في انتخاب المجلس . ثم سعى في اعادة الوزارة المستقيلة لانحاز المعاهدة . وكان جلالة الملك يؤثر غير النقيب رئيساً ، والمندوب السامي للاسباب التي بسطناها لا ينبغي سواه . وسعى بعدئذ كيف ان يُخلد صديق الانكليز الاكبر في العراق بعد توقيع المعاهدة المشهورة . على ان هناك فترة مشؤومة مظلمة ، قبل التوقيع وبعد رجوعه الى الرئاسة ، كانت السيادة الانكليزية فيها مشاولة حقيقة ومعنى . فلم يكن في البلاد لا حكومة وطنية تذكر ولا انتداب . ذلك لان الملك فيصل اعد بعد شقائه الى سياسة ازيجت دار الانتداب ، فقبل محققاً برئاسة النقيب ، وظل متمسكاً باهداب احزاب ثلاث ، ووطنية لجأت الى التقية واستشمرت السكون .

الخاتمة من « الملايين » فقال ان مفليدي العدد « في سكاية مواطن الشيعة لا يبلون الا لوف فضلاً عن المليونين . وان جميع ما ورد من الرويات من اول عمره الى يومه هذا لا يبلغ المليونين فضلاً عن الملايين . »
اتي من المعجبين بالسيد الصدر وان قلت « مذبذبه » .

الانتداب . فقبل المستر كيرشل بذلك ، ووعدني وعداً أيده بكلمة الشرف .
وهر ان الحكومة الانكليزية تعترف باستقلال العراق وتساعد العراقيين
بتأسيس حكومة وطنية ذات سيادة تامة وتسلمي الانتداب . كل ذلك في
مقابلة مهادنة تمنعها والحكومة البريطانية تضمن لها الحق ان يكون المستشارون
والأخصائيون في حكومة العراق من الانكليز فقط وتضمن لها ايضاً بعض
الحقوق في اقتراحات البلاد وفي اليوم يقولون اني انقلبت عليهم . وليس
في ما اقول وافعل غير الثالث على العهد وأولاً . هذا وقد المستر كيرشل .
كلمة شرف بالقاء الانتداب . والآن يا اخي امين نجيشي حكومتك بمهادنة
تبتدي . تذكر الانتداب وعصبة الامم ثم تذكر هذه الاقاي في اصغر
موادها ، لا والله . لا اوقعها ولا آذن بتوقيعها . ولا تألف وزارة جديدة^(١)
قبل ان يجزوني بحطة صريحة وكلمة صريحة بانهم سيهرون بالوعد .

هب ان هناك سوء تفاهم او ان المستر كيرشل زعد وعداً حالت بعد
ذلك السياسة الانكليزية دون تنفيذه ، فوقف الملك فيصل مع ذلك لا يقدم
به واكثر العراقيين يرفضون الانتداب ويفتقرونه . فهل يلام يا ترى اذا فضل
ان يكون ملك العراق على ان يكون أولاً ما-ور الانتداب وفوق يده يد
المدحوب السامي ؟ ولكن هناك امراً آخر لا يتناخى عنه من أحب العدل
والانصاف . ان فضل الحكومة الانكليزية في ترويج الملك فيصل يوازي
في الأقل فضل العراقيين الذين يأموه . فقد حكان في البلاد يوم وصوله الى
العراق وقبله عدد من طلاب الملك منهم الشيخ خزعل خان حاكم عربستان
فانصب بإيعاز من الانكليز . ومنهم ذاك الداهية العراقي بلهوان الامة
المسيد طالب النقيب الذي حكان يطوف البلاد يرمذ بصفته وزير الداخلية
ساعياً في سبيل المجد الوهاج ، طالباً العرش والتاج ، فتمتعه الانكليز والقوا
القبض عليه بحيلة لا تليق بهم وأجلوه عن البلاد . وكان نقيب بغداد السيد
(١) كانت حكومة الانتداب تحاول يومئذ اعادة تأليف وزارة النقيب .

عبدالرحمن عنهم الاكبر على ابن نقيب الموصل السيد طالب . لذلك قيل ان النقيب كان التصير الاعظم فيحصل . وهناك الامير عبد الله الذي كان يثره المراقبون على اخيه . اما طريقة الانتخاب فيسكني ان اقول ان الموظفين السياسيين في الانوة كانوا يدبرونها .

ليس الملك فيصل من ينكرون الجليل . ولكنه بين جيلين ، هما أحرق من قارن ، جيل من سعى في سبيله وجيل من يلعبه . وفي الاثنين ، مبدأ لا يخطأ من يروم الحقيقة الوطنية في تفضيل مبدأ من يلعب منها على مبدأ من سعى . على انه من الخطأ ان يعادي الملك الانكليزي او ان تعادي الأمة العراقية الحكومة البريطانية . قال جلالتة بصراحة لا صراحة بعدها : - تراني اليوم محاطاً بالاعداء ولا صديق لي غير الانكليزي . فمن اين لي بحليف لو شئت المحالفة . في الغرب في سوريا الافرنسيون وهم اعدائي . وفي الشمال الاتراك وهم يسكروني . وفي الشرق الاحكراد وقد تفلتوا من يدي . والسبعم وهم يدسون الدسائس بواسطة الشيعة على حكومتي . وفي الجنوب ابن سعود وهو دائماً يهددنا بالاعوان . من لي اذاً غير الانكليزي ؟ وهل يعقل اني انقلب عليهم ؟ بل هم المتقلبون يا اخي امين ، هم يمدون الوعود ولا يبرون بها .

عاد جلالتة الى وعد المستر تشرشل فذكرني بحلالة ابيه يوم كان يضرب لي الامثال ويومز بالرموز ليرهن على انه من النادر ان يجد المرء من يفوق الانكليزي في المراوغة والتاوت ونقض المهود . - يطلبون مني التصديق على معاهدة لا تمكنتني من تأسيس حكومة ثابتة قوية . - والحقيقة انه لو عقدنا هذه المعاهدة يشحيل علينا القيام بها ترانا الآن نعيجز عن تأسيس جيش وطني لان المراقبين لا يسلون النداء ، لا لان الوطنية فيهم ضعيفة . لا . لا . ولكنهم يقولون : اذا كان الانكليزي يتوون احتلال البلاد تحت طية الانتداب فيدافعوا هم عنها . أو لا ترى الحق يا اخي في هذا القول ؟

كان يشكلم جلالاته بصوت هادي. وكان النور في عينيه ساكناً. مع ذلك كنت ارى في انامله دليل الاضطراب اذ كان يخرج الحاتم من بنصره فيلمص به كأنه سبعة ثم يميده اليه. وعندما كان يشكلم عن يحيط به من الاعداء، رفع السدادة عن رأسه ووضعها على الديوان فنار جبينه الهلي وجهه فنادى فيه شيء من الحسن جليل، ولا سيما ان لونه الحنطلي كان لا يزال مائلاً الى الاصفرار. ان في الملك فيصل حساً جذاباً، وان في حديثه لهجة بليغة مقنعة. ولكن النعم الذي يسكن في قلبه يظهر مراراً في طرقي فله وفي ابتسامه.

اني اعتقد ان في الملك فيصل مزجة روحية تجذب اليه المثل الاعلى في الحياة، على انه وان كان ملكاً يرى نفسه في هذا الموضع، مثل كل من تعشق الكبريات، وسمى اليها جاداً، فرأها كقوس قزح بعيدة دائماً عنه. وهذا في نظري احد اسباب النعم رفيق جلالاته الدائم، وان توارى احياناً عن الابصار. هو النعم الروحي الذي يتضاعف في علو المناصب وخطورتها فيكون في الملوك، وان ندر، اشد منه في غير الناس.

قد كسفت بمقابلة الملك فيصل ومجالسته ومخاطبته في احوال شتى، رسمياً وغير رسمي، في البلاط وخارج البلاط، على المائدة الملكية والى الساط البيتي، فلم اره مرة واحدة ناعم البال مطمئناً. بل كان النعم مثل الطفل في اذار يظهر في مجلسه ويختفي اذا تكلم واذا سكوت.

دعيت الى مأدبة اعددها في القصر وكان جالساً اليها في صفيح متقابلين عشرون من كبار موظفي الحكومة العراقية وازوجها. وعشرون من رجال حكومة الانتداب وبعض حرمهم. وهكذا جلالاته جالساً في الوسط والى يمينه قريبة المندوب السامي اللادي كوكس والى شماله القائد العام للجيش الانكليزي في العراق. وكان قبالة الملك اخوه الامير زيد والى يمين الامير

المنذوب السامي والى شماله آية النساء في العراق وشعبة سياستهم الخاتون
جرترود بل . وكان بيني وبين المنذوب السامي سيدة انكليزية ، وقبالي
سيدة اخرى ، فعلت من الواحدة انها حزينة جداً لانها تحب الموسيقى ولا
تستطيع ان تفتني . يانوس في بغداد ، واخبرتني لاخرى بان زوجها ، وهو
احد المستشارين ، لانه الاثري ، ولا قراءة الروايات . وكان القائد العام
يحدث جارتها با صدر حديثاً من الروايات في لندن . ثم سمعت السر برسي
صكوكس ، وهو من غواة الصيد وله المام بعلم الطيولان ، يسأل ما اسم
ال Badger في اللغة العربية . فراح السؤال حول ثلاثة شرقاً وغرباً ، جنوباً
وشمالاً ، وعاد الى فحامة المنذوب نائب الامل .

اما جلالة الملك فكان اثناء اذاعة ، منذ قدم الحساء الى ان جاء الخدم
بالقهوة ، صورة من صور اليأس المحزنة ، وقد احاطت نفسه بسيدة لا تحسن
العربية وبقائد قائم الحين لا يحسن لا العربية ولا الافرنسية .

قد رأيته غير مرة يتشام وما سمعت والمنذوب السامي يتحدثان ولو عن
الطقس . وقلنا هم ذلك الانكليزي . فلا اظنهم ما عدا المس . بل احسوا
براجب في مثل هذا المقام تفرض عليهم في الاقل اداب المائدة فلا يتحدثون
بامور خصوصية لانهم جلالة الملك . ولا تهم المندوبين من الوطنيين . فقد
رأيت حتى جعفر باشا ، وهو يحسن الانكليزية ، يجتهد في عيادة جارتها
التي ابنت ان تخرج من موضوع الرواية الانكليزية الاخيرة . وماذا يهم
المرافقين بل الشرقيين ياترى من رواية انكليزية تبحث في احوال اجتماعية
محلية وقبيلة في قرية من قرى انكلترا ؟

اما جاري الآخر مجيد بك الشاوي ، وهو احد الاربعة الذين يكفرونهم
في الدراق^(١) والرجل الوحيد الذي تجاسر ان يلبي الدعوة الملكية في ثوب

(١) الثلاثة الاخرون هم : جميل صدقي الزهاوي ومسروق الرصافي وكاظم الدجيلي .
وسيجي الكلام عليهم وهم .

عادي ، فلم يكن ليتم بحديث الخواتين والمستشارين . بل حكان يحسو الشبان الكأس تلو الكأس ، ويضحك انكات جاره سكرتير مجلس النظام السيد حين افنان . وقد كان يجيد بك فضل على جلالة الملك تلك اللذة لانه في ساركة فتح باباً للسجون . كان واقفاً عند الوداع الى جنبي فقال له الملك وهو يشير الى شربه الحمر . شفتي واه شفتك . فاجاب الشاوي وهو يشير الي . له ادرك وجه الشبه في ذلك الحين - هذا صديقي لانه صديق المعري . ونحن يا مولانا لا نعرف غير المعري والحيام . فضحك الملك فيصل وكانت ضحكته الاولى في تلك الليلة الحافلة بكمار العراقيين والانكليز المشبعة بنياشين الزوايا وحلي الخواتين .

اني اذكر مأدبة اخرى خارج القصر وحارج المدينة ، مأدبة ويوماً في البساتين وفي منزل عن الزمجات القريبة . هناك في شرقي بغداد على نهر دياالى ناحية بعقوبة وهي جنة العراق الشمالي ، وبالتقرب من بعقوبة بلدة على شاطئ النهر تدعى المويدير ، فيها ملاك كريم هو فخري بك آل حميل دعا جلالة الملك وحاشيته لقضاء يوم في ضيافته . ودعا ايضاً بعض الانكليز ، منهم المس بل والمستر كروغواليس مستشار الداخلية ، وحديقهم السيد محمود ابن النقيب .

نُصب السرايق بين اشجار الليمون والرمال ، وفُرش الطويق اليه بالسجاد ، ومدت المائدة تحت الخليل القزعي بالذهب والياقوت من التبر ، وكان الهواء مفعماً بطيب الرياحين والازهار ، والطيور تغرد على الافنان وفي حشبات الادغال ، والصكروم مثلة بافخر الغيب المتعدد الانواع والالوان ، والمس بل تورج وتحيي ، حاملة غصناً من الرمان او عنقوداً صغيراً من العنب فتقدمه جانية لجلالة الملك .

وجلالة الملك - لله من غم يأني الحصر في القصور ، فوافق صاحبه الى البساتين في اجمل بقعة من ارض الله . لله من غم يجلس فوق العرش ويلصق

بصاحب العرش حريثاً حل وجال . ثم من نعم لا يحترم حتى الانكليز ، وقد يكون له في الانكليز ما يرويه ويفذيه . اظن ان المرسل كانت تدرك ذلك فتحاول بما لها من فصاحة ولطافة ان تخفف وطأته ، وتبدد في الاقل ظلاله من بساطين آل جميل في ذلك اليوم الجميل . ولكنها وانفاه لم تغلق . وقد تكون في ما اسرفت زادت الظلال قتاماً .

جلس الملك في الحيمة بعد ان جال في البستان يلعب بسبحة ويدخن السيكارة تلو السيكارة . وكان التعب بادياً في وجهه والحديث لا يجيء . الا تسكناً واجتهاداً . هي السياسة ومهوم العرش . اضف اليها مما جديداً جاء من الشمال . فقد كان لانتصار مصطفى كمال وقع في العراق لم يسر الملك ولا الحكومة . وكان بعض الموظفين في الموصل يفاوضون بطل الترك في الاناضول . وهؤلاء الانكليز لا يدعون جلالة ساعة وحده ، يلزمونه كالظل في كل مكان . هذا الحكومة في ملوكهم وفي ملوك الوطنيين الذين يظنون ان المآدب لا تتم دون ان يدمى اليها احد من دار الانتداب . ان الملك وصل لا قرب ملوك العالم اليوم الى الديمقراطية ، الامر الذي لا يروق على ما اظن الانكليز الشغفين بابهة الملك . وقد يضر بجلالاته ملوك لم يتموده الموظف الانكليزي فيسي . فهو او يعتمد الاساءة . لا احد ينكر ان يوماً في البساتين لحدروان يكون عدد الرمييات . فلا بأس اذا جلس الملك على الديوان ، وهو في ثوب قسائد الجيش العراقي ، ورفع خوذته . ولكن الموظف في الحكومة الذي يجلس قبالة على كرسي ويمد رجله ، كما لو كان في بيته ، ولا يفرغ قبته من رأسه ، يسيء الادب ويمتنع حرمة التاج . لا اظن ان موظفاً انكليزياً مهماً لا منصبه يجلس كذلك في حضرة جلالة ملك بريطانيا العظمى . والملك فيصل دقيق الشعور شديد الحس ، لا يستطيع ان يقول الكلمة التي تؤلم ارنسي . ولا يتبسط في الحديث ويحيد اذا كان في حضرته من لا يرتح اليه . خصوصاً اذا كانت

مجالسه كلها مثل التي حضرت خالية من الذكاء، الطر أو من الحرية المنشودة - البدوية .

اجل ان الملك فيصلاً نفي حاجة في بلاطه وفي مجالسه غير الرحمة الى من يحسن النكتة ، الى ظريف خفيف الروح ، الى نديم رمحي . قد عرفت اكثر من في القصر وما عرفت فيهم من يستطيع ان يقوم بهذه الوظيفة المهمة .

كنا ذات ليلة جالسين الى مائدة الخصوصية ولم يكن غيري وناجي بك الموبدي وحسين افنان من خارج البلاط قائلين جلالتك سؤالاً ادهشني لأول وهلة ، ولكنني علمت انه كثيراً ما يباحث كتاباً سره الفيلسوفان بمثل هذه المواضيع . قال جلالتك : ما رأيك يا امين في التطور وفي الثورة ؟ اتعتقد ان عوامل العمران والتمدن الحقيقية هي اصبح في التطور او في الانقلاب ؟ فقلت : اني من يعتقدون بالتطور والارتقاء في الطبيعة وفي الاجتماع ، وان التطور معراج الانقلاب الحقيقي المفيد الثابت ، وان الطفرة محال ، وان الثورات دائماً رد فعل يعود بالناس الى ما كانوا فيه ، وغيرها في هذا الباب .

فما رضني كاتب سر جلالتك رستم حيدر ، وهو شامي سوري من بهابك ، فشرع يتكلم بالثورات والانقلابات في السياسة وفي الدين كأنه دنتون او كأنه لوتيجروس . النشوء بطيء . التطور ضرب من البسلادة . والامة التي تنتظر وتنتوكل عليه تفقد مثل الامة الانكليزية كثيراً من مزايها النفس الجيلة التي تظهر في الفنون والاجتماعات .

حانت عني اذ ذاك الثقافة الى الفيلسوف الاخر في الديوان الملكي ، الى ذلك الانكليزي في خلقه وعقله ، العربي في قلبه وشعوره ، الى امين الكسباني ف رأيته يرفع مجابيه ويهز برأسه ، ثم سمعت يقول مخاطباً الملك : رستم يا سيدنا بلشيفي في آرائه .

فقال حميد افنان : والحمد لله كذا في ارائه فقط . فضحك
جلالته ضحكة كانت الاولى والاخيرة تلك الليلة . ثم سألتني سؤالا آخر
ظنت مضحكا ولكنه لم يضحك احداً .

— ما رأيك يا امين في العممة والعريضة . واي شكل نظمه يصلح
لنا في العراق ؟

فقلت : ان العرب في تهامة وفي اليمن يلبسون الشبقة اي العريضة
وهي صنع ايديهم ليقرأ رؤوسهم حر الشمس . وهم عرب مسنون . فما
ضر العرب في الاقطار العربية الاخرى وخصوصاً في التي يشتد فيها الحر مثل
العراق لو اقتدوا بهم ؟

وكان ما قلت بخصوص الشبقة في اليمن جديداً عند كل الحضور ما عدا
جلالته لانه قاد مرة حلة على الادريسي في تهامة . ولو علم بتلك الشبقات
الكبيرة المصنوعة من القش . فدار الحديث على الحوزة وقبة البلاط ،
الدارة ، والطربوش ، ولم يجر احد بكلمة تضحك اثناء البحث على اننا
عندما صعدنا من غرفة المائدة الى ردهة الاستقبال وجلس الملك ورستم
والسويدي والكسباني الى طاولة صغيرة يلبسون العريديج خرجت والباقون
الى الزقاق فاصفنا هناك افنان نكات وحدث من اجل جلالته لو انه احبنا
بعضها على المائدة .

لا اظن ان ما يسرد الملك فضلاً من القم ناتج عن همومه الحاضرة
فقط . لا اظن ان تاج العراق وحده مصدر تلك الابتسامة الناعمة المخرقة
وذاك السكوت الذي يسبق الكلام الى القلوب . ان فضلاً ، في ما لمع
من نجم معدده وهوى في السبع السنوات الاخيرة ، ان الامراء القليل مددتم في
العالم اليوم . فقد دانت له ساعة قصيرة من الزمان ، فظلمته الحوادث في
قبايعها حوله وعليه ، فلم يتسكن لمرعتها وتعددها من الانتفاع بها .

هوذا امير عوني كوريم في داقرة خضراء من الشهرة، حولها دائرة حمراء من السياسة الوطنية، يازجها اصقوار من دسائس السياسة الدوائية. وهذه لصوري حقيقة، أدب الغم - وأدب الشهرة التي يتلوها وجع الرأس، ومأدبة النصر في الحرب يتلوها فشل السياسة، ومأدبة الكرم العربي الممدودة فوق ضريح المطامع العربية.

اما وقد اشرت الى اسباب الغم في جلالة الملك، فينبغي لي، وانا من المعجبين بالبيت الهاشمي الذي نصر الاخلاف وجند الوداء من العرب على الاتراك والالمان في الحرب العظمى، ومن المحزونين لانه لم يفوز بكل ما كان ينبغي وبجارب من اجله، ومن الطالبيين الحقيقة قبل كل شيء، ينبغي لي ان اعيد النقار في تلك الحوادث التي كان الامير فيصل قطب دائرتها. هي جزء من سيرة حياته التي اصبحت جزءاً من التاريخ العام.

الفصل الرابع

الأمير فيصل في الحرب

مستعمر تزوجته حتى سنة ١٩١٦ - من النور وجمال في المدينة - رجوعه إلى الشام -
- الهجر والبيعة والنجاة - قتال جيش الشمال - معادير التاريخ - ليعمل كالمه
أفرسي على الترياق - شهادة التاريخ - اعتراف العرب لمؤدبره بالفصل - الكركل
اوراس والعرب - الجيش انقلابي - الزحف شمالاً - سقوط العقبة - شهادة
الجهاد أكتفي بطلان العرب - جيش فيصل يتضمن بجيش الجهاد الذي - حصر
الاتراك في القليل وفي البحر الميت - انجذب إلى الكرك - حالة عسكري الارمن هناك -

عندما زار انور باشا المدينة المتورة في طلائع سنة ١٩١٦ سافر في ميثه
من سوريا وقد من عطاء وفيهم شاب عربي يناهز الثالثة والثلاثين من العمر
خصه رئيس الوفد الشيخ احمد الشقيري بالذكر لدى دولة الوزير قائلاً : بما
يتثبت لكم تعاقب الموحدين ومكانكم في قلوبهم انه بمثابة هذه الزيارة
وجد في بيتكم من آل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمير فيصل نجل أمير
مكة المكرمة^(١) .

(١) هو فيصل ثالث جمال الملك حسين بن علي بن عبد بن عبدالمعين بن عون بن
حسن ابن عبدالله بن حسن بن محمد المروفي بابي أغني المصل نسبة بالحسن ابن الامام
علي بن أبي طالب . ولد في الخامس سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م فادسه والده عملاً بتقليد
هاشمي قديم للرضاع في إحدى المزارع الجاورة فبدأ في الفتاة بينهم وعلى طريقهم .
ثم اخذوه والده مع اخوته إلى الامانة فقرأ هناك على اماتة خضر صبيح العربية
والتركية وبعض العلوم . ولما جاد والده إلى الحجاز سنة ١٩٠٩ عاد معه ونقلب في
مناصب الحكومة، وتطوع مرات بمئة جندي بسيط لقتال الماشائر المتسرعة ورافق
اخاه الأمير عبدالله في الحدة الاولى سنة ١٩١١ على الثارين في عسير . ثم اتدبه
والده ١٩١٣ لزيادة الحيلة الثانية على الادريسي حليف ايطاليا على تمركز بظفر بالفتنة
التي دخلت بغداد في ملك الحجاز . وبعد فقد الصلح مع ايطاليا أنشعب معروفًا عن
مدينة جدة فذهب إلى الامانة ونقل فيها إلى ابتداء الحرب العظمى، فقاد إلى مكة .
ولم يطل عليه الوقت حتى سكر واجماً إلى الامانة للاطلاع على نيات الاتراك فهو

وكان الانكليز قد باشروا باسم الاحلاف مفاوضة امير مكة يومئذ ، الملك حسين اليوم ، ليمهض باليوب على الاتراك^(١) فبث جلالة يعتذر لانور على عدم تمكنه من زيارته في المدينة المنورة ، وادخل سيفين مرصعين بالحجارة الكريمة هدية منه اليه والى رفيقه جمال باشا .

وبينما كانت تقام الحفلات في المدينة لدواني ، الانور والجمال ، وكان الوزيران الورعان ، وقد ظهرا في منظر الدين وترديا برداء اليقين ، يقرمان بالمراسيم الدينية ويرددان الصلوات ، ويجلسان كالثلايمد في حضرة العلماء ومشايخ الطرق وهم يتكلمون في علم الجهاد ويفسرون الآيات التي لها تعلق بالعلوم الحربية^(٢) كان الامير فيصل بك ملازماً لها مشاركاً في كل مظهر من مظاهر اخافة والاكرام . ولكنه لم يسكن ابستوقف الانتظار اذ كان ذلك الصغير يومئذ يضيح بين ظلي بطلين من ابطال المشين - وهادمي ملكهم .

بعد ثلاثة اشهر من هذه الزيارة المباركة كان فيصل ايضاً من المشتغلين في التهديم . ولم يكن ليخطر في بال الوزيرين او احد من حاشيتها انه سيكون كذلك ، وانه سيبدأ في البلد الطيب الذي هم فيه فيهدم الركن العربي من ملك بني عثمان . اما ان الامر سكان يحول في صدر الامير نفسه فما يحتمل الرب . لانه لو ادرك ان اياه سينفق قوياً في التغير لما كان رافق الوزيرين في

العرب وامانيهم . ثم استقدمه والده الى مكة للمفاوضة حولون البلاد العربية ، واتفق بهند الى دمشق ليسأل جمال باشا الرقي بالعرب ، فاقام هناك بنية سنة ١٩١٥ وكان الصلة بين جلالة ابيه وجمال في يمتنى بتجديد جيش عربي يزحف مع الجيش التركي على حرمة السويس . وقدم يومئذ انور باشا من الاسفانة فرافقه - عاقد وصلنا الى بدء هذا الفصل - الى المدينة .

(١) راجع الفصل السابع من القسم الاول صفحة ٦٧ : الجزء الاول .

(٢) كقولته ثلثي : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . وقوله : ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . وقوله : لا يقاتلونكم جميعاً في قرية محصنة او من وراء جدر .

عردته الى الشام ، وكاد يقع هناك في قبضة حمال ولا حيلة دبرها ابره^(١).

عاد الامير فيصل من الشام في صيف تلك السنة باربعة الاف بندقية وعشرة الاف بكرة ليجهز حملة من العرب تشترك في الزحف مع الترك والامان على ترعة السويس . فلما وصل الى المدينة سمع الخبر يستنفر من ظلال الكعبة الفرائد لمحاربة الاتراك^(٢) ، فاداع طمعا اباه الذي كان قد بدأ بتأليب جيش من القبائل تحت قيادة نجله الامير عبد الله فانظم الامير فيصل في هذا الجيش . ثم أسندت اليه قيادة جيش الشمال المشهور . فباشر عمله في حصار المدينة وتخريب قدم من سكة الحديد قرب العال ليؤخر في الاقل وصول المساعدات من الشام الى العدو .

وصلت اخبار النهضة الى سوريا فرددت صداها للاستانة . ولكن اولياء الامر هناك لم يهتموا في البدء لما^(٣) فادركوا خطاهم عندما صدرت الاوامر بالزحف ثانية على ترعة السويس ، اذ وجدوا العرب الذين كانوا قد اتكلموا عليهم يحاربون مع الاحلاف بيد انهم لم يأتوا في بداية الامر بمثل في الشمال يذكر . اي انهم لم يؤثروا سلباً ولا ايجاباً في حملة السويس الثانية .

اني في كتابتي هذه اللينة ارجع الى اربعة مصادر طالبا الحقيقة المحردة من الاهواء والتعصب . ومع ذلك اراني في بعض الاحايين حائراً بين الشهرة الاربعة . هذا بيد اني ، وطاك يكامل ، وواحد يضيف الاعمال ، وآخر يلحرفها .

(١) راجع الجزء الاول صفحة ٦٨

(٢) دليل ذلك ما جاء في تقرير امكان الحرب العامة في الاستانة المؤرخ في ٢٥ ث ١ سنة ١٩١٦ اي بعد اعلان الثورة باربعة اشهر : « قد جعل العرب على الاتراك في حذو طوله سنون كبكر متراً جنوباً بغرب من المدينة . والثورة قد بدت بسرعة ترجب الاهتمام فلا يجب ان يصدق الاخبار التي تصورها لنا انها حركة بسيطة لا اهمية لها .
خمس سنوات في تركية تأليف ليمان فن سندرس متجه ١٦٥ Cinq Ans en
Turquie, par Liman von Sanders. Payot, Paris. P. 165

فقد جاء في كتاب افرنسي طبع في السنة الماضية في باريس^(١) ان الفضل كل الفضل في انتصار العرب في شرقي الارض هو لشجوة من الجنود الانكليزية وطايور من الفرنسيين الابل . وقد قال المؤرخ الانكليزي : ان العرب في الحرب خفيقو الحركه ، سريعون ، مرنون ، لا يحملون الثقل من العدة . وهم في القتال شجعان اشدا^(٢) اما شهادة العرب انفسهم فاسجل منها ما فيه الاعتراف بفضل غيرهم . فقد اجمع من حديثهم من شاركوا في تلك الحملة وهو الامير فيصل في مقدمتهم ، على ان الفضل لهم في جمع شمل العربان في بدء النهضة والتأليف بينهم انا هو كتاب انكليزي يحسن اللغة العربية كماها ويحسن كذلك التخلف دون تكلف ياخلاقهم ، هو الكرنل لورنس . وقد اتجهي بعض من حاربوا تحت قيادة الامير فيد انه لم يكن ليأمر جنوده موة بالهجوم الا وكان هو في الصف الاول ، فاذا فات ذلك الكونت دي غنطو بيرون المتعامل على العرب والانكليز تحاملا لا يليق بافروني كريمة ، فكيف يغوته ذكر الكرنل لورنس ونو بكلمة في كتابه ؟

اني اسجل الحقيقة كماها ، فلا انسى من له الفضل الاكبر في نجاح النهضة ، وهو « الحيال » الانكليزي ، الذي لم يبعثه كثرهون من العربان وفيهم من عاشوا القاصم ونجد . قد ينسكو جلالة الملك حسين ان احدا من نجد اشترك في جهاد الاتراك ولكني اجتمعت ببعض اولئك المشطوعين فاعبروني بصراحة عرف العربي بها انهم كانوا يحاربون اولاً مع الاتراك فزاد الملك حسين الراتب فانهمازوا اليه .

(١) كيف انتصرت فرنسا في سوريا منحة Comment la France s'est installée en Syrie, par Comte R. de Contant-Biron, Paris, Librairie Plon 1923

(٢) تاريخ الحرب الجديدة الشمس الانكليزية فصل ٢٨٨ الذي عنوانه خضة العرب The Times History of the War, Chapter CXLVIII, The Arab Uprising.

وما كان امراء العرب انفسهم لم يكتفوا دائماً الى البدو . فقد قال الامير علي الذي كان في المدينة عندما وصل فيصل اليها « فاشتركا في حصارها » انه لم يتمكن بادى ذي بدء من عمل كبير لان البدو لم يلجؤوا دائماً ولم يشعروا اذا كانوا ملينين . وكذلك الامير فيصل الذي حاول متابعة الهجوم بمد تخريب مسكة الحديد عند المد ، فخرج الاتراك من حصونهم في شهر آب وحدث بينهم وبين العرب قتال خرج المدينة خسر فيه الامير خمسة من رجاله وخسر الاتراك ضعف هذا العدد ، فادروا الى المدينة وحلوا بضاهدون اشباع الشريف من اهلها ويشكلون بهم . على ان الامير لم يتمكن من متابعة ما عده نصراً في تلك الواقعة لان قواته لم تكن منظمة . وبالأحرى لان قواته كانت لا تزال من العربان الذين لا يأتمرون بغير اوامر شيوخهم وينفرون من التنظيم .

اما اندحار الاتراك في مسكة فقد اثر تأثيراً عظيماً في قوى المدو المادية والمعنوية . فتوقف جمال باشا عن شتى الاحرام في سوريا ، وامر انور قائد الحامية في المدينة ان يدافع عنها حتى الموت ، وقضاهفت الحامية في معان للاحتفاظ بخط الحديد ، واستؤنفت المواصلات بين الشام والمدينة بالرغم مما خربه العرب من الحط قرب الملا .

كذلك اوقف الاتراك الامير فيصلاً ، فانخذ لنفسه مقراً حرياً بين الملا وينبع ، ولبت ينتظر انشاء جيش نظامي يدير جيوش البدو . اذ ان الانكليز كانوا قد اسروا كثيرين من العرب وضباطهم الذين حاربوا في صفوف الاتراك ، فجاؤوا بهم الى مصر حيث بدأ التجنيد لجيش العرب الشمالي . كان اكثر الاسراء من العراق وسوريا وفلسطين قد لبوا مهلة دعوة الشريف حسين ، وفيهم من الضباط الذين اشتهروا بعدة في ساحات القتال مثل جعفر رجودت ونوري السعيد وغيرهم . بيد ان تنظيم هذا الجيش لم يتم حتى اوائل سنة

١٩١٧ ، فلما ظهر في الجواز ازداد عدد القارين من جيوش الأتراك^(١) المنضمين الى جيوش العرب .

من انكر فضل الملك حسين وانجائه في النهضة لا يستطيع اذا كان منصفاً ان ينكر قائدتين في الاقل فيها ، قائدة للاحلاف وخصوصاً الانكليز^(٢) وقائدة لعرب سوريا وفلسطين الذين اتوت فيهم مظالم جال كوامن الضعيفة والقمص ، فوجدوا في صاحب النهضة الاحقر زعيماً يبعون ، وقطب تأور فيثأرون ، ويحط رحال آمالي يحققون .

جاءوا حكاماً تقدم من مصر يقود نصراً منهم الأمير وا ، السيد علي باشا فالتصروا الى جيش الأمير فيصل الذي شرع يزحف شمالاً في شتاء تلك السنة حتى وصل الى حدود بادية التيه . وكان الأمير علي مشتغلاً في ضرب مراكز الأتراك العديدة على جانبي سكة الحديد ، فحصى بذلك مؤخر جيش اخيه الذي استولى في زحفه على خط مسافته ستون ميلاً يتد من البحر الى معان ، اما اكليل انتصارات العرب في هذه السنة فهو سقوط العقبة ودخول الأمير اليها في ٦ تموز . ولم يكن ذلك ايذكار ولا تأييد الحمن في حركة الجنود الانكليزية في هجومهم على غزة وبيرو السبع .

كان الحزبال النبي قد استلم آنذر قيادة الجيش ، فاعترف بفضل العرب

(١) قد كانت خسارة الأتراك في هذه الوقعة (وقعة فزة الثانية) ٣٨١ من القتلى و٣٦٦ من الجرحى و٢٦٢ من القارين .

ليسون فن سندرس في كتابه : خمس سنوات في تركية (صفحة ١٩٦)
(٢) بعد دخول العرب في الحرب بدأ الانكليز في ازحف على بادية سيناء (١٩١٤)
ليسون فن سندرس صفحة ١٧١

(٣) وفي الهجوم على مراكز العدو في العراق . فبدأت وقعة عزة الثانية في ٢٩ آذار ١٩١٧ واستمرت الى ٣١ نيسان وحدث في العراقي قتال عنيف في ٢٢ نيسان انكسر فيه الأتراك ونهبوا الى ناحية سامرا . هو هجوم مثلت حكام العرب الضلع الثالث فيه .

في ردعهم سرديات الاتراك التي كانت تهيء من عمان الى بادية سيناء فتضرب الانكليز في مؤخرهم . ولولم يكن للعرب غير هذا الفضل ، اي تأمين مؤخر جيش الجنرال آلفي ، لكفى به فضلاً . الا ان فوائده المعتبرة ظهرت في كل ناحية من ساحات الحرب الشرقية . فلولا تقدم فيصل الى حدود سيناء لما ضرب آلفي غرة وبيع السبع ، ولولا سقوط العقبة لما سقطت تلك البلدة على البحر التي دافع عنها الترك والامان دفاعاً يستحق الذكر والاعجاب . ولما عاد الانكليز الكرة على بغداد لولا ثقتهم بالهبة العربية ورجالها وجنودها .

جاء في نشرة من نشرات اوزارة الحربية في آب ١٩١٧ : ان خطة العرب في يداءة هضمتهم لخطة وجيزة فيها حذق وحزم ودهاء . فقد غرّبوا اقساماً من سكة حديد الحجاز ، واستولوا على مراكز الاتراك الى جانبي السكة وكانوا في اعمالهم على جانب عظيم من الجراءة والبسالة ، فيقتلون غالباً على جيش اكثر منهم عدداً واوفر منهم عدة .

وجاء في كتاب الكونت دي غنطوب بيرون^(١) : لا قصة عربية لمجرع العرب ، فهم يظهرون ويختفون كيف يشاؤون وساعة يشاؤون ، ولا يستطيعون رد الصدمات الشديدة ، بل يتفرقون ويهربون اول مرة تطلق عليهم النار . وجاء في الاعمال وهي اصدق الشهود : عندما سقطت غرة في منتصف تشرين الثاني كانت قد وصلت سرديات الامير فيصل الى ما بين عمان ودرعا ، فهدموا جسراً هناك ، وغلبوا الاتراك في واقعة صغيرة قتل فيها خمسة من العرب ومئة ونشروا من الترك ، وفسقوا القطار الذي كان متلاً جالاً باشاء ، وهو عائد من القدس الى الشام وقد كتب له السلامة .^(٢)

(١) « كيف استمرت فرنسا في سوريا » صفحة ٢٤

(٢) « وقد ساعدنا العرب في هذا الشهر المصعب » شهر تشرين الثاني ، مساعدة تذكر في مجامع على الخط بين عمان ودرعا فاقوا التقلبات بضعة ايام في الوقت الذي كان الاتراك يحاولون امداد جنودهم في القدس . تاريخ الحرب العظمى : حصة العرب

في الشهر الاول من سنة ١٩١٨ استأنف الامير القتال والمجروح . فانصل جيشه بطرف من جيش الجنرال آني في ناحية البحر الميت قرب رجم البحر ، وتجددت المعجبات على معان التي كانت لا تزال في حوزة الاتراك . ثم ادمن العرب في الغزوات شرقاً فوصلوا الى ناحية الجوف حيث كان الترك يحاولون . ففاوض ابن الرشيد في حايل يخروء بشريف . استولى العرب على قبا . وقطع العرب الخط على العدو فاستحال عليه بعدئذ ارسال التجعدات من معان الى المدينة . ذهب العرب قطاراً قرب تبوك مشحوناً بالجنود فقتلوا كل من فيه وعلموا كل ما فيه مع اربعة وعشرين ألف يدة .

قد انزلت خطة الامير فيصل في بداية هذه السنة فتصدر ظاهراً في الاستيلاء على معان ، ولكنه اراد في اشغال الترك هناك ان يستولي على بقعة ارض خصبة في شرق الاردن وهي الكرك . فارسل شراذم من جنوده على معان بدأوه من الهجوم والمفاجآت ، وساعده الجنرال آني باساق من الطيارات على البلد . قد غم العرب في هجمتهم دفين جليلين ، وغنائم عشر مدافعاً رشاشاً ، وغنائم بندقية ، ومشي وأمن من الخيل ، واستولوا على جوف الدرويش فأحاطوا بالعدو ومنعوه من ارسال تجعدات الى المراهطين من الاتراك في الكرك .

كذلك تقدم الامير ، وهو امين من القدرة الى محجته فقسم جنده قسمين قسماً مشى من العقبة فاجتاز خط الحديد شمالاً ورد العدو الى مركز بعيد خمسة اميال من معان ، وقسماً مشى من وادي موسى فأخرج العدو من مراكزه في الطريق حتى الطفيل التي هي على مسافة ثمانية عشر ميلاً من البحر الميت . فلما سلت حامية الطفيل اضطرب الاتراك في الكرك وخرجوا باحد عشر طابوراً وبعض الحبال والمدايع يستعيدونها ، فاقى الفريقان في ٢٦ كانون الثاني على شاطئ سيل الحسا ، وهي على مسافة احدى عشر ميلاً شمال الطفيل ، فانهمز الاتراك وكسرت خسائرهم اربعمئة من القتلى وثلاثمئة اسير .

لم يقف الأمير فيصل عند هذا القوز ، بل استمر زاحقاً حتى وصل بعد يومين الى البحر الميت ، فحضر جيشه مركزاً للترك هناك ، فاغرق مركباً حربياً صغيراً وعدة سنايك ، وغنم كثيراً من الجيوب ، واسر عدداً من الجنود . ثم اعاد الأمير تنظيم جنوده ، بعد ان ثبت قدمه على شاطئ البحر شرقاً ، ليواصل الزحف على الكرك . وكان الجنرال آلبي قد استولى على اريحا ومعه مجنوده الاردن فتقدم نحو عمان . لا شك ان الهجوم الانكليزي شرقي الاردن كان عوناً للأمير في ما سعى اليه . وكان من حظه ايضاً ان الطائرات التي جاءت لتساعد الجنرال في زحفه الى عمان ساعدت كذلك العرب في زحفهم على الكرك التي استولوا عليها في ٧ نيسان ، فقطعوا عن الاتراك في ملن مورد تموين مهم .

وقد كان في الكرك مئات من الارمن المنكوبين ، الذين ساقتهم مظالم الاتراك الى تلك الجهات ، فلقوا في الأمير وجنوده المظف الجلم ، بل كانت ايدي الاحسان تتبارى في انقاذهم من البؤس والجوع .

بعدئذ في ما يخص جميع البلاد ، فأرسلت ثلاثة طوابير من جنود الجزائر والمستعمرات لتشارك في الدفاع عن ترعة السويس في الهجوم على فلسطين . وكانت قد باشرت في اوائل عام ١٩١٧ انشاء القوة الشرقية من متطوعي الارمن واليوريين ، فنقلت الى ساحة القتال بعد فتح القدس من كانوا منهم يشرفون في قبرص ويورت - ميد .

يرد ان هذه الماسكر التونسية والجزائرية والسورية التي رافقت الجيش الانكليزي لم تشارك العرب في شرق الاردن بشي . يذكر . اما الضباط الانكليزي والفرنسي فليس من يتذكر ان بعضهم رافقوا الجيش النظامي وساعدوه في تنظيم العربان وتحريضهم على القتال .

صكان عدد من انضم من البدو الى الجيش السوري بناهز المئة (١٠٠) ، اما الماسكر النظامي فلم يتجاوز الحصة آلاف ، وكان ضباطه كثيرين ولا غرو بالنسبة الى عدده . غير انهم لم يبقوا عشر ما ادعاء ساعة الفرنسيين المتعاملون على العرب ، المشتهرون بهم في الصحافة وفي مجلس الامة (١) . وقد فاتهم ان عدد

(١) خطب الوميو اينال M. Lénail في مجلس النواب الافرنسي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ قال : « وما هو الجيش العربي ؟ اربعة الاف جندي يرأسهم سبعة قائد والاب وثلاثة من الضباط . . . ولم يعاد العرب مرة واحدة وحدهم . بل صحتانوا دائما محاطين بثلة من الانكليزي او الفرنسي . . . وعندما كانت نطاق المدامم كانوا يفرزون عشرين (٢٠) . . . لم يتسروا غير مرة واحدة عندما اخذوا البلدة الصغيرة معان . او شرفون كيف اخذوها ؟ كانوا على مسافة خمسة او ستة كيلومترات عنها فقتلهم الملازم يتراني بنة اربعة صبرة عددها مئة واربعون رجلاً فهجموا على القرية واخذوها وصلوها الى العرب . »

من كتاب : كيف استقرت فرنسا في سوريا ، النصل الثالث صفحة ٤٤

(٢) « في مدة سنتين من الحرب اخرج العرب الترك من الحجاز ، ومن سواحل البحر الاحمر ، وغربوا قوماً كثيراً من سكة الحديد ، وقتلوا واسروا اربعين ألفاً من احسن جنود الدولة العثمانية . » نادرين الحرب العظمى النصل العدة : حصة العرب

الضباط ، في مثل هذه الحال ، يجب ان يقاس بالنسبة الى عدد المقاتلين كلهم لا بالنسبة الى الجنود النظامية فقط .

اعود الى الحوادث . بعد شهر من سقوط الكوك في حوزة الامير اي في ٨ ايار ضرب العرب محطة القطرانة وامسروا عدداً من التوك ، ثم بعد اسبوع هجروا على الحسا فأخذوا قتلوا سكان هناك ودمروا غنماً من المدة والذخيرة . ولكن العدو اخرجهم بعدئذ من الحسا فتهقروا جنوباً وهم يحرقون في الجسور والحطاب^(١) .

وكانت ترددات قوات التوك بعد هجوم الانكليز على السلط وعان . فالقيادة العامة في القاهرة ، عندما وصلتها تلك الاخبار - وصلتها مؤخرة لان العرب كانوا عامين بتقطيع سلك البرق والتلفون - اصدت الاوامر بالجماد الحامية في عمان وبثقل الجنود من الشام وحلب الى درعا ووادي اليرموك . يصح ان يقال ان اشد ايام القتال على العرب كانت في صيف هذه السنة ١٩١٨ وقد ظهرت نتيجة النجاحات في تهجير الانكليز من عمان والسلط الى غربي نهر الشريعة بعد واقعة الاردن الثانية .

على ان هذه المؤرخة لم تثبط من عزم العرب بل حملتهم على استئناف الهجوم والقتال . وكانوا في شهري ايار وحزيران يزدادون قوة بما جاءهم من المعسكر النظامية الجديدة من عراقيين وسوريين وفلسطينيين . حتى انه بينما كان شبه هدنة في ساحات الحرب غربي الاردن في شهر حزيران ، كان العرب بقيادة الامير فيصل وقواده يواصلون الهجوم والتزو والقتال ولكنهم ردوا عن عمان خاسرين مرارة ، وخصوصاً في ٢٢ تموز عندما هجموا على محطة قربها فكانت خسائرهم عشرين ضابطاً ومئتين من الجنود . سكان نوري باشا

(١) « من اول شهر ايار الى التاسع عشر منه خرب العرب نخبة وعشرين جسراً »
ليون فن سندوس في كتابه (خمس سنوات في تركيا)

السعيد^(١) في تلك الناحية عين الحركة ويدها . فحصل في اواخر آب بالفين من الجنود النظامية وخمسة من البدو عشرة مدافع حلة على عمان استطعنا بعد قتال عنيف في حوزة العرب .

وصلت هذه الاخبار الى الشام فاستيقظت فيها الروح العربية الراقدة ، وطلق الناس يتهامون متبشرين بالتصحر القريب . بل حام بعض العرب حول المدينة وفيها ، مشرين بقبض ، رافعين علم الحجاز المربع الالوان . وشمرت تتحرك وراء الاسرة وتحت الحبيب تلك السياسة التي كادت تقضي عليها مظالم جمال وقضايمه ، فاتصل بالاستانة خجها « فصارع اولياء الامر هناك الى اصلاح الامر . اوسلوا بمرضون على القائد الالمانى الحزول فن سندرس الحكم في سوريا عليهم بقادرون بذلك تلك الروح النافرة منهم وبسبب ضوئها . واسكنهم ابطالوا في ما اهتموا اليه من الحكمة الموهومة وغدا الحزول في ذاك الحين اشد اهتماماً بالحرب منه بالحكم .

صدرت الاوامر بالمهجوم العام في ١٩ ايلول ، فتحركت الجنود البريطانية في خط طوله ثمانون كيلومتراً ، تمتد من الساحل حتى نهر الشريعة ، ولم تقف الا بعد ان اخراجت الالمان والأتراك من فلسطين والجليل . وجاء العرب من

(١) توري السعيد ولد في بغداد في سنة ١٨٨٨ ودرس في مدارسها ، ثم في المدرسة الحربية بالاستانة ، فخرج سنة ١٩٠٩ برتبة ملازم ثاني والتحق بالفيلق السادس العناني في بغداد . وفي سنة ١٩١٠ دخل مدرسة اركان الحربية في الاستانة واشترك في الحروب البلقانية . وفي سنة ١٩١٣ على اثر اعتقال عزيز بك من قبل الاتحاديين ترك المدرسة عارياً من عقاب الديوان الحربي وسافر الى مصر ومنها الى البصرة . ثم التحق بشريف مكة سنة ١٩١٩ وحاز على رتبة زعيم ثم امير لواء ، وظفر بالادوية العربية الماشية كلها . وبومام الحرب الافراسي والانكليزي . وقد وافق الامير فبصلا الى اوربا وخرج مع الملك فيصل من سوريا ، فجهأ الى العراق سنة ١٩٢١ وتقلد رئاسة اركان الجيش العراقي . ثم في سنة ١٩٢٣ نعين وزيراً للدفاع في وزارة صهره جعفر باشا العسكري .

شرقي الاردن يسوقون امامهم ما تبقى من الجيش الرابع حتى قريبا من درعا . وكانت مفرزة النصر بقيادة جودت بك^(١) في طليعة الجيش فضربت الاتراك في درعا في ٢٨ ايلول فهزمتهم واسرت منهم عددا كبيرا من الضباط والجنود .

وبعد يومين ، في ١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ، دخل الامير فيصل على رأس الجيش العربي الى الشام ودخلت سريرات من الجيش البريطاني الى بيروت^(٢)

(١) « كان جودت بك البغدادي يعود هذا الطابور الذي لم يشه اوز عدده الالفه وفيهم ثلاثون من الجنود الهندية » ذكر سكاه « وثلاثة وثلاثون من المصريين ومعهم الملازم ييزالي وبضعة عمالكر من (فرسيير) . وكان من مهمة هذا الطابور ان يغرب خط الحديد في درعا . فنجح بفضل الملازم ييزالي الشجاع الذي اشعل بده القنبل المستند على الحديد تجاه القبة الحجازية . اما العرب فتشتتوا فاورين عندما حدث الانفجار . »

الكونت غنطو يهودن في كتابه (كيف استقرت فرنسا في سوريا)

الفصل الثالث : صفحة ٢٥ .

وقال الجنرال كريس فون كريستنباين الالماني الذي كان قائد المقتعة الثمانية في حرب سينا ، للامير عادل ارسلان ، قلله الامير عادل في مقال له في « ملوك العرب » :

لولا الثورة العربية لا استطاع الانكليز دخول فلسطين لان الجنود الذين كان العرب يشغلونهم من درعا الى المدينة كانوا اكثر عددا من جنود جيشنا الفلسطينية . ودخلت الجنود العربية الى حمص في ١٥ تشرين الاول ، والى حماه في ١٦ ، والى حلب بعد مقاومة شديدة في ٢٥ من الشهر عينه .

بل سبع ضربات مذهبية ، وفي كل ضربة سبع ضربات وطنية . ثم جاءت اللجنة الاميركية تستفتي هذه الامة المنكوبة فزادت بنكبتها - بسوء سياستها . اضاف الى ذلك كله وعود الاحلاف وعهودهم السرية وما فيها من لغلاص كنهه الاخطار فاذا ما زالت الاخطار زال . ثم حقوق العرب والوحدة العربية وما فيها من احلام تجلت ساعة المصافة كقوس قزح في سماء الحرب العظمى فندت بعدها كالجناح في مساء الامل .

انك اذا تصورت هذه الحالة العجيبة في شكل دائرة نقطتها البلاد السورية وروح النقطة وجباتها الامير فيصل ، ثم ثقلت السياسات التي ذكرت تحوم حوفا وحوله تارة ، وغلورا تجري كالضباب المنكرب تحتها وفوقها ، دون حجة تعرف ، ودون قصد غاير يدرئ ، بانك انك الصعوبات التي يتندر مثالا في حياة رجل واحد حرم دكتين من اركان العظمة السياسية وهما الامة المتجدة القوة والتقليد الوحي الحلي . لا اثن ان صعباً من صكار ساسة الاوربيين الذين يستدون قواهم ايان المواصف من امة حرة متحدة وقومية مجردة من التفرعات الدينية والعرش ، يود ان يكون مكان فيصل في ادوار حياته السورية .

دخل الامير الشام دخول الظافر المحبوب ، والمنفذ المطلوب ، فاحتلت جيوشه العربية ومعهم بعض اجنود الانكليزية البلدان التي فتحت لهم ايوابها وقاويها مهلة موحجة . ورفع العلم العربي المربع الاوان فوق دور الحكومة من السويداء الى حلب ومن دمشق الى بيروت ، فاضطربت على السواحل وفي لبنان اقوام ، وطوبت اقوام .

على ان العرب في بادئة امرهم اخطأوا مرتين حريياً وسياسياً . فقد اخطأوا في قتلهم الامير عبدالقادر الجزائري واخطأوا في انفاذ شكري الايوبي الى بيروت ليحكمها باسم الملك حسين . فاعتمدت ان ظهرت في

المدينة العقدة السياسية التي حجبتها عن عيون الناس برفق الترحيب وازهار
الفوز والتعجيد . اجل ، قد امتدح المسلمون انفسهم من هذا العمل لانهم
كانوا يفضلون ان يقام احكاما من المدينة نفسها ، كذلك يفعل الفاتح الحبيب
الحكيم . ولكن الحكم العربي لم يدم اكثر من اسبوع ، امر الايوبي برفع
العلم العربي فوق السراي في اليوم الثاني من تشرين الاول تم امر في اليوم
التاسع باتزاله^(١) . وكان القائد الفرنسي الكولونيل بيا باب^(٢) قد وصل
بجنوده الى المدينة فخرجت اذ ذاك السياسة من مبرها العربي الى انوارها
الدولية والمذهبية المتعددة .

ان النتيجة في ذلك اعلى الاحلاف اصحاب اليهود السرية ، والمطامع
الاشعرية ، والوعود العرقية . اليك من فعلاتهم اثنتين ليس يدها غير شهر
واحد من الزمان . الاولى منشورهم الذي نشر في ايلول قبل احتلال البلاد
السورية ، والثانية بلاغهم في الشهر التالي اي بعد الاحتلال ، ذاك البلاغ
الذي ينقض كل ما في المنشور .

اني الحق ما أعلن قبل الاحتلال في ما يلي : ان الغاية التي من اجلها
تحارب انكليترا وفرنسا في الشرق هي تحرير الشعوب المرازمة منذ زمن
طويل تحت ظلم الاتراك تحريراً تلياً عاجزاً ، وانشاء حكومات وطنية تستند
موتها من اهالي البلاد عملاً بأرادتهم ، ووفقاً لاختيارهم الحرة .

اما البلاغ الذي اصدره الجنرال بُلَس^(٣) المتعلق « بادارة اراضي العدو

(١) لم نعلم الحقيقة في هذا الایجاز . فقد رُفِع العلم في حفلة رائعة وحسان من
خطباتها بعض رجالي الدين المبرزين ، والاحمل من ذلك ان البلد التي رفعت به اعنت
اثنين من الشهداء . وخطبة احدث في الانسة فاطمة المحمدية .

اما الذي امر باتزاله فهو قائد جيش الاحتلال الاسكندري . ولما رفض الايوبي
ورفض كذلك رئيس البلدية ومدير الشرطة ان يتولوا العلم اُرسِل القائد بعض الجنود
الاستراليين فانزلوه في الساعة الثانية بعد نصف الليل .

Le Colonel de Piépage (٢)

Major Gen. Sir G. L. Bol (٣)

المجلة « المؤرخ في ٢٢ تشرين الأول فهو يقسم البلاد السورية الى ثلاث مناطق على الطريقة التي قسمت سابقاً في معاهدة «سبكس - بيكو» وهي المنطقة الجنوبية اي فلسطين - ادارتها انكليزية . والمنطقة الغربية اي السواحل حتى الاسكندرونة - ادارتها فرنسية . والمنطقة الشرقية من حلب الى دمشق - ادارتها عربية .

لم يكن في هذا البلاغ ما يرضي احداً من اصحاب المباداة والمصالح في هذه البلاد . لم يرض الانكليز ، وهم يصدرونه مكوهين ، لانهم لا يرتبون بالفرنسيس في سوريا . ولم يرض الفرنسيين لانهم طاهون بالفرنسية حكاهما . وكانوا يضايقون الرجوع الى معاهدة «سبكس - بيكو» التي تضمن لهم اضاف هذه المنطقة مساحةً وأهمية . ولم يرض العرب لان البلاغ سلبهم بلاداً هي جزء حي من البلاد العربية .

بعد اعلان هذه الخطة الادارية اضطربت دوائر السياسة في الشام . وكان قد اتفق الامير فيصل واولياء الامر من الانكليز ان يسافروا الى باريس ليشل العرب في مؤتمر «موراي» . فزل الى بيروت وفي مينة الكوئل لورنس ، فدخلها مثلاً دخل دمشق زعيماً محبوباً وكان له فيها استقبال فائق استقبال الدمشقيين رونقاً وبهاء . نزل الامير ضيفاً على الجنرال بلغين^(١) قائد الفرقة البريطانية الحادية والعشرين ، واقام في المدينة ثلاثة ايام ، وصرح قبلي سفره انه يطالب باستقلال المناطق المحورة بمساعدة الاخلاف من حكم الاتراك ، وانه ذاهب الى باريس لهذه الغاية .

وفي ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ انجز من بيروت ، فاستقبل في مرسيليا استقبالا رسمياً ، وما كاد يصل الى باريس حتى امتطالت شهرته العربية الى شهرة اوروية ، بل الى شهرة حملها برق على اجنحة الصحافة الى اقطار العالم المتحدن كافة .

كان الأمير في باريس قطب دائرة باهرة من دوائر السياسة . ولا غرو ، فهو اطلعت في مقابلاته ، مؤنس في مجلسه ، مقنع في حديثه ، فأدهش حتى الصحافيين . لا اظن ان الصحافة اجمالاً عطفت على قضية من قضايا الحرب عطفتها على القضية العربية وحامل نواياها .

وقد اعجب بالأمير كثيرون من السوريين اللبانيين الذين كانوا يقاومون سياسته العربية بحياة لثانية افرنسية . وجاء باريس وفود من سوري أميركا ليعاثوا رسمياً انهم من انصاره . فكان والحق يقال موقفاً في انصاره ومريديه أكثر من كبار ساسة ذلك الزمان .

ثم جاءه فاضل أميركي يفتح باب الأمل الأكبر ، الأمل الجديد الأبر ، فتمثل الأمير القوز بواسطة أميركا اذا خذلت انكلترا ، ورحب بمساعي رئيس الجامعة الأميركية السابق الدكتور هارود بليس الذي كان يعتقد ان الحكومة الأميركية تقبل الانتداب في سوريا اذا طلب ذلك السوريون .

هوذا الأمير قبضل تتجاذبه العوامل السياسية العديدة . يحوم حوله الزعماء ويتزلف اليه الأمال الماثمة ، وتشع امامه مصابيح الصحافة ، وتجلس لديه عرائس الشهرة والاعجاب ، وتمس في اذنه المقاصد الدولية كالت لها كل يوم معنى جديد . ولكن في باريس ، تحت عين الحكومة الافرنسية ، وفي ظل ابتسامة امة نبوغها في تهكمها . بيد ان هذا النبوغ لا يشل دائماً حكومتها . فقد أحدث وجود الأمير في باريس ضجة ازعجت تلك الحكومة ، فصرح في ٢٩ ك ١ المسبوريشون ناظر الخارجية يومئذ بان فرنسا حقوقاً تاريخية وشرعية وادبية في سوريا لا تتنازل قطعاً عنها .

وكان الأمير لا يزال ينتظر الاذن بالتدخل الى مؤتمر السلم فرقع اليه بعد يومين عريضة فيها الجواب بما يلي من المطالب على تصريح ناظر الخارجية .

طلب الأمير :

اولاً - استقلال سوريا الداخلي التام مع مساعدة اخصائين من الاجانب

تختارهم وتستخدمهم الحكومة السورية . اما الامور الخارجية فتكون متصلة بامور الحجاز ، اي ان تكون حكومة الحجاز والحكومة السورية حكومة واحدة في الامور الاجنبية .

ثانياً - تشارف على العراق والجزيرة دولة من الدول المتنامية .

ثالثاً - استقلال الحجاز مقرر ومعترف به .

رابعاً - اما في اليمن وفي نجد فتدير شؤون كل منهما حكومة مستقلة يكون لها اتصال مباشرة مع الحجاز^(١) .

خامساً - فلسطين مثل العراق تقبل بوصاية اجنبية .

قد حاول الامير في هذه العريضة ان يوفق بين سياسة التكتل وسياسة جلالة اميه ولم يفضل فرنسا تماماً . فهو لم يذكر لبنان اعتباراً لما تقدمه فيه ، واحتراماً لاماني اهاليه . ولكنه عندما طلب ان يدخل المؤتمر ممثلاً خلاله اميه آتت الحكومة الافرنسية ولم تقبل ان يحضر الجلسات الا بصفته قائداً من قواد جيوش الاحلاف . فدخل بهذه الصفة رارتقى في مطالبه الى الوحدة العربية التي تشمل الاقطار العربية كلها من جبال طوروس الى اليمن ومن الموصل الى حضرموت .

اما في سوريا فالرقم من بلاغ الجنرال بلس ويصح ان اقول بفضل ذلك البلاغ فكانت الاحوال ترداد خللاً واضطراباً . وماذا سوى ان يوجب من العوامل الثلاثة في الجيوش الثلاثة ، والادارات الثلاثة فقد كانت السياسات الرئيسية تتجاوز الحدود الجديدة اما جهلاً من اولياء الامر واما عفواً واما عدواً ، فتصدم في كل حال الادارات والمصالح وهي في حال الالتهاق . بل

(١) هي فكرة الملك حسين الذي يريد ان يكون الاتصال بواسطة الوزارة الخارجية اي ان الحكومة الحجازية تمثل في الخارج الامارات العربية كلها .

راجع فصل المائدة صفحات ٢١٠ - ٢٢٢ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

كانت البلاد كلها في تلك الايام مليئة بالمواد المتفجرة ، وكان كل من تحرك فيها عن له شيء من السلطة يحمل على لسانه وببده النار والكهوية . فلا عجب اذا تعددت فيها حوادث الانفجار .

احتل العرب الطاحكية فجاء الفرنسيون يخرجونهم منها ، فرفع فيها الممان الافرنسي والبرني ، وكانت فيها ضجة من جراء ذلك ما بين ١٩١٤ والمسيح . احتل جيش انكليزي الاسكندرونه فجاء الفرنسيون من البحر يمتنعون عليهم ، فرفع فيهما الممان ، وتخاصم تحتها الفريقات . جاء المتدرب السامي الموسيو جورج بيسكو^(١) الى الجزائر آندي^(٢) ذات يوم بمنح باسم الحكومة الافرنسية في امر من الامور فقال الجنرال : اننا لا اعرف لا حكومتك ولا حكومتني . اننا لا اعرف غير الوزارة الحربية . وتدرست الاحقاد من الكمار الى من درينهم ، فكانت المناقشات بين وكلاء الانكليز والفرنسيين فقال من قبة الاوروبيين في عين الاهالي مسيحين كانوا او مسلمين .

أطف اليها تلك الضغائن التي ولدتها الحرب ونشأت بين جنود الامتين في الحنادق ، فانطلقت الى ساحة الميامة في الشرق الادنى وكان اهل سوريا فريسة شرورها . ثم الدساتر العربية على الفرنسيين والتجسس لهم ايضاً بواسطة اناس من السوريين اعدوا يوماً من حكايات الوطنيين . ثم دساتر المسيحيين على العرب وكانت مصادرها تلك المقامات العالية المحترمة ، مقامات الورع والتقوى . ثم صيحات الفرنسيين انفسهم واحتجاجاتهم المتواصلة المتعددة على الانكليز ، وعلى العرب ، وعلى الجيش الشريفى ، وعلى القيادة العامة ، وعلى الاميركيين والجامعة الاميركية ، وعلى كل من قاومهم سراً او علناً او رفض ان يعترف بمحقوقهم « الادبية والتاريخية والشرعية » في البلاد .

Georges Pléat (١)

General Edmund Allenby (٢)

انها حالة حرجية عزنة يندد نظيرها في العالم . وأدعى منها الى الحزن انهم جاءوا الى سوريا فارغى الوفاض يطالبون بهذه الحقوق . جاءوا يستطون سيادتهم في البلاد دون ان يبذلوا شيئاً في سبيلها ، او يستطيروا في الاقل ان يحفظوا النظام فيها . فلم يكن لديهم في السنة الاولى من المال والرجال والجنود والاعنثة ما يكفي لحكم مدينة صغيرة ، فعارلوا الاستيلاء على المنطقة القريبة منطقتهم تا تبقى من الفرقة الشرقية وببضع مئات غيرها من الجنود فاسقط في ايديهم ، وحفظوا في عيون مرديهم .

ان ضعف الفرنسيين ، والحق يقال ، وقصر ذات يدهم بالنسبة الى ما كانوا يدعون ويطلبون ، لمن الاسباب الاولى في تلك الاضطرابات . ومن تلك الاسباب ايضاً جهل اولياء الامر من العرب ، جهلهم السياسة الدولية ، جهلهم طباع الاوروبيين ، جهلهم التاريخ ، جهلهم حتى خطة الانكليز في اطاعتهم ، تلك الاطماع التي قيدها وودهم في الحرب فاضطرتهم الى السياسة السرية في تشييط العرب تارة وعلواً في تشييطهم . ومن اسباب الاضطرابات ايضاً تعدد الحكومات في البلاد ، فكان فيها اولاً القيادة البريطانية العامة ، ثم الانتداب الفرنسي مدعوماً بشرذمة من الجنود البحرية ، ثم مجلس ادارة لبنان ، ثم الحكومة العربية ، ثم رجال الدين والاعيان .

والكل سارعوا كالاولاد الى تبوء كراسي السيادة والمجد . فقد تسرع الفرنسيين في تعيين وحللا لهم في الشام وحلب كما تسرع العرب في تعيين حاكم عربي في بيروت . وكيف لا والقيادة الانكليزية العامة صاحبة الامر رسمياً في البلاد ، فلم تعترف حتى بالمندوب الفرنسي السامي الا كاستشار سياسي لديها . فاذا عي ان تكون اللائق بين مستشارين صغيرين . ان وجود الكومندان كوس^(١) يوشفي في الشام والتكولونيل بيشون^(٢) في حلب

Le Commandant Cousse (١)

Le Colonel Pichon (٢)

لما زاد الحالة شدة وتمقداً .

بدأ الثوران يتفجر في اواسط حكانون الثاني سنة ١٩١٩ . اذ عندما علمت الشام بتصريح المسير بيشون في ما يتعلق بفرنسا وحقوقها في سوريا ضجت المدينة غضباً واحتجاجاً ، وكان النادي العربي رأسها ولسان حالها . فأضرم في الجرائد نار العداء للاجانب ، وبعث الخطباء في انحاء البلاد يحرضون الوطنيين على التظاهرات ضد الاحتلال والانتداب ، وخطب خطيب في الجامع الاموي يدعو الناس للتجند دفاعاً عن الوطن .

في هذا الشهر ايضاً القى المسير بيكو خطاباً في دمشق جاء فيه ما فهم منه ان قد تم الاتفاق بين الامير والحكومة الافرنسية بشأن سوريا . فغضب لذلك المسيحيون وهم يظنون ان فرنسا تفضل المسلمين عليهم وقد تقادي بهم في سبيل السياسة والمصلحة . فاصححت فرنسا في ما صرح به وزيرها ومنادوها لترضي احداً ، لا الخصم ولا الصديق .

ثم خطب في سراي بيدا رئيس الوفد اللبناني الاول داود حمون مفصلاً عما كانت نتيجة مساعمه في باريس فقال : « ان بين لبنان وسوريا علاقات تجارية ، وصلات متينة ، تستوجب الا يفصل الشقيق عن شقيقه . فاجتمعت حكومتنا ، كلمة الوفد على وجوب انضمام الاثنين تحت لواء مراقبة واحدة » .

فجاء كلامه ضمناً على ابالة . قال زعماء العرب : ان الحكومة الافرنسية تروم احتلال سوريا بواسطة اعدائنا اللبنانيين . واتفق ان يوم خطب داود حمون خطبته عقد اجتماع في دمشق احتجاجاً على تصريح المسير بيشون ، فعقب عليه المدن السورية الاخرى ، وحدثت اثناء هذه التظاهرات في ٢٨

شباط سنة ١٩١٩ مذبحة الارمن في حلب .

لا حاجة ولا مجال ها هنا للنظر في تلك الحادثة المؤلمة . بيد انه من المؤكد ان لو سكان في المدينة حكومة متيقظة منتظمة ، عربية كانت او انكليزية او فرنسية ، لما كان من الارمن يحمل بعض العرب المسلمين على المفاداة لسمعتهم الطيبة ، خصوصاً بعدما سكان من احسان الامير فيصل وجنوده الى منكوبي الارمن في الكرك .

الفصل السابع

لجنة الاستفتاء الأيركية

نظر بات المصنعين وحاصل الأمر = كمينصو بقتصره الثالث الخان سوريا ولبنان
= الأمير يرضى لرحم أبي سوريا = امتان متباينان في الكرامة = نظرية تستقره
= الرئيس ولسون خاضع ومطوق = فيصل في قبة الاحلام = اما تفليس من امتير
= الاستقلال يأخذ لا يعطى = الاستقلال التام التاجز = العمل كرامة سوريا
= الرقعة اللبناني لدى الأمير = تصريح بخصوص لبنان = الشروط التي عرضها
عبدل جوردن ييكوي في ١٧ ايار = البطريق الماروني يسافر الى باريس = عباد
البطريق يعيد كتاباً من كليمنصو = الوحدة السورية والوحدة المتحدة = لجنة
الاستفتاء برؤساسة فيصل ان تقاموها = مسائل الديمقراطية = اللجنة تذهب
فراسا = الضرر بالهجرة العربية = رمان النورث كني = حروب المفاخر السريانية
من سوريا = رجوع الأمير الى أوروبا = وحدة عربية مداحة = نفسهم لا يندم
= احتياط بلوند .

كان الأمير محترماً مكرماً في مؤتمر فرساي ، وكان كذلك الرئيس
ولسون . ولكن السياسة الدولية لا ترضى آداب الاجتماع ، ولا تبها فروض
التكريم ، فلا تلك نظريات المصلحين واماني الوطنيين من مصالح الأمم .
قد سقت واسون ، تلك السياسة ، الحل والمر بعد ان شاورت صائفة في
اكرامه ذلك الاكرام الفريد المجيد . وكانت ارفق حالاً بفصيل . وكيف
لا وقد عرض احد اساطينها في تلك الايام على الأمير العربي بعض بنود فيما
تضمن فرنسا استقلال سوريا تحت امارته ويشاركتها في بعض الامور
الاقتصادية والاقتصادية . وتضمن كذلك استقلالاً نوعياً للبنان الى انه
يقم الاتفاق بينه وبين سوريا .

ولكن الأمير رفض ما عرضه الوزير الافرنسي الموسيو كليمنصو وعاد
الى سوريا لينشجر حكماً قال الامة . سافر الأمير الى فرنسا على المدرعة
الانكليزية « غلاستر » وفي معيته الكرنل لورنس^(١) وعاد الى بيروت على

المدرعة الافرنسية « ادغار كينه » وفي ميته الكولونيل تولال^(١) اثنان تباريان في اكرامه ، اثنان تقاسروا الى خطيب واداه ، اثنان تسيان في تعزيز سياستها في سوريا والبلاد العربية بواسطة .

اني متيقن انه ، لولا امر واحد ، لكان قد اختار احدهما في سفرته الاولى الى باريس ، بل لكان قبل كل ما عرّضه عليه الموسيوكليمنصور . امر واحد تحلل مقتوله واضرف فيه القوة الحاكمة . امر واحد هز منه القلب والخيالة واشعل فيهما مصباح امل هو اقرب الى الاحلام منه الى احكام الايام . فخدع الامير وخدع غيره من هم اكبر منه . اجل قد خدع به احد « الثلاثة السكار »^(٢) الرئيس ولسون نفسه . وهو الذي خدع الامير ، كما خدع غيره من الناس ومن الامم والشعوب ، بما كتبه مظهراً لسياسات الدول كلها وبلداتها بطروح الامم جماء .

« تقرير مصير الشعوب » - « حق الشعوب بتقرير مصيرها » انها الكلمات فاتنة ! ولكنها لم تكن تستطیع ان تحدد الامير لولا مساعي هارود بليس في سبيلها . ولا اظن ان ما صورده وتصوره الدكتور بليس ، وما ضج به سورير الموهب ، كان يفتح الامير كل الاقناع ، ويجعله على عمل يخالف الحكومتين الانكليزية والافرنسية لولا - وما هنا رأس الحدة واكليها - لولا اللجنة التي طلب تشكيلها الرئيس ولسون لتسقي الامة السورية . فمن من الناس لا تحده هذه المناورات السياسية ، ولا اخرى هذه النظريات والاحكام من رئيس احدى الامم العظمى ، بل اعظمها في تلك الايام .

ناد الامير الى سوريا وفي صدره ولا ريب امل بالتخلص من الحكومتين .

(١) Le Colonel Toutal

(٢) اي الذين اداوا مؤثر فرساي وهم وودرو ولسون وجورج كليمنصور ولويد جورج .

Woodrow Wilson, Georges Clemenceau. Lloyd George.

الانكليزية والافرنسية « بل في صدره امل بتحقيق امانيه الوطنية العربية بواسطة الحكومة الاميركية . وصل الى بيروت في ٣٠ نيسان وكانت الامة تنتظر قدومه وهي تنفث شيقه الى اخباره وتصريحاته . تركها منذ خمسة اشهر وآماله راقدة ، فباد اليها وآماله تنرد في نفس الاحلام . تركها ايها عربياً قد يفلح وقد لا يفلح في مساعيه ، فباد اليها اميراً خطيراً ، اوسع شهرة ، واعظم ثقة بنفسه ، وارفع مقاماً . فاستقبل في بيروت استقبالاً ملكياً تراسه القائدان الافرنسي والانكليزي فيها وخطب في الناس فادعش الناس

« الاستقلال يؤخذ ولا يُعطى . . . حرية الامة بيدها . . . لستم متحدثين فنجيا حياة عزيزة . . . الاستقلال التام في الاتحاد التام » . ثم قال اكراماً للفرنسيين والانكليز : « لا انكر اننا في حاجة الى المساعدات المادية والاقتصادية والعلمية . ولكننا سنطلب هذه المساعدات باجرتها ، سنستخدم الحكومة الاخصائيين من الاجانب وتدفع رواتبهم من مال الامة » .

وقد كان الامير اشد لهجة في دمشق : « الامة السورية تروم الاستقلال التام التاجز ولا تقبل بغيره بديلاً » . فردت الشام ومدن سوريا صكافة صدى هذه الكلمات : الاستقلال التام التاجز !

وصل الامير قبل اللجنة الاستثنائية الاميركية فبشر بقدمها ، وحث الشعب ان يطلب الاستقلال التام بدون شرط ولا قيد . - « برهنوا على انكم لستم كائنات قواع وتشتري . . . الاستقلال بدون حدود البتة . الحرية بدون قيد اجنبية . . . من يطلب فرنسا او انكلترا او اميركا او ايطاليا فهو ليس منا » .

ثم زار المجلس التشريعي في ٧ ايار فوجه به اعضاؤه ونادوا به زعيماً - الزعيم الاكبر ! - « لك الامر وعليك بعد الله الاتسكال » . ووقف ثوري الشعلان يعاهد بالطلاعة والولا . : « حنا كلنا عرب الرولا اطوع لك من

عينك ، ومن لا يكون مثلنا ليس من دين الاسلام . »

وفي هذا الشهر تنازل الامير عن الحطة السياسية التي كان من شأنها ان تربط سوريا بالحجاز بل تجعلها تابعة لحكومة والده ، قبل جلالة الملك حسين ذلك حباً بما بدأ يبلور من الآمال ، فارسل الامير الى مؤتمر السلم يقول ان الحجاز لا تعرض ان تكون تابعة سياسياً لسوريا . وقد قال لي جلالة الحسين هذا القول مراراً .

اما في ما يخص سوريا نفسها فقد صكان انفصل رأي في تقسيم البلاد الى مقاطعات ، وفقاً لحالاتها الطبيعية والعرقية والذهنية ، صرح به خصوصاً للوفد اللبناني الذي جاء الى دمشق ليهنئ بعودته سالماً من باريس ، ول يؤكد له ان فريقاً كبيراً من اللبنانيين يشنون الانضمام الى سوريا فأفرحب الامير بهم وخطب فيهم خطبة بلغة فقال : « انه يجب ان يضم الى لبنان القسم اللازم الوالي لحياة اهاليه الزراعية ، فيستفيدون من توسيع ارضهم كما تستفيد هذه البلاد من ذكائهم ونشاطهم . . . اقول بكل حرية ان لبنان مستقل داخلياً وادارياً ويلزم ان يبقى ما يلحق به مستقلاً وممتازاً . . . مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية . ولكن هذا الانضمام لا يكون اجباراً بل اختاراً . . . اني مستعد ان اعطي الضمانة الحطية بكل ما اقول . ولعلم اللبنانيين ، وهم اخواننا بل قلوبنا التي بها نحس وعقولنا التي بها نفكر ، اننا نحن واياهم واحد لا يفصلنا فاصل طبيعي او مادي . . . ما كان عندنا ولا يكون ادنى فرق بين لبناني ودمشقي او بين مسلم ودرزي . »

هوذا مبدأ الامير الذي اخلص له في تلك الايام ، واعتصم به ، وسمى في تميزه . على انه في بعض المواقف ، كما سيتضح للقارئ ، تغلبت الحوادث وبعض الرجال على معتقده وبقينه . فقد وصل في شهر ايار سنة ١٩١٩ الى ذروة القوة والنفوذ ، فكان عاملاً ببادته ، واتقاً من نفسه ، ذا رأي يسع

وامر يطاع . غير ان الفرنسيين في البلاد ، خصوصاً المندوب السامي وكبار الضباط ، لم يثقوا كل الثقة به ، ولا كانوا يرون السداد في سياسة حكومة باريس في ما يختص به وسوريا ولبنان .

قد تقابل الميرو جورج بيكو والامير فيصل في ١٧ ايار ففرض الامير على المندوب شروطه بصراحة لا غبار عليها . قال انه يقبل بالانتداب الافرنسي اذا اقيمت معاهدة " سيكس - بيكو " واذا اُنفي في المعلقين الشرقية والغربية الحكم العسكري وسحبت فرنسا جنودها من البلاد ، واذا انحصرت المساعدة الافرنسية بالاختصاصيين الماليين والمعلمين العسكريين والمهندسين والمستشارين في دوائر الحكومة . وقرئ انه طلب ان تضم الموصل الى سوريا وان تساعد فرنسا عرب العراق في استقلالهم . فبلغ المندوب السامي حكومته هذه الشروط وجاءه بعد شهر تفويض بان يقبلها .

ولكن المسيحيين في المنطقة القريبة تألبوا اثناء هذا الشهر على السياسة الافرنسية السورية ، وعقدوا الاجتماعات لتأييد استقلال لبنان وتوسيع حدوده ، لطلب الانتداب الافرنسي . وكان الاسكندروس روح هذه النهضة والبطريرك الماروني رأسها . فرأى الميرو بيكو ان في تعزيزها بعض افراس السيادة في لبنان على الاقل . وقد كان يظن ان الميرو كاينصور لم يهتم كما يجب لهذه المسئلة الخطيرة ، فأوعز الى بعض اعيان لبنان ورؤساء طوائفه ان يبعثوا بطريرك الموارنة الى باريس ليستل الملبانيين لدى الحكومة الافرنسية ويطالب بحقوقهم .

انتدب احكمر العوائف غبطة البطريرك الياس الحويك لهذه الغاية ، فسافر على مدبرة افرنسية الى ايطاليا حيث اقام شهرين وقابل قداسة البابا . ثم سافر الى باريس فقابل هناك الموسيو كاينصور الذي اعطاه كتاباً يسكن فيه روعه وروح الملبانيين ، ويعدهم بما يطلبون من الاستقلال والانتداب .

فقبل غبطته راجعاً يحمل هذا الكتاب الشين الى مكتبه ، فوصل الى بيروت في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩١٩ وتكلم في الاحتفال الذي اقامته له حكومة لبنان فقال : « قد كان تحادكم من اسباب نجاحي . فأقول ان ثابروا على هذه الحطة ، فيجيا لبنان بعد ان يكون قد نال استقلاله . . . ولكم خبر ضمين باستدراجهم الى الحياة في مساعدة الدولة المحبوبة التي حرمت نفسها من خدمات احد اعظم ابنائها - الجنرال غورو - حتى تشكلت بمجة دعوها بمجة ابداع رخلي » . ثم خاطب الجنرال غورو بالفرنسية قائلاً : « اني اجهر على رؤوس الملا ان فرنسا تحب لبنان ، وقاعد لبنان ، وهانحن نقفون بفرنسا . . . ولا سيما بعد ان اوفدت اليها الجنرال غورو الخ » .

بينما كان الامير فيصل يدهو الناس الى وحدة سورية قومية لا تفرق بين الدمشقي واللباني ، او بين المسلم والمسيحي والدوزي ، قام اللبنانيون ، والاكليروس يستمعهم ويفريهم ، يطالبون بوحدة لبنانية ، فقلدوا بطريقهم الكبير زمام امرهم ، فجماروا المسألة دينية مذهبية ^(١) واووا ان يكون لهم احدى « الاقاة بالحرب المسلمين . بل امنن رؤساء التمسب بالشقاق عندما وصات لجنة الاستفتاء الاميركية الى سوريا . فبا ان اساتذة الجامعة من انصار النهضة العربية واعضاء اللجنة من وطن الجامعة ، ادعى غير واحد من رؤساء الدين ان للجنة مقاصد دينية بروستانية وطلبوا من اللبنانيين ان يقاوموها ويتضافروا عليها .

وما يدعو للاسف ان قد كانت اللجنة نفسها عاملاً آخر من عوامل الشقاق ، لانها في طريقة الاستفتاء عززت من حيث لا تدري مبدأ العصبية

(١) اول اجتماع عند في بيروت في ٢٢ ثوز سنة ١٩١٩ قرر ان تضم المدينة الى لبنان ويعلن استقلاله وانتدب لجنة مؤلفة من اربعة ومشرين شخصاً ليس فيهم قاعد مسلم حن ولا بروستاني واحد . بل اكثرهم من المرافقة التجار .

الدينية والطائفية . الا انها فضحت فرنسا وجردت مزاعمها من الاوهام لان الاقلية اللبنانية فقط طلبت الانتداب الفرنسي ، ولم تشمل هذه الاقلية الطوائف المسيحية كلها . فزاد العرب تمكناً بما يطلبون وزاد قسم منهم تعصباً ادى الى الاعمال التي سردت صحتها . وسيجيء الكلام عليها .

وصلت اللجنة في قرطز الى دمشق فطلب فريق من الدمشقيين الوحدة السورية بما فيه لبنان وفلسطين ، والاستقلال التام الناجز ، وان تكون الحكومة ملكية دستورية لا مركزية ويكون الامير فيصل ملك البلاد . ثم طلبوا المساعدة الاقتصادية والفنية من اميركا ، واذا رفضت اميركا ، فن بريطانيا العظمى . وقد طلبوا ان يكون العراق مستقلاً كل الاستقلال ، وان لا يكون حواجز اقتصادية بين البلدين .

ثم استفتت اللجنة العلماء فطلبوا ما يلي : الوحدة السورية المستقلة عن الحجاز ، وحكومة دستورية لامركزية على رأسها الامير فيصل ، ومساعدة دولة غنية قوية لا مطالع استعربة لها .

اما المتطرفون اصحاب الوحدة العربية الحجازية الاسلامية فطلبوا منشئين بارانهم ، عاملين معاً وجهراً في نشرها وتميزها . وقد حكان في المجلس التشريعي ، وفي النادي العربي ، وفي مبة الامير ايضاً من لا يسكرتون ولا يعقلون من الحزبيين .

جاءت لجنة الاستفتاء في فلسطين وسوريا فضحت حكايا قلت فرنسا ، واضرت بالقضية العربية ، ولم تدفع احداً في البلاد . وكيف اضرت بالقضية العربية ؟ اني اعتقد انها كانت السبب - بعض السبب ان لم يكن كله - في البلاغ الذي قدمه اللورد آلبي للامير فيصل في ١٠ ايلول وفيه ما يلي :

١ - ان حكومة بريطانيا العظمى ترفض الانتداب في سوريا . ٢ - انها

توافق على البدء الذي يتضمن لليهود وطناً قومياً في فلسطين . ٣ - ليس من شأننا ان نوجب على السوريين قبول حكومة لا يريدونها اهل البلاد . ٤ - ان المارشال آتني المسؤول لدى مؤتمر السلم عن الامن في البلاد يتخذ الوسائل اللازمة لجميع الفئ والاضطرابات .

وفي ١٥ من هذا الشهر اجتمع بين الحكومتين الافرنسية والانكليزية الاتفاق الذي يوجب تصككات بريطانيا العظمى ان تخرج في تشرين الثاني عما كرها من سوريا بشرط ان المصاحف الافرنسية لا تدخل المدن الاربع منها : اي دمشق وحلب وحلب ، لان بريطانيا العظمى قد عاهدت العرب على تأليف حكومة عربية .

انار هذا الاتفاق وذلك البلاغ خواطر المتطرفين والمعتدين من العرب ، ويبليل الناس على ان اولي الالاب المبرنين في سياسة التلون والمهادنة وأوا في الوثبةتين تنافساً قد يكون تمهده الانكليز من اجل حلفائهم العرب . وما ان انكليزاً ترفض يدعاهما ، ولكنها تقول انها لا توجب علينا حكومة لا تريدنا . وما انها تصعب جنودها من البلاد ، ولكنها تبقى البداة المطاعة بيد المارشال آتني . فقام الناس يتظاهرون مثل تظاهروهم احتجاجاً على المسير بيتون ، وتأسست لجنة الدفاع الوطني التي ياشوت التجنيد .

وكان الامير في مقدمة المحتجين فاعاد تصريحه بالوحدة العربية وابق الى مؤتمر السلم ان البلاد في اضطراب عظيم ، وان الشعب يقاوم اية خطة تجعله قيد المسارمات ، وينفصل من التبعة في الحاضر والمستقبل تجاه الحوادث التي من شأنها هضم حقوقه .

ثم سافر في اواخر ايلول الى لندن ليدعى شخصياً لدى الحكومة الانكليزية في حيل الوحدة العربية المطلقة التي مر ذكرها ، والتي صرح بها على صفحات الجرائد فقال لارسل روتر : ان معاهدة سيسكس - بيكوك

لا تعتبر ولا يعمل بها في نظر الأمة العربية ، وقال المحرر جريدة « الايام اليهودية » انه يعتبر فلسطين جزءا من سوريا وانها في نظر العرب ولاية لا بلاد مستقلة . ثم قال : ان ما يسمى اليه هو تأسيس دولة عربية تشتت في الاقل على العراق وسوريا وفلسطين .

انها في السياسة خطوة لا تدرئها الدول العظمى ، ولكن القوي اذا غير رأيه يبرزه بالقوة ، وهو يتقلب حتى اذا تقلب ، اما الضعيف بقومه ان لم اقل بنفسه فالثبات غير له واهق . هاهنا يبدو في الامر ضعف لا تجده في جلاله ابيه ، وقد نسبت الى اليوم في مطالبه كلها ، فلم تتغير وحدته العربية وتتألف وفقا لحوادث الايام ، وحياسات الدول العظام .

اما احتجاج الفرنسيين على الحكم العربي في الشام فلا يخاف من التعامل . قالوا ان العرب لم يحكموا باسم السلطة . كما تحتم عليهم وانما حكموا باسم ملك الحجاز . وهل حكم الفرنسيين في المنطقة العربية باسم الاحلاف يا ترى ؟ وهل حكم الانكليز كذلك في المنطقة الجنوبية . في فلسطين ؟ وقالوا ان الملك حسين عاجل في طلب المكافأة على خدماته في الحرب العظمى ، وكان ينبغي له ان يتبرص الى ان تتم المهادنة بينهم ويصير الاتفاق بخصوص سوريا . فليت شمري ما الذي فناههم هم انفسهم ؟ افلم يقسموا البلاد السورية ويتسابقوا والانكليز في الحصول على قسمتهم منها ؟

الفصل الثامن

موجبهون

الامير في لندن - الرجوع الى كايستصو - الشروط - المساواة - السوري - الرض
- الرجوع الى سوريا - موقف تجاه الامة - الانتصارات - حرب البصرة على يد
النصارى - حدالة العول - ميجور على الجدرسة - النار والسيف - عمل من
التيبة في - حوادث غير اثن والقليلة - القومعة في الهندية بلاعب الارسة -
جواب المستشار السوري عبد اهل - فريضة الكونوتيل لياجر .

قد خابت في لندن امل الامير، لانه وان كان اثناء اقامته هناك موضوع
الحكم الطبقة العالية من الامة الانكليزية ، فقد أعلم رسمياً ان الحكومة
تحافظ على العهد الاخير الذي عقده مع فرنسا ، وانما وان كانت قد
اشتعلت عليها الا تدخل ليجنودها المدن السورية الاربع فقد سلمت بان تكون
المساعدة الفنية والاقتصادية للحكومة العربية منها لا من انكفرا ، لذلك
أشير عليه بان يسافر الى باريس ويتفق مع كايستصو .

سافر الامير الى باريس ، وقابل الميسو كايستصو ثانية ، فدار بينهما في
٢٢ تشرين الاول ، حديث تناول المسئلة السورية بكل فروعها ، وكانت
النتيجة لائحة تضمنت حل المشكل على طريقة تكفل له الحكم في سوريا ،
وفرنسا حق المساعدة ، ولبنان توسيع الحدود والامتيازات التي يطلبها .

تردد الامير ثم لجأ الى المساواة ، فطلب ١ - ان يكون نصف
المستشارين افرانسين والنصف الاخر من سوامم . ٢ - ان لا يكون
للمستشار الرأى الفاصل في الامور . ٣ - ان لا يكون في سوريا ولبنان
مسكر افرانسي . وقبل ان يكون المسكر الوطني تحت ادارة افرانسية .
وفض الميسو كايستصو الشروط الثلاثة ، فجمع الامير من كان في معيته يومئذ
وامتشارهم في الامر فاقوى فريق منهم وفيهم اثنان من المسيحيين ان يقبل

لائحة الوزير . اما الفريق الثاني وفيهم اثنان من المتطرفين ، الواحد طبيعي والثاني اديب من نابلس درس الحقوق في فرنسا ، فقد قاوموا فكرة القبول اشد المقاومة وكانوا من الفائزين ، فبهتوا في فوزهم على ضعف في الامير كان يؤلم المعتدلين المتعطلين من انصاره ومريديه .

عاد الامير في اواخر كانون الاول الى سوريا وهو يعلم ان الحكومة الانكليزية لا تخاصم فرنسا من اجله ، وان فرنسا لا تتنازل عن سوريا^(١) مهما كان من امورها في المفاوضات ، وان الحكومة الاميركية^(٢) لا تتدخل بالرغم من لجنة الاستفتاء في امور البلاد السياسية . فية خطة كان ينبغي له اتخاذها ؟ هل في امكانه ان يدير سياسة انكسار الدولية ؟ هل في امكانه ان يحارب فرنسا اذا شئت الاستيلاء على المنطقة الشرقية ؟ اذا اجبت سلباً ، وهو اقرب الى الحقيقة ، على السؤالين ، ارى بحكم الحال ان امام الامير سيلاين وفي كاتيهما شرف وحكمة ووطنية . فاما ان يكون قادراً على قيادة الشعب السوري فيقوده في جادة الاعتدال الى ما فيه المصلحة المشتركة بين الامتين الافرنسية والسورية ، واما ان لا يكون فيستعفي ويعيد مقاليد القضية الى جلالة امه .

وماذا كان بعد رجوعه المرة الثانية من باريس . هالكة الحوادث وهي اصدق رواية الاخبار . عندما وصل الامير الى بيروت خطب في الناس ، اشار الى ما لا يزال بينه وبين فرنسا من الولاء ، فاعترضه بعدئذ مثل الحكومة

(١) قد طلق قال وزدواها بريان ولايف ويشون ان مركز فرنسا في البحر المتوسط يترزع اذا تركت سوريا ، وان الاستيلاء السياسي على بلاد ما لا يفيده اذا كان لا يقرن الاستيلاء الاقتصادي ، وان لفرنسا في سوريا مصالح مادية وسياسية فوق حافزها التقليدي .

(٢) قد قال الامير فيصل في باريس المتمر بولك المستشار اللبناني يومئذ للخطابة الخارجية بواشنطن ، فله بعده ولا طله بشيء .

العربية فيها وانتقد اعتداله آخرون. وكان قد ذهب الى استقباله واستقباله
وقد من الشيعة في جبل عامل فلم يكلمهم ملياً في بيروت بل استصحب هذه
الغاية بعض علمائهم الى الشام . وقد عقد اجتماع في وادي الحبيبي فحضر
احد المشايخ خيرة (استخار الله بالسبحة) علي ذبيح النصارى . وكان في
الحولة حكومة يديرها زعماء العصايات ، والحكومة الافولسية عالمة بها .
اما العرب وعلماء اعداء فرنسا فاصبحوا اعداء من والاها ناهيك عن تعصب لما
من المسيحيين . وقد كان في من وُلّي الامر منهم ، في النادي العربي وفي
لجنة الدفاع بالشام اناس لا يأملون بالمشكر ولكنهم في سبيل السياسة
لا يتهنون منه .

فكانت النتيجة ان في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ اي بعد وصول الامير
فيصل ببضعة ايام ، اشاعت في مرجييون ، باسم الوطن والسياسة ، نار الجهل
والنصب والغرض . وكان العرب مشعليها والفرنسيين متفجرين عليها .
غير ان حادثة المظلة تقدمت المهجوم على الجديدة . وكانت السبب القريب
في نسكتها . وما حادثة المظلة ؟ قد حكاها الامير محمود القاعود ، امير عرب
الفضل ، خارجاً يومئذ عن الحكومة ، فحضر بعض الجنود الافرنسية ،
على اثر حادث عدائي في الحولة ، دار الامير بالحصاص وهدموها . فثار
عليهم العربان فبشروا بطلبون التجلة من الجديدة . وما يكن في تلك الحادثة
يومئذ ، مع علم الحكومة بما يهدد الامن وما يندفع من العدايات بالويل ، غير
الفين من الجنود في المطلة وخمسة في الجديدة .

طلبت المطلة النجدة من الجديدة فارسل القومندان اربعة وخمسين من
رجالهم فلم يبق لديه غير خمسين . ولم يكن عند الاهالي غير مئة وخمسين
بندقية والسير من الذخيرة . اما الذين هجموا على الجديدة في ليلة ذاك اليوم
فلا يقل عددهم عن الاربعة آلاف وفيهم العرب والدروز والمتاوله ، فاضرموا
فيها النار واعملوا باهلها السيف والرمح . حرقوا اربعين بيتاً ، وقتلوا

اربعين نفساً ، ونهبوا من الامتعة ومن الرياش ما قدرت قيمته بمئة ألف ليرة ذهباً .

ومن المسؤول ؟ قد تحقق ان ثلاثة من العرب كانوا يأخذون المال من الحكومة بدمشق باسم الماسكر فيتصرفون بها ، ثم يأخذون من العصابات قسماً مما ينهبون . وقد كان رجال العصابات العاملة يلزمون القرى في جبل عامل القيام بنفقاتهم ، ويقدم رؤسائهم التقارير الى المونسني العربي بدمشق . أتبعني الحقيقة كلها ؟ هاكها باسم الله . قد اخبرني احد افاضل الجديدة انهم عاينوا بعض الجنود النظامية في من هجرا على المدينة .

ولكنني لم اظنك على غير نصف الحقيقة في ما تقدم وهو نصفها كاملاً . وهاك النصف الاخر . ان الحكومة الافرنسية او القيادة الافرنسية العامة التي كانت مسؤولة عن الامن في البلاد كانت تستطيع لو شئت ان ترد عن البلاد واهله هذه النكبات كلها . فكان قد جاء الجزال غورو ومعه بعض القوات العسكرية التي استمرت ترددات لتحقيق مقاصد حكومته في المدن الاربع بالرغم عن اتفاق ١٥ ايلول .

فاذا اتينا بعض التبعة على الحكومة العربية وآخذنا الامير لانه لم يسع ، واذا كان قد سعى فلم يفلح ، في استيلائه على تلك الحكومة وارشادها الى ما فيه الحكمة والسداد ، فاننا نلوم اولاً الفرنسيين الذين جاؤوا لحماية المسيحيين وما كانوا في البلاد الا بفضل المسيحيين . نلومهم لانهم وقفوا متفرجين وكان في امكانهم ان يتحدوا النار .

والذي يثبت فوق كل اثبات ما اقول هو ان تلك النظامات تكررت بعد خمسة اشهر ، في ١٥ حزيران ، في عين ابل والقلعة والجديدة نفسها . ولم تكن الحكومة مستعدة لقارمتها . طلب اهل الجديدة اسطفاً منها فلم تقدم بشي . جاء احد خوارنة عين ابل الى الميسو شاربنقيه ، المستشار الافرنسي في لواء الجنوب ، يشكو العصابات ، وقد كان في صيدا قوة كافية لمطاردتهم

والتشكيل بهم ، فكان الجواب منه أن دافعوا عن انفسكم . وجاء احد اهالي مرجيون في حادثة الجديدة الثانية الى قومندان الموقع يطلب منه بعض الذخيرة ، وكان قد نفذ ما عنده وهو يدافع عن نفسه واهله ، فلما وصل الرجل الى دار الحكومة وجد القومندان في فناء الدار يلعب ارنياً ، فطلب منه ذخيرة فإلى . فقال الرجل : لا تدافعون عنا ولا تهبطوا سلاحاً وذخيرة لتدافع عن انفسنا فلم يحسبوا . ظل يلعب ارنيه . ثم نظر اليه بعين الاحتقار قائلاً : مات من الفرنسيين الوف في الحنادق وانتم تشكون اذا مات منكم عشرة رجال .

وجاء - بعد خواب البصرة - الكولونل نياجر لينكل بانصابات ففرض على اهل جبل عامل مئة وخمسين الف ليرة ذهباً ، وفوض الى حاكم صيدا العسكري ورجاله ، وفيهم ثلاثة من السوريين ، فجمعوا ضمنى المئة والخمسين الف ليرة بطرائق لا حاجة الآن لذكرها - وقال المارفون المدققون ان الجباة الماهرين جمعوا اربعمئة وخمسة وثلاثين الف ليرة - فدفعوا تعويضاً لاهل الجديدة خمسين الف ليرة منها . . . واطلقت الحكومة على شارع من شوارع بيروت اسم الكولونل نياجر Le Colonel Nèger

الفصل التاسع

ملك سوريا

فيصل بن الاحزاب - ساعة الشدة وساعة الرخاء - مؤسس يقوم وموثر يحسن
 - الحكومة الجديدة نجاس عليها بالفتنة - الفكر والسياسة في الاقتصاد في
 سوريا - حزب الحزب الاكابر يكي - اتحاد الوطنيين - تحفة رستم - قرار
 مجلس ادارة جبل لبنان - قوة المدرسة الالان - سر - الحكومة تقرر - المجلس
 اقتصاد المجلس - اجتماع لتهالي من الجاهل بوزو في تلك مجلس - ١٠ اشهدا
 المصادق - و. طالت حيوشا مع الجيش البريطانية - ٤ - قانون الحكومة العربية
 - قرار المؤتمر السوري -

كان الشهر الاول من سنة ١٩٢٠ ميلاد على المسيحيين وعاراً على
 الفرنسيين . وكان الشهر الثاني من هذه السنة بداية التويل على العرب .
 هاجت حول الامير فيصل الاحزاب ، وهدرت في الاسواق وفي المساجد
 شقيقة الخطباء ، واستفاحت في المؤثر السوري قرون الثورات الدينية ، فاشتد
 تمحس بعض الاعضاء ، وتقيظ الآخرون ، وسمو الامير بكافح تارة ، ويستسلم
 ملوراً ، يردد كلمة الملك الافرنسي^(١) ساعة الشدة ، ويعود اذا ما صفا الجو
 هنية الى بطائه وزعمائه . حتى استقر دور الاضطراب الاول ، او ملته
 فاخفته افراح اليوم الثامن من شهر اذار ، يوم انتخب المؤتمر السوري العام
 بصوت حي فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على البلاد السورية .

حملت الانباء البرقية خبر التنصيب الى العواصم الأوروبية والأميركية
 فجاء من احدها ، من باريس ، من مؤتمر فرساي ، نبأ القضب والفرور . مؤتمر
 يتوَج ومؤتمر يعترض ويحتج . بل يصدر الاوامر وهو يتوهم ان احكامه
 نافذة في كل مكان . لما اذا قبلت التاج يا فيصل ؟ احضر عاجلاً الى هذا
 المجلس الاعلى وافصح عن شذوذك وشذوذ الامة السورية . انها من

(١) الملك لويس الرابع عشر الذي قال : الدولة انما لنا الدولة .

مضحكات السياسة الأوروبية . هوذا امير عربي ، في بلاد عربية ، وقد انتخبه مؤتمر عربي ، فادخل اوردها او بالحري فرنسا وانشكلوا بذلك ؟ ألا يجوز لامة شرقية ، عربية ، سورية ان تقع ملكاً عليها دون ان تستأذن اثنين او ثلاثة من وزراء اوردها ؟ وهم يتهمون العرب بأنهم يهتمون بأمور غيرهم اكثر من اهتمامهم بانفسهم . ولكن الملك فيصل لم يهتم بغير امره وامر بلاده فلم يلب دعوة مؤتمر الصلح ليجل .

بأمر جلالة الملك والمؤتمر السوري تأسيس حكومة جديدة ، وتأليف اوزارة ، وتنظيم الجيش . وكان من اعمال هذه الحكومة السورية عمل لم يسر انكسار اواخر زاد بفضح الفرنسيين . الاول هو اعلانها استقلال العراق عندما اعلان استقلال سوريا ، والثاني هو منعا الفرنسيين من استخدام سكة الحديد الى حلب ، ورفضها التعامل بورق البنك السوري الذي اجازته حكومتهم في المنطقة السورية .

اما الحكومة اللبنانية في الانضمام الى سوريا ، فقد كانت الاحوال في المنطقة السورية تزيدها قوة وانتشاراً . نفر بعض عقلاء اللبنانيين ودلوا وجوههم شطر الشام . فاعتزى الحزب الاكاثوليكي الافرنسي فراح كباراً بسلون البطريك الماروني ان يسافر ثانية الى باريس ليطالب المسيو كاتينصوبا وعده به جبل لبنان . واستشرت حكومة الجنرال غورو تقاوم كل من قال بالوحدة السورية ، فوصلت في منبجها الى ما كان من امرها واعضاء مجلس ادارة جبل لبنان . جاء في البلاغ التاماني من الجنرال غورو الى الملك فيصل ما يلي :

« وآخراً ما لجأت اليه حكومة دمشق من المآتي هو انها اشترت ببلغ قدره اثنان واربعون الف ليرة القسم الاكبر من اعضاء مجلس ادارة لبنان فارقتهم مخافواً بتأريده ١٠ تورز وهم على أهبة السفر الى دمشق

ليبيعوا اوطانهم بيع السلع عابثين بالآمان التي احرب عنها اهل وطنهم منذ زمن مأويل باتفاق يقرب من الاجماع .

لست ممن استحسنوا الطريقة التي سلكها الاعضاء الى غايتهم الحيدة ، وكنت ولا ازال اظن ان ممثل الامة الشرعي لا يخرج من بلاده كالحجرم سراً ، ولا يحجب فيسره رأيه اذا كان يعتقد الصحة فيه . ولكن هذه التهمة من اجنبي تنزع من الوطني ، مما كانت عقيدته السياسية ، سلاح النقد والتثريب . مثل نفسك انكليزياً في باريس يتهم اعضاء الندوة الافرنسية بالخيانة . . . أيفار الاجنبي على لبنان اكثر من غيرة ابيه عليه ؟ عند الى القرار الذي اصدره مجلس الادارة تر الحقيقة التي يسونها خيانة ، وتزع العجب في من يطالع القرار كله ثم يقول ان اصحابه مسافرون الى دمشق لبيعوا اوطانهم بيع السلع .

ان اصدق وابلغ جواب انما هو في ما نقله لك من ذلك القرار :

« قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلاً لوفاق بضمن حقوق البلادين المتجاورين لبنان وسوريا ومصالحة ودوام حسن الصلات بينهما في المستقبل ، وبعد البحث في هذا الشأن وجد انه من الممكن الوصول الى ذلك بمقتضى البنود التالية :

١ - استقلال لبنان التام المطلق . ٢ - حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمنزلة من كل تدخل حربي . ٣ - اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سوريا . ٤ - المسائل الاقتصادية يجري درساها وتقرر بواسطة لجنة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا . ٥ - يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود وضمان احكامها .

اما سفر اعضاء المجلس فلاجل التمكن من العمل على ذلك بحرية

ويغزل من ضغط خارجي « ولاجل السعي الناجع في المراجع الإيجابية تقرير احكام الشؤد الاربعة المتقدم بيانها » . ولم يكن قصدهم السفر الى الشام بل الى اوروبا واميركا عن طريق حيفا . هو ظاهر قصدهم وحقيقتهم ، لا ريب عندي بذلك . ولكنني ارى في الطريقة التي حثكوها وفي بعض المقاصد التي اخفوها او وهوأ بها ما يواخذون عليه .

الامصار تقتضي النفقات ولم يكن في الخزينة اللبنانية ما يقوم بها فجاء الامير امين ارسلان ، صديق العرب واللبانيين الاحرار ، ليسي في ذالاسبيل قال سليمان كتمان ، احد اعضاء المجلس ، للامير امين : لا تستطيع ان تجمع مالا كافيا للسفر . فقال الامير : انا اتكفل بذلك . وبعد قليل جاءهم بخمسة الاف اخرى عندما يجتازون حدود لبنان . وهاتحين في دور التسيو به الذي افسد على الاعضاء علمهم . المال الذي جاء به الامير امين بمؤازرة نوري باشا السعيد هو من الملك فيصل لا من عارف النعماني . ولكن السند الذي كتبه سليمان كتمان بالقيمة كلها هو لامر النعماني وبكفالة الامير امين . فحينذا لو كان السند صادقا فيكون المال من احد تجار الامة الذي يشارك الاعضاء في عقيدتهم السياسية ويود نجاح مصالحهم . ولكن المال من الملك فيصل وهذه حجة الفرنسي في الرشوة .

قال سليمان كتمان للامير امين : بشرط الاغمر بالشام ولا تقابل الملك فيصلا . وكأني بالامير الطيف اخاذق يقول و « واخذون ماله ولا » . بيان « للسلام . فاتفقوا ان يسافروا الى حيفا ويرسلوا من قبلهم اثنين او ثلاثة الى الشام للسلام - والمفاوضة . ولكن التقادير حالت دون الاثنين فقد اوقفتهم السلطة الافرنسية قبل ان يجتازوا الحدود ، وعادت بهم مفجورين الى بيروت حيث حوكموا امام مجلس افرنسي يرأسه ضابط اسمه ده فوكروسون^(١)

فجر منهم المحكمة ففتحهم الحكومة الى جزيرة ارواد ثم الى جزيرة كورسيكا .

بعد ان القى القبض على اعضاء مجلس الادارة باربعة ايام اي في ١٦ تموز سنة ١٩٢٠ ارسل الجنرال غورو بلاغه النهائي الى الملك فيصل ، ومطامه هذه الكلمات :

« بينما كانت السكينة سائدة في سوريا أثناء الاحتلال الانكليزي
ابتدأ الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ولا يزال آخذاً
بازدياد منذ ذلك الوقت »^(١)

هي الحقيقة بينما ابتدأ الفساد يوم حلت جيوش الفرنسيين محل الجيوش
الانكليزية . فقد كانت الجيوش الفرنسية اما عاجزة واما مهتلة . اما العجز
فالخرم الذي ابدته هذه الجيوش بعد البلاغ النهائي بتنفيذ كل التفتي . واما
الاهمال فقد يكون ناتجاً عن قصد سياسي هو رغبتهم في الاستيلاء على المدن
الاربع التي تمهدت فرنسا لانكسارها في اتفاق ١٥ ايلول من سنة ١٩١٩
الاتحادي .

اما بلاغ الجنرال غورو فتقدم الاحتجاجات فيه الى خمسة اقسام . أولاً
- « الاعمال الموجهة الى حكومة الاحتلال الفرنسية » وفيه ذكر الحوادث
المفجعة التي كانت الحوادث سببها وان حكومة دمشق قد عادت القاتل
بنظيرها بالحفاوة والاكرام » ونخص بالذكر منهم صبيح بك بركات الذي
اصبحت عداوته لنا اشر من نار على علم » .^(٢) ثانياً - « سياسة حكومة
دمشق الدوائية » وهي تنحصر على ما يظهر من البلاغ بتعين رجال في
الحكومة « مروفين بعدائهم لفرنسا » ثالثاً - « التدابير الادارية ضد
فرنسا » واهمها ما يتعلق برفض التداول بعملة البنك السوري . رابعاً -

(١) اعتبرت « الترجمة التي في كتاب « مركز لبنان السياسي » لبومف اصاف بك

(٢) وقد عنبوه بعدئذ ردياً للاتحاد السوري .

« الأعمال العدائية المتوجهة لقوتنا رأساً » وفيه ذكر بعض الذين أمينوا في المنطقة الشرقية لأنهم اصدقاء فرنسا ، والذين احترموا لأنهم اعداؤها ومنهم الدناشة ، وحكام بك الاسعد ، ثم أعضاء مجلس ادارة لبنان ، خامساً - « التعديلات على الحقوق الدولية » وفيه احتجاج على التجنيد الاجباري وعلى ملكية الامير « المتضمنة غير الناجمة عن ارادة الشعب الحرة » وعلى المؤثر السوري الذي تألف وشكل بصورة غير مشروعة .

« ان هذه الاسباب تثبت جلياً انه اصبح من المستحيل الاعتماد على حكومة جاهرة بصراحة تامة بمبادئها لقوتنا . . . وعليه فان فرنسا ترى نفسها مضطورة ان تختار بالوسائل اللازمة لتأمين راحة جيوشها وراحة اهالي البلاد . . . ولذلك هي تطلب الضمانات التي يلي ذكرها :
 أولاً - حق التصرف بسكة الحديد بين رفاق وحلب - ثانياً - الماء الخدمة العسكرية الاجبارية . ثالثاً - قبول الانسحاب الافرنجي . رابعاً - التداول بالعائلة السورية . خامساً - مراقبة الجرميد الذين تثبت عليهم اكثر من غيرهم مناجرة العداة للجنود الافرنجية .

وقد طلب الجنرال قبول هذه الشروط « بوجه اجمالي دون استثناء البتة في مدة اربعة ايام تبدأ في الساعة الاولى ليلاً من ١٠ غوز وتنتهي في الساعة الثانية عشر ليلاً في ١٨ منه . »

وصل البلاغ الى الشام في مساء اليوم التالي فاستدعى الملك للشاوره عدداً من وجهاء المدينة من جميع الطوائف ، ففوضوا الامر اليه ليعمل بما فيه خير البلاد . ولكن المؤثر السوري اصدر في جلسة قانونية القوار التالي :

« ان المؤثر السوري المشل للامة السورية في مناطقه الثلاث يتبرر قراره التاريخي بقرائه الثلاث التي هي : أولاً - الاستقلال التام والوحدة ورفض المهجرة الصهيونية . ثانياً - ملكية جلالة الملك فيصل على الاساس

النيابي الدستوري . ثالثاً - بقاء المؤتمر منعقدًا يراقب اعمال الحكومة
المسؤولة امامه الى ان يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسي ،
قراءة واحداً لا يقبل التجزئة . وان نقض جزء منه يشجع المؤتمر نقضاً
للقرار بخذافيره . وان المؤتمر السوري لا يعترف باسم الامة السورية
باية معاهدة واتفاقية او برتوكول يتعلق بصير البلاد ما لم يصادق المؤتمر
نفسه عليها . *

في هذا القرار وطنية شماء لا يزديها من كان له وطن في العالم .

الفصل العاشر

يَكْلُون

الخلافة - بعد موت ووريث العربية - الحكومة والاعتدال - التعصير والمصلحة -
الثقة بين الحكومة والامة - اعلان الحرب - قبول الشروط - وصول العرب
موخرًا - السبب في التأخير - دعوى حكومة الانتداب - الحقيقة - المؤتمر
الافرنسي زحف على دمشق - الطريق التي اتبعتها - قطع خط الرجعة - تسريح
الجيش العربي - احتلال مجدل عنجر - دفاع الثقة عن المراءى الاولى - الهدنة
- النورية في دمشق - معركة بين الجنود والاهل - انك يذعن الناس للهدنة -
يوجب الصلح في ساحة القتال - وفدة مبسبون - الاستعداد - دخول الجيوش
الافرنسية دمشق .

كان يوسف العظمة ، وهو ضو اتور ومصطفى كمال في المدارس الحربية
الالمانية ، شديد البأس شجاعاً باسلاً ، صريح الكلمة ، صادق اللمجة ، ذا
وطنية ايجابية من نار الشهداء . ولكنه في حياته واندفاعه ، وهو وزير
الحربية في الحكومة السورية ، اساء الى مقتوله ونسي حقيقة الحال التي
توجب الحكمة والاعتدال .

اما الملك فيصل فهو في سياسته ، وخصوصاً في المواقف الحرجة ، يأنس
ان الحاسة روح الحقيقة ، وان الضحية نورها . فلو رأى ان واحد منهما ما في
الاخر وتزل الى قبول شيء منه في الساعة الخطيرة ، ساعة الجزم واليقين ، لما
كثرت تلك الثقة التي انقضت منها روح القرض فساعدت الصائل على الامة
وذبحت فيها الحرية والامل .

كانت الثقة ، مها قبل في حسن الصلات بين جلالة الملك والمؤتمر
السوري ، وكانت القرضي ، وكان الاستيلاء الاجنبي . ثبت المؤتمر في قراره
الاخير فاعلن الحرب ، على اثر وصول البلاغ النهائي ، دفاعاً عن الوطن . وصادر
الامر من نظارة الحربية باسسال الفرقة الاولى الى مجدل عنجر في منطقة

ميسلون لتكون هناك مستعدة للحرب .

ولكن اعيان الامة ورؤساءها الروحيين كانوا يملكون مثل الملك الى قبول الشروط ، فوكلوا الامر اليه ، فارسل جلالاته في ١٦ توز بوقية الى الجنرال غورو بقبول الشروط كلها ، واصدر امراً في تسريح الجيش وآخر الى الجنود في منطقة ميسلون لترجع الى الشام ، الا اللواء الرابع فيبقى محافظاً على الحدود . على ان العقيقة لم تصل الى الجنرال الا بعد انتهاء المدة الموعنة في البلاغ ، لان المصاة كما ادعت الحكومة كانوا قد قطعوا الاسلاك البرقية في جهات الزبداني .

سبب انها الحقيقة ، فان القيادة العامة كانت عاملة بما كان يجري في تلك الايام في دمشق . وقد طارت طائرة في ١٨ توز فوق المدينة فألقت منشوراً من الجنرال غورو مطلعه ما يلي : « في هذه الساعة التي تقدفكم فيها حكومتكم الى القتال ونستهدف بلادكم لاخطار اطرب وويلاتها اوجه اليكم الخطاب لاقول لكم السبب الذي من اجله تقتتلون . »

فاذا كان عاماً بما اقروه المزمع السوري املاً يكون عاماً كذلك بما اقروه جلالة الملك بالاتفاق مع وزرائه وفريق من اعيان المدينة ؟ أو ما كان جديراً به ان يسأل في الاقل ضابط الارتباط الافرنسي في دمشق ليبحث عن السبب في تأخير الجواب ، وهو القاتل في منشوره : « على اني ما زلت آملاً بان السوريين الاذكياء المتورين سوف لا يرضون بان يلقوا بانفسهم الى التهلكة دفاعاً عن الاقلية الانثية . »

اذن هو عالم ان الاقلية ترفض شروطه والاكثرية تقبل بها ، وقد ارسلت الجواب الذي فيه فصل الخطاب . فلماذا فضل الجنرال العمل بظنه على العمل بيقينه ؟ فيبعد ان ارسل البلاغ النهائي زحف جيشه وهو مئة الف من

الجنود السفالية والمراكشية والجزائرية^(١) على الشام متخذاً غير الطريق الممرقة ، طريق وادي الحرير ، فقطع سهل البقاع من جب جنين الى وادي القلوح ، فمريقية بكاً ، ثم يدبر المشار ، باستحباب احد الرجال هناك دليلاً ، ودار من دبر المشار الى الدباس فقطع خط الرجعة على العرب المسكونين في منطقة ميسلون ، ووقف هناك ليأمن مؤخره قبل ان يستأنف الزحف على دمشق .

وقد دل المسلك في زحف الجيش على استعداد للقتال ورغبته فيه ، فشاء عند وصوله الى الدباس ان يخرج الجنود العربية من مراكزها المحصنة ليضربها في الفلاة ويحس تلك الاماكن . لذلك نادر الى احتلال مجدل عنبر عندما انسحبت الجنود العربية منها ، واخذت تتراجع بدون نظام الى دمشق يريد ان المواء الزامع ظل يحفظ هناك بموجب الامر الذي اصدره الملك ، فتصدى للدفاع عندما تقدمت الجنود الافريقية ، واسقط في يده وأسرى برته .

اما ناظر الحربية يوسف المظنه فكان قد اصدر امراً الى الجنود المدرجة واقص امر رجاله المات ، فاقرب قائد المواء الاول حسن الجادري ، وعلا بذلك الامر ، عدواً من جنوده يتراوح بين الثلاثة والاربعة وعاد بهم الى ساحة القتال . فئة صغيرة وقفت وقوف الابطال في وجه الفئة الكبيرة ففشيت القيادة الافريقية ان تكون القوات العربية التي انسحبت من مجدل عنبر متحصنة في جهات خان ميسلون ، وان تكون هذه الشرقة طليعة جيش حكي من العرب . فرغبت الى الملك فيصل بعودة مدتها غاني واربعون ساعة تنتهي في الساعة الاخيرة من ٢٣ تموز . فكانت الهدنة وجار .

(١) كان هذا الجيش مؤلفاً من فية الاي قيادة ١٥ والاي الزمان الجزائريين الثاني والفرقة السفالية والاي الزمان الافريقيين وطابور من الصابحية المراكشيين والمذوبية الدهلية والجليلة ندمها الطيارات والديابات .

أثنا. ها مندوب الحكومة العربية مصحوباً بالمستد الافرنسي بالشام للمفاوضة مع الحكومة الافرنسية بماله .

اعود بالقادى الى المسرح في دمشق حيث التلة بين الحكومة والامة كانت ترداد خطراً وانساعاً . فلما انتشر خبر الامر بتسريح الجيش نهض جمهور من الدمشقيين يحتجون ، بل نهضوا للثورة في سبيل الاستقلال ، وبادروا الى التكتلة والقلة يطلبون الذخيرة والسلاح . فاصدرت الحكومة امراً بتشتيتهم . وكان قد وصل الى دمشق بعض الجنود المسرحين المائدين من ميصلون ، فازدادت نار الثورة تأججاً ، وكانت الفوضى تنفخ فيها على الدوام ، فقام بعض الزعاع يصيحبون مع الثائرين ويسلبون وينهبون . جاءت كتيبة من الجند لتنفيذ الامر بتشتيت هذه الجموع الهائجة فنشب بين الفريقين القتال ووقع مئات من القتلى تحت نيران المدافع الرشاشة .

وكان يوسف المظله لا يزال مصراً على وايه وعزمه . اما الملك فيصل فبعد التردد والتعبر ، نهض يوم الجمعة يشد حقويه وبسبل السيف باسم الله . وقت يومئذ في الجامع الاموي خطيباً وطلق يدعو الناس للجهاد ، ويهدم بانه سيكون في طليعة الجيش .

ولكن وزير الحربية الباسل سبقه الى الجهاد والاستشهاد فخرج باربعين جندي ومئتين من المجانة ، يصحبهم ويتبعهم جيش من الاهالي والعربان يتراوح عدده بين الاربعة والخمسة الاف . جاء ينجذ تلك البقية المستبلة من اللوا الاول . ولكنه وهو وزير الحربية كان يمثم ان الذخيرة والمعدات لديه لا تكفي لمركة واحدة خطيرة ، ففضل الشهادة على الحكمة والموت في سبيل الوطن على الحياة في ذله .

اتخذ المظله عقبه الطين جبهة للدفاع ونشبت في ٢٥ تموز نار الحرب بين الجيشين في واقعة دامية استمرت ست ساعات ، واستخدمت فيها الجنود

الافرنسية الطيارات والدبابات . هي واقعة ميسلون المعروفة التي اضعفت
القوات العربية واوقعت في صفوفها عوامل التفكك والتقهقر .

وظل يوسف العظمة في مقدمة رجاله يحثهم على القتال ، فاصيب برصاصة
في فخذ ، واخرى في كتفه ، وظل يحرض ويبقاتل حتى اصابته الثالثة في
رأسه فهوى الى الارض صريعاً . رحم الله صكك من مات بطلاً في سبيل
الحرية والاستقلال .

في اليوم التالي دخلت الجنود الافرنسية دمشق وكان قد غادرها الملك
فبصل و معه بعض من لا يزالون في حاشيته من بغداد .

الفصل الحادي عشر

الثورة في العراق

شهر الحرية شهر شرم على طلاب الحرية - ولا رعاية للآخرة - خسارة العراقيين والانكليز - فساد الاخلاق في أوروبا - رعب الثورة في الشرق - حكومة متدنية في العراق - ضعف السيادة المصنوعة - تأجيل القضية - المناور والنديل - السر أكبر عائدات - المقاتل الانكليزي - سوري مشهور حكيم - السر آلفريد ولسون - في سياسته سوط واحدة - السر رومي كوكس - في سياسته كثير من الزيت - بلاد المدوب السامي - حكومة وطنية - السيد عبدالرحمن التميمي الجبيلي - أعضاء المجلس الوطني - اعيان المجلس - السيد طائب النقيب - العراق ضايف ملكاً - السيد طائب بنى المنقب *

ان الشهر الذي استقرت فيه السيادة الفرنسية في سوريا لشهر شرم على السيادة الانكليزية في العراق وقد اختار الاعرنديس نموذج شهر الحرية ، ليقوموا شعباً ماعداً في طلب حريته فجازوا . وقد حاول العراقيون في هذا الشهر ان يخرجوا الانكليز من العراق فلم يفلحوا . وكانت الثورة قد اشتعلت وتآججت في أنحاء العراق كلها ، من النجف الى بغربة ، ومن المشتق الى الموصل وبلاد الاكراد .

جاءت الكلمة من العلماء ، وفي مقدمتهم كبير المجتهدين في النجف ، فقامت المشائر وتدعوا وتعمل بها ، فواصلت روح الشورى في البلاد بمومها ، فالتهمت الاخضر واليايس في المضارب وفي المدن ، وعهد الوكلاء السياسيون لبريطانيا العظمى الى البرق والتلفون يطلبون النجدة من البصرة ومن العاصمة . انه لأعجب ما حدث في العراق بعد الاحتلال الانكليزي . هوذا بلداً صحافة فيه تذكر ، ولا طرق مواصلات حديثة صالحة ، ولا قيادة ، نعمه الثورة فتربط اطرافه بعضها ببعض في اقل من شهر ، ثم تستمر اشهراً وهي تردد قوة وهولا . حتى ان العاصمة بغداد سكادت تسقط في حوزة الثائرين .

قد انفتحت الحكومة البريطانية ملايين من الآليات وفادت بالوف من الجنود لاحتادها ، وكانت خسارة العراق كذلك صكيرة فادحة . هي ثورة شبيهة بزوال هائل ، لا يحدث اجتماعي شاذ يديره مع ذلك العقل والحكمة ، فلم يكن فيها شيء من الخير لأهل العراق ولا للحكومة الفتنة .

بيد انها نهبت الانكليز الى حال في البلاد العربية بل في الشرق جديدة ، وذكرتهم بحال في اوردها هي بنت الحرب العظمى وام الاضططاط المعنوي ، تلك الحال العامة وقد كادوا ينسونها . ان لكل عمل رجلاً ولكل رجل يوماً ، ولكل يوم سياسة . قد كان الانكليز السبب الاول في ثورة العراق في صيف ١٩٢٠ لانهم نقادوا الى البلاد حكومة هندية قديمة عتيبة ، هندية في طريقتها ، هندية في سياستها ، هندية في رجالها . والهندو يجملتهم لا يحبون العرب ولا يحترمهم ، والعكس بالعكس . وقد كان رئيس الحكومة في هذه الفترة رجلاً من الطراز الاول من ابناء بريطانيا الاشداء الذين شادوا في الماضي معالم مجدها . غير انه وجد في زمان غير زمان اجداده ، وبين شعب غير شعبه نفسية وعقلية حوادث الأيام .

السر آرند ولسون^(١) الحاكم باو كالة يومئذ في العراق هو كهل في العقد الرابع من العمر ، ومن الانكليز الذين كانوا يحملون السوط في القرن الماضي ويحكمون بموجب ضيعة طير انكليز اولاً ثم طير الناس . وصكانوا في تفوقهم محسنين ، وفي ظلمهم عادلين ، قوتهم في يقينهم ، وبقيتهم في اخلاقهم ، واخلاقهم متأصلة في فضائل شعب مجيدة ، اظهرها الشرف والعدل والصدق والثبات . بيد ان هذه الفضائل امست اليوم من التقاليد المحترمة . وقد يمد الزمان الى التقاليد الحية والعمل .

قام السر آرند ولسون يمثل في العراق امة افقدها الحرب ككما افقدت

امم اوروبا جماعه كثيرًا من قواها المعنوية الروحية ، فصارت تفادي بدلها في سبل شرفها ، او تنزل عن شيء من شرفها لتحفظ مقابها ، او تنسأهل بالصدق لتظل ثابتة القدم مسوعة الكلمة « او تغلب وتتلون دفاعًا عن نفسها وكيانها . رجل من حديد يمثل امة من فولاذ اعتراه الصدا ، قام في العراق يحكم باسم الله وبريطانيا العظمى ، فوجد شعبًا ظنه كشعوب الهند في القرن الماضي يقبل دائمًا بالتأديب ويشكر دائمًا المؤدب .

قلت ان الحرب انعقدت الامم الاوروبية كثيرًا من قواها المعنوية ، الادبية والروحية ، ولم تكسب الشعوب العربية بل الشرقية غير حب الحرية والاستقلال وتزعم في سبيلها لا ثباتها لمدة حتى التزمات الدينية . ولكن الحروب والثورات ، اذا كسرت قيود الظلم ، لا تعلم المظلومين الزراعة والحكمة والعدل ، ثم العمل المدني الذي فيه هذه الفضائل الثلاث . فقد الانكليزي من قواه المعنوية ما كانت تقدر في الاحكام بنصف نفوقه ، ولم يبق في العربي بل الشرقي من الخوف والاحترام ما كان يقوم مقام التحف الآخر . كانت بريطانيا العظمى تحكم ثلاثة ملايين من الناس بالانبياء الفأ من الجنود . هي حال ولت ايامها . فقد ارسلت سبعين الفأ من جنودها الى العراق ، وسكانه لا يتجاوزون الثلاثة ملايين « ولم تستطع ان تحمد الثورة في اقل من سبعة اشهر .

السبب بسيط . ان كلمة الحاكم العادل المستبد تستوجب في تنفيذها ، اذا كان لا يحترمها الناس ، قوة الشرطة او قوة الجيش . فكيف بها اذا كان الناس ينفرون منها ويقاومونها . زرع السر آوند ولسون ، اثناء قيامه مقام المندوب السامي ، بذور الفتنة ، وهو متيقن انها بذور الحكمة والحير ، وشاركه في الزرع وفي الحصاد رجل آخر من رجال الحكم الانكليزي هو السر آلمر هالدين^(١) قائد الجيوش البريطانية يومئذ في العراق . ويظهر ان

المرآة كان احرص على صحته وراحته من السر آرند . فقد اعتاد في الهند ان ينتقل مع الحكومة في كل فصل من فصول البرد والحر ، فجاء العراق في آخر الشتاء ، وما كاد يدخل الربيع الذي هو النصف الاول من صيف هذا القطر حتى احس بحر حله على التجوال في جبال المعجم . ثم نقل مركز القيادة العامة الى تلك الجبال بينا البلاد كانت تنهض بالثورة . اضاف الى ذلك ما كان يحدث بينه وبين وكيله المندوب السامي والوكلاء السياسيين من الخلاف الذي زاد في خلل الادارة وفي امتداد الفتنة . حتى ان السر آرند بعث ذات يوم يشكوه الى الحكومة بلندن فجاءت برقية من الوزارة الحربية تسأل القائد العام ماذا يعمل في جبال المعجم . اجل ، ماذا يعمل في الجبال ونيران الفتنة تشتعل في السهول ؟

اما الغاية من هذه الثورة فقد انحصرت كما يظهر بأمرين ، اخراج الانكليز واعلان الاستقلال . على ان نهضة يديها او يوعز بها او يدمو لها المجتهدون لا تنحاز من روعة دبية تتخلل دموها السياسية . فقد كان المجتهدون في النجف وبعض الزعماء مثل يوسف السويدي وجعفر الي التمس يعملون مرة في اثار الفتنة . اما المشائرو فقد كانوا مستعدين - وهم دائماً مستعدون لتلبية اي دعوة تخلصهم من دفع الضرائب الباهظة التي تفرضها الحكومة عليهم وتحاول تحصيلها بالطرق الفعالة ، القانونية وغير القانونية . فاهمهم شيء ولا عرفوا بشيء من مقاصد الزعماء المحتجين الخفية .

وقد كانت للعشيرة قوة في الدفاع والقتال عجزت دونها الجند البريطانية ارض العراق كما هو معلوم مستلحة بسيولة لا يحسب ان يكون فيها ملجأ يابجأ اليه المقاتلون في الغارات او مكمن يكمنون فيه فبني المشائرو لهذه الغاية المقاتيل . والمفتول هو برج حديد مستدير ، غلوه من خمسين الى سبعين قدماً ، فيه درج غائب اولي يتصل بغرفة في رأسه فيها صكوى كبيرة من الداخل صغيرة من الخارج يوصد منها المدو ويطلق منها النار . وهي تختلف حجماً

فيسكن ان يحاصر فيها من الحسنة الى العشرتين رجلاً عدة ايام . قد رأيت منها . في اليمن وفي نجد ولكثرتها قايمة هناك .

اما العراق فقد كان فيه الوف من المقاتيل عند دخول الانكليزية . بل كان في بعض الجهات لكل بيت او في الاقل لكل حي مفتول . المقاتيل ! انا هي الزيل الاكبر على الجنود الانكليزية ، وهم في القلوات معرضون دائماً لنارها ولا كسيف يحسبهم منها . فلا يجب اذا عدت حصن العراقي المنيع والسلاح الوحيد الذي يخشاه العدو . ولا يجب اذا كان العدو في الزحف والمجوم يسمى اولاً في هدمها ، ثم يبنى في السهول ما يقوم مقامها بجنوده وهو المقل او ما يسمونه بالانكليزية Black House وايسر هناك ما يحول دون ذلك . فالمقل مربع بسيط له اربع توافد عالية وليس له باب ، وفي الداخل مراقب للجنود فيكتمهم من الرصد واطلاق النار . قد بنى الانكليزية الوفاً من هذه المقل ، وفي الطويق من البصرة الى بغداد كثير منها ، ليس بين الواحد والاخر اكثر من مسافة ميل واحد .

اما هدم المقاتيل فيستلزم قوة وشجاعة واسبسال . وقد بذل الانكليزي فوق ذلك كثيراً من المال . فكانوا يتقدمون الى شيخ القرية او شيخ القبيلة بشرائه او بعروفر او برش من الرصاص او المال ، فيضطرون عليه او يستقرونه او يرشونه او يقدرون به - والحرب خدعة . اجل ، قد بذل الانكليزي كثيراً من المال ومن الرجال في عدم المقاتيل . ولم تكن الطيادات التي حلوا بها على المشاة اقصاد كثيراً ، الا اذا صككت المقاتيل داخل القرية التي يضربونها ، فيهدمون ويجرقون فيها ليهدموا تلك الحصون الصغيرة الخفية او ليروعوا اهليها المتسربين . لا اظن ان في مظالم الحكم مظانة تورث العراقيين بغض الانكليزي وتثير عليهم نائرة الاحقاد مثل الطيادات ، ذاك السلاح الطائش الاكبر الذي يقتل النساء والاطفال والاهياء مع المذنبين .

وعلى الرغم من الطائرات قد حاصر الثائرون كثيرين من الضباط والوكلاء السياسيين وهم في مراكزهم يدافعون عنها الى ان يجيئهم النجدة او يقتلوا . وقد كان اكثر الموظفين من اجندية فام يحسنوا الادارة خصوصاً في بلاد اجنبية ، ولم يكن بينهم وبين اهلها شيء من العطف . فضلاً عن الخلل في الادارة المسكوبة التي كانت قيادتها العامة مقتصة في جبال السهم . فلا عجب اذا استمرت الثورة سبعة اشهر ، والعرب فيها فاترون بالرغم من المعامل المشيدة والمقاتيل المهدومة .

وعلى ذكر المقاتيل اذكر سورياً سمى في هدم مئات منها وكان من المخلصين . فقد كان في خدمة الانكليز الادارية بعض السوريين من المقتدرين المخلصين ، كما جاء في تقرير المندوب السامي الى دائرة المستعمرات . « وقد كان احد سوريين المقتدرين المخلصين عوناً كبيراً لنا في هذا الموقف الحرج » ولكن كاتب التقرير لم يذكر اسم ذلك السوري . هو الجندي المجهول . فما لي عيلاً بالواجب الانساني لا الوطني اذكر اسم من يستحق ضمني هذا الشكر . هو سوري من حيفا كان نائب متصرف البصرة يوم كنت هناك ، فقدم الحكومة العراقية الانكليزية في ايامه الاولى العديدة خدمات جليلة في وظائف شتى ، وحاز جزاء خدمه في النجف خصوصاً وسام الدولة الهندية .

كان جاد غاوي معاون الوكيل السياسي في الشامية^(١) وكانت المقاتيل في تلك الايام كما قلت اشد اعداء الجيوش البريطانية وامضى سلاح بيد العراقيين . فتسكن جاد غاوي في الشامية من حمل العرب على هدم مقاتيلهم ولم يبدل من اسباب النجاح غير اللطف والمعروف وقوة الاقتناع . داراهم وهو في دارهم ، فاكسب ثقتهم وحب مشايخهم ، فهدموا من حصونهم ما

(١) هو قضاء الشامية من متصرفية الحلة وعدد سكانه نحو خمسة وستين الف نفس كلهم شيعيون ومن العشائر .

يتجاوز الالفين منها ، وكانوا بعد ذلك من اصدقاء الحكومة والانكليز .
قد لا يذكر اسم جاد غاوي في التقارير الرسمية ، ولكنني سمعته حيناً سرت
في العراق وما سمعته مقروناً بغير كائنات الحب والتكريم .

اما السر آرنلد ولسون ، فلا يزال في العراق من الانكليز لا من العرب ،
من يعجب به بالرغم من هذه الثورة ، ويستحسن خطته السياسية . ولا غرو ،
فهو على ترقه وتسرع ، وعذوانه حر الطبع ، صريح الكلمة ، طلق الحيا . وهو
حتلي اللون « اسود الشعر والعين ، كأنه ايطالي او اسباني . وله شيء مما
كان اروزفلت من المضافليس في المصافحة والحديث . قد كان الرئيس الاميركي
الشهير يضرب بيده على كتف من يحبه عند المصافحة ، فاصبحت من عاداته
المحبوبة . اما السر آرنلد فلا يضرب بيده بل بلسانه او بإشارة من اشارات
النفس التي تظهر في الالحظ او الابتسام او في نهبات الكلام . قد اجتمعت
به في البصرة بعد ان رجع من انكلترا ليرأس شركة الغاز الانكليزية
الفارسية في آبادان . فلم كأنه من الممارف . وعندما تبادلنا السلام
تبادلنا كلمة بخصوص السر برسي كوكس . وكان قد علم السر آرنلد بالي
انشاره لارفاقه في السفر الى المقيم فقال علي الفور : ستنظر طويلاً . فقلت :
اذا كان لا يصل في هذا الاسبوع اسافر وحدي . فقال : حسناً تفعل . هي
الطريقة الوحيدة في النجاح فخطر في بالي اذ ذاك ما قاله الشاعر العربي فترجمته :

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعمل في الدنيا على رجل

فقال السر آرنلد علي الفور : عند العرب الشعر ولا ريب ، ، وليس
عندهم العمل .

هكذا الرجل الذي كانت سياسته في العراق من العوامل الاولى في ثورة
سنة ١٩٢٠ . ولا اقلته اذا ذكرت مرة يحس بشيء من الندم ، لانه كان
ولا يزال يعتقد ان القوة في الحكم بالرغم عن التعنيف خير من اللين والفضىء .

أما الرجل الذي جاء في تشرين الأول من هذه السنة ليطفي ما تبقى تحت الرماد من جمرات الثورة ، ويؤسس حكومة وطنية لأهل العراق ، وفقاً لرغائب جلالة الملك ، فهو نقيض السر برسي كوكس على خط مستقيم .

السر برسي كوكس^{١١} رجل طويل القامة ، نحيل الجسم ، يبتني شكل الوجه ، دقيق الأنف والثقة ، أبيض الأديم ، أزرق العين . هو انكليزي لا غش فيه . ظاهره ، وهو في سكون ، يبتني . عن نفس راقية ولكنها ليست بشفاقة . وإذا كان من اضطراب هناك قليلاً يبدو للأنظر . في لطفه ما يدني . ولا يشع ، وفي صراحته شيء . يشبه غالباً إلى التعمد . هو من السياسيين الذين يمتثلون لأمرهم ، وإن كان لا يهتم ، كونه رأس المهمل في الحياة . وإذا كشف عن زاوية منه فبعد أن تكون الحوادث قد كشفت عنه الستار كله .

إن سكوت السر برسي هو غالباً أفصح من نطقه . وإن عمله السياسي ، وإن وقف فيه أحياناً عند حد النبوض أو الميز ، لا يخاف من الاخلاص للعراقيين وللعرب . فإذا حصرمت النظر في سياسته العربية أرى أن أكبر فضله وأظهر حسناته هو هذا الاخلاص ، وهو ظهر في بعض الاحاديث في مظاهر مائع أو في مظاهر مؤلم . فقد قضى مدة من حياته قريباً من العرب ولا يزال يحبهم ويعجب بواهبهم الواقعة ، ويود أن تكون المنافع في العلاقات الانكليزية العربية مشتركة فيها على السواء بين الامتين .

(١) دخل السر برسي كوكس في ملك الحكومة الحديثة سنة ١٨٩٠ ، وعين بعد ثلاث سنين نائب قنصل زيلا في بلاد الصومال ، وقتل في السنة التالية إلى بربره . ثم عين سنة ١٨٩٨ قنصل في مسقط ، ثم قنصل عاماً في أبي شهر . وفي سنة ١٩٠٩ أعيد إليه منصب القنصل السامي في خليج المعجم . وعندما شنت قار الحرب العظمى اتدب لان يكون رئيس الحكام السياسيين لفرقة D من الحملة الهندية لفتح العراق . ثم ذهب بعد الحرب إلى بلاد إيران بمهمة وكيل للوزير البريطاني في طهران ، وادار فيها مندوباً سامياً لحكومة بريطانيا العظمى في العراق .

كنت تحدث وأحد رجال السياسة المعتدلين ، غير العرب ، وكان السر برسي ونقط العراق موضوعنا فقال جليدي : ان في سياسته كثيراً من الزيت . هي استمارة غربية عطية ، وفيها خلا الإشارة الى زيت العراق مقزى لطيف . فالآلة الميكانيكية اذا كثرت زيتها يخف صوتها وتنعيم في احتكاك اجزاها . ولكنها تقف احياناً من الاحتقان في مفاصلها فيعثرها الحقل . وكتبوا ما وقفت الآلة السياسية في دار الاندباب ، وكان رئيس المهندسين بل رتبتهم المس بل ، تذكر في البلاغات بعض اسباب الحقل ، ولا تشع مرة الى كثرة الزيت والاحتقان .

٨٠ قيل في السر برسي فان وجوده في العراق ، في ما يعد من امر ازمة العراق السياسية بعد الحرب ، كان غير ضمين لكرامة انكليزها واصلتها ، وخير صلة بينها وبين هذا القصر الناهض من الاقطار العربية . فقد حدث في هذه من الحوادث ما ستكون باذن الله مهمة العراقيين اول صفحة جديدة في تاريخ العراق الجديد .

عند وصول السر برسي في تشرين الاول سنة ١٩٢١ انتهى الحكم العسكري رسمياً . ولكن شراف من الثورة كانت لا تزال خارجة في اماكن مختلفة فصوب المندوب السامي باكورة اعلم اليها . فسلبت كويلا ، وهي قطب الفتنة ، في ١٣ تشرين الاول تم احدث الحامية في الكوفة ، فسلبت على اثر ذلك الجف ، وأذعنات عشائر الشامية والديوانية لوامر الحكومة ، فكان عدد ما جمع من السلاح في هذه النواحي خساً وستين ألف بندقية .

اما في نوا دياي ، حيث كانت الثورة في أشد حالها ، فقد استمر الاضطراب وما تخلله من الحوادث المؤلمة الى اواخر سنة ١٩٢١ عندما عقدت المعاهدة بين الحكومة و رؤساء العشائر هناك . وظل في الشمال في نواحي الموصل نفوذ الاتراك يتنخر كالسوس في عظم الياقة العربية الانكليزية .

عندما باشر المندوب السامي أعماله السلية أصدر بلاغاً الى المشار خصراً
والى اهل العراق هوماً يعلمهم فيه بأنه انتدب ليُساعد في تحقيق امانى الامة
بواسطة زعمائها ، وليؤسس يؤازرتهم حكومة وطنية . على ان ذلك يستحيل
قبل ان يستتب في البلاد الامن والنظام . ولما توقفت حكومة الانتداب الى
اليجادشي . من ذلك اصدر بلاغاً آخر يعلم الامة بتأسيس حكومة موقفة الى
ان يجتمع المجلس النيابي العام في ١٧ حزيران من سنة ١٩٢١ ، وان هذه
الحكومة الموقفة تتألف من مجلس وطني يحكم تحت مشاركة المندوب السامي
في كل الامور ما عدا الخارجية والمسكوية .

ان اصدار مثل هذا البلاغ لمن انسط الامور واسهلها ، ولكن تأسيس
حكومة موقفة ، نموذجة البلاد وتكون مونة بيد المندوب السامي ، هو
من الامور التي يسكت فيها القدر ولا تخلو من الثغرات .

لا ريب ان يات النقيب ، وعلى رأسه الشيخ الطليل السيد عبد الرحمن
الحيلاني ، هو مسوع الكلمة ، محترم الجانب في بغداد بل في العراق .
ولكنه في السياسة ، كما هو في الدين ، يؤثر التقاليد على البدع ، ولا يرفع
على الاعتدال حصنة من حصنات الوطنية . وقد اتفقت في اعتداله المحافظة
التي يعقم عندها الرأي وتنقص عوامل التجدد . الا ان ذلك لا يهيم الثغرات
في القدر الواقي تمثلون المرء بل .

- ان فضيلة النقيب صديقاً ، صديق انكساراً ، وهو ثابت في صداقته .
وان له نفوذاً سياسياً مقروناً بنفوذ ديني لا يضاهيه نفوذ في البلاد . اذن هو
صديق الامة وصديق الانكسار - هو الزعيم . سأعود الى فضيلة النقيب
ومجلسه وسياساته في فصل آخر .

قبل متردداً رئاسة المجلس الوطني الذي كان من اعضائه الاخضاني المالي
الشهوي في العراق ساسون افندي حزقييل ، والسياسي الداهية السيد طالب

النجيب ، فقيص البصرة ، والعالم الفقيه مصطفى افندي الالوسي ، والوجيه
الفاضل عبد اللطيف باشا المنديل . كلهم من اصحاب التجلة والكرامة ،
وليس فيهم من حارب في الحرب العظمى وكان من التبيبة الوطنية التي
تنعكس في آمالها واقوالها ، وفي بعض اعمالها ، جمال النهضة العربية ، وحقيقتها
العالية ، الا جعفر باشا العسكري .

اجتمع المجلس لأول مرة في ١٠ تشرين الثاني واستمر في الحكم الى
يوم تنويع الامير فيصل ملكاً على العراق . وقد حكان من اعماله المعروف
بعض المنشئين من اشتركوا في الثورة ، ومساعدة الضباط العرب الذين خدموا
في الحكومة السورية الفيصلية ليجعلوا الى العراق ، وتنظيم حكومة مدنية
بديرها . وظائف وطبيون تحمل عمل الحكومة العسكرية التي حكان يديرها
الوكلاء السياسيون الانكليزي . ثم باشر المجلس درس انشاء جيش عراقي
ودرس قانون الانتخابات التركي وتصحيحه ليتطابق احوال البلاد الجديدة .

وكان قد تولى هذا الامر ناظر الداخلية طالب باشا النقيب . غير ان
الانتخابات والمطامع الملكية قلما تلتئم خصوصاً اذا كان امر الاثنين متوطناً
برجل واحد . بدأت الامة تطالب بتنفيذ قرار ١٧ حزيران الذي اصدريته
الحكومة العسكرية واجازته الحكومة الوطنية الموقته . بدأت تطالب
بانتخاب المجلس النيابي العام .

وكان الامير فيصل قد سافر الى اوروبا ووصل الى انكلترا ، وكانت
الحكومة الانكليزية تفكر في ملكية العراق وفي نسبة الامير . اما في
العراق فكان قسداً وفي بعض الناس وجوههم شطط الكمية يستمدون من
ظلمها المبارك الرسمي في تشييد ملكهم الجديد . فشاع في البلاد امر الملك
حسين واولاده ، وبعث بعض اولئك العراقيين يرغبون اليه بان ينفذ احدهم
ليتبرأ الرش الجديد .

ازعج الحيد وزير الداخلية الذي فكر ملياً في الامر فراه منشعباً كثيراً
 الاخطار . ان لشريف اربعة انجال وفي كل واحد منهم الحيد والبركة .
 ولكن الامة العراقية تأبى التفضيل ، وقد تهيء الاختيار ، فتتقسم على نفسها
 فيتراحم ويتهاك الانجال الاشراف في سبيل مصالحها . . . وليس في مثل
 هذه الحال خير للعراق .

لذلك شرع السيد طالب يطوف في البلاد ليم اصلاحاً خاصاً في قانون
 الانتخابات ، كانت المادة الاولى فيه ، تلك التي تولى بنفسه نشرها وتمييزها ،
 ان لا تنتخبوا شريعاً اجنبياً . المسكأ عليكم ويحكمكم . هوذا السيد طالب
 وهو مثل انجال الشريف من الاشراف . فهو يتكفل لكم بمن يلائمكم في
 العرش ولا يكون الناج على رأسه كبيراً او صغيراً . بيد ان المستر كرسفل ،
 وزير المستعمرات الانكليزية ، وهو يومئذ « حطب سارح » مثل السيد
 طالب ، كان يسعى في غير هذا السبيل .

فجاء من العراق المندوب السامي بصفحه بعض المستشارين والمس بل ووزير المالية ساسون الهندي وجعفر باشا وزير الدفاع .

وجاء الى القاهرة في ذاك الشهر ايضاً اي الشهر الثاني من سنة ١٩٢١
الامير فيصل وحاشيته - مشتهرين - فصفا الجو في العراق للسيد طالب ثم
اكفهر كما سيجي . الكلام . والسبب في ذلك ، مما قيل في التقارير الرسمية ،
انما هو مؤتمر القاهرة . - قد اجتمعنا ايها السادة لننظر في طريقة صالحة
تتمكننا من تخفيض القوات الانكليزية المسلحة في الشرق الادنى دور . ان
يلحق شي . من الضرر بالسيادة الانكليزية . ثم لانتظر في تأسيس دائرة
خصوصية للشرق الادنى في وزارة المستعمرات لترعيد السياسة والصل .
وبكلمة اخرى ، بكلمة وجيزة صريحة ، يجب ان نخفض نفقات حكومات
الاستدباب لتفريق عن مناكب الشعب البريطاني المال الضرائب . واننا نرى
ان تنظموا في العراق جيشاً من الوطنيين فتتمكن من سحب جنودنا من تلك
البلاد . . . قد اجتمعنا ايها السادة . . . ملك العراق ؟ نعم . نعم . . .
وكان الامير فيصل وحاشيته قد أمروا القاهرة كما قلت ترويجاً للعش .

عاد وفد العراق الى بغداد فاصدر المندوب السامي بلائاً في ١٢ نيسان
قال فيه ان ما قرره مؤتمر القاهرة يجب ان يعرض على الحكومة بلندن قبل
ان يعلن . وكان السيد طالب قد اذعن في التطواف والخطابة ، وتوسع في
سياسة الانتخابات والتاج ، فازعج فريقاً من الامة وخصوصاً فضيلة النقيب
الذي كان يدرك من غوامض الامور ، وهو الصوفي الكامل ، ما تعجز دونه
روحية طالب باشا وعقلية امثله . أغضب النقيب الاكبر عينيه ونظر الى ما
ورا . حجاب النقيب ، فرأى هناك وزيراً من كبار الوزراء وخاتوناً من كبيرات
الحوائين ، دح الثغانات في العنق ، فسمع الاول ، يقول والثانية تترجم : لا
ترغب حكومتني لعرش العراق بغير واحد من بيت الحسين بن علي .

ولكن السيد طالب لا يسمع ولا يرد عوي . ففي مأدبة ادبها لبعض الصحافيين الانكليز، وحضرها عدد من الوجها الوطنيين ورؤساء العشائر ، وقت بعد ان دارت الكؤوس خطيباً ، وكان في جهره عجباً - ان في دار الانتداب من لا يحبهم لانهم يتدخلون في شؤون الامة التي لها الحق ، ولها وحدها ، ان تؤمر او تملك عليها من تشاء . وقد صرحت حكومة الانتداب بانها ستحترم ارادة الشعب العراقي ونحن نحترمها اذا فعلت . اما اذا اخلت بها هنا عليها - ونظار اذ ذلك الى رؤساء العشائر - عشرون الف بندقية .

كلمة شديدة صريحة ساءت الى جو التياسة اليوم والضياف فقامت الحواريين تبديها . دعت اللادي كوكس السيد طالباً للشاي وكانت المس بل هناك تمثل على الدوام التفاتت في العقد ، فحضر النقيب ابن القيب ، وخرج من القصر مسحوراً ، فاستقبله عند الباب بعض الجنود ، فدفعوه الى سيارة كانت طيارة . حملوه على بساط الريح دون ان يدري بذلك احد من الانس ، ولم يبقوا به حتى امسوا خارج العراق . ثم صدر منشور المندوب وفيه الاسباب التي حملته على زفي صاحب المعالي السيد طالب باشا النقيب .

وظل الامير فيصل سائماً في جو صفا ادبه وتلاذت من ورائه طلائع القيب ، فوصل الى الحجاز في اوائل حزيران ، يوم القى المستر تشرشل خطاباً في مجلس النواب يختص بالعراق وركب المهجين من جده الى مكة ليقيم هناك بالواجب النبوي . تباركت الاقدار التي تديرها سياسة بريطانيا العظمى . فقد أنست الابن غضب ابيه ثم استيقظت في صدر صاحب الجلالة الرحمة والرضوان ، فجاءت منه برقية تقول ان ابنه فيصل قد سافر الى العراق .

وبعد عشرة ايام اشرفت شمس الامير في خليج فارس فجاءت النقيب برقية ثانية تقول انه سيصل الى البصرة في ٢٦ حزيران . وما ضل البخار ولا غوى . وصلت الباشرة في الوقت المضروب فاستقبل من تقل استقبالاً

رسمياً جيلاً في البصرة بأوغم مما كان قديماً من عوامل الربوب والثرود بشأن من جاء يجلس على عرش العراق . بيد ان الأمير في محضره وحديثه وخطبه هو اصكح حجة لفته على الثروديين من الناس . وقبل ان أم بغداد زار المشهد^(١) والحضرة^(٢) فاستبان اليه القلب الجفري الحفي . ثم في ١١ قوز اجتمع مجلس الوزراء برئاسة النقيب وقرر ان يكون الأمير فيصل ملك العراق بشرط ان تكون الحكومة دستورية دستورية نيابية . فاضاف المندوب السامي انه ثوجب تعديلات حكومة جلالة الملك بان يكون للامة العراقية حق الانتخاب من اشخاص ملكاً عليها ، فلا يعمل بهذا القرار قبل ان يثبت الشعب العراقي . وشرعت الحكومة في الاستفتاء او الانتخاب او المباشرة ، فكانت النتيجة واحدة . ان الانتخابات بهذا الزمان الديمقراطية ، غداً في الشرق لا ضرورة من اضاحيات السياسة . على انه بالرغم من مساعي الضباط الانكليز السياسيين الذين تولوا امر الانتخاب قد اشترط كثيرون من المنتخبين ان تكون حكومة الملك حكومة مستقلة عن اية سياسة اجنبية كانت . اي انها رفضوا الانتخاب

وكانت حملة الترويج في ٢٣ آب سنة ١٩٢٠ ، فوقف السر بري كوكس يملن امام الجماهير المحشدة ان الامة العراقية اجتمعت ستة وثمانين من اصواتها على مبايعة الأمير فيصل ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تعترف به ملكاً على العراق . فالتقى جلالة الملك خطاباً جاء فيه : ان اول عمل اقوم به مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي .

وبعد انتهاء الحملة قدم المندوب السامي للملك برقبة من الملك جودج الخامس فيها الكلام المأثور في التهنئة ثم ما يلي : « وان المعاهدة التي سيقصد

(١) قبر الامام علي في النجف

(٢) قبر الحسين في كربلاء .

قريباً بيننا فتبنت التحالف الذي تمخض عنه في أيام الحرب المظلمة ششكني ولا ريب من القيام بواجباتي المقدسة لأدخال العراق في عهد جديد من السلم والنجاح . فأجابته الملك فيصل بعد كلام الشكر المألوف : « لا أشك بأن المعاهدة التي ستعقد قريباً بيننا ششكني عرى التحالف الذي قدسه في معاهدة الحرب العظمى دم الانكليز والعرب وانها ستقام على اساس متين » .

اما الشعب والزعماء والصعاقيون فلم يدركوا ، وهم في نوبة من الخساسة والابتهاج شديدة في خطوة هاتين البرقيتين . لم يدركوا ان الملكين عقدا يومئذ عقدة استعجال في السنة الثانية حلها فكانت السبب في ما شوه الاحكام الاممية والانتدابية من الخلل والاضطراب . غم الصعاقيون يومئذ اقلام الفصاحة في محاور البيان ، واستداروا من البلاغة اجنحة طاروا بها في سماه الاماني الوطنية والاحلام .

- وفي هذا اليوم شغضت النظر الامة الى مليكها كتميد ذكره المنصور والرشيد والمأمون . وفي هذا اليوم كتمد الامة من ماضي عهد العباسيين نوراً تهر فيه الى اعالي مجدها الجديد . وفي هذا اليوم تؤسس حكومة عربية حرة دستورية نيابية ديمقراطية مستقلة كل الاستقلال . وفي هذا اليوم - سقط منذ سنة ملك سوريا ، فليحيى اليوم ملك العراق .

بعد سنة اخرى ، في عيد الجلوس الاول ، ردت الصحافة آيات البلاغة الذهبية ، وحلقت في سماء الامال المسجدية ، فهرنت على صف في ذاكرتها او في سمعها . في مثل هذا اليوم منذ سنة وقف المندوب السامي يعلن للشعب باسم جلالة الملك استقلال العراق وانتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق . وفي مثل هذا اليوم ابرق الملك جورج الخامس الى الملك فيصل يهنئه والشعب العراقي ويذكره بالمعاهدة . فلم يكن لا في كلام المندوب ولا في برقية الملك كلمة عن الاستقلال التام .

امر تساعت به الحكومة قبل التتويج وامر تساعت به الامة يوم
التتويج وبعده ، ها هنا رأس الخطل والحلل . فقد اشترط المبايعون في
ويعتبرهم رؤس الانتداب فثم ياتيه لذلك دار الانتداب . ثم المسترطون ونحو
الحاكمون . وقد تعاهد المليك على عقد معاهدة في القريب العاجل فام
تدرك ذلك الامة ، ان انما ادركت وفي تكسوت . دع الملوك يتعاهدون .
اما الحكم اليوم فتشعوب هوذا الاماس الواعي في الملك الجديد . هوذا
رأس الخطل والحلل .

الفصل الثالث عشر

المعاهدة

المعبر في الحكومة عجز - النصر - الأمة حارة - الانكليز انصون -
اعترفهم بالحق - معاهدة ثلثت الاستقلال وسيد - لا عجز عن ولا - لا ولا يفر
- الاستقلال - لا حرية ولا الأمن - التولية الجديدة - المعاهدة - المعبر
لنوع - كل والحق القاد - حكومة - بعد - بعد - بعد - بعد
بذلك - المعاهدة - حكومة - توفيق - المعبر - في - في - في - في
- في - في - في - في - في - في - في - في - في - في - في - في
- في - في - في - في - في - في - في - في - في - في - في - في
- في - في - في - في - في - في - في - في - في - في - في - في

باشرت الحكومة الجديدة المعاهدة اشترت اليه من العجز المعنوي ، هو
جز لأن التصريح الثام في مثل تلك الأحوال ، بل التحديد الاكيد الذي
اقتضته تلك الحوادث الحظيرة ، كان مقوداً ، فلا انكسر العربي قيد وبعده
لذلك الانكليزي بالشرط اللازم ، ولا الأمة التي بايتمت لذلك اصرت على
الحكومة في البداية بقبول شرط الـ لا انتداب . ولا حكومة الانتداب
صرحت برفضها شرط الأمة في المعاهدة . هذا هو العجز المعنوي الذي قل من
سام من نتائجه الحبيثة .

وقد كان في ميزانية الحكومة عجز مالي لا يقل عن المليون ايرة
انكليزية فندد بقرار من مؤتمر القاهرة - أدخل في ميزانية حكومة انكلترا -
تهدد للهدد العراقي الجديد . بيد ان ذلك القرار اوجب على الحكومة
المراقبة ان تخصص في ميزانيتها الجديدة لثلاثة وخمسين الف ليرة للجيش
العراقي فكان ذلك عجزاً آخر . لأنه تمسرح جميع الضرائب من امة كانت
ثورة وظلت نائمة معاندة . مما عجزان فكانت الثورة الجيب المباشر فيها ،
تلك الثورة التي اثلقت في الزرع والضرع ما اثر في الضرائب تأجراً شديداً

وفسكت من عرى الأمن والنظام ما اهدف الحكومة الى حله لم يكن لها فيه سيادة تقوم . على ان الامة في حبوط الثورة فقدت الثقة بنفسها وصارت في جراثيم في جوارتها ، اقرب الى التهويل منها الى العمل . وما يصح فيها من هذا القليل يصح في حكومة الانتداب وفي الموظفين الانكابر عامة . الا ان طريقة هؤلاء ، وهم يظهرون من الضعف قوة ، كانت اضمن للستر والكرامة . قد يكون الفرق بين الاثنين فرقاً طبعياً لا خلقياً وقد يكون غير ذلك . امهما امر اثنين تصارعاً وتغالباً وحكماً في النهاية . فلنولين على السواء في ما اصابهما من الم وهك ونعوط . بيد ان الامة الواحدة كانت ظاهرة ، وآلام الآخر خفية .

ومع ذلك فقد ابت على الكاظم الحفاه . ما كلمت انكليزياً في تلك الايام ، ايام العجز الادبي والمالي ، الا وحكاً ، بالرغم عن التجلد والشدّة والثبات المشهور هذا الشعب بها ، متأثراً من الحالة حتى اليأس . — « عندنا من المتوظفين من يفتنون انفسهم اكبر من كراسيهم فلا يحسنون الجلوس فيها . وعندنا آخرون هم كالأوتد المستديرة في الانتقاب المربعة مترعززون . تغلقون » . وقال آخر : « عساكر وضباط في وظائف ادارية ومركزهم الطبيعي انا هو في الجيش » . وآخر — بارك الله بمن عرف خطاه واعترف به — : « حكومة لندن تربط ايدينا وحكومة العراق تزدديننا . . . الزينة حسنة وان كانت الاغلاط كثيرة . . . نحن في حاجة الى العراق والعراق في حاجة الينا . ولا خير لنا وللعراقيين بغير المصلحة المشتركة والاكرام المتبادل » .

على انهم ، وهم ينطقون بالحق ويعترفون باغلاطهم ، يرتكبون الخطأ القادح في معاهدة تكفل الاستقلال للعراق وتقتض في بعض مواضعها ذلك الاستقلال . وقد يكون الحق في جانبهم في ما ينقض ، من الوجهة المالية في الاقل ، لا في ما يشب الاستقلال . ولكنهم لم يعصروا بذلك . تعظمكم هكذا وكذا ، فتمطروا هكذا وكذا ، والاستقلال الحقيقي انا هو القيام

بالعهود . لم يكن في العراق لا من المعتدلين ولا من المتطرفين من يقول هذا القول . طلبوا الاستقلال مجتاً ، وهذا لا يكون . ولكن الانكليز سكتوا ففطن في سكونهم القبول . ثم جاءوا بالمعاهدة فمناضاهم عن الاستقلال فرفض العراقيون الدفع وجاءوا بالمعاهدة قبل ان يجتمع المجلس التشريعي المزمع به في قرارات سابقة ثبتت رسمياً في حقلة الترويج

ان المرء ليعجب من حكومة عاقلة راقية مثل حكومة انكلترا اذ تقدم على عمل في غير بلادها لا حكمة ولا سياسة ولا عدل الا في عكسه . هم يطلبون المعاهدة اولاً ، ثم يشترطون في القانون الاساسي ان لا يكون مخالفاً لموادها ، ثم يأذنون بانتداب مجلس نيابي ليعيها . والمثل الذي يسبب هذا المساك مثل الانكليزي . على ان العربة جوت الحصان في العراق اقل من ان تطيح ان تجره الى حيث تشبي وظفنه المضحكة ؟

ثبت الانكليزي في علمهم وفازوا . فهل يثبت الفوز المبني على الغلط يا ترى ؟ (١)

اعود الى حيث انطلقت بالقارى . ، لاطلع على القسم السوداني من تاريخ جلالة الملك ، فلف به نازية عند حادثة القصر في تاريخ الحكومة العراقية الجديدة . اعود به الى تلك الايام التي لم يكن في العراق لا حكومة تذكر ولا انتداب ، لا كل قصة المعاهدة المشهورة . من العام الاول بعد الترويج وما رأى الناس فرقاً كبيراً بين سياسة الحكومة الحاضرة وسياسة الحكومة الاحتلالية النابرة . فلم تضع الامة ثقتها التامة بوزارة النقيب الثانية ولا وضعت الاحزاب المقاومة ، وعلى رأسها الشيعة ، ثقتها التامة بجلالة الملك .

(١) وما قد مرت حير مشوات على تلك المعاهدة ولا تزال الحكومتان البريطانية والمصرية تتفاوضان في امرها . لا تزال فيها ما يحس اصلاحه او تعديل او نقاؤه . معاهدة وادت قبل المجلس النيابي والدستور الاساسي ابدياً . وثبتت بالضرورة . فهل تخاف بالضرورة يا ترى ؟

وكانت دار الانتداب بين فريق يعرج ووجهته التقييد ، وفريق آخر مثله ووجهته القصر ، يحاول الانتفاع بالحالتين ليصل الى الناية المنشودة .
والغاية عقد المعاهدة . الا ان هذا التمهيد في المعاهدة يا فتاحة المندوب ، وفيه نص صريح على الانتداب ، لا تقبل به الامة ولا يسكتنا من العمل واما كما بما فيه غير البلائين . اجل ، قد كان حق التقييد من المحتجين .

استمرت المفاوضات بين بغداد ولندن بخصوص ذلك التمهيد وبعض بنود في المعاهدة هي من بابه . وقد كانت دار الانتداب شديدة الالفة على الوزارة الخارجية . - قد خفضنا كثيراً نفقات الحكومة يا مسرئ نرشل ، اسقطنا اكثر من ثلثها ، فاصبحا ولا قوة لدينا فنخذ اوامر الحكومة ونجميع الضرائب . وحصل تخفيض في النفقات في بلدان الشرق ، كما لا يخفى على فعايتكم ، يلزمه او يبيحه ضعف في الحكومة . ومع ذلك مشيتروا بالكم يا تأمرون - والحرب سهل في الخريطة يا مسرئ نرشل . اقم تبغون عقد المعاهدة ولا تراعون واقعة الحال . اليس من الممكن ان تتنازلوا عن الانتداب - او عن البعض عليه في الاقل ؟

مع المؤتمر نرشل شكوى دار الانتداب ببغداد ، فتبعت المعاهدة ، وانفي ذلك التمهيد المشؤوم ، واضيف الى المادة الاولى جملة احتياطية بخصوص السيادة الوطنية ، وأبدل في المادة الثالثة الشرط الايجابي بشرط ساي ، ثم في المادة الحادية عشرة اضيفت جملة احتياطية طويلة لا احكاماً للعراقيين ولا للانكليز ، بل ارضاء لحكومة ولايات اميركا المتحدة .^(١)

(١) المادة ١٥ في النص الثاني النهائي : يجب ان لا يكون ديرة ما في العراق ارضاً للبريطانيين او لغيرهم من رعايا الدول الاحتمية الاخرى على رعاية أية دولة هي عضو في جمعية الامم ، او رعاية أية دولة مما قد وافق جلالة ملك بريطانيا بموجب معاهدة من ان يضمن لها عين الحقوق التي قد تشبع بها في لو كانت من ضمن اعضاء جمعية الامم في الامور المتعلقة بالضرائب والتجارة الخ .

اما المعاهدة نفسها فيمكن تلخيصها بعشرين كلمة . وهي ان حكومة انكلترا تمد الحكومة العراقية بالمال والسلاح وبالمساعدات الادارية والفنية بشرط ان تقبل نواحيها واوامرها في كل ما يتعلق بذلك . في هذا شيء من الاستقلال، فيه يستقل العراق عن دول الارض كلها سوى دولة بريطانيا العظمى . ولكي يدرك القارى ما هو اعتمادها على هذه الدولة اتوسع بما تقدم من خلاصة المعاهدة فاقتطعت ما يلي من اهم بنودها .

ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يتعهد بان يقدم ما يقتضي من المشورة والمساعدة الى دولة العراق (المادة الاولى) وان يقدم من الامداد والمساعدات الى قوات العراق المسلحة ما يتفق عليه من وقت لى آخر (المادة السابعة) وان يسعى باذخال العراق في عضوية جمعية الامم باقرب ما يمكن (المادة السادسة)

ويتعهد جلالة ملك العراق في مقابلة ذلك بان لا يعين في الحكومة العراقية من المارطلين الاجانب غير الانكليز (المادة الثانية) وان يقبل المشورة التي يقدمها ملك بريطانيا واسطة المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وخاصة الشؤون المالية (المادة الرابعة) وكذلك الخطة التي يشجعها في الامور المدنية لتأمين مصالح الاجانب (المادة التاسعة) وان ينظم قانوناً اساسياً لا يخالف في

وهذه الجملة الاحتيالية التي اضيفت ايضا الى المادة ١٤ التي تختص بالاثار الموقوفة قصة لا تخلو من لذة . هاكها بالايجاز : من المعلوم ان اميركا لم تدخل في جمعية الامم . ومن المعلوم كذلك انها كانت قد انضمت مع انكلترا وفرنسا على استئجار زيت العراق . عني ان هناك لا يعلم غير بعض الاختصاصيين والسياسيين وهو ان شركة اميركية ارسلت مهندسين من قبلها في سنة ١٩٢٢ الى العراق لينحروا الخنادق القديمة والاقتصادية بنحو ص الزيت فلم يمكنهم المندوب السامي من ذلك . وكانت المعاهدة يومئذ من الاكبر . فانصل اشهر بحكومة واشطون التي احتجت على عمل المندوب السامي . وبعد المفاوضات بينها وبين حكومة لندن ادخلت الجملة الاحتياطية على البندين الحادي عشر والرابع عشر من المعاهدة . فيظهر ان اميركا لا يحسد من العراق الا ما كان مدفوناً في اراضيها من الثار ، ومن منابع الدولار !

مواده هذه المعاهدة ليعرض على المجلس التأسيسي للتصديق .

وقد اتفق المتعاهدان بان تضمن المساواة بين رعايا بريطانيا العظمى ورعايا الدول الداخلة في جمعية الأمم في الأمور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او ممارسة الصنائع والمهن الخ (المادة الحادية عشرة) وان تكون مدة المعاهدة عشرين سنة .

في اليوم العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢ هـ ١٩ و ١٠ صفر ١٣٤١ هـ اجتمع في باب السيد عبدالرحمن نقيب اشراف بغداد ورئيس الوزارة في الحكومة العراقية جمهور من الناس ضاجين مشاغبين وهم يصفون مخاطبة الوزير فحمل احد الحجاب خبرهم الى سيده فاذن لهم بالدخول . فكان قد وقع المعاهدة صباح ذلك اليوم فدخلوا يحتجون عليها وعليه . فسألهم قائلاً : باسم من تحتجون ؟ فاجابوا باسم البلاد . فاحتمد فضيلته غيظاً وانتهرهم قائلاً : ومن انتم لتحتجوا باسم البلاد ؟ هودوا الى بيوتكم واشغالكم . انا صاحب البلاد . فخرجوا احتراماً ساكتين ، وما كانوا مقتنعين ولا راضين .

ثم نشرت الجرائد صورة المعاهدة مصدرة ببلاغ من صاحب الجلالة الى الشعب العراقي بقول فيه ان قد اعترض سبب المفاوضات مصاعب جمة ولكننا تمسكنا من التغلب عليها والوصول الى هذا الحل المرضي . . . وهي خطوة واسعة في سبيل تحقيق امانتنا الوطنية . . . فقد اعترفت بريطانيا العظمى باستقلالنا السياسي واحترام سيادتنا القومية . ثم يدعو الناس لمواظرتهم ولا تخاذ الخطوة الثانية وهي مباشرة انتخاب المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي الامة . فقرأ الناس البلاغ الملكي والمعاهدة وما كانوا مقتنعين ولا راضين . وقرأها اشياخ الحكومة ساكتين احتراماً وآسفين .

بعد شهر من يوم التوقيع سقطت وزارة النقيب . كنت يومئذ في العقير

وصحكان عبداللطيف باشا المنديل^(١) عندي في الحجة عندها استلم برقية من عبدالحسن بك السعدون في بغداد يخبره فيها بأن جلالة الملك قد عهد إليه بتأليف وزارة جديدة وبسأله ان يحكون وزير الاوقاف فيها . وفي ذلك اليوم نفسه تمت من السريسي كوكس السبب في سقوط الوزارة فعزنت لما علت . اجتمعت الصداقة بالسياسة مرة في قديم الزمان فقالت الواحدة للآخرى : وكان سلامه علي وداعاً .

وبعد سنة وثلاثة اشهر من يوم التوقيع اجتمع المجلس التأميني في بغداد وكانت الامة لا تزال في حالة تلك المعاهدة ، اذ لم تنصراها الهلاليين ، ورفض المجلس انعقادها . ثم انتقلت الوزارة الانكليزية الى حزب النمل ولم تغير في سياستها الخارجية . فاصدر المشر مكدموالة بلاغاً رسمياً أعلن عزمه على اعادة المعاهدة الى عصبة الامم اذا لم تقبل بمقتضاها في ١١ حزيران . وكانت مشكلة الموصل يومئذ قيد البحث بين مندوبي الكاكرات وتوصيكياي الامة فالتحذير الحكومة الانكليزية سلافاً آخر ترويع به الامة المراقبة اتفقت الزيادة من هذه القصة المخرقة ؟

(١) عبداللطيف بن ابراهيم المنديل هو من عشيرة الدواسر وبعث سببه الى عمر بن الخطاب . تمكن احد اجداده الى حلاجيل في عهد عثمان عند تعيينه من جاء والده عبداللطيف باشا العراقي فأسس عملاً تجارياً في البصرة وآخر بغداد في عباي ، وآخر في بغداد . وقد سلك عبداللطيف عمالك والده في التجارة والزراعة فزاد ثروته واهلا وسكناً . وهو حر الكلية مدبب الرأي ، يخلص الود لال سعود وعده وصاً للسلطان عبدالعزير ، ويخلص العمل لوطه الثاني للعراق . فقد انتخب في زمن الحرب عضواً في مجلس الانراف في البصرة ، ثم استدت اليه وزارة التجارة في الحكومة المراقبة المؤقتة ، وقد التويج تشكلت الوزارة برئاسة اللبيب ايضاً واستدت اليه وزارة التجارة مرة ثانية . ثم جاء الى الحجاز وور السلطان عبدالعزير الذي شاء ان يفاوضه في بعض الشؤون . وعندما كنا في المنير جاءه من عبدالحسن بك السعدون برقية بأن فيها ان يرأس وزارة الاوقاف لقبيل عبداللطيف باشا واستمر في هذا المنصب سنة ، ثم انتخب في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٢ عضواً من البصرة للمجلس التأميني .

دعي المجلس التأسيسي لعقد جلسة فوق العادة ، بعد ان ارفض في ١١ حزيران دون ان يعزم الماهدة ، فلم يحضر الجلسة غير خمسة وستين عضواً من مئة وعشرة اعضاء . فاقترحوا على الماهدة فسكران منها ستة وثلاثون وضدها اربعة وعشرون . اما النسخة الباقون فرفضوا الاشتراك في الاقتراع .

هذي هي نتيجة ذلك المثلث الترامبي الذي رأينا المرة فيه نجر الحصان . بل هذي هي النتيجة لتلك الحزمة السياسية التي بدأنا نحاربها بالنعف قبل ان يهتم ناساس البيت . فقد قبلت دولة بريطانيا العظمى ماهدة ابرمتها اقلية صغيرة في المجلس التأسيسي العراقي ، ولا شرف في قبولها لانه يخالف تلك القاعدة الاساسية لتفكيركم الدستوري افقره في دلائها .

الفصل الرابع عشر

اصحاب الماني

سكرانيد الوزارة يخلصني من فندق بغداد - خليفي ومصيفي - السيد عبدالرحمن
المنقب - تاريخه العالي - عند سقوط حواء التي سقطت الآراء - أهل العراق -
المنقب - لكرسي الكهنة - السيد مصيب - قصة الميخوف والمنقر -
الاموي الماني - بكر شي - انجاس البحر والبرقة - اولاد النقيب المشهور
والعبيد - وقد من اعيان - ابو احمد النورية - اقيم في بيت الادبسة والظاهر
- الوالي عيبروس - مولانا عبدالقادر الجيلاني - مائة مبيد النقيب - المجتهدون
والوطنيون - انظر في حب الفت عند الانكاز وعند سواهم -

النادي العراقي - الطاعة البغداد - احتشام في لعب - برص في عري - ٥٨
فيه - السكوت اخرون - ترجمة عبدالرحمن بن السعدون - ورائه واعمالها -
نفي زعم الشبهة - عاتقهم - رسالة من صبي اوزير -
الوزارة الجارية - جسر بلا لا كتاب - السيد - الجيش العراقي - وزير لا يحميه
السوق - فرار جداره - من اقطار حاضرات - الوزير الشاهد - راحة واعمالهم
- رايه في الانكسار -

الوزير الجديد - شهابي مني لا تكلم - قدسوف في الاخران - على هاندة
السوق - حجة تدوين المساعدة - عاتقها - وزيره عاتق بلاش ووجهه - الوزر
الثابت في اوزر - حرفة - ترجمة صاحب القدي -
والوزيرة - محمد مرزوق - راي احدى اعداء فيها - راي احد المستأجرين
- الكليزية عربية - الامانة والقضيب - حاة العرب وعصمتهم -

قد حكان من حظي في بغداد اني لم اضطر ان اقيم دائماً في فندق من
فنادقها الفخمة فأروض الجسم في احدى غرفها منذ اليوم للقبور ، واكل تحت
الارض في السرايب من المآكل التي لا يعرف لها تاريخ ، ولا قومية .
والفضل في خلاصه لثاب اديب كريم ، له جذوع وقروع في تاريخ الدين
والدنيا تحير علماء الانساب والآثار ، ولا تقيه مع ذلك من النار . فهو فارسي
الاصل ، انكليزي التربية ، شيعي المذهب ، درويشي العقيدة ، نبوي السليلة
قديماً وحديثاً . اقول قديماً وحديثاً ، واليك البيان : هو في الاول سيد من
السادة الذين يتصل نسبهم عن طريق الحسين بفاطمة الزهراء ، وهو في الثاني

غصن صغير يابس من شجرة النبوة الخديثة التي زرعتها « الباب » في بلاد
المعجم في القرن الماضي ، ثم نقلها « البهاء » الى حيفا ، فاستثمرها « عبد البهاء »
خال صديقي ونقل من غارها الى اورشليم واميركا . وهو مع ذلك وفوق
ذلك استاذ في علم الاقتصاد السياسي .

عرفته يوم وصولي الى العاصمة . جاء به الكسباني امين يقول : هذا
الحسين بن الحسين وعنده من كل فن خير . كان من الواجب ان يسره فنونا
واكتهم اساءوا اختيار الخبيث فسموه افنان ، - حسين افنان ، مسكرتير
محاسن الوزراء ، والصلة المرونة المقيمة بين الوزارة والعرش ودار الانتداب .
فقلت : سبحان الله الذي جمع مساوي الثلاثة في شخص واحد . فقال
الكسباني : وقد اضاف اليها مساوي اخرى : فضحك افنان فانارت
الضحكة وجهه القموي - المستدير كالقمر . وعندما سمعني اشكو من
الفندق فخامة فيه ، وفي مأكله واغانيه ، قال : غدا انشاء الله نزيحك منها
وكان قد استأجر بيتا . والكسباني قاعد لي فيه غرفة لا تهجرها الشمس في
النهار ، ولا الهواء ولا القبار . هي بغداد . وما فيها غير فصلين في السنة
فصل القبار وفصل الوحل . وصات اليها في الفصل الاول ، ثم سافرت الى
نجد ومدت اليها في الفصل الثاني كي لا يفوتني شيء من محاسنها . . .

رفيقي خليلي ، ولا اخاطبككم شراً . قد نحدان وقد نحدان في
وتخفيفتكم ، قد تكونان في ما تكتبان وتترجمان ، وتسميان وتجريزان ،
خيراً للانتداب يوماً وشراً على الامة « او خيراً صافياً للثنين في بعض
الاحايين . اما في حقكمكم الهمسكية في محلة الاشراف ، في ذلك البيت الذي
كان مشروحاً دائماً ، ليس لي فقط بل للشمس والقبار والضوضاء ، فكنا
نمتهم من الحر يسردابه في النهار ، كما تذكران « وبسطحه في الليل ، فلم
يسكن فيكمما وانما الرفيقان المضيفان غير الخير الصافي على الدوام .

السيد عبدالرحمن النقيب^(١)

قال الحسين يوم اجتماعي به في الفندق : قد قابلت صاحب الجلالة سيد
الكسباني فيجب ان تقابل صاحب الفضيلة والنفاتي سيدي . فقلت : اني في
الحالين طامع وسرت واباه الى بيت جميل على شاطئ دجلة وكان في تلك
الايام قطب السياسة والسياسيين كما هو قطب الاقبياء والمتبعين -
والمزاولين . من سيدي النقيب يهتم بالأرض اهتمامه بالسما .

وكان اول اجتماعي به في القاعة التي تجتمع فيها الوزارة والتي وقعت فيها
بمئذ المعاهدة ، وهذا شيع في العقد الثامن من العمر ، يحمل في قلبه افراح
الثاني واتراحها هادي . المال ، ويحمل في رأسه فلسفة روحية سياسية زراعية
خالية من غش الارواح والحبال ، ويحمل في ماله داء اقدمه فالجاء الى العدا
ينو كآءاها من عقر داره الى بهر الا-تغال . وكان يومئذ يحمل فوق ذلك
كسكه الجمل الانثقل والاعشن ، من المعاهدة الانكليزية العراقية وسياستي
العرش ودار الانداب .

رجل عدل القامة ، وافر موضع الذئبان ، راق العين ، ناصع الجبين ،
قدير اللحية ، سام الحيا . يلبس الانايير البيضاء . وهي دائما كالثلج ، ويحلبس
على الديوان ، والى يمينه عصاه وبالقرب منه على قيد ذراعين الزائر الجديد ،
وقبائلته على ديوان آخر شيوخ مثله اجلا ، ولكنهم دونه سنا . هم اولاده .
وكان قد اخبرني صديقي بان فضيلة النقيب ، على علمه وحصافته وروحانيته ،
يتفرز من أس ايدي الناس . فلما دخلت وقفت امامه محني الرأس مسلما
وحسان قد وقف لا متقبالي ومد يده مصافحا ، فدهش الحضور كما علت
بعذل . والسكني زوده واقا في بغداد مرارا ، وشرفي مرارا ، بان دعائي

(١) توفي في سنة ١٩٢٧ خلفه في الزمامة الزوجه ابنة السيد محمود .

ثالثته ، فكانني وصاحبي دون ان يفصل بعد ذات يديه . فكانني به وهو
 اصغر القومين من سدة مولانا عبد القادر الغلوي ، وحامل مفتاح حيرته
 القدسية ، انظر بين الغيب الى ما وراء الحجب ، فرى في هذا الرحالة
 رتبة في التصوف لا تزال طافلاً ، فأحب ان يغديه بشطفه وبقره وشي
 من الكرامة في يده .

وصطان اول ما حدثني به من مدهشات مجلته انقص علي في بضع
 دقائق قصة العالم منذ سقوط امنا حواء الى سقوط الاتراك في بغداد ثم
 قال : وتاريخ الافسان يا افندي مثل تاريخ الامم - مقدمة لتذكرة واحدة
 هي السقوط - ونحن العرب خصوصاً العربيين او امر الامم خطاً من عفا
 القليل المواقير يا افندي انت تذكر ما قاله الجاهل ابن يوسف . قلت :
 ولست انا في زمن غير زمان الساج . فقال علي القوي : اما اهل العراق فلا
 يتجهزون . خاد اعلم من الاتراك ، ومن النجم ، ومن الاحتلال العسكري ،
 ونحن نعيش الآن في خلاصهم من القوضي وعم لا يريدون ، ولا يرضون ،
 ودائمنا نلقون . . . هل رأيت في كل سياحتك يا افندي شيئاً يحسن صميم
 الحبال ومنع المشاق ولا يجد من يجربها فيه غير نفسه ؟ وهل يستخدرون
 المشقة في اعدام الجرمين في امريكا ؟

قلت : عندكم الكومسي الكهربي . فسااني ان اصفه ثم قال : اخش
 طريقة . يزعمنا عدد من تلك الكومسي في العراق . قلت : البفو اذا خالفت
 سيدي النقيب . فان امة توكل امرها الى مثله لتجد في اساليب السياسة
 وطرق الحكمة حلاً مرضياً مقيداً لمشاكلها كلها .

فقال وهو يبتسم النفي بيديه : لا ، لا ، لنا سياسيين . ما عندنا من علم
 السياسة الا اليسير . وهذا اليسير القطناء في اختلاطنا برجال السياسة
 الحقيقيين . مثلاً مثل الانص والغيلسوف . جاء الانص في ليلة مقمرة الى بيت

الفيلسوف يعني السرقة، فدخله من النافذة وكان الفيلسوف جالساً في الزاوية يشكر الله الذي اثار بيته بنور القمر . فجال المص في البيت وعلم بالخروج وهو خائب الامل . فخطبته الفيلسوف قائلًا : اذا كنت انا صاحب البيت لا احد فيه شيئاً في ضوء النهار فهل تؤمن ان انت الغريب ان تجد في ضوء القمر شيئاً فيه ؟

فقلت : لا كني لم ادخل البيت من النافذة يا مولاي . فضحك حتى استلقى وهو ينظر الى الخجالة تارة وطوراً اليّ والى اثنان ويقول : غايي . عليي . ثم اخبرني قصة تفصح عما فيه من حس النكته ومن البراعة في التهكم قال : زارنا في الاسبوع الماضي رجل اميري مشدوب احدى اطرافه هناك . وجلس هناك - اشار الى اللديان قبالة - واخذ يشكر - خوش كلام - وهو يسألنا سؤالات في السياسة ، وفي الامتيازات ، وفي النفقة ، ويجيب عليها بنفسه . ونحن مثل الفيلسوف الذي قصص عليك قدته جالسون في زاوية السكوت نشكر الله الذي اثار بيننا السياسي بنور القمر . ولكننا استأنسنا بهذا الاميري - جاء مثلكم في النهار ولم يدخل من النافذة . ولكن لسانه مثل سيف ذي الفقار - خبث لسان . هل كل الاميركيين مثله حذقاً وبراعة ونها ؟ عندما قام يودع شكركاه على زيارته وعلى ما استفدنا من حديثه . وخطونا يوماً ان نسأله عن اغراس النخل التي اخذت من هذه البلاد الى اميركا ، وزرعت هناك . واجبته لم يفصح للسؤال مجالاً فهل لك علم يا افندي بتلك الاغراس ؟ هل نجحت في اميركا ؟

فاجبت قائلاً : اذا اذنتم باستعارة استأقركم اقول ان بيتي الزراعي مثل بيت الفيلسوف الذي وصفتم .

فضحك وقال : وانا مثلكم دخلت من الباب لا من النافذة . ثم نظر الى الخجالة وهم جالسون امامه متحكنين يبتسمون ولا يضحكون فقال :

اراني مع الافندي مطلوباً - مطلوباً اليوم - يجب ان يزورنا مرة اخرى .
فقلت : هو احب ما احب في هذا البلد ، ثم كتبت جاتي السابقة : اما البيت
فلكم كل ما فيه . اذكروني قرات مرة ان نظرة الزراعة في واشنطن
استجلبت من البصرة اناساً من النخل وغرسها في اوليات الجنوبية .

- اذن عليك وعلما واحد .

- في هذه المسئلة فقط .

- بينما بيت الميسوف انتم توجرون طابيع العلم ونحن نأخذ علومنا
من الكتب ومن نحتاج به مثل فضلكم .

فاعتذرت وشكرت . وكنت قد نظرت الى افنان فأعطاني الاشارة
فقلت اودع . فنهض فضيلته ومد يده ثانية بضافتي .

ان لزيد عبدالرحمن الجيلاني ، سليل مولانا عبدالقادر قدس الله سره ،
طائفة من السالكين المتعدين منتشرة في اقطار الشرق كله . وله في بيته
جيلان من الانجال ، الجيل الاول كان جالساً معنا وهم ثلاثة يتراوح سنهم
بين الخمسة والحين والستين يحضرون مجلس والدهم فلا يتكلمون ، اذا كان
منهم زائر ، الا اذا سئلوا ولا يضحكون ، هم صكائت النكتة طريفة ،
ضحكة عالية . انا الجيل الثاني وعدده ستة اربعة صبيان فمن هذا الزمان
حقيقة ومجازاً لان بيته وبين الاول فترة مقدارها نحو اربعين سنة . والسبب
في ذلك سر احترامنا .

زارني ذات يوم كبيرهم ، وهو لا يتجاوز السابعة عشرة ، فلم يكن مثل
الصحابي الاميركي الذي زار فضيلة ابيه . سألني ان اقول له ما الفرق بين
الانتداب والاحتلال . فاجبته فقال . ولكن الانكليز يعترفون باستقلال
العراق ولا يتخرجون منه . وجاءني ثانية ومعه بضعة اولاد من اقاربه ورفاقه

في المدرسة يثبون السلام والتعرف ثم الاحتجاج على الانكليز . فالتحذرت في مقابلتهم الحطة التي اتخذها النقيب في زيارتي له اي اني سيقسمهم الى السؤالات فكانوا في اجوبتهم مذهنين .

- واذا كانت اللغة الانكليزية لغة الحكومة المحقة أفلا تتعلمونها ؟
فاجاب احدهم : اذا كانوا ينزلون الإقامة في بلادنا يجب ان يتعلموا لغتنا .
وقال آخر : تعلم لغتهم ويتعلمون لغتنا فيهم اد ذلك بعضنا بعضاً . وقال الثالث وهو صغيرهم : اذا كان لا خير في الاجابة فلا خير في لغتهم . فاجابه ابن النقيب قائلاً : اللغة شي ، والسياسة شي . اخر : فاذا تعلمنا لغتهم نتعلم طرقهم السياسية ونخادعهم بها . فود عليه الصغير وهو يضرب الارض برجله ان لا احتمل يد رفيقي لا ضربك بها . انا اقاتلك ببدي .

- ولكن السياسيين لا يضربون بايديهم .

- يضربون بارجلهم اذن ؟ له ارجل مثلهم . الا لا يجهل احد علينا .
فتجهل فوق جهل الجاهلينا .

دفعني له رفاقه ثم عادوا ، وقد وبجهم الاكبر ، الى التأديب . وكنت اخشى ان يقتل هذا الوفد المراقي الوطني المعجب من الكلام الى الايدي فتنهضت احكشفت الساعة ، فكان الصغير اول من فهم الإشارة ، فتنهضوا وساروا مودعين .

كنت اقيم ببغداد بين ولين حكوميين عرفت اواحد منهما لأول مرة في عدن . وهو هناك ولي البلد له مقام بثبة ، وشجرة واحدة ، وصندوق احسان يملأه كل شهر الانتقاء ، فيوزع المال على الفقراء . هو عيروس اندفون كما قيل في عدن ، وله في بغداد مقام وعباد . اما اولي الآخر الذي كان قريبي ، بل كنت انا السيد بقرية ، فهو اشهر من عيروس واعظم ، اذا لم يكن كرامة وقداية ، اسيادة ونفوذا . كيف لا ومن شاطي ، دجلة تسبح شمسه

شرقا وغربا فتبصر ضفتي الكنج والنيل كيف لا وهو مولانا عبد القادر الجيلاني
المدفون رمزه المادي تحت تلك القباب اللازوردية في جامع يعسد من افخر
واجمل ما في بغداد . هناك شرقا من سروي على السطح مطلع الانوار ،
فكنت كل يوم عندما انبض صباحا امتع نظري بروحي بشهد الشروق على
مسرح القداسة . فارى الشمس تكبرن من الغيوم البيضاء المتقطعة ، فوق
قباب عبد القادر المتعددة ، ما يشبه قطبان الفخ وعي تسرح في مروج من
الترمس الذهبي العين ، والعصفر الذهبي الخفيف . كانها انوار جاءت من المعجم
والهند لتستقي من الميرد القدسية ، ونحيا في المروج انقادورية . . . عبد القادر
الجيلاني ، من احسانك لا تنساني !

وما كان كرم الله وجهه لينساني وانا في بغداد . فكان يوحى الى فرع
دوحته الاكبر السيد عبد الرحمن حيا موضوعه هذا الغريب في جوار الخياط ،
وكنت انا المخبوط الى تلك الشخصية التاريخية ، كانها تكونت من اوان
تلك المروج وتلك القباب فوق ضريح عبد القادر . ليتأكد القارى . اني مجد
في ما اقول . فمسند لا استحسن مياسة النقيب ، وقد لا تهمني الا في سبيل
الادب مصادر القداسة حونه وفيه . ولكني ممن يعجبون بظواهر الحياة الفريدة ،
ان كانت ، واشواردها الخيطة ، كيف زالت . ولا سيما اذا قمت في مثل
هذا البشر الكريم ، والشيع القديم .

ما رددت مرة دعوته لمجلس ار لائفة ، وكنت كل دنوت من صميم ذاتيه
ازداد اعجابا بها . وان دين النقيب ومائدته وجه شبه لطيف في الاثنين
غذاء كثير ، وفاكهة واباقير . في الاثنين فيض برمكي اصمي ، فترتاح الى
الاول العن والمعدة كما يلتذ رثائي السع والفؤاد .

وما عرفت اشجع منه ، على سته ودائه ، اذا عدت الايدي الى الزاد .
على انه لا يشبه الاكل في انه يهل من يواكله . كنت اسمه يتكلم ،

واراه يتصرف بالالوان الواحد تلو الآخر ، وعينه على ضيوفه ، يشجعهم ويحرضهم على الهجوم .

- خوش جباري يا افندي امين . من صيد اليوم . لا ترعد بها . . . اذا كنت لا تتكلم يا حضرة الكسباني افلا تأكل ؟ . . . افنان لا يحتاج الى من يغويه بشي .

كان الكسباني امين على علمه وادبه وسياحاته في الارض - وسنه - يحكى كآبة السادة مشرة اذا وجه اليه الكلام في مائدة النقيب او مائدة الملك . فينص باللقمة ويزداد ارتياكاً قليل السلام ، قليل الاكل - في المواقف الرسمية . ولكني والحق يقال رأيت سكوتاً خجولاً حتى في حضرة السيدات .

بينما انقلب مرة على حياته ونحن الى مائدة النقيب فاكثرت من اكل الزيتون ساكن على ما اذكر ثلاث حبات ، وهو يحسن الى صغراء الشويقات . فجاءته من مولانا في اليوم التالي جرة من الزيتون واخرى من الزيت . اتبني اوضح عن ذلك ذلكاً على عجب مواهب النقيب وتعددها ؟ ان القابلية للطلب اكل خارجاً من الحاشن البشرية . بل هي ، مثل الذكاء ، والكرم واليقظ وتضمن الطهارة ، مواهب من المواهب التي يهبها الله من يشاء من عباده . وقد خص هذا الرجل الكبير بكثير منها كلها . اني لا انسا حياتي وهو يأكل كالشباب ، ويحدث كالشيخ ، وراقب من طرف خفي كالأمرأة فلا يفوته مما له وتبار عليه .

ما جئتكم اكثر في الطلقات لثقتكم بالسياسة الا نادراً ، اذكر انه مر بالموضوع مرة فقال انه شديد الرغبة في التفرقة . ولولا الطاح المندوب السامي وزملائه في بداية الامر ، قبل التوقيع وبعده ، لما كان يقبل ان يدبر سياسة البلاد . ولكنه بعد ان وقع المعاهدة واحس ان الفكرة في القصر تردد صلابة وظهوراً

عليه ، وان دار الانتخاب تميل تسلاً اليها ، ورأى فوق ذلك ان مقاومة المتطرفين ترداد شدة وعناداً ، نزع بحكم رد الفعل الى التسلط والاحتفاظ بتعبه . ولما صدر امر الحكومة الاول بباشرة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، فاصدر على اثره احد المجتهدين في النجف فتوى بان الانتخاب مخالف لقواعد الاسلام ، رأيت فضيلة النقيب مضطرباً وحمته غضوباً :

- في البلاد وطنيون كثيرون وكلهم رجال سياسة . ولكن ليس في دؤوسهم عيون تزيهم ما هم فيه . اين هم من البلاد ، واين البلاد منهم ؟ كانوا امس تحت اقدام الترك ، واليوم يبيعون البلاد الى الترك بفلس لينتقموا من يظنونهم اعداءهم . نحن اخذنا الامر على عاتقنا ، ولا نسأل التوفيق من غير الله ، ولا نتوكل الا عليه سبحانه وتعالى . . . اما اجتمعت باوطنين يا افندي وممعتهم يتبعون ؟ غداً نجتمع بكبارهم في كربلاء والنجف . . . نصف هذا الاجتهاد جهل ، ونصفه عناد .

ذكرني كلامه وتعبيله بالكلمة الانكليزية المأثورة التي قالها الفيلسوف دجونسون فترجمتها لفضيلته : ان حب الوطن ملجأ المذافقين الاخير^(١) . فسر بها جداً .

- خوش كلام . خوش حكمة . الانكليز يا افندي امين احكم الناس بالرغم عن سياهم كلها . هم ينافقون ولا شك ولكنهم لا يسرون نفاقهم اجتهاداً ولا يخاطلون الدين بالسياسة . هم يحبون انفسهم ولا شك . ولكن حب الذات يختلف عندهم عما هو عند سواهم . عند الالمان مثلاً حب الذات في بارد لا تقيه الناس . اما عند الانكليز فهو قاضح وفيه شيء من الابهازير هي ليست الناس مثل السم . عند الانكليز العظم ، وعندهم المال ، وعندهم الحكمة . اما الوطنيون في البلاد فاي شيء عندهم ؟ هل هم يحبون

(١) Patriotism is the last refuge of the scoundrel. — Samuel Johnson.

البلاد أكثر منا وهي بلادنا قبل ان تكون بلادهم ؟ واكثرهم لا يزالون من
الاجانب . . . اعد المثل الانكليزي . - حب الوطن اخو ملجأ للثاقين -
خوش كلام ، خوش حكمة .

ولكنه يمدنر ، او انه كان علماً متجاهلاً ، بان السياسة الانكليزية
كانت او عراقية ، لا تعرف الثبات والوفاء . فقد استقصره واستخدمه
الانكليز الى ان تمت مقاصدهم فيه ، الى ان تم توقيع المعاهدة ، وبعد ذلك
هجروه . وقبل الهجرة ، عندما اراد السيادة والتغلب ، خذوه .

عبد المحسن بك السعدون

في النادي العراقي روح اجتماعية وطنية صريحة لانها مبنية على المساواة
والاخاء ، ولانها فوق ذلك غتاطلة اي انها عراقية انكليزية . ما رأيت
الانكليز قبل اليوم ولا سمعت بهم يحافظون اجتماعياً من يحكومتهم او
يساعدون في حكمهم من الشعب . اما في العراق فالروح الجديدة يستشر
بها . قد تعرف في امب الورق شيئاً من اسلوب خصك في السياسة . والذي
ادمشي من الموظفين والمستشارين الانكليز في العراق ان اكثرهم يحسنون
التكلم باللغة العربية . كنت اجتمع بهم في النادي وارى بعضهم جالسين
الى تلك الطاولة الخضراء يجاولون كسب روية من زملائهم العرب .

اجل ان في النادي طاولة خضراء يجتمع اليها الوزراء بعد الظهر ، ساعة
الشاي ، ليحافظوا على الموازنة النفية يفتها وبين تلك الطاولة الاخرى في
السراي . فقد كتب لي ان ارى الوزراء يلعبون ساعة بالورق ليليدوا هموم
الاوراق الرسمية والمصادقات . وليس في ذلك ما يؤخذون عليه ، بل فيه
برهان على ان لفلسفة السلية مقاماً عندهم محترماً .

اما الطاولة الخضراء في النادي العراقي فهي مثل الحكومة العراقية قليلة

الموارد محدودة الخراج ، ولها ان تغامر فيها بالكيفية لا بالكمية . هي
برجالها تفخر لا بالمالها واموالها . هالك على رأسها الاخصائي المالي ماسون
افندي . من وكالت الامة اليه امر ماليها ، يحيى كل يوم ، وهو انبت في
ذلك من قيم النادي ، بغادي بشي ، من مائته . ولكنني لم اسمع انه خرج
مرة حاسماً ، او ان ارباحه كانت تتجاوز الخسائر الزواري . وكلم في لعب
« بريدج » اخصائيون . الا ان الكسبياتي امين كان يسدد حسابيه في
الغندق من حسابيه في النادي . فانه في ال « بريدج » ماله في التمتع السياسي
سيد الاخصائيين .

قد ذكرت النادي مالي اجتمعت فيه لأول مرة برملاء سيدي الزقيب
باسون وخبيص ونوري وباسين وبالسعدون سيد المحسن موضوع حديثي الان ،
والذي فضحت نفسي في ما كنت اجهل من امر آل سعدون وما لهم من
السيادة والنفوذ في العراق^(١) على ان من يابل وزيراً لأول مرة في تلك الحال
لا يلام اذا نسي التاريخ او تاساه . ثلثتها جادة « يوكر » وظنفت الاعضاء
مثل غيرهم في نادي القمار فسلمنا وما تحدثنا . بل نديت الوجع ففجعت
بعدئذ بما كان . ضاع وجه الممدون بين الوجوه العديدة التي كانت تمر
صورها امامي في تلك الايام فلا يتطبع في الذهن منها الا القليل . ثم اجتمعت
به مرة ثانية في نادي الحزب العراقي الحر الذي خطبت فيه ، وكان هو جالساً
الي جني ، فلم علي فسلمت وانا اذكر صورة وجهه ولا اذكر ان بدت لي
سابقاً . فسأنته ، فاضحكني باطفه وابتهامه .

اجتمعنا بعد ذلك مراراً ، وكنت كل مرة ادنو منه اراء بعين التصور

(١) عم من الاشراف وقد عاجر احد اجدادهم منذ اربع مئة سنة الى العراق
استوطن البصرة ثم ذهب الى التنفق . تأخر اجداده عن عشايرها . والسيادة في لواء
التنفق لا تزال لهم الى الان .

قبل ان اراد بعين الجمل . فيستل امامي لابساً الصباة والعقال ، راكباً المهيمن ،
قائداً الى الغزو العربي . اجل ، ان صاحب المال عبد المحسن بك السعدون هو
الوزير الاول في وزارته الذي تبدو فيه المروءة الحققة ، والثاني هو عبد اللطيف
باشا المتدليل . اما الآخرون ففي ظاهريهم - مشجعون - فاجي بك السويدي
اشبه برجل من شمال أوروبا . صبيح بك نشأت هو في تركيبته اظهر منه في
عروبته . جعفر وتوري من الاكراد ، وسامون افندي حزقيل من العالم -
من الاسرائيليين في العالم . اما السعدون فمن العراق . من صميم العرب ، ووجهه
اصدق اخباره الصادقة .

هو رجل في المقد الرابع من العمر^(١) ربيع القامة ، اسمر اللون ، حسن
البنة ، اوروبي حتى رأسه - حتى الاستثنائية اريد . فلرأس اسود الشعر
قصيره ومثل كتلة المدفع مستدير ، واليد فيه كالشمل بين اللبل والنسق .
والفم عدل الا انه قاس قلما يسم قلما يشكلم . واسكنه عندها يشترك
يؤنس ، اذ تمارع اليه نفس جذابة فتخرج بكلماته القليلة ، وفيها مضام

(١) ولد سنة ١٨٧٩ م في الناصرية مركز نوا المتفق ، وكان يرأس والده .
باشا حاكماً في النوا . واميراً على جميع مشائره ومقرراً من المايين . اطلب منه السلطان
عبد الحميد ان يرسل ابنه الى الاساتذة ليتعلموا في المدرسة التي كان قد انشأها خاصة
لابناء رؤساء المشائره . فادخل فهد باشا ابنه عبد المحسن وعبد الكريم . وكان عبد المحسن
يوم سافر الى الاساتذة في الثالثة عشرة من سنه فتخرج من المدرسة الموصوفة ، ثم
دخل واخوه المدرسة الحربية العالية فخرجوا عنها ضابطين في الجيش العثماني . فاختارهما
السلطان عبد الحميد مرافقين له في المايين ، وبقي في تلك الوظيفة الى اعلان الدستور
وترقيا أثناء ذلك في الجندي الى رتبة بكباشي . على انهما استقالا من الجندي . سد
مفوط عبد الحميد ، فرجع عبد الكريم الى وطنه ليقيم بآمنه في البصرة وفي
المتفق ، وبقي عبد المحسن مقيماً في الاساتذة . ثم انتخب قائماً في مجلس النواب العثماني
من المتفق وظل كذلك الى بداية الحرب العظمى . فرجع اذ ذلك الى وطنه العراق
وتنكح بمذ ومولاه متعب ووزارة العدلية في الوزارة الثانية الاولى ثم وزارة الداخلية
في الوزارة الثانية التي استقلت في شهر آب سنة ١٩٢٢

وأيضاً فيها جفا . رجل سكوت . وكل سكوت لغز لمن لا يعرف شيئاً من سابق حاله . على أني ألقت السكوت في من سافرت معهم من العرب ، فكنا نسير ساعات في النهار جنباً إلى جنب دون أن نقول بكلمة واحدة . وكنت غالباً أعجب بما يحدث السكوت فيهم من شحم وكوم وقكاه .

وهذا السعدون عبدالحسن العوي السكوت ، ويحق لي أن أقول الآن السكوت الغرور . فقد برهن في وزارته التي استمرت سنة^(١) على أنه قال لا قول ، وعلم في ما يقبل حكم . كانت نفقة البلاد من حيث المعاهدة ، التي رفعت منها أفضلة الانتداب ولم تقس قيوده ، حكماً وصفت في الفصل السابق . عندما استلم زمام السياسة العراقية . فقدم السعدون على عمل يمد من أهم أعمال وزارته ولسان حاله يقول : لا نضعك من الأمة فنصور لها الانتداب خيالاً زائلاً ، ولكننا نخفف عليها ثقل القيود . فتم عقد الملحق بين حكومة العراق وحكومة ملك بريطانيا العظمى الذي يوجبه أزلت مدة المعاهدة من عشرين سنة إلى أربع سنوات^(٢) .

ولذلك المعاهدة ملحقات أخرى تتعلق بالحدود والمالية والقضاء وبشروط استخدام الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية . فتوقفت وزارة السعدون إلى عقد الملحق الذي يتعلق بالقضاء ودرست الملحق الذي يختص بالموظفين البريطانيين ، فقدمت به لأجهزة فلم تعالها حكومة الانتداب . وسدت في

(١) تأسست في كانون الأول سنة ١٩٢٢ ، واستقال في تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ .

(٢) هذا نص البروتوكول أي الملحق بالمعاهدة :

قد تم التوافق بين الطرفين السامعين المتعاقدين على أنه مع وجود خصوص المادة ١٨ يجب أن تكون المعاهدة أخالية عند دخول العراق عضو في جمعية الأمم وعلى كل حال يجب أن لا يتأخر انتهائها عن أربع سنوات من توقيعه عليه الصلح مع تركيا . وليس في هذا الاتفاق ما يمنع عقد اتفاق آخر لتنظيم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الطرفين السامعين المتعاقدين . ويجب الدخول في المفاوضات بينها لاجل ذلك الترضي قبل انتهاء المدة المذكورة أعلاه .

تحسين الصلات بين العراقيين والانكليز فكان سعيها مبروراً وان لم يكن مشوراً . واجاهدت في سبيل الميزانية فأفلحت ، اذ اعادت اليها التوازن بالرغم من التخصيض الذي احازته في رسوم الاراضي الاميرية ورسوم المواشي والنخيل . ولكن هناك صخرة اصطدمت بها فجماعها ذلك على الاستقالة .

يذكر القاري ، ان في المعاهدة بنداً يوجب على الملك ووزارته وضع دستور سامي للحكومة العراقية ثم انتخاب المجلس التأسيسي للنظر فيه وتقريره . ففعلت وزارة سعدون الدستور واصدرت قراراً يوجب مباشرة الانتخاب ، فاعترضها في ذا السبيل ما اعترض الوزارة السابقة من مقاومة علماء الطائفة ابي الشيعة . ولكنها تعللت عليهم بعض التغلب اذ قد تم في هذا الانتخاب المنتخبين الثائرين ولم يبق سوى انتخاب الاعضاء .

هي ذي العقبة الكوزد . قد صمدت ما قاله النقيب عند تفصيله في هؤلاء الاقوام ، واكثرهم من الاعجم . ان سياستهم الوطنية اصولاً وتبعات كلها او جلها ولا شك مذهبية عراقية . وان الله لهم في العراق نفوذاً يفوق نفوذ اكبر المقامات الرعوية العالية . وفيهم المجتهدون الذين « يجتهدون » دائماً ان يعرفوا مصالح السامي الحكومة . ازعجوا السعدون كما ازعجوا سلفه النقيب . فاصدروا الفتاوى الدينية ضد الانتخاب والانتداب . وفي العراق مليون من الشيعة يسمعون فتاوى المجتهدين فيسبحونها ويمضون الحكومة .

هاك ما حمل السعدون الكوت العزوم ، يلزم من تردد الملك والمثدوب السامي ، على العمل الذي يمد من اكبر اعماله ، اذا اعتبر فيه العزم والشجاعة فنفى الى الحجاز آية الله الشيخ مهدي الخايمي احد مجتهدي الكاظمية (١) واكبر مجتهدي العراق ، فاحدث ضجة في البلاد ظن انها ستقضي الى ثورة قانية . على انه لم يكن من نتائجها غير احتجاج نفر من العلماء فسافروا الى (١) زعبله هو السيد حسن صدر الدين . راجع الشرح في صفحة ٣٠٠ من هذا الجزء

ايران مقضين .

اما جلالة الملك فقد كان يؤيد في البدء قولا وفعلًا سياسة وزارته بالرغم من احتجاج الشيعة في البلادين ايران والعراق . وما ان اكثروا أهل الشيعة في العراق من التبعة الايرانية ، وهم يتوق فيها ، فقد اصدر منشورًا حثب منهم فيه ان يتجنسوا بخنسية البلاد ليحق لهم التسع بملفوق التي يتسرع بها العراقيون ، فزادهم المنشور - خط وغرد - وقام اولئك الذين ظفروا الى ايران يتقدمون الشعب الايراني في التظاهرات على المائات فيصل ، وعلى المندوب السامي البريطاني . ثم اعلنوا مقاطعة البضاعة الانكليزية .

قد احتجت كذا حكومة طهران الى حكومة العراق فاحس بعض الخاصة في الدواوين بسلطه كهرماني انكليزي في ذلك الاحتجاج . وكيف لا وقد عز دار الانتداب في بغداد فتأثر القصر والمجلس ، مما جلالة الملك بعد المذاكرات ما قلته فخامة المندوب . ولكن العلماء استمروا مسكارين معاندين فقالوا انهم لا يرجعون الى بغداد الا اذا اندثرت اربعة شروط ، وهي :
١ - احلاء الانكليزية بقصر العراقي ٢ - استقالة الوزارة الحاضرة ٣ - تعيين زمن الانتخاب ٤ - ادخال عدد محدود من الشيعة في المجلس النيابي ، قال المندوب السامي . . . فقال الملك فيصل . . . فقالت الوزارة : اودع . وما اجل التقيظ في الرجل اخري ، العادل . قد جاءني من معالي الوزير كلمة بعد استقالته يقول فيها : « احدث ان اسمي لرفع المشاورة الفكرية عن اخواننا الشيعة والمادة بضائرها باحقائق . فبنت لهم ان الموكل موهوم والموكل غشوم . لقد قت بهذا الامر في هذا المحيط وهذا الزمان وتحملت من الاعباء ما تحملت لائق طريقاً لاخي النوري الشيعي فيشتم ما بدأت به . وحينئذ يبدأ بتغيير عام اطرد جيوش الزياء واربواها ، وينفذ في صور الاخاء والمساواة وتم نبوة اشعيا الفيلسوف حيث السباع والفهم يتعون سوية ، ويسود سلام في العالم وسلامة الضيق في بني الانسان » .

هوذا عربي كبير يحلم مثل النبي اشعيا الاحلام وينشد المثل الاعلى في العالم . وهو في موقف العسل كما تبين بفقته حقائق الحياة الوضعية وما بينها كلها من صلة العقل والخيال . وان السمدون صريح اذا قال ، مخلص اذا مال . سألته عن رأيه في السياسة المراقبة الوطنية وما هي عقيدته تجاه الانكليز . فاجاب بنا لا يقبل التفسير والتأويل * اني اعتقد ان منفعة الوطن تقضي علينا في الوقت الحاضر بان نكون في سياستنا تجاه الانكليز معادين لهم لاننا محتاجون اليوم اشد الاحتياج في نهضتنا السياسية الحاضرة الى يد مساعدة ودماغ راق نستخدمه به . ولا نجد في هذا الباب خيراً من الانكليز . ولكن على شرط ان لا يحجب ذلك باستقلال البلاد او بتناقمها »

جهمر باشا المكري^(١)

زده اول مرة في وزارة الدفاع التي كان يومئذ وزيرا . وكان الحر

(١) هو مثل - انه المدفون في المقعد الرابع من المسرح وقد تلقى العلوم مثله في المدرسة الحربية في الاسكندرية فخرج منها فابطالاً ثم سافر الى ألمانيا لينضم دورته الفنية . وقد بدا من نبوغه لانور باشا في الحرب العظمى ما حده على ترقبه الى رتبة باشا وادخله على غواصة الى بنغازي لقيادة متطوعي العرب الذين كانوا يعمدون الرجف على البلاد الدخلة في المنطقة الإيطالية . فقادهم جميعاً وحده على الحدود المصرية قتال بينهم وبين الجيش البريطاني فخرج في المراكبة الفاعية ورجان الصليب الاحمر ونقل بعد ذلك الى القلعة في القاهرة . فحاول الثقات من الامر فوقع فانكسرت دجته فزم الفراش ستة اشهر .

وكانت الثورة العربية في بدايتها والضباط العرب ينضمون اليها * فكتب جهمر ان يكون منهم فجاء سنة ١٩١٧ الى مكة ثم اطلق بالحرب العربي الذي كان مرابطاً حول المدينة . ثم ارجل الى العقبة فبين قائداً من قادة جيش الشام . وبعد فتح الشام تمين مفتشاً عاماً لجيش العربي في سوريا ثم حاكماً عسكرياً لولاية حلب ثم رئيساً لجهاز حلاله الملك وبعد واقعة عسقلان عاد الى بغداد لمساعد في تأسيس حكومة وطنية فتمين وزيراً للحربية في الحكومة المؤقتة اي قبل التوقيع ثم في وزارتي

شديداً ، فدخل والمرق يتصبب من جيبته يحرق ما فرضه الله عليه من وزر
السنن ، كأنه مدفع يتحرك بنفسه « او كأنه في ساحة القتال حيث لا ترم
ولا تجمل . جعفر باشا لا يكذب اسمه ، فهو أولاً وآخرأً عسكري ، يسرع
ولا يتكلف في ما يقول ويفعل . سلم سلام الاحباب وترع « ساكوه »
وجلس في الكرسي وراه متشدته وهو روح عروحة من القس ويتكلم .
فتمثل امامي رجلاً اميركياً ، رجل محلي واهلية ، من اولئك الذين يدورون
ادارات كبيرة بالخطوط ، على زو كهربائي . اما وزير الدفاع في الحكومة
المراقية فكان يصفى كفاً على كف ليطي اوامر . وهذا لا يهم عند روح
العمل الجديدة التي تشعل في جعفر وزملائه - روح العمل العصرية المجردة
من خزعيلات الالهة الشرقية وسخافات الديانة كلها .

— والله يا استاذ عندنا رجال وعندنا وطنية . ولكن الادارة مفقودة
والمال ، اين المال . مثلاً ، او بالحري مثل الحكومة التي تولت في البدء امراء
مثل شاب ورث ثروة من ابيه فحضرها في القمار . بذل الانكليز في سنة
واحدة من المال في البلاد ما يكفي جيشاً وطنياً كبيراً خمس سنين . ولا
ار ولا نتيجة لما بذروه . واذن ونحن في اشد حاجة الى المال هم ينفقون
ايديهم ويرونا كياً فارغاً مبدئي اوطني واملي وعلمي تتوقف كلها على تنظيم
الجيش العراقي . يقول لنا الانكليز : ساعدوا انفسكم بمساعدكم . وهذا
صواب ولكنهم افسدوا علينا وهم لا يدرون موارد المساعدة . عندما
تكون البلاد في هياج سياسي يصعب على الحكومة فيها اية كانت ان تنجي

الغيب الاون وانانية . ولما دعا المؤتمر ترشيل رؤساء حكومات افكلترا في الشرق
الاولى المؤتمر القاهرة كان جعفر باشا من رافقوا مندوب العراق السامي وشاركوا
في البحث في امور العراق المالية والعسكرية وفي سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ كان مندوباً
للحكومة العراقية في لندن فجهاد منها الى نوزان باسم العراق ولكنه لم يشترك في
ذلك المؤتمر .

اموال الخواص .

- وما هو عدد الجيش العراقي الذي باشرتم تنظيمه ، وما هي حالته ؟
 - عدده خمسة الاف وحاشته المعنوية دون ما تروم . لا تظن ان السبب في ذلك نقص في الوطنية . لا والله . انما هو دليل من احد توجهه على الوطنية . وهذه هي الورطة التي نحن فيها الان ، ندعو شبان البلاد الى التجنيد فلا يلبون واذا لبرا فيجيشون يمرجون ولسان حالهم يقول : اذا كان الانكليز يسمون الإقامة في البلاد فليدافعوا هم عنها . ومن وظيفتي ان ان اقنعهم بان الانكليز ، وهم في البلاد ، غير مقربين فيها ، وانهم وهم الاغنياء بالناس والرجال ، لا يستطيعون الدفاع عنها مع رعيتهم فيه . هل تعرف وزيراً في حكومات العالم اليوم هذا موقفه في السياسة والمثل ؟

جعفر باشا حر الكلمة صريح الاشارة والبهارة . سألته وأيه في احد رجال السياسة العراقيين الذي كان يومئذ من الموجهين لرئاسة الوزارة فقال : اي رجل اخر احسن منه . درس من الاهلية استاذ خبر من قطار مقامات . البلية الكبرى في هذه المقامات التي ليس فيها غير الادعاء والسخافة .

وهو ان رفعة الجدارة الى اعلى المقامات ما ينكتني بما عنده من خبرة وحكمة بل يسعى دائماً في ما فيه زيادة وتحسين . قد اعجبت القاري في مطلع هذا الفصل بان حسين افغان سكرتير مجلس الوزراء هو استاذ في علم الاقتصاد ، ولا فرق في مصادر هذه اهلوية كانت او مشعلة . فكنت ارى الحسين مكباً على ترجمة آدم سميث^(١) وغيره من اساتذة هذا العلم واعجب باخلاصه ، وبقوله : خير لي ان اترجم عن الثقات من ان اجيئهم بما يجلب الامتات . انك تدرى الثقبه والاديب واوزير في من يحضر تلك الدروس الاقتصادية ولست مبالفاً في ما اقول .

دعشت يوم اخبرني جعفر باش بأنه يحضر دروس السيد اثنان وازدادت
اعجاباً بمعاليه . اطلب العلم من المهد الى القبر . ليس اشرف من اخذ به
النسوي غير الحديث النبوي المتجدد في وزير من وزراء العرب وهو تلميذ من
تلاميذ كاتب سره . جاء جعفر باشا يزورني يومئذ في البيت ويدعوني للمشاء
في بيته .

— لا نظنك تؤاخذنا ونحن لا نزال في ما هو شبه بالكروح ولكنه
خارج البلد فنسر في طويقت بساترين يروقت منظرها .

ثم تطرق في حديثه الى الانكليز « وهو معجب بهم متخوف منهم .
الانكليز وجعفر مثل احية ونامقور . ولكن ابرير المراتي وان وقت
امام احية مسجوراً ، فلا يمكنها منه . اصبح ما يقول :

— يجب ان نتعاهم وايامه وننتقي . ونحوي اليه عاجله . الانكليز يفتخرون
عن بقية الناس . هم وحدهم يا اخي — ممتازون ! ولولا من اليهم في قوة .
اعلانهم كيف يسلكون في نهارهم وفي اليلهم ؟ يلبس الحديث منهم الرطلون
القدير يكشف ساقه حتى الركبة — ابن عم البراية — ولكنه في المساء ،
اذا دعى للمشاء ، تراه في ثوبه الرسمي وفي سلوخته كأنه من الاميان . فلو
كانت هذه الحاية لنا لكاننا براية في النهار وفي الليل . . . يجب ان ندرس
هؤلاء . الانكليز ونفهمهم ، ونفقههم وايامهم . هم لا يؤمنون لنا في اوقات الحاضر

وقد حاول في السنة التي تولى فيها رئاسة الوزارة ان يفهمهم ويتعاهم
وايامهم . عدرست وزارته ملاحق المعاهدة الثلاثة الباقية اي ثالث التي تمثاق
بالجندية والمالية والموظفين الانكليز . ولكن المجلس التأسيسي ، او بالحري
الجنة التي عينها المجلس لدرس تلك الملاحق والاتفاقيات ، رأت ان الشرط
فيها فادحة فتفاقت على اوزارة الاحتجاجات ، فاستقامت .

ياسين باشا الهاشمي

كان ياسين باشا^(١) من المفضوب عليهم في دار الانتداب يوم كنت في بغداد ، وكانت المس بل مع ذلك تعجب به وتحترم اراءه . وقد يصح فيها وفيه ما قلته في جعفر باشا والانسكلير . هما مثل الصنوبر والحية . على ان الاية تعكس ها هنا ، فلا تنحصر الحكمة والجاذب في المرأة .

كنت اجتمع بياسين باشا في النادي فاصحه يجهر برأيه ضد الانسكلير او بالحري ضد حكومة الانتداب . وكانت المس بل تدعوه لماندتها فيجي . في ثوبه اليومي وبآرائه التي هي مثل ثوبه حليلة ، لا تفيد فيها ولا ادعاء .

وكان على الدوام كثيراً . وكانت الكتابة بليغة مستحبة ، تنظر من عينه السوداء اليك حكماً تقول : ان هدو نفسه ، وحسن وجهه ، وشجاعته ، انها كلها مني . ظننت تلك الكتابة من خلفه . ولكني علمت بعدئذ

(١) واد ياسين باشا العائسي في بغداد سنة ١٣١٧ هـ وتخرج في المعاهد التركية فيها ودخل بعدئذ في المدرسة الحربية الابتدائية وتخرج منها في سنة ١٣٢٠ عالية برتبة ملازم ثان وبعد ان درس سنتين في مدرسة ضباط اركان الحرب تقلد عدة وظائف في الجيش التركي الى ان اعلنت الحرب العالمية وهو وقتئذ رئيس اركان حرب . وقد اشترك في مواقع غاليبوليا وغيرها وسكان في رأس القنلق الثامن لما انخرم الترك في سوريا فانخرط صاحب الترجمة في الجيش العربي وعين رئيس اركان حرب حاكم سوريا العسكري ورفع الى رتبة امير لواء . وعين رئيساً لديوان الشورى وتقي بعد ذلك . وبعد رجوعه من المنفى احتل الفرنسيون سوريا فقاد الى سقوط رأسه بغداد سنة ١٣٢٠ فعين منصرفاً للاستق . وبعد ان نزلها مدة شهرين عين وزيراً للاشغال والمواصلات في وزارة عبدالحسن بك السعدون . ثم انتخب نائباً عن لواء بغداد في المجلس التأسيسي وكان فيه نائباً ثانياً رئيس المجلس . وسكان رئيساً للجنة تدقيق المساعدة المراقبة البريطانية ولجنة قانون الانتخاب ولما أم هذا المجلس اعماله واعتزلت وزارة جعفر باشا العسكري انتدب لتأليف الوزارة في ٢ آب سنة ١٩٢٤

ان ابنه الصغير الوحيد كان مريضاً ولا يرجى شفاؤه فأعلنت في وجهه ابراب
الطلب كلها ، وانصرف عنها وعن الاشغال يسمى بما عسى ان يصل الى عرش
الرحمة الاعلى ، كما قد الله بشفاه صغيره العزيز .

لم يستجب الله طلبه عبده . ومنته رحمت امري ياسين باش الذي كان
يوثقر وزير الاشغال في وزارة السعدون ، المتقاضي هاشم . ياذن بثالث
الكلمة المأثورة التي لا تقى قتيلاً . مما شاء الله كان . هو مثل داود النبي
سعى في المنصب ، فباسوف في الامران .

ولكنه في السياسة لا يستمر دائماً الى الابد . او في ذلك الوقت
كان رئيس الوزارة التي خلفت اورارة الحفوية ، وكان . ليس اللجنة ، لجنة
تدقيق المعاهدة ، التي عينها المجلس التأسيسي ، فذا عسى ان يكون موقفه في
سياسة اصحح لا تلك غير طرف واحد منها ؟

جاء في تقرير اللجنة ان في بنود المعاهدة والمخالفات او الاتفاقيات . مما
يتقل كاهل العراقي فلا يمكنه القيام بتهدياته . ثم قطعت اللجنة التعديلات الآتية

- ١ - التصريح باستقلال الدولة العراقية .
- ٢ - التصريح بالغاء الامتيازات الاجنبية قضائية كانت ام اقتصادية
- ٣ - الحكومة العراقية حرة في تنظيم ميزانيتها السنوية .
- ٤ - التصريح بان الحكومة العراقية ستصبح حكومة حرة مستقلة
ذات سيادة تامة عند دخولها في عصبة الامم او عند انتهاء الاربع سنوات .
وهالك تعديلات فرعية تتعلق بماهاتفاقيات المالية والعسكرية .

فهنا قيل في وجوب هذه التعديلات كما لا اخن مهدي اوزير الجديد
يسعى في نقض قاعدة مالية اجمت الامم على صحتها . يقول العراقي البريطاني
العظمى : يجب ان تسحب قواتك من العراق ويجب ان تقرضني مالا لا تشي .

جنداً وطنياً يقوم مقامها . فتقول بريطانيا للعراق : يجب ان تعطيني ضماناً على المال وسنبقى بعض قواتي في البلاد الى ان تسدد الدين .

هوذا المشكل الذي يُرجع حله في عهد الوزارة الهاشمية خصوصاً لان فيها اختصاصياً في التجنيد هو رئيسها واختصاصياً مالياً مشهوراً هو ساسون افندي^(١)

جور تروث بل^(٢)

النادي العراقي مختص بالرجال دون النساء . ولكني سمعت يوماً صوت امرأة في غرفة القراءة ، فدخلتها فاذا هناك المس بل واحد الوزراء يتجاذبان اطراف الحديث كما يقال . وصحبتنا يوماً مدعوين انا والسيد افنان لمأدبة فوجدنا باعد المستشارين خائفاً منا بانه وزوجته من المدعوين فقال المستشار : انا اوافقكم اما الست فلا . يظهر ان الالية مختصة بالرجال . فقلت وقد سمعت ان المس بل ستكون هناك . فقالت السيدة زوجة المستشار : ولكن المس بل . . . وسكنت .

نعم ، ان المس بل في صفتها الرسمية من الرجال ، فهي لا تقيد نفسها بما

(١) هو الوزير الثالث في وزارات المراقبة لان ليس في العراق من يضاميه في علم الاقتصاد والتطلع من ادارة الشؤون المالية . ولد ساسون افندي حرقيل في بغداد في ١٧ آذار سنة ١٨٦٠ وتلقى علومه في بغداد ولندن ونجف في الحقوق بقينا خاصة النساء . وقد شغل عدة مناصب ادارية في الحكومة المدنية الى ان انتخب نائباً من بغداد في مجلس النواب العراقي من سنة ١٩١٨ الى ١٩٢٨ وكان رئيساً للجنة المالية في ذلك المجلس سبع عديده . وعين مستشاراً لوزارة التجارة والزراعة في الامتالة . ولما تألفت الحكومة المؤقتة في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ عين وزيراً للمالية وبقي في الوزارة المذكورة ثلاث سنوات اي الى ان استقالت وزارة السديون . ولما تألفت الوزارة الهاشمية في شهر آب سنة ١٩٢٤ استد اليه المنصب نفسه

(٢) راجع صفحات ١٨ و ١٩ و ٢٠ من هذا الجزء

يقيد بنات جنسها . وهي تغضبن لان الحرية التي اقنما لا تأبه للاصطلاحات العقيدة . على ان الوظيفة تضطرها احياناً الى ما يظنه الناس تعدياً في الخروج عن للألوف . وهي في صفتها الرسمية تعمل عمل الرجال فتستحق ان تذكر مع الرجال . بل هي شبه وزير دار الانتداب فينبغي لي ان افسح لها في هذا الفصل مجالاً . ولا اظن اصحاب المعالي الوزراء يشكرون او يعترضون .

ان السيدة جرترود بل كاتبة اسرار المندوب السامي في الامور الشرقية او رئيسة القلم الشرقي في دار الانتداب " لمن او تلك الانكليزيات القليل عددهن اللواتي يستقرن او يتعربن لدافع فيهن او لا نفسي بل روحي يصعب تعالجه علي ما اخبرني بغير ناموس التاسعة او الرواية البعيد الاسرار والاسباب . ان امرأة عالمة ، نشيطة ، حسيطة ، ذات عزم ومضاء مثلاً ، لتجد في بلادها من دواعي العمل والشهرة والفتور ما يوجبها عن البلدان الاجنبية وان كان ثمة فيها الى الشرق ، الى العرب ، تغلبت على كل آمالها ومطامعها ، فجاءت الشرق الاثني سائعة ، مذبة علم ، وجات في البلاد العربية ، فقطعت الصحراء الى جبال ثمر وحائل ، وآخذت العربان ، وكتبت في ما كتبه كتيماً عن العرب والبلاد العربية والسورية فيها العلم . قرون بالعلم والاخلاص . ثم جاءت ايام الحرب الى بغداد فكانت للقيادة العامة والوكلاء السياسيين عوناً كبيراً في ادارة شؤون البلاد .

ان المس بل تعلم من امور العراق وعشائره ومشايخه واشرافه وتجارته والسياسيين فيه ما يتدور ان يعلمه سرا . وهي تتكلم العربية بلسان عربي تخف اللسنة فيه وتجالس العرب فتستأنس بهم ، ولا تكلف ولا عناء ، كأنها تجالس من تحب من ابناء جنسها ، بل كأنها عربية بنت عربي .

امرأة طويلة نحيلة جليئة ، تكاد تكون مجموعة اصحاب وافكار ،

حادثة الإشارة والاهبة ، حادثة البادرة ، بتقلب في حديثها العقل ، وتقلب في عقابها السياسة . وهناك شيء من القلب ، بل أشياء ناضجة مستوية ، تراحم العقل والسياسة أحياناً فتجني ، قوة عنواً وطوراً تتم على اجتهاد وعناء .

حدثني أحد المستشارين قال : طريقة المس بل السياسة قديمة ، وهي مع ذلك لا تترك في الأمور لا امتلاء داف ولا لخبها ، وقال آخر : الناس يأبون الناديب اسواء ، اكلوا عراقيين ام انكليزاً .

ولكن المس بل لا تجبه العراقيين دافاً بالقاعدة والقضيب صكالملة المرشدة . بل تجبهم مواراً وهي تحمل هدية بدل القضيب . هوذا قلبها عربون اخلاصها ايها الزعيم الوطني . هي ام المؤمنين يقينا . واذا رفضت الهدية والمشورة ، اذا ابيت النصيح والامثال ، فهوذا السجل وفيه سيرة حياتك منذ دببت ودرجت الى يوم رقت . مستطفاً او محتجاً في دار الانتداب

لذلك لا يبادلها العراقيون الحب والوداد . ولكنهم يحترمونها ، ويعجبون بها ، ويودون ❧ ما يوده المراه امته او الفتاة طائفتها . لا نجيبنا كثيراً عافاك الله ولا تتدخل في امورنا .

الفصل الخامس عشر

اصحاب القوافي

السياسة والقاضي - العرب في الصحراء - الشعراء - معروف الرحالي في القريظة
- في الاسكندرية - الرحلة والشاعر في بغداد - الشاعر الناصر علي - الجبل - اس
من تعاقب على السياسة في الصحافة - الشاعر يونس - فطيم امرأة الراقصة - ٧
منو الله - ذات العريضة - عطش في الدين - الفارسي في القلعة - شي - من
شعره في الشعر -

عن خاتمة عن المرأة واحدا حصارا ابن الفاتح - وعبد الزهراوي - شبيه
زاهد - لحن الاسكندرية - شكاية الشاعر الفيلسوف - قصة شاعر
الملك - ٧ - امدد بالاحدية - المبتدئ في شعر الزهد - ٨ - رجات النساء -
- حقائق راحة - ٩ - عرق و - هرب - ١٠ - الشعر العتيبي -

اولئك الذين يتكلمون بالاس - بندق - الخفاف - الماشية والكنيسة وراعي
كوسى كرم - الفهد والحسد والفتنة - شاعر د عبد - اوداد القبرية
والاحياء - المدحبي شاعر الكوفة القاهرة - هنر ولسلي - شي - من شعر
المدحبي - ١١ - رواق - ١٢ - realisme في شعره - مادي يصغر بالارواق - رطل
يقترن اسماء قوي وحده -

راية القاهرة - ١٣ - التكرار - ١٤ - ان شعرهم من المدحون واليهود -
محمد الزهري - ١٥ - وجه شي - من الاسد والشعر - وانس على صدره ليلان -
ولا يعرف الترس - ان من يتاحب - ان شي - لمري والقيام - في عجم
السيد محمود القريب - ١٦ - في علم النبي وحلته - وما ذات النساء في الحروب
- دائره حصار الادباء في العراق رواقين يعني - مثال من ناره وشعره الخشوع -

لولا الشعراء في العراق لخشيت السياسيين ، ولولا السياسيون لغدت
هاربا من الشعراء . وبكلمة اوضح لولا الفريقان حولي لكنت من المالكين .
بيد اني مثبت مثل البلهوان على جبل الاحتمالات والتكريم ، احمل بيدي
تخيلا التوازن وفي احد طرفيها الكرة السياسية وفي الاخر قيثارة الشعر .
تباركت الامة التي يتوازن فيها الشعر والسياسة .

ليس في اعم الارض على ما اظن من يهتم بالسياسة اهتمام الامة العربية .
وليس في الاقطار العربية حكماها من يشغفون بالسياسة شغف العراقيين . في

مدينة بغداد مثلاً ثلاثمائة مقهى وفي كل مقهى عشرون مياسياً في الاقل يدخلون الارجيلة ليل نهار ويديرون شؤون العرش والانتداب . ولكل مياسي نوعيته وأي في السياسة الدولية وسياسة العراق غير رأي زميله وجاره . الا انهم لم يحفظوا يدخولون وينسبون . ان في الارجيلة لتتصم الامة

معروف الرصافي

ولكن في هذه الامة اناساً متأثرين يدخلون ويكسبون ، فيجمع العراق احلاماً يولدها الثقبانك ويبددها ، ويحفظ القوطاس من الثغرات والثقات ما لا تعددها . عم السعراء . واكثرهم بل كلهم في العراق اليوم مياسيون ينظمون ، او نظامون يماثلون السياسة كوماً منهم ، وفي مقدمتهم شاعر تجاوزت شهرته حدود الجزيرة ، فرجت بها سوريا ومصر والامانة ، واجلسها على ديوان العشر والاعجاب .

وقد وصلت هذه الشهرة الى الفريق في شخص صاحبها المحبوب معروف الرصافي يوم كان عربياً - بدوياً - في قلبه ولحيته ، وفي نظمه وقفايته . نام معروف الرصافي يومئذ في خيمة الناسك المشرفة على الوادي ، واصكل من جفنته ، وشرب من ابريقه . ثم سافر الى الامانة اولاً وثانياً ، وكان فيها من المرشدين الواقفين ، وعاد منها يلبس الطربوش والسياب الافرنجية ، فافصح ذا التطور الظاهر عما خفي منه فيه . اجل ، قد افسد الاتراك او بالحري مدنية الامانة - وهي في هذا الباب اشد واسرع فعلاً من مدنية باريس - قد افسدت شيئاً من السذاجة الجميلة في شاعر عربي مجيد . احترقت حواشي تلك السذاجة . فتغير لونها وطعمها ، وصار الشاعر سياسياً ، وصار العربي ملماً . او بالحري صار الشاعر في سياسته وفي اسلامه تركياً من اترك ذلك الزمان .

على ان الرحافي وهو من خصهم الله بشملة النبوغ - والنبوغ طموح ،
والطموح جهاد مستمر - لم يقف في التطور عند حد ريب وريب ، بل ظل
يشغل في الادب والشعر حتى امتست السياسة التركية الاسلامية بعيدة عنه ،
تصاد لبعدها لا ترى ، وحلت محلها - سياسة عربية قومية ، مجردة من كل
ترعة دينية ، وكل صيغة مذهبية . وكأني بمروء قد عاد الى تلك الحنية ،
خيسة الناسك ، فذكر فيها اجفنة والابريق ، وعقيدة الاخ الصديق ، الذي
كان مثله هدفاً لغايات التطور الجديدة . فقد صار ناسك القريكة رحالة ،
فراح يحول في الارض غرباً وشرقاً حتى اجتمع بعد سنين بصديقه الشاعر
في بغداد وهو يشغل وظيفة صغيرة في وزارة المارف .

وكان معروف اول المرشحين ، واول من قال شعراً فيه زجرة وفيه انين .

شكنا الى صديقه القديم حالاً هو فيها فقال :

اقت ببلدة ، ملئت حقوداً	علي فشكل ما فيها مريب
امرأ فتظن الابصار شرراً	الي صكنا قد مر ذيب
وكمن اوجه تبدي ابتساماً	وفي حبي ابتسامها قطوب
سكنت الخان في يدي كآني	اخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغراء فيه	لاني اليوم في وطني غريب
وما هذا وان آذى بدائي	ولا هو امره امر عجيب
واسكي اري ابناء قومي	يدبر امرهم من لا يصيب

وحمل على السياسيين في العراق ، الوطنيين منهم والانكليز ، وحمل
كذلك على الأغنياء والاعيان ، وشكنا الدهر والزمان ، كأن صديقه الرحالة
يحمل في حقيقته دواء لكل ادواء . الانسانية وترباقاً لسوء الحكومات
الانتدابية والاستعمارية .

أأمين لا تغضب علي فاني لا ادعي شيئاً بغير دليله
من ان يرحمني للعراق تقدم وسيل ممتلكيه غير سبيله
لا غير في وطن يكون السيف عند جبانه والمال عند بخيله
والرأي عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند ذخيله

ما كنت لاغضب على صديقي الشاعر ولم اكن جنت العراق من قطار
عربي ليس فيه جزء صغير بما في العراق من دلائل الرقي وملائع الادب
والعمران . الا ان غضبي عناب اخوان ، ولعب صبيان ، اذا قبول بغضب
اصحاب المناصب العالية ، والسيادات الدينية البالية . وليس غضب هؤلاء
وعم رجال بشي . اذا قيس بغضب سيده سائدة ، لما الامر وهي اجنبية ، ولما
تفوق يتند حتى الى ادوات الجرند العراقية .

قد اغضب الرضا في المس بل فعالت دون نشر قصائده في الجرائد .
وهذا قليل من كثير جاء منها بالاساليب الدقيقة الخفية ، لانها وهي امرأة
واقية وهي فوق ذلك سياسية لم تناصه العدا بال طرق الاشهادية ، ولا
اخطأت كما اخطأ سابقاً دار الانتداب في نفيه الزمانيين الاحرار . حكاتها
قالت في نفسها : هو شاعر ، والشعراء يلتذون بالسجن ويفتخرون بالمنفى .
وكيف لا وفي الاثنين ما يكفيهم مؤونة العيش والعمل يضمن لهم خبز
يومهم والعزلة للنظم والتأليف . دعت المس بل معروفاً وشأنه ، ولم تلجأ في
توبيخه الى غير التدقيق الخفي من اساليب النقمة عندها . وكان معروف يومئذ
تافها على العراق كله كما تقدم وعلى كل ما فيه ومن فيه .

سأنتصب لهوا جس حروجه يعمد الى الشروق به التروب
واضرب في البلاد بنو مكث اجوب من المهامه ما اجوب
الى ان أستظل بظلمل قوم حياه الحر عندهم تطيب

وكان امه ان المس بل ، وهي ولية الامر ، تسع في الاقل هذه

الشكرى منه ، فادرس اليها كتاباً يقول فيه انه يحقرها لانها غائلة ولكونها
في الامور الوطنية ليست اعلم منه ، وانه اذا احسنت العمل يجلد ذكرها في
التاريخ والا فلا رادع لشمره ، هما ، واني ارجو ايها السيدة ان يكون
لفضيات نتيجة فاعرة . *

سكنت الحان في بلدي كائن
وعشت معيشة الفراء فيه
آخر - مر تقاذفه الدروب
لاي البوه في وطني غريب

أفلا تبتلي المرسل حاله ، وقد سمع الاقالة في بلاد لا خير ولا ما يشبه
الحجر فيها ، فسمي بابعاده او بسجنه او بقتله ؟ اذا الغريب في امر هذا الشاعر
انه لم يهضم بقلية المرأة المهدية ولا ادرك السر الاول من اسرار قلها ، فهو
يطلب منها كالحبي لا يبغي حقيقة ، لا يخفي عوجه او عود نه - ناز قال لها :
اني اقتل رادية مظلمة في سرداب من سراديب بغداد على قصر في الاسنانة
سكانت سميت ولا ريب بابعاده فاجل عن العراق ، بل يتسفره الى الاسنانة
اما العلماء الفاقون على الرصافي او بالحري النائم هو عليهم فانهم يجردون
قصتهم في بيتين من شعره :

اقد مزقوا احكام كل ديانة
وما جعلوا الاديان الا ذريعة
وغاطوا لهم منها ثياب رياء
الى كل شعب بينهم وعداء

ولا همهم ان يبعد الرصافي عن العراق ام لم يبعد ، فهم يعلمون ان الشاعر
المجيد الحر الذي تتنازع وتتناقل اشعاره الناس قبل ان تصبغ يستطيع ان
يضر بهم ايما كان . وقد تجيى الضربة شديدة بالنسبة الى بعد مرماها .
لذلك اقتصرنا على تسكينه في بلده وشرعوا يشتمون به لدى العامة حتى صار
ينظر اليه اذا ما مر « كأننا قد مر ذيب » وهو والحق يقال ذئب الحرية في
العراق يشب على كل من يحاول قتلها او تقييدها .

لمدروف الرصافي عقيدة في الدين والاخرة تكاد تكون مادية . ولكنه
هو الحكيم المدرك حدود علمه ، قلما يفصح عنها تفصيلاً وثأصيلاً في
ما يكتب وينظم . وعندئذ انما في هاته الحال المدينية اشد تأثراً في ما
يقصد بها من اصلاح العقائد والتقاليد . قال لي مرة : لا تصطليح البلاد
العربية وتزوقي الا بالفكر . وانا افهم وهو يفهم ما يريد بما قال . فار نطق
كحالم بموجب قياس العلم والمنطق ۞ كان يؤثر في الناس كفره المزعوم .

ولرب قائل يقول : مالك وانت تكتب عن شاعر مبغوي تقدم في شهره
السياسة والدين ؟ الجواب : ان الباحث اليوم في احوال الشرق عموماً والرب
خصوصاً يرى ان للسياسة والدين الشأن الاول والاخرى في امرهم حكاهما .
اجل ، ان في مصبغتي السياسة والدين تصطبغ الاقوال والاعمال والامال ،
فيقدر الشعر الصافي والنثر الادبي في ما ينظفون ويكتبون . وعندما اجدي
ثمرة العقول الكبيرة الحرة ما يعاوض الثمرات المبتذلة الذميمة بثرعات جديدة
في الفكر والاعتقاد اقدمها عملاً ، اهميتها على غيرها ، كذلك سلكت في
اكتريح جزء من شخصية صديقي الرصافي المتأخرة

اما الشاعر فيه المجرد من ثمرات الناس ، ومن الثمرات السياسية كلها -
الشاعر الذي لا يعرف في الحياة ، ير الشعر والجمال والحقيقة المولية فيهما -
فهو دائماً فوق الجماعات والحزب ، لا يعتز في الانساب غير النسب الذي
بينه وبين البئيل ، والعواصف ، والكواكب ، والازهار . ولا وطن له غير
وطن الفكر والعلم والحرية . فهو اذا سألته : ما الشعر ؟ يجيبك قائلاً :

وما الشعر الا كل ما ربح الفتى	كما رنعت اعطاف شاربها الحر
وحرك فيه ساكن الوجد فاعتدى	مهبجاً كما يستن في المسرح المهر
فن نفثات الشعر سجع حماسة	على ابيكة يشجي الحزن لما هدر
ومن شذرات الشعر حوم فراشة	على الزهر في روض به ابتسم الزهر

ومن ضحكات الشعر دمة عاشت بها قد شكى للحب ما فعل المهجر
ومن جرات الشعر رنة تاصك مقبحة اودى بواحدتها الدهر
ومن نقصات الشعر ترجيع مطلوب تعاود مجرى صوته الحلقض والنجر
وان من الشعر اتلاف كواكب بجنح الدجى باقت يضاحكها البدر
وان انقسام القيد عن كل انشاب يطرب نفسي فوق ما اطرب الشعر

هوذا الشاعر الحقيقي . هوذا الرصافي ينطق بامة زملائه واقاربيه في
البساتين وفي السماء .

جميل صدقي الزهاوي

واللرصافي زميل وذئب من الناس بشاركه الاقامة في العراق كان ينبغي
لي ، لو اعتبر السن والعلم في الشعر ، ان اقدمه عليه . ولكن الشاعر هو
شاب ابدا والعلم في الشعر يكسبه حكمة ولا يزيده جمالا . على ان لجيل
صدقي الزهاوي منزلة في الشعر العربي اليوم لا يشاركه احد بها . فهو في علمه
وفي ادبه ، وفي شعره اقرب نوابغ العرب الى المعري الي العلا . واذا صح
مبدأ التناسخ والحلول يكون « رهن الحبسين » قد عاد الى هذه الدنيا بعد
الف سنة فاتخذت روحه الزهاوي مجسداً جديداً ، ومقلداً من الفكر مجيداً .
او ليس شبيهاً بصوت صاحب اللزوميات صوت من قال :

« ثم بعيداً في خلوة الاجداث من رغاء الحطوب والاحداث
انفس الموت حور ما خلفته لبيها الاياه من ميوث »

وما كان المعري في هذا التجسد الجديد موفقاً في الصحة والمافية ، لان
شكلاً في رجل من حل فيه ينم عن المشي . جاء في اللامية الزهاوية :
« وقد احاول ان اسعى فتسكني رجل رمتها يد الايام بالشلل »

فاضطرتة اذا خرج من البيت الى الركوب، وكان اختياره في الموكب اختيار الشاعر الفيلسوف. هوذا الشاعر الفيلسوف راكباً آتاه البيضاء كأنه من مدينة المأمون المدورة لا من بغداد الجديدة. ولكنه يلبس الطربوش لا العمامة، فيبدو شعره من تحته خُصلاً منبورة شاردة، لكل منها يد من الهواء. قداعها فتبهدعا عن اختها. وقد ينصل بعضها بشعر لحية الشيطان «البشقية» التي لا تخضع حتى لمشط من السيادة أو لمقراض. وهي تظهر في اشد المظاهر الفوضوية في الشوارب منها الثائرة على كل نظام وكل ظلام. وقد اختبأ تحت الشوارب جل ذلك الفم البليغ الذي هو ختم الفم اذا سكنت، وباب الصواعق والاضاحيك اذا تكلم. اما الأنف فتبسط الاطراف مستريح تحت عين دائمة تشخص النظارات على ما تجسده وتوحده من الزمان الحياة. ويشرف على هذه الآيات في التكوين المشور جبين رفيع نصيب منيع.

اما ثيابه افروحية، ولكنها كذلك حرة آية، لا يهبها الشكل والزي، وغلامات الاناقة فيها النظر، يتهاوتون كالسكس حول الساق، قبضه مفكوكه الزر عند العنق، ومستقلة في بياضها - غير الاعم - فلا يحتل قداماً منه شيء. ما تدعوه قطعة او ربطة رقبة. شيء زاهد بشكل شيء. الا بالعلم والحكمة، وليلى الاخيلة. اجل ان الزهاوي ليلام، تطارد من نفسه الفلمات، ومن قلبه الشبهات، ومن بيته الضالعات. هي عروس شعره، عروس حياته، عروس افكاره واحلامه. وهي كذلك رمز سياسته.

«كان يهوى ليلي ابن عم الليلى فابتاعها من اهلها كخطيب

ولقد اتجهوه من بعد حين : ان ليلي قد زوجت بغريب»

وان هذا الشاعر في عشقه لكالا ياعمي في بعض الاحايين يشارك بحب

ليلى كل عاشق حزين. هي ليلي الاباحية التي يحاطبها فيقول :

«ليلى اظلي على العا شقين ليلي اظلي

تري اعززة قوم مصطفيين نذل
تري صدوراً من الشو - في والصفية تفتلي
عدي وان كان وعدل - بجيب رعا تجذل

تم يفتل الشاعر من يدي اوطي والقياسون، ويركب وعروسه الاثن
البهاء، الى الصجوا، او يفتي بطنه في دية، فبسمه من الشعر الرقيق
المنسجم ما يقارن اجل نفثه اعون

ابيت في الدار وحسي	معانها
قد غربي اء صك	ن ربحا كمشان
لا تساني عها	اصابي بعد ذلك
ما ذات اصغر حيا	مثابيا
اربع حكل حياي	ساعة من ودك
اني بحدك م لب	لي لا اءك هك
فهل - اصغر يوم	اذا فلكت بالث

جاء في الشاعر الفيلسوف ذات يوم ليحل اي شاة هي اذهرأ عن ليلى
وعشاقها - ما هم واقفاهل ما ينظرون الشعر الاخلاية ويندمون الهدايا
الاجنبية - والمالك فذل ما يكثر، واذا اكثر فلا ينصف - او لم
اقل له في قصيدتي :

« لا يؤاس الناس في عصر نهيش به - الا الذي اقلوب الناس يتلك »

والشاعر يا استاذ من الناس، وله فوق ذلك حق عسى الناس، في من
يلكون او يؤمرون - توا فحمل النار بيدين الى امة تكاد من الدق قوت،
فيوقفنا في الباب اناس لا يسوون قلامة ظفر منا .

هي الحقيقة في كل قطر من الاقطار العربية . ولكنها في العراق بحمة

في كبار شعرائه . اعجب بشراء غاضبين شاكين ، وقد تنازلوا عن مكافئة الزمان الى مكافئة الانسان . الا انهم يختارون ولا شك الاقران ، او من يدنو من الاقران . حل الرضاقي على سيدة اجنبية من اجل ليلى وعشاقها . وجاء الزهاوي بشكو من مدحه بالامس وكانت لا تزال قوافيه ترن في البلاد . — سأروي يا استاذ ان اصكون شاعر الملك وعينوا لي راتباً شهرياً . فقلت : لا امدح بالاجرة . واني اقبل الوظيفة بشرطين ، ان لا اقول الا عندما ارى المدح واجباً وان يكون الراتب لوظيفة غير المدح .

فغضب جلالاته ، وكان لي على بعض اصحاب الحائدين حق المساعدة فافتسوا فرصة غضب الملك وانقلبوا علي . والله يا استاذ ما قبلت ان اصكون شاعر الملك الرسمي الا بالشروط التي ذكرت معاذ الله ان اصير في اخر هذا الزمان مداحاً بالاجرة .

هذا نصف القصة سمته غير مرة في بغداد كما رواه الزهاوي . وسممت كذلك النصف الآخر . اما جلالة الملك فيصل فقد كان بين النصفين ، تنجاذبه اكثر من ارادتين . واني اروي القصة كلها لما فيها من نور يضيء بعض زوايا الملك الجديد . اذا ترى في البداية جلالة الملك بين شاعرين هما صنوان ، هما شاعرا العراق الاولان . ولشاعرين اصحاب من ذوي السيادة والنفوذ في المدينة وفي البلاط . وبين الشاعرين ، بل بين الشعراء . صلي الاطلاق ، منافسة دائمة تكاد تكون طبيعية . قد فات ذلك جلالة الملك فاعضب في اتمامه الشاعرين معاً .

ولو كان ممن مارسوا الشعر ونجسوا طبائع الشعراء لاختار لهذه الوظيفة احد ابناء الطبقة الثالثة او الرابعة لانهم يحسنون المديح اكثر من سواهم ، وكان كفى نفسه عدا . شاعري العراق الكبار بل كان في استطاعة جلالاته ان يعمل احسن من ذلك ، فيقول لمن حبيبوا اليه « الشاعر الرسمي » ،

اننا في بداعة امونا ، ولا حاجة لنا بداح مانجور . او انه يقول : شاعر البلاط من كالات الملك ونحن اليوم احوج الى الضروريات . أفلا تظنه مقلداً لو اتخذ هذا المملك ورفض ان يعين شاعراً رسمياً ، فيصير شعراء العراق كلهم شعراء البلاط — ويدون اجرة ؟

ظلمت والله يا استاذ . انا لا ابقي اجرة على المديح اذا مدحت واني لا امدح دون فسكر او نصح . ألم اقل انيصل :

« تلقى اعدائك لاستتمام نعمتهم على الذين بنهج الحق قد سلكوا
على انفس لصدق القول قد تزهوا على رجال لعل النفس قد تركوا
على الآلى ، ترك الايام اظهرهم عر كاطو بلاؤ نالايم قد عر كوا »

اجل ، ومن ياترى عر كتهم الايام مثل الزهاوي ؟ ولكن الشاعر يخدم بلاؤه في ما لا يحسن الخدمة احد مثله . قد تقلد الزهاوي مناصب في الدولة كثيرة وكانت يوماً له و يوماً عليه ، وكان في ذلك واحداً من كثيرين وقد زودت صفاته في فنون الادب ، فشغف بالعلوم الطبيعية ، وألف كتاب « السكاكيات » وكتاب « الجاذبية وتعليقها » وكان فيها واحداً من مئات التراف . ومن غرائب اجتهاده وتنوع علومه انه كتب رسالة في سباق الخيل وكتاباً في علم الداما . وفي هذا الكتاب العجيب ذكر الف لعبة من اخترعها . فان لم يكن الزهاوي شاعراً وطنياً قلنا ان في تعليم الامة لعب الداما وظيفته الاولى . ولكنه شاعر كبير بالرغم مما في شعره من مبتذل القول مثل :

« العلم ثروة امية ديسار والجهل حرمات لها ديوار »

« ان النوقف في زمان حازم فيه تقدمت الشعوب كمار »

« من راح يشي في حويق مستور آمن العثار فما هناك عثار »

ومثل قوله في مطلع قصيدة « الجهل والملم » :

« الآن ليل الجهل اسود دامي وإن نهار الملم ابيض شامي
وتشقى حياة لها من مدوبير وتشقى بلاد ليس فيها مدارس »

هي حقائق لا ريب فيها . ولكنها من اسفائق المعروفة المبتذلة ، وقد اصبحت الاعتقاد بها عند الغربيين من باب الاعتقاد بوجوب الرياضة مثلاً او الاكل . اما عند العرب فالامر غير ذلك . وانه ليتغير ناشعو في امة تطرب لآشعر طرب الذريين الموسيقى اذا وضع لها حقائق كل يوم - حقائق ايام الشغل - في قوالب شعرية .

من مزايא الشاعر الحقيقي ان البؤس في الامة يحزنه حتى الالم ، فيصبح كأنه هو الامة البائسة الموحوعة ، فيسمع صيحته من قد خشت او تحذرت من الآلام اعصابهم ، فيستغيثون طالبين الدواء والشفاء . هذه هي وظيفة الشاعر الكبرى في امة كان لظلم فيها ربوع زاهرة امست كافقر الياب .

وان كان في شعر الزهاوي يعر هذه الحقائق - حقائق ايام العمل . ان فيه كثيراً من حقائق الآحاد ايضاً والاعيان . هو الشاعر الذي يبهجه اريج الازهار ، ويريق الأنوار ، فيود لو كان ~~بمعناه~~ انه ان يداوي بها البؤس والظلام - البؤس الذي منشأ الخول ، والشلل الذي هو الجهل .

اننا نقدر سرأ في الاكران . فحبذا ما نقدر دواء لما نقاسيه . حبذا الحياة ، حياة النمو الدائم والتجدد الدائم . ولكن الجهل عدو هذه الحياة وعدو الله ، والمتاجرون بالجهل رؤساء الاديان ، ورؤساء الاديان في كل بلد لا يخف شرهم الا بئس الزهاوي والوصافي وشعرهما . وهما هنا في هذه الامة الجديدة سبب التقيظ الجديد ومصدره . اولئك الجاهلون في مكانهم وفي علومهم يكفرون الناس فيدفنون ذوي التبوغ فيهم الى الكفر بالله . ان

وجودهم في المجتمع الانساني سادة لما يضاف اليه الثقة بالمقائد الدينية كلها ،
فيخرج الزهادي اذ ذاك من المشتلات ، ومن اوطيات ، وينظم ديواناً
كاملاً في « نوعات الشيطان » فيسمعك من الحقائق التي هي كالمصل الياني
وكاندع الاناني . ويسمك بعد الزجوة ضحكة لا تنسى زعائن صداها
وصدى التهكم فيها .

« توقفت لا ادري نوحه الحقائق التي خلقت الله ام هو خالقها »

ان الزهادي في « نوعات الشيطان » مثل اي العلاء في « رسالة الغفران »
وقد يفوق معري اليوم معري لامن جسارة وبريقاً . فتصل يد شيطانه حتى
الى العرش اراقص ، وحتى الى حبة صاحب القروش . على انه بعد التناول
والتجديف يستمر انه ويعود الى على كل يوم « هوى العرب في الشرق » غراً
فهو ضارباً بهواه في تجرعه بالبتلات ويهدده :

يا ايها العرب ان الشرق مغلوب

يا ايها العرب ان الشرق مغتصب

خفت من اوطاء الابرار تنقلب

الشرق يشبه بر كنزاهم

الخاف من انه يا عرب يتفجر

يا سرحة الماء انت اليوم رافرة

وانت قائمة حضرا ناضرة

لا قائمي الدهر فالايام قضاة

يا سرحة الماء ان جاء الخريف غدا

فشا هذه الاوراق تقطر

ثم بين التجديف والتعجب يسمعن الشعو من نغمته الناعمة الضافية ما هو
من صبح الشعر الذي يستأثر بظاه الابرار ، فالسكوت ، فترى الدمة فيها

تروي الابتسامة ، وتروى الابتسامة تحضن الدموع كما يحضن ورق الورود
الندى . من ذلك قوله مخاطباً حماء المراق :

« انظروني اذا السادل غنت	سجراً فوق منكب الشجر.
انظروني ليلاً اذا الشمس غابت	بهبوب النجوم في الظلماء
انظروني اذا الطبيعة أصف	في اندياجي الى خور الماء
انظروني اذا الحوادث رامت	هدأة في الصباح او في المساء
انظروني اذا الحريف تراءى	آسياً من اشجاره الجرداء
انظروني اذا غدا الروض خلوا	من زهور او زهره من رواء
انظروني من الفروع خلال الـ	سحب سراً بعينك الزرقاء
انظروني اذا نظرت بعيني	وهي شكرني اليك عند البكاء

كلام المديني

ان في المراق من الملوك من لا يزال في العقل اندي مات فيه « ملقات »
الكنيسة المسيحية يوم قضى على ما كان مكتوبة من سيادة اديبة في العالم .
وهذه « الملقات » ليس بعيد . بيد ان وليقة في مراقبة اداب الدنيا والدين
لم تكن لتتخصص بالكنيسة الكاثوليكية ، بل تجاوزتها الى ملوك اكفور^(١)
البرتغاليين الذين كفروا في النصف الاخير من القرن السادس عشر
واصحابه قلوبهم تبدأ النشور والارتقاء على ان زمن الـ « ملقات » في المسيحية
قد ولى ، وكذلك الـ « دون » فودعهما التاريخ شاكراً مسروراً .

اما في الاسلام ففي بعض الاقطار كالمراق مثلاً لا يزال الملوك يحمل سهام
النجيم والشكوك ، يرمي بها من خافه رأياً او نشر ما يخالف عقيدته في

(١) اكفوردا اكبر جامعات انكلترا وهي المدينة التي تدعى هذا الاسم . والملقات
يدعى في اكفوردا « دون » Don

داب الدنيا والدين ولا يحق للشيمة وحدها ان تفاخر بشي هؤلاء العلماء وان
كثرت عددهم عندها . فان عند السنة منهم من يسود الوجه حتى يجف على
« ملاقين » كرملاء والنجف .

وهناك في تلك البقعة النائية عن دوائر العلم الغربية بعض رجال الدين
المسيحيين الذين يتقون زقيق الضفادع حكل مرة يُسمع في البلاد صوت حور
كريم ، فيصدرون الفتاوي بالتحريم والتكفير اقتداءً بفضيلة الشيخ الاعظم
وه آية الله « الاكبر » وما الفرق يا ترى بين ثلاثة عم واحد تجاه الحقيقة ؟
انهم وان اختلفوا ايماً ومنعياً لأعداء الحرية . بل هم الاحلاف على انصارها .
الا ان الكوملي والانسوي والقزويني لثلاثة رؤوس « هي التقليد والتمقيد
والسخافة والحرافة في العالم . بل من آيات السقم والعقم والادعاء والزياد ،
ان كان في الكاثوليكية^(١) او في اداء غلبة^(٢) في النجف او في بغداد .

وكلامهم يسكرون الزهادي والرحافي والدجيلي ، ثالث المقضوب عليهم
هناك . على انه في القسائل والصراخ والجراثة الادبية علم من الاعلام وقلم
يعد احد قبله . الشيخ حكاية الدجيلي فيلسوف ينقو من الخيال ، وشاعر
يهوى صدق المقال ، وليس في شعره ما يري . بوجود الشاعر فيه او الفيلسوف
ليس في طامته او في صوته ما يستنبط اليه او يستوقفك وانت عريب . بل
في وجهه الخروط الثمر ما يشيع الى التزيق والتسرع ، اللهم اذا قسنا التكرير
الالهي بقياس الفن الانساني ، فنقول ونستمع انه : قد ارتجفت يد المكون
في تكوينه ، او ان النظام اقل بالنظر فلم يك مؤزونا . هالك وجه الدجيلي .

(١) الكاثوليكية مدينة من الساحل الشرقي من دجلة على مسافة اربعة ايام من الكرخ
واياما من الشبة وفيها جامع جين مدفون فيه الامامان موسى الكاظم وعبد الجواد
(٢) الغلبة من قبالة الكاثوليكية على الساحل الشرقي من دجلة وفيها قبر الامام
الاعظم ابي حنيفة .

عيناه بعيدتان الواحدة عن الأخرى ، فمه وانفه صغيران بالنسبة الى صفحة وجهه ، شعر رأسه وهو دائما قصير يظهر انه ملتصق بجبينه . اما الرأس ففيه من الاذن الى القمة طول يخالف ايضاً قواعد التناسق ، وهو ادليل الظاهر الوحيد على ما في الرجل من قوت التفكير والحكمة . وليس في دونه اذا حدثك ما ينسبك ظاهر صدمه ، او يستغري العرش فيث ، فهو دائما عال رفيع لا منبسطات فيه ولا منطقات . تنفر منه لأول نظرة ولا عرو . الا انك بعد ان تألفه تروح الى الوراء او حد فيه . وقد تكون المادة التي يحملها ويوزن اليها السبب في ذلك . انما هي ثب الرجل وكنهه . هي حقيقة وجوده .

ان الدجيبى عقل كله : عقل صابر لا يتزعج شيء من الروح والقلب . فيه نور الشمس وقارها ، وليس فيه مثل او خيال . وهو في حريته مثل نور الشمس يحرق وينير ، ويحرق احيانا نفسه قبل ان يحرق سواه . ما اجتمعت في البلاد العربية رجل مثله في صراحته وجراوته واخلاصه . وادرك في الشرق ، حيث اللطف طارب اطلابه والتجمل حامل ابدا بحركة اللبيب ، لتعجب بالدجيبى ضعفي اعيايك بتله في اوروما او في اميركا . وما تأثير الظواهر بعد ان ينكشف الاقارب عن هذه العنينة الباهرة .

رجل ولد في مهد التقليد والتقييد والتنفيد وهو اليوم منلق منها كلها . ينشد المذاهب الدينية ، ويعمل عليها ، ولا يحتفظ بعمر الالاب من الدين . له في الحياة عقيدة مادية يجر بها ويناضل عنها ، شغف باقمة القاهرة وهي عنده الحق ، لا يري في الضمير . ولا ينفقه زخارف التلطيف واوهام الفجرة والاحسان . هو في شعوره اقرب الى شعراء الجاهلية من حيث انه لا يرى الا ما يرى من حقائق الوجود . ولكنه في ذلك عصري ، اي انه اتخذ هذه الطريقة لانها تساعد اكثر من سواها في تجريد الاداب من ترغبتها . والادايان من خرمياتها ، والافان من اوغامه كلها .

يذكر في الدجيني بشاعر السكليزي من شعراء الشطر الأخير من القرن
الماضي جرد شعره من حلي التقاليد الصناعية كلها - من زخارف الخيال، من
اوهاام الآمال، من مصقول المفال، فجاءت قوافيه كالبرق يثني الظلمات، وكالكلمات
كالتصال وقد جردت من الأغمار. هو الشاعر الكبير شعراً لا شهرة اوقست
هني^(١) القائل :

ولو احببت في الظلمات والاعصار ،
وكان الليل من القطب الى القطب كالقمار ،
فالى الامام ولا اندحار ،
انى وانا هذه النفس ، اى سيد الاقدار .

وكان هني وقد كان معاصراً للبشني^(٢) الفيلسوف الاماني الشهير يردد
شعراً احدى سكارته الملهمة او شيئاً من فلسفته الملهمية . - الارادة الارادة .
العزم العزم . اذاعة على النفس . التدرج على الخلق فلا تسكنه منات .
والقوة اولاً واخرى . خذ هذه القاسمة لنبينا من شاعر هني حجري من
« هني » الشيعة من « بشني » العراقي . قبال الدجيني في مطلع قصيدة
« الحياة الاجتماعية » :

حدثك عن غير القوى حرام	وصحيت في نسر الضعيف المام
تحدث بجهد الاقرباء فبهيم	قعود بالصلوات اورى وقيام
بؤنه هذا صبور اى اتم قوة	وهو الكبير الا قوة ونظام
اذا كنت بين العالمين الخافى	وعتد عيون الناس حين تدام
حتى الغاب بأش الارث من كاس طارى	وما ينبج من تلك البزاة حمام
يقولون ان الحق من فوق قوة	وما الحق الا مدفع وحمام

(١) Ernest Henley

(٢) Frederick Nietzsche

لولا ما في هذه القصيدة مما لا يخفى شعر عربي منه ، أي العادي المبذل من
الفكر والتعبير ، طامت في تجردها ، مثل شعر هلي من أوهايم الخيال وزخرف
الآمال ، فريدة في بابها . وقد تطرق الشاعر فيها إلى ذكر الأديان فقال :

حكاية اديان الانام عجيبة تجمع فيها فرقة ووثام
تريد الهدى والحجر للناس كلهم وحكم تار منها فتنة وخصام
وغايتها قصوى عبادة واحد حقيقته ما ان ترى وتراه
عظيم لديه يصغر الحق حقه وتستصغر الاجرام ومعها عظام^(١)

مهما كان من تزعزع عقيدة الشرقي فلا يحمله ذلك على الإلحاد . بل
يظل مؤمناً بأنه في ما صفا وتعسكر من امره وخبره . وعلى ذكر الحمر ان
للدجيلي اسماً في شركة الحيام واني النولس كاله في شركة ابي الملا . المري .
فقد وصف الحمر ومدحها وذكرا كذلك بعد الاختيار فكان في الثلاثة صادقا .

الميك ما نظمت بها صحيحاً ؟ فلي فيها تجارب واختيار

وقد جاء في قصيدة له عنوانها « بوليس بغداد » وهي احدى « منظومات
الرجل » :

ادرها علينا بالكبير قاننا كبار ومن شأن الصغار صغيرها
متي يبدو الارباق عند انكسارها علينا يزدنا من هواها هديرها

وفي هذه القصائد من التجريد ، ومن القول الصريح الشديد ، ما يجيز
المقابلة بينها وبين « منظومات المستنقضي » للشاعر الانكليزي الذي ذكرته

الى ان وردنا الرجل والرجل ضيق وقاعته محدوديات صغيرها
يشم حديث العهد منها نثارة يزيد اذا اشتد الهجر وظهورها

(١) وان عظموا كيوان عظم واحدًا يكون له كيوان اول ماجد
أبو الملا المري

وفي الصبح ساقونا الى متحكم باحكامه غر حكام غيروها
وعاتينا كالأبشهرين جندة فجيء باسواط دقات سيورها

في آداب الافرنج وفنونه طرائق شتى تشمل اغراض الحياة وطبائع
الناس كلها ، منها ما يدعى « رىاليزم » Realism وهي طريقة من يلتزم في ما
يصف او يفصح عنه الحقيقة المحردة ، دون مبالغة ودون تزيين . وقد يجوز
اعمال بعض اجزاء فيها حشنة ولمافة ، فلا يتقرر القارىء ولا ترتد فرائضه .
وهناك طريقة اخرى نشأت بعد الطريقة الاولى لتسد فراغا مزعوماً فجاء
اصحابها وفي مقدمتهم اميل زولا بشكل ما هناك من هول الخلقائق الواقعة
ومرعات الوجود ، وفي شعر اندجيلي شي من الذوبقتين .

يا لك من آمرة ناعية	احكامها نافذة ماضية
جماعة الاضداد شيطانية	الاهة رشيدة عاوية
قاسية رقيقة الخاشية	سافرة مائبة راقية
خبيثة شريرة باغة	علية طاهرة راصية
يدفها النفع على حب من	ينفها ولو الى الهلوية

ليست المرأة من يصف بل هي . . . النفس التي حيوت افكار ادباب
الهي السامية . وقد قال فيها ما لا يخرج من الحقيقة ، فكان في هجوه
صادقاً ولكنه جائر . واجبور من شيمة الالهيين « وقد قال في عبادة
الناس لله :

عبد الناس الهيا ما رأود وراهم
طعاً فيه وخوفاً منه هل ينقض هواهم ؟

بل قال اكثر من ذلك ولم يستثر حتى نفسه او يتناهاها :
ارى حياة اورى جهاداً في معرك دائمة التنازل

يخضع فيه الفتي الحياء والحدع قد جاز في القتال
كل امرئ ناصب جبالاً حتى انا ناصب جبالتي

ان ادب الشاعر الحقيقي وان افقره ليقه من حائل مثل هذه الحياة ،
وان علم العالم واخلاقه ليرفاهه عليها فيسلث . سلكاً ينافي به ما يجعله على
نفسه . هذا لعمرى فضل الادب والعلم حتى في من كانت عقولهم بالحياة
مادية دهرية . والشيوخ حكيم الدجلى يمد عن التعصب العلمي بعده عن
التعصب الديني . - اني مرة ربي في الارواح واستعظمتها فقلت : لا اصدق
ولا انفي . يرمي درس الموضوع وما بين في الشيع . فقال : وانا من رأيك .
الحياة اضداد . وقد تتخذ الارواح قد حياء من الكهرباء في الفضاء . وقد
تكون الكهرباء البحر الذي تعيش فيه الارواح بعد الموت كما يعيش السمك
في الماء . بل قد تكون هي مصدر الكهرباء . فكيفها غير قرح بمضاهي بعد
الانفصال عن المادة في العيس العام وبمضاهي تغل مددة على كبريتها الارضية
فقدورها اذا ربحنا بزيارتها وتباين افقها .

ان هذا مثال من عقلية الرجل العلمية . اما ثقافته الوطانية فاحدة تناسب
فيها ، بل هي غالباً في حالة الاضطراب . اذكر يوم حكمت في البرلمان انه
تكلم في مجلس عرض رجال الشيمة اخوانه وكانت الصحافة تسابق التسلط
في حديثه فاشفت عليه من نفقة المتعصبين . سمته يصح الامة الانكليزية لما
فيها من علم وادب وقوة ونظام ثم صاح بهم قائلان :

- راي العلم وراي القوة وراي النظام عندنا ؟ اني حكمت اتنا العربية
والعصر الماضي الذي تسمره مجيداً ان حكمان عصر السفاحين ؟ اني مداحنا
وقد منش الفساد حتى في الكشيب ؟ اني بيوتنا وقد تراكت في زواياها
وفي صحنها اوساخ التبايد وغفلة العادات القديمة ؟ اني ديننا وقد حلت
الحرافات والتفاسات المزعومة محل اليقين والعمل القند ؟

هوذا الدجيل يقرع ابنا قومه ، ابنا مذهبه ، فلا عجب اذا اتى
المعتدون غير مرة بتكفيره

مجيد الشاوي

ها قد عرفت ابنا الشاوي العزيز الى ثلاثة من يكفرونهم في المراق .
وقد ذكر اني قلت انهم اربعة . اليك اثنا بسجل الكفرة كله . ان الرابع في
السجل المشهور عني فجهلوا العقد الخامس من العمر ولا يزال قتيلا - وثيا
برأيه ، قتيلا بلوحته ، قتيلا بوجهه ويواجه راحه . قد شغل هذا العربي مناصب
متعددة في الحكومة ، وما خرج من واحد منها آفة . هو من اولئك الموثقين
القليل عدده الذين يعطون المنصب لضعاف ما يأخذون منه . فيخلصون
الخدمة ، يعدلون ويصاحبون ، ولا يكون جزاؤه غير جزاء من لا يبدل ولا
يصلح . من اقل . يبدلون من قوائم ومراهمهم شيوخا ، ويجربون من دار
الحكومة وتقرر بشيئهم الى البيت . على ان القزاحة توافقه ايضا وتدابهم
دائما فتعزبهم بعض التعزبة .

ان الرابع من الخمس هذا الفصل بذكر اسم هو عبدالحمد بك الشاوي ،
الشيخ عبدالحمد ، الذي يشبه الشياطي لا قرأني الكبير كبريتو ايس فقط
في وجهه بل في ذكائه المتعرج وسفوفه البسيط الشاذ . وقد تكون صودة
الاسد في وجه الشيخ عبدالحمد الزبير من صودة الذئب . الا انه في صوته لا
يهدر ولا يطمح .

كنت في يوم الاستقلال فنظرت الامر لاصعد الى هو الاستقبال فسلم على
جلالة الملك وصل ونقوم بالاجب الآخر الذي دينا له . وكان في المدعوين
الحادية من الانكليز العسكريين والمدنيين من جاءوا في اوابهم الرسمية
ونباشيتهم تقاللا على صدورهم ، ومن جاءوا يلعبون الاسود القاتم وقد

صفاته المكونة وعززت اطرافه وحروفه ، ولم يكن بين الوطنيين الذين ارتدوا كذلك الاسود المصقول ، والابيض الناصع المكوي ، طوعاً ولا امر الملك المطبوع بناء الذهب على رقاع الندوة ، غير واحد لم يكلف نفسه الطاعة وما تستوجب مثل هذه الرسات . جاء في ثوبه الافرنجي اليومي وقد اكسبه الزمان لغة في حناياه ، وهو يلبس فيجأ - استعمر الله اذا العين اخطأت او الذاكرة - لا تعرف الشاء حتى ولا المكونة . هو عبد المجيد الشاوي ، شيخ المعريين في بغداد .

وكان اول اجتماعي به تلك الالة فاتحة الحلب والاعجاب . لم يزورني في الفندق ، ولم يسم الي في نجر مكان مثل يبره من الاخوان . ولكنه قال عندما تصادفت : نحن ابتداء عم وليس بيتنا واجب التعميل واللياقة ، فلم افقه مراده ولم اظاهر بغير ذلك . فقال : انت ابن المعري وانا ابن الحيام والاثان اخوة . ليس في الانساب اشرف من هذا النسب . اهنتك واهني . نفسي

واذا انتسبت وقلت اني واحد من خاقه فكفى بذلك تشبهاً
اراد المعري بقوله من خالق الله . ونحن فكروا ومبداً من خلقه اي من خلق المعري .

فقال احد الحضور : ولكن المعري كان متشككاً الى حد النك .
فاجاب الشيخ مجيد على الفور : لزوم ما لا يلزم . ونحن كذلك نتكشف الى حد الاضطراب .

فقال آخر : والمعري بدم بيت الحن .
فاجاب الشيخ الذي امسى نقطة الدائرة : والحيام يدحهما . وهي تستحق الاثنين . الذي يتقص المعري بكملة الحيام . هما خير الوسل ، رسولان صادقان كريمان سويان - فيأي الاء ربكم تكذبان .

وقد برهن الشيخ عبد المجيد تلك القيلة على انه من اتباع الانبياء
الصادقين . رأيت الى المائدة يحسو من المشعة الذهبية الكأس تلو الكأس
وسمته يردد من اللزومات وهو تيل الى جاره السيد افنان :

رويدك قد غرقت وانت حر بصاحب حيلة يهبط النمام
يحرم فيكم الصماء صحا وبشرها على عمد مباء
يقول لكم غدوت بلا كماء وفي لذاتي رهن الكساء

ثم رفع الكأس ولم يبق فيها غير القدر فشرب ثم قال :

وقد شرب الدهر من الامام فلم يبق في الارض الا العكر

ليس الشيخ عبد المجيد من اصحاب التواني الا ان تكون نظيره . وكافي
به لا يضيع وقته في التلظم وعنده اللزومات متمين بها على الامان والاضاليل .
ولا هو ممن يمددون الاوراق ويبعثون مع ادم غزير المادة ، صافي الذهن ،
سريع الحمار ، لا يكتب يرأه اذ اراح عاديأ في مظهر الانشاء . ولكنه
مثل سقراط يفضل الكلمة المنقولة على الكلمة المكتوبة . هو عبد المجيد
صفتاب لنفسه ، يقرأ منه في المجالس ، ويعيد كلامه ويكتفها حبساً تقتضي
الحاجة . لا يداري ، ولا يحاني ، ولا يتهيب احداً . هو في صراحتة مثل
الدجيلي والوصافي . ولكنه في سرعة خاطره ونسكته وميله الى الاحضاض
اشبه بالنقيب السيد عبد الرحمن .

صكنا يوماً في محاسن ابن النقيب السيد محمود فدار الحديث على حروب
الذي محمد وما كان يظهر فيها من حنان صاحب النبوة وحلمه . فقال الشيخ
مجيد : حنان الذئب على الشاة . وابن الحنان وابن الحلم ، وعالك الله ، في

(٤) رحمه الله . جرى به مريضاً الى بيروت في صيف عام ١٩٥٧ ثم افاذه تقيير
المراء ، ولا تمنع فيه العلاج والدواء .

تحليله الرق وراحة النساء لرجاله . كانت حروبه مثل حروب تلك الأيام ،
ولا تختلف عنها إلا بالدعوة . . . وما ذنب النساء في الحرب ؟

فاجاب السيد محمود بان النبي صلى الله عليه وسلم اراد بالنساء خيراً حينما
كان يجهز سبيهن واسترقاقهن . لانه اذا دخلت جنود الاسلام بلاداً فن
باب الشفقة على النساء يأخذ كل محارب قسمته منهن فيمولهن ويحسبن .

فقال الشيخ عبد المجيد : هذا من باب الاجتهاد . ما اذن في النساء قديماً
وحديثاً من رضى ان تكون عبدة اسيرة خوفاً من ان توت وهي حرة من
الجوع . دماءك مثل دفاع الذهب من الشاة عندما وثب عليها اجسبها من
الضبع . . . لا تزال متأخرين ، متأخرين جداً يا سيد محمود ، اذا حكى زى
شيئاً من الحق في مثل هذا الدفاع عن . . . اجدادنا وقضاةهم . . .
الغريب في امرنا نحن المسلمين اننا لا نتقدم الا اذا رجعت الف سنة الى الوراء ،
لا نرتقي حقاً الا اذا رجعت الى ابي العلاء المعري فنحن الاطبايل كلها ونشد
المنتظمين من دلائل الذين يشون هذه الاطبايل ويشتونها في الناس .

نكذب العقل في تصديق كاذبهم . والشغل الذي باكرام وتصديق

وقد قال ايضاً المعري ونعم القول :

ولا تطيعن قوماً ما دونتهم . الا احتيال على اخذ الاثارت

ان الشرائع التي بيدها احداً . وادعيتنا اقلين العدوات

والاديان والذاهب بلبه الشرق الكبري :

قالت غي الناس شرقاً ومغرباً . تكامل فيهم باختلاف المذاهب

نعم ، وفي قلوبنا منها المم ، وفي عنونا المغرقة . يضحكني ويسكنني
صياح شرارتنا وخطباتنا ، يهددون الغرب بنهضة الشرق . والمعري يجب ان
ينفض الشرق على نفسه ، قبل ان ينفض على الغرب ومدنيته . ولا نتقدم

نحن المسلمين الا اذا عدنا الف سنة الى الوراء - الى المعري ابي العلاء^(١) .

ابن خلكان العراقي

وفي العراق من الادباء حكايتون من عم شفقون بالحرية وبروح الادب الجديد . ولكن عدا الفصل يضيق دون ذكرهم ، وهذا الكتاب « ماولك العرب » لا يسمح بفصل آخر لخصه بهم . الا اني افصح لكبيرهم عملاً لا سناً فتفت - ولا كرمي آخر للجلاس - بين من ذكرت

هوذا دائرة « ماولك ادباء العراق وابن خلكانهم » صديقهم الاكبر ، ناشر آثارهم ، حامل لوائهم . روافيل بطي - وهو منهم في الصف الاول . فقد حله حب الادب المصرية على تأليف كتاب « الادب المصري في العراق العربي » الذي نشر منه الجزء الاول وسيليه ثلاثة اجزاء . هو عمل ادبي كبير وهو جدير ما طي المأمور به نشاطه واخلاصه ، وبدوقه وقراءة علمه . لذلك سميت دائرة « ماولك ادباء العراق وابن خلكانهم » .

ولروفايل أسلوب في الانشاء سهل منسجم جلي ، لا تكلف فيه ولا اغراب . وله في معالجة المواضيع مزجية مستجيبة ، هي انه يقف عند حد بين الاسماء والاختصاص فلا يطرأ على نفسه فيضل ، ولا يقتصر على القارى . فيضل هناك مثلاً من الكتاب الذي اشرت اليه :

قال في الزهاوي :

« نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت ازاعج الادب فيها بعد الازدهار »

(١) ما اصدقها كلمة « وما ابلغها » وما احدها بالنقل والتردد . فخذوها من الشيخ عبيد واستخرجوا له اشعاراً من الحكم التي تضمنت المثلود لاصحابها : تكلم من شاعر ترك من ادب قلب على النيران والفناء كلمة بليغة ذميت مثلاً او بيت من الشعر فحدث به الركبان .

ودرس معالم العلم بعد ان تاطعت بطونها القضاء ، فراعته الجهود الهائلة المستولي على الفهوم والاقلام ، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظامون مقلدين غير مبكرين . . . فلم تأنس روحه الناهضة هذه الحطاة ، وعز على عقله لتوقد ذكاه ان يبقى مصفداً باعلال التقليد . «^(١)

وقال في الرضائي :

هو اول شاعر جاء قومه العرب تايجون وصارحهم يسا لا يجون ، لم يعرف للتقليد او الخضوع لاية معنى لا في جنات ولا في افكاره . كان من شعره صيغات علمت على تفويض معنى الاستبداد الحيدري ، كما انه ما لبث بعد نحية الدستور المثاني واستشاره به ان رجع ينهي على قوم تحاذفهم لما شام فيهم من الرجمة . «^(٢)

وقال في الدجيلي :

« لو كان للعلم والادب قيمة في هذه اديار اكان لاشيع كانهم الدجيلي بحال واسع لاظهار مواهبه وجانبه على الحدث . ولو كان حرية الفكر حرمة في هذا القطر لرئت حقائق الدجيلي في شعره ردة تحدثت بها المجالس . «^(٣)

ان رواقيل ايضاً من الشعراء المميزين في الدجيل الذي فيه التعریم والكفر . وسبكه وروحه ولا تثبت تكفيراً مضاعفاً لانه يسبي الى اصحاب العقائد والاداب الشيعية المذاهب في القصور وفي الطريقة . اجل ، هو من انصار الشعر المنثور . وقد قلنا في قصيدة له عنوانها « النايقة » :

وجدتني في مجاهل ارض كل ما فيها يشير الدعش والذهول .

(١) الادب المصري في العراق العربي - الجزء الاول - صفحة ٥ .

(٢) الادب المصري في العراق العربي - الجزء الاول - صفحة ٦٧ .

(٣) صفحة ١٨٧ .

ورأيت نفسي مكبلاً بسلاسل التقليد ، سجيناً في قفص
 الاوهام ، اسير عادات ، ورهين اوصاب .
 حطمت السلاسل ، وكسرت القيود ، وقوضت جدران الوهم ،
 وانعتقت ثما درج عليه اجدادي
 فصاح اخواني وضجوا ، واهولوا وبكوا .
 رأوني خارجاً عن سجنهم ، اذنت بحرية غم منها محرومون .
 شاعروني ارفع بصحة وسلامة ، وهم في الامهم يتعذبون
 اولئك الذين يتخذون من جهل الشعب علمهم ، ومن ضعفه
 قوتهم . -

وقال الله شرهم ياروقائيل .

ويكونون غالباً أنكلاء ، فتتألف منهم طبقة الأفندية الذين قلما يصاحون لعمل وطني مفيد .

ثم يبقى إذن غير المدارس العامة تعتمد عليها في تحسين عقلية البلاد المدنية ، وتوليد روح وطنية جامعة راقية عاملة . اجل ، ان المدارس العامة لدليل الرقي الحقيقي في الامة ، لانها تعميم التعليم وتوحد المحجة فيه . هي البوابة التي تتكون فيها الروح الوطنية الحديثة . بل هي هي سياج الوطن وفيها عز الملك وشرف الامة .

واسكنها لا تكون كذلك ، لا تفلح في التكوين ، الا اذا كانت البوابة واحدة لا تتغير في تغيير المكان والمذهب واللغة . ان امة تعددت شعوبها ، ومذاهبها الدينية ، ولغاتها ، لا يتكون منها وطن عزيز الجانب ، رقيق الشأن ، مهما كان ساطعها ، مهما كان جيشها ، مهما كانت ثروتها ، الا اذا استت الحكومة فيها مدارس عامة ، مجانية ، لا مذهبية ، تتشعب كلها على برنامج واحد ، ويكون التعليم فيها بلغة واحدة هي اللغة الاصيلة .

ماذا في العراق من هذه المدارس اليوم ؟ استبشرت باول حفلة دامت للخطابة فيها ، وكانت في دار المعلمين . فاجتمعت هناك بوزير المعارف يوشنر السيد حبة الدين الشهرستاني ومستشاره الانكليزي ومديره الاستاذ سامط بك المصري ، ووزراء اثنين من المدرسين في المدارس الابتدائية وفيهم نفر من السوريين والعراقيين . كانت الحفلة عامرة بالخطباء والشعراء وحكّان الحديث بعد الحفلة في موضوع المدارس والتدريس ، فتم عن اشياء نالتها بعدئذ من مصادر شتى ، وهي تا يستوجب الاسف .

قد اشرت مراراً في ما تقدم الى الاغلاط التي ارتكبتها الانكليز في العراق وهم انفسهم يتفنون بها او ببعضها . فمنها ما كانوا فيها مسيرين ، ومنها ما كانوا فيها متصددين ، وهم لا يمتدحون هذه من الاغلاط . مثال ذلك

التعليم الابتدائي . قيل لي ان النية حسنة فيه ولكن الاعمال دون النيات .
وقال آخرون لا النيات حسنة ولا الاعمال .

عندما دخل الانكليز العراق كانت الطريقة في التعليم ترصوية ، اي
ان الدولة اجازت انشاء المدارس الاجنبية الطائفية ، وكانت تخصصها بشي من
المساعدة المالية . وفي هذه المدارس كان يتعلم التلاميذ دينهم ولتهم اولاً ،
ثم مما لا يضر بالروح الطائفية والجنسية من العلوم . لا يخفى ما في هذه الطريقة
من عوامل التفريق واسباب التفتق . واذا خفي على الشرقيين فلا يخفى
على الانكليز الذين نشوا مع ذلك في التعليم العام على طريقة الاتراك . وهذا
ما يؤسف له جداً . كأنهم ارادوا ان يتبشوا الامة في طائفياتها وتقسيمها
ومع ان في العراق من يتشرون الطريقة الحديثة المجردة من المذهبية ، ويطالبون
ببرنامج واحد في التعليم وبلغة واحدة ، والاستاذ الحضري في مقدمة هؤلاء
المصاحين ، فيحكومة الانتداب لا تقبل بذلك . وما عذرهما غير عذر الحائلف
من نسايب حصه فيخرج عليه متحد انقوى .

اما قول الانكليز ان اهل العراق غير مستعدين اليوم لبرنامج يوحد
التعليم العام ، وان الحكومة لا تستطيع ان توحد اللغة في الاقل لتجعل العربية
لغة التدريس في الموصل وفي كركوك مثلاً في بغداد والبصرة ، فهو قول
يحتاج الى برهان . لم تقدم الحكومة على ذا العمل ولا الانكليز اذقوا به
قد كان في امكانهم ان يقوموا في البداية بتصف الاصلاح فقط ، فتمنع
الحكومة عن المدارس الخاصة - الطائفية - المساعدة المالية وتقدم هذا
المال ، الذي لا يزال يبذل في سبيل التفريق ، لوزارة المعارف ، وهي اروع
اليه ، اسد زعمات مدارس الحكومة الابتدائية .

(١) في العراق من هذه المدارس الخاصة اكثروا من ثلاثين مدرسة منها اليهود ومنها
للموارث المسيحية اجنبية ووطنية ومنها اسلامية . والحكومة تخصصها بدعادات مالية

ان هذه المدارس ترداد عدداً كل سنة فتضاعف لدى وزارة المعارف الصعوبات في ادارتها . والحقيقة هي ان اقبال الامة العراقية على العلم هو اكثر من اهتمام الحكومة في تخصيص النفقات وتسهيل الاسباب . وقد يكون بعض التبعة عليها اي على الامة . ان عدد التلاميذ تضاعف في السنتين الاخيرتين ، صد من ثمانية الاف الى سبعة عشر الفا . وان عدد المدرسين لم يزد اكثر من ثلاثين بالمئة ، ولم يتخرج من دار المعلمين في السنة الاخيرة غير خمسة وعشرين مدرساً . فما السبب في ذلك . هناك اسباب اولها الميزانية وانخفاضها الوطنية العراقية . واليك البيان والبرهان .

ليس في العراق ما يحسن من المعلمين العراقيين لسد الحاجة في ازدياد عدد الصفوف والمدارس . ولم تكن في ذلك النقص منهم تلك الجدارة التي تتطلبها التعليم الحديث . حتى وان كانت جدارة فداد المعلمين لا تكفي لتخرج العدد اللازم كل سنة . ان خير ما يعملون اذن في حل هذا المشكل هو ان يستمروا يعلمين من سوريا او من مصر . ولكن الوطنية العراقية تحول دون ذلك .

هيب انما وطنية صجيحة ، افينستفي العراق اليوم من المساعدة الاجنبية ؟ هذا اذا عدنا سوريا من اوربا . ولكن الفطرية شقية ان لغة ، وجنساً ، وروحاً ، ومذهباً . فحبذا وطنية في التعليم اعلى من الوطنية في السياسة . حبذا وطنية مثل التي في مديرية المعارف . ان الاسناد اما خلدون ساطع الحصري ان الاخصائيين في علم التدريس الذي مارسه مد في اماكن مختلفة وحكومات عديدة . وما هو يسودي ولا يبراتي . هو سوني لا غبار على عربيته غير لهجتها . ذلك لانه ، وان كان ولد في صناعا ، ليس ، فقد اقام مدة في الاسنانة يخدم الامة التركية . ثم تجرد لخدمة العرب عندما دخلوا الشام فكان وزير المعارف في الحكومة القيصية . ثم سافر مع من سافر الى بغداد من رجال النهضة وهو لا يزال في وزارة المعارف يدور اهم شؤونها .

والاستاذ ابو خلدون من اولئك القلائل الذين حرروا انفسهم وميوتهم من قيود التقاليد الاجتماعية . اظن محله هو الوحيد في بغداد الذي تستقبل فيه ربة البيت الزائرين سافرة وتشاركهم في الاحاديث .

اول مرة زرت الاستاذ وحرمة الفاضلة المهذبة اجتمعت في بيتها بعدد من المعلمين السوريين الذين يعملون في المدارس الابتدائية واحكثهم من غربيي الجامعة الاميريكية ببيروت . وكانت وزارة المعارف يومئذ هدفاً لانتقاد فريق من الناس شق عليهم ان يروا بعض التفضيل في معاملة المعلمين السوريين ، فقاموا يجتجون على وجود معلمين من الاجانب في تلك المدرسين ظنفت لشدة الاحتجاج ان اكثرهم من الاجانب فسألت الاستاذ الطصري فقال : عدد المدرسين اليوم سبعة وعقد غير العراقيين منهم خمسة وعشرون .

ثم قالت حرمة بالانكليزية : لو كان في العراق دار معلمين ثانية ا ولكن من اين المال ؟ الانكليز لا يساعدون ، والعراقيون لا يستطيعون . وهم يظنون ان دار المعلمين تعطى المعلمين بالثبات . تيمت دار المعلمين مثل مامل الشوكولاته يحصل مئة صندوق كل يوم . . . ومن هم الاجانب بين المدرسين ؟ تشكر الله يسوا باتراك . تأمل يا مستر ريجاني (كانت تكلمني بالانكليزية لانني لا احسن التركية) انهم ينظرون الى المصري والى السوري نظروهم الى الاجانب . وليس في السلك كله احكث من ثلاثة بالمئة وما هم كلهم سوريين ومصريين . عندنا عشرة معلمين سوريين فقط وستة مصريون وتسعة انكليز . خمسة وعشرون معلماً اجنبياً ، اذا دعوتهم كذلك ، بين سبعة معلم من العراق .

اثنتان ونصف في المئة كان يجب ان تكون عشرين . ان في نفورتنا من الاجانب الاوروبيين شيئاً من التعصب في بعض الاحايين ، فكيف به اذا كان يشمل من ليس من قلوبنا من البلاد العربية . الاجانب السوريون ،

الاجانب المصريون ، الاجانب الاوروبيون - ان هذه العصبية لشبهة بالمذهبية . والويل لنا اذا كانت نحل محل اوطنية العربية والقومية الجنسية العامة . ما السوري ، خصوصاً في دوائر التعليم التي هي غير دوائر السياسة ، الا عربياً يساعد في تهذيب ناشئة عربية ابنا كانت ، في العراق او في الكويت او في الحجاز . اني اذا ملت الانكليز لاتخاذهم في التعليم طريقة الانراك الوم العراقيين اشد الوم في تضيقهم نطق الوطنية الى حد العصبية المذهبية او بالحري القبلية فمدوا السوريين والمصريين من الاجانب .

ليست دار المعلمين بمحل شوكولاته كما قالت حضرة حرم الاستاذ ابي خلدون ، وليس المدرس من يحسن العلوم التي يدرسها فقط ، كما اوضح الاستاذ في كتابه^(١) . اما وزارة المعارف في مثل هذه الحال ، اي بين جزين في المال والرجال ، فهي تضطر احياناً ان تعين من ليس فيهم الجدارة ليمسكوا بعض النقص في المدرسين . وكثيراً ما يؤدي ازدياد عدد التلامذة بالنسبة الى عدد المعلمين الى الجمع بين صفين اثناء التدريس ، فيعسر في هذا الجمع تلاميذ الصفين . افلا يجدر بالحكومة العراقية ان تستعين بجارتها ، سوريا او مصر ، لتسالي النقص والحلل ؟ -

من يسكن في المدن الحديثة يألف نظرة الاملاكات في الاسواق فيراها ولا يقرأها ، كأنها جزء من الحائط او نقش على السور المتصدة به . وتعي عمد الاسلاك البرقية وعمد المصابيح مثل الاشجار لدى الفلاح يصطدم بها فيظنها حجراً في طريقه فيسب بقرته او حماره ولا يسب الشجرة . كذلك كنت في بغداد وهي في عمد مصابيحها ، وفي جدران سوقها الاوحد ، اشبه

مدينة اميركية يجبهك الاعلان فيها كيف اسرت ، وكيفها نظرت ، واسكني
ما سببت بقرتي ولا حماري ، بل كنت امشي في ذلك السوق « اجديد »
كلني في الدهناء ، انظر الى الارض تارة وطوراً الى السماء . فتقاضيتي الاقدار
يوماً من هذه المسكابة . نعم ، تطمعت عوداً من حديد ، فاضطرت ان
اقف هتية ايمود الى صفاء نظري ، فقرأت كرها الاعلان المالحق به :

— طلب الغلة فريضة على كل مسلم ومسلمة —

قلت : والحمد لله . هوذا في الشرق شي . جديد — اعلان العالم ! بل
اخذقتني نازية صديقي الزهاوي فصحت منتهجاً : ايها الغرب ! تعال انظر ما
في الشرق من جديد . جديد . ايها الغرب ! هوذا اعلان يستعمل وجوده في
بالاهك ، نس لانه نيج لانه بل لانه لا يستشر مباشرة وليس من يقوم بانفاقه .

قرأت الاعلان ثم قرأته معجباً به . بهتجاً . وصرت بعد ذلك امشي
ونافرتي لسبيين على العمود . تباركت اليد الطامعة ، واليد الناشرة ، واليد
النافعة المال . وهذا اعلان آخر : اطلبوا العلم من المهد الى القبر . وهناك
ية اخرى من آيات النور : لا حيلة بمنع العلم . وهوذا اعلان الامة جماء :
« تعلم اساس العمران . واليك على اساقفة قاعدة النجاج والسعادة : تهذب
. ابتغ ما شئت . والاعجب من ذلك حكمة هو عند باب الدنيا » على
اللوحة التي تملن الرواية الاخيرة . هناك تقرأ الانذار الاخير : بالعلم تحيا
وبالجهل تموت !

استطعت نجر هذه الاعلانات فقلت ان الحكومة بريئة منها ، وان
المحسنين الاغنياء او الاغنياء غير المحسنين لم يسعوا بها . ان في بغداد جمعية
ادبية اصلاحية اسمها « المعهد العلمي » ، وهذا المعهد العلمي هو مخترع اعلانات
العلم ، وهو طالبها وناسرها على نفقته مجاناً لوجه الله . ايها الغرب — المفو
يا صديقي الزهاوي — هوذا الشرق تاهضاً ، وقد نبذ النظريات والخيالات

والاوعام. هوذا الشرق ايها الغرب يحثذيك ويفوقك في النيرة المدنية هوذا
اللوب في الاصلاح علمي - هوذا مثال واحد من مظاهر النهضة الحقيقية
في العراق .

سألت عن المهدي الذي وسددت خطراتي اليه ، فاجتمعت هناك بمعيده
الاول ، وهو فيه القوة النافعة المحركة المدبرة ثابت عبد النور . حدثت ثابتاً
فلم يجني ولا يجني معاً . الفيتة شارب في المقد الثالث ، له من الحسن ما كان
ايوسف وعنده من النسيطة ما كان داوود وهو مع ذلك سام الجسم والعقل ،
براق الدين والجليل ، صافي الذهن والصوت ، وطله فوق مذهبه ومذهب
احداده ، وشرفه اكبر من دينه . شاب رائع تهيم له الحياة بكل ما فيها
من بوار الايام ويوارق الصدا والمجد ، وهو مع ذلك مثل داوود ، بل مثل
« دون كيشوت » ، حاملاً رحمه على الدنيا . كثيراً على الدوام .

حدثت ثابتاً فزجني . سمعته يشكر ويتسخط ويتن ، حكاية اصطدم
بعمود في جادة الحياة ولا يزال الشرر يتطاير من عينيه . - لماذا خلق الله
الانسكاير ؟ لماذا خلق الخواطين ؟ لماذا خلق العادة الاشراف ؟ لماذا خلق
الله المنافقين والخوانة ؟ وجاءني منه بعد ايام كتاب يدعوني لتناول الشاي في
بيته - « فتجتمع صفوة الناهضين او بانودج منهم في الاقل ، بشبان وطليين
اثبت التجارب صدق عزيتهم واخلاصهم ، ومفتهم المناقير وغيرهم من ذوي
الالاقاب الضخمة والابهة الفارغة الذين ما يرحوا بسوقون الامة من سي . الى
اسو . . . الخ » فتسبي ثبت كما ترى « صفوة الناهضين » الذين دعاني
لاجتمع بهم في بيته .

هم اخوانه في المهدي وفي الجهاد ، يملكون في الاصلاح ، اوسع السبل
واطولها ، سبل العلم : تعلم يا فتى فالجول عاد . وهو عيدهم المسؤول عن
الاعلاقات في شوارع بغداد . ان في هذا المهدي عقولاً عاملة مخترة فلا مسوغ

فيه للنفوس المكتبة . وقد كانت باصورة اعماله واختراعاته انه اعاد الى بغداد الجديدة القديمة احدى الفاخر العربية التي خلدها سوق عكاظ . اقام جماعة المعهد العلمي سوق عكاظ في عاصمة العباسيين ، وكانت اول حفلة باهرة فريدة بعد التشويج ، حضرها جلالة الملك فيصل فجلس في فسطاط بين التخليل بسمع الشعراء ، ينشدون والحطباء يخطبون . وكان قس بن ساعدة في مقدمة الخطباء ، مثله احد الصبيان الاذكياء ، وكانت الحفلة في طبيعة الشعراء تثار قصيدتها احدى الاوانس المسلمات سافرة صافنة .

فاز ثابت وزملاؤه في اقامة هذه السوق التي ستقام بعناية المعهد كل سنة ، وحاز فوق ذلك الجائزة الاولى في النثر . وهو مع ذلك يشي في جادة الحياة الضيقة فيصطدم بالمسند فيها . احببت ثابتاً ورافقتة مراراً . وكنت كل مرة تصل الى مورد في السوق الجديد اقف امامه واتلو الآية قبضحك . العلم اساس العمران . ليس في ذلك ما يضحك يا ثابت . ان امرؤك كله جد ، وان من يجترع مثل هذه الاعلانات ويسمى في نشرها لمن اكبر الوطنيين ويحق له ان يفتخر ويفرك يديه . بل يحب عليه ان يشكر الله الذي هداه سوا السبيل . سرّ منك ودع المنافقين يتناقضون . ان الله في خلقه مقصد لا يدرىها الناس . والانكليز واصحاب الالهاب الضخمة من خلق الله .

نعم ، وعظمت ثابتاً ، بيد ان الوعظ ليس من شأني ، ولم اتأسف لذلك بل مررت بالنتيجة . وكيف لا تظهر النتيجة الحسنة وصديقي من الاذكياء النجباء الحكماء . صار يشي في الجادة الضيقة والواسعة دون ان يصطدم بالعدو فيها . ثم جاني ذات يوم يخبرني انه متابع للمسل الذي يشره بالاعلانات : قد فتحنا في المعهد مدرسة ليلية لتعليم الاميين مجاناً ثم بشرني بعد اسبوع بفتح مدرسة اخرى خارج المعهد .

سافرت الى نجد وعدت بعد اربعة اشهر الى بغداد فاجتمعت بثابت
عبد النور وذهبت لتغير ظاهر فيه - في حديثه ، وفي وجهه ، وفي خطواته .
حدثته فا ذكر المناقنين . مشينا في الشارع فكانت خطواته اكثر تسدواً
من خطواتي ، فلم يصطدم بيشر او بجوان او بشي . من الاشياء الاخرى
الجامعة . سأته عن مشروعه فقال : نجاحاً باهراً يا استاذ . صار عندنا اربع
مدارس في المدينة وهي لا تكفي . تعال الليلة معي تر بعينك .

مشيت وثابت في الفسق ، في جادات بغداد الضيقة ، وهو يتبعها بانوار
اماله المالية واعماله الناجحة . وسرنا الى مدرسة من مدارس المهود فذهبت
اذا دخلت مما شاهدت وما سمعت . في الغرفة الاولى التي دخلناها صف
الاولاد وسنهم يتراوح بين الخس والخس عشرة ، وكلهم يشتغلون في النهار
فيحرمون التحايم في مدارس الحكومة . هم من الطبقة الثالثة في الامة ، من
الشعب ، من العمل ، وفيهم بياض الحنجر ، وبياض اللبون . وفيهم من يساعد
اباء الخدانة او عمه السنكري ، وفيهم من يخدم يتعلم صنعة من الصناعات .
وفيهم الطوذي والبولجي والكناس عند اطلاق .

وقفت عند صغير الصف فوقف وبده على رأسه يحجب عيني - والي .
اخبرني بحيرة مذهشة انه يشتغل في احد الافران في النهار ، وانه لا يحب
الشغل ولا يحب المدرسة . فقلت : ولماذا تشغل ؟ فقال : عندي ام وعندها
قضيبي . فقلت : ولماذا تحبي . الى المدرسة ؟ فاجاب : امي تقول اذا قرأت
القراءة والكتابة اتخلص من الشغل في القرن . واخبرني صغير اخر لا يتجاوز
الست سنناً انه جاء المدرسة من تلقاء نفسه مع رفاقه في الحلي . وقد بان لي
من يحمل الاجوبة ان اللأم في هذه النهضة الشريفة فضلاً يذكر .

دخلنا الغرفة الثانية في المدرسة فاذا فيها صف الشبان وبينهم الكهول .
جالت عيني في الصف فوقفت عند الكبير فيه ، وهو رجل معتم حسن البرق

يناهز الحثين . هم بالوقوف ليجيب على سؤالي - النظام على الكبير والصغير -
فاشار المعلم قطعاً ان يقبل رجائي ويظل جالساً . اخبرني انه تاجر في السوق
يتاجر بالمعادن ، وأنه والخدمة ناجح في تجارته مع انه قضى السنين فيها وهو
امّي . ثم قال : ولكن الزمان تغير يا فتدي والرجل الذي لا يحسن الكتابة
والقراءة في هذه الايام يخزوه الناس . فكتب جاره على كلامه قائلاً : ويحضره
خصوصاً الاجانب . عار علينا ونحن نطالب الاستقلال ان لا يحسن القراءة
والكتابة . وقال آخر : الصبح الصبح ، على يديه بصمغه : انه سمع بهذه
المدارس الالهية وكان دائماً يتوق الى نعم القراءة والكتابة بشرط ان لا يذمه
ذلك من تارده عنه في النهار ، لانه صاحب مال وعليه رزقها . ومثله في
صف الشباب والرجال كثيرون ، فيهم الحداد والداغ ، والساعاتي والطينان ،
والبناء والحلاق والقران . وكاهن يزعمون المدرسة الالهية راضين بجني ثمرها ،
شاكرون القامحين بها

قطنا الحمر تقرر مدرسة اخرى في الكرخ ، فعدنا وصات اليها
رأيت عند الباب جمهوراً من الاولاد والشبان يتساقون ويتراحمون كأنهم
داخلون الى امة سين . لا الى مدرسة البناء الذي كان بها هي امة تحت
بالعلم . اخبرني مدير المدرسة ان عندهم ثلاث غرف فقط للتدريس وفي كل
غرفة من الحصة وسبعين الى المئة طالب من الاولاد والشبان والرجال ، وأنه
لو كان عندهم ثلاث غرف اخرى لامتلات كلها بيلة واحدة .

هذه صديقي وزملاؤه جماعة المهد العلمي بنجاح مشروعه هذا النجاح
المدمش . وما هو جدير بالذكر انهم لا يقتصرسون في تعليم الاميين على
الكتابة والقراءة وبعض مبادئ العلوم (١) فقد وضعوا مشروعاتهم نظاماً

(١) الدروس مقسومة الى ثلاثة اقسام يسمونها دورات فيعلم الطالب :
في الدورة الاولى - القراءة ، الاملاء ، الحساب ، مبادئ مبرمات ارضية ، مبادئ

اقتطعت منه ما يلي :

قد رأى مجلس ادارة المعهد العلمي في بغداد انه لا يتسكن من تحقيق مبادئه الاجتماعية اذا لم تشر الاكثرية بنور العلم الصحيح وتثلقن مبادئ الاخلاق الواقية - تلك الاكثرية التي قضى عليها ان تبقى جاهلة . . . ولهذا فانه عزم على مكافحة داء الامية في بلاد العراق . . . فوضع نظاماً لهذا المشروع العلمي وقرر اذاعته مع مبادئ " الاجتماعية الانية " :

- أ - حب الوطن من الايمان
- ب - حب النخلة من الايمان
- ج - طلب العلم من المهد الى اللحد
- د - مقت الكذب واعتقار الكاذبين
- هـ - حب الخير وعمله

ويجب على مدير المدرسة ان يلزم الذائب قبل كل شيء هذه المبادئ الحسية الاساسية : مدارس ليلية تعلم الاميين اداء الشعب الالفباء وحب الوطن والنخلة والصدق - عودا حجر الزاوية في الرقي الحقيقي الثابت . وهذا الاساس الامني في بناء الامة الجديد ، بناء الوطنية الصادقة ، المبينة على العلم والتهديب ، المنيرة سبيل الاستقلال التام . هوذا حجر الزاوية ، وهو من صنع العراق ، لا يد اجنبية ساعدت في تحته ووضعه ، لا فضل لأجنبي فيه .

انه وليم انه لأجل وأحب ما شاهدت من مظاهر نهضة العرب في الاقطار العربية كلها . مشروع تعليم بدأ بشلانين طالباً في غرفة صغيرة من المعهد العلمي

معلومات مدنية .

وفي الدورة الثانية - قراءة ، املاء ، حساب ، جغرافية ، تاريخ ، مبادئ الصرف والتعريف ، معلومات مدنية

وفي الدورة الثالثة - قراءة ، املاء ، انشاء ، حساب ، تاريخ ، جغرافية ، صرف ونحو ، معلومات مدنية ، مبادئ هندسية

نعم في سنة واحدة مدن العراق الكبيرة كلها من البصرة الى الموصل . وان عدد الطلاب الاميين الذين يداومون ويصلون ليلاً محاذاً يتجاوز اليوم الحصة الالف ، وقد يصل الى العشرة الالف غداً بفضل ادارة المعهد المنظمة واساليه المبشورة في التشويق ، وفي جمع ما يقتضيه المشروع من المال . فقد تموت بلديات المدن التي فيها مدارس ان تشترك في نفقاتها .

وهناك عدد من المؤازرين المتحمسين وفي مقدمتهم جلالة الملك فيصل الذي يعطف على المعهد ومشروعه عطف احد المؤسسين ويخصه سنوياً بمبلغ من المال . اجل ، قد اهتم جلالاته اهتماماً خاصاً بمشروع تعليم الاميين ، وزار متشكراً المدارس الليلية فتشاهد بعينه ما شاهدته من مظاهر الفلاح . وحذا التشكر في غير حيل الاله والسورور ، حذا بغداد الجديدة ، وقد اجتث بالعلم ، ورشدها الجديد بنشاطها ويساعدها فيطوف ليلاً يحكاكها عامة الناس لا يحدت الصياد ، ويضعك من الباد ، بل يقف امام اللوح الاسود ، لوح الالفباء ، الذي سيبض منه وجه الامة ، فيستطلع خبر المتهافتين عليه من رعيته .

والحق يقال ان جلالة الملك فيصل ، مها كان من شأنه في السياسة والزعامة ، لمن اكبر ملوك العرب نجمة على العلم ، وله في بث روح العلم والرفان وفي كتجيع الادب والمشاريع التهديبية في الامة ، الفضل الذي سيحمل عبده ولا شك عهداً ذهبياً مجيداً .

واني اتقن ان يكون في كل قطار من الاقطار العربية مشروع مثل مشروع المعهد العلمي وامير مثل فيصل الاول بعهد المشروع ، فيقتضى بعد ذلك على الامة والجهل في البلاد كلها .

الخاتمة

أو

تمة البحث في الوحدة العربية

إذا كنت تصفحت هذا الكتاب ايها القارى، او ما جاء فيه من المباحث السياسية فجد من نفسك ميلاً ، مقروناً بالعلم الذي لا يشوبه شائب النقص والتعزب ، لتتبع هذا البحث .^(١)

قلت في المقدمة ان البلاد شرقي الاردن هي جزء من الحجاز ، والحجاز جزء من تامة التي تمتد جنوباً الى الحما ، واثماً من اليمن ، واليمن هو الاصل الذي تنفرع منه مجران وعبر سهولاً وحزوتاً هوذا شطر من اساس الوحدة العربية لو كانت الجغرافية سيادة على السياسة تدوم ، او و كان للدين نفوذ في تاليف مطامع الامراء ، او وحكانت للقومية العربية سطوة في القارب حقيقة تسوقها في سبيل واحد الى محجة واحدة .

الاستنتاج من قولي اذن ان الدين والجغرافية والزوج القومية لا تساعد اليوم في تحقيق الوحدة العربية ؟ ليس من الصواب ان اجيب بلا او بنعم . ان المذهب الديني في شبه الجزيرة لا يزال متشكلاً على الدين . وهناك مذاهبان قويان عصبية وسياسية لا يقبلان التذوق ، حنفين كانوا ام شوافع . وهذان المذهبان هما اوهابية في نجد والزيدية في اليمن . ومن عقبات القضية ان

(١) راجع خصوصاً الفصل الثامن من القسم الاول والفصلين السادس والرابع عشر من القسم الثاني والفصلين الحادي عشر والرابع عشر من القسم الثالث في الجزء الاول . والفصول السابع والثاني عشر والثالث عشر من القسم الخامس في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

حاكمي البلادين ، السلطان عبدالعزیز والامام يحيى يحكمان حكماً مذهبياً .
 هما وليكان بفضل المذهب وبإيمانه ويصح ان اقول ايضاً ومن اجله . هما بين
 اعظم ملوك العرب قوة واقتداراً .

فلو فرضنا ان اكثر الاقطار العربية دانت لابن سعود فيظل القطر الياباني
 عاصياً خارجاً محارباً . ولو فرضنا ان الامام يحيى اكتسح الاقطار العربية
 والجنوبية كلها فبسط سيادته من طاج بل من حضرموت الى الطائف ومن
 نجران الى جيزان ، تقدم طالبا لتحقيق الوحدة كلها فانه لن يجد في نجد سداً
 لمغامره عالياً منيعاً .

هذا هو الداء الاول ومكروبه الذهبية . فهل نحقق اماني الوحدة او
 بعضها يا ترى اذا قتل المكروب او عزل في الاقل من السياسة . لا استطاع
 ان اجيب بلا او بنعم لان نجاح القضية لا يتوقف على هذا الاصلاح وحده .

ان روح القبائل لا تزال حائدة في البلاد العربية ومتغلبة في اكثر اقطارها
 على الروح القومية . فلو فرضنا ان الامام يحيى خرج باسم القومية يجاهد في
 سبيل الوحدة العربية ، وقد اتخذ قبةً مدنيةً ونشأ في اليمن حكماً مدنياً ،
 فلا تنفي نبضته ان السيف سيفها لا يزال سيف قطعان ، وان قطعان لا
 تزال نازعة الى عصبيتها ، مثيرة في نزوعها العصبية الاخرى . وبكلمة اوضح
 ان الداء بين قطعان وعدنان عموماً ، وبين قطعان وربيعة خصوصاً ، لا يزال
 متحكماً في جنوبي نجد مثلاً وفي اعالي عسير . فضلاً عن ان نجداً ، والصولة
 فيها لا تزال لربيعة ، تأتي السيادة العامة ليس في مخططان قط بل في مضر ايضاً
 ومقل مضر لا يزال الحجاز .

هذا هو الداء الثاني ومكروبه العصبية . فاذا تغلب امراء العرب الكبار
 على العصبية القديمة فهم وقوموا رسم القومية العربية المحضة الشاملة يبقون
 الوحدة ، فهل يقامرون بها يا ترى ؟ لا يجوز ان اجيب سلباً او ايجاباً لان

نجاح القضية لا يتوقف على هذين الإصلاحين فقط .

ان العوامل الطبيعية توجد في شكل اقسام من الارض وتقليمها ، وفي من يسكنها ، ما يسي وحدة جغرافية تقشبه فيها الاجناس والطبائع والمادات والتقاليد ، وتشارك فيها مصالح الاهالي وسياسات المتقدمين فيهم . عمير ان هذه الوحدة لا تدوم الا ثلاث : حكومة منظمة عادلة ، ومدارس وطنية عامة ، وطرق مواصلات حديثة اي البرق والبخار . وليس في البلاد العربية اليوم ، ما سوى العراق ، غير قطرين في احكامهم شي . من النظام المدني ، هما الحجاز واليمن . وليس في البلاد العربية اليوم غير حكم واحد عادل ، هو حكم ابن سعود . اما المدارس الوطنية العنة فلا توجد الا في الحجاز ولاح واليمن والكويت . وليس في شبه الجزيرة كلها ، اذا استثنينا سكة حديد المدينة والتفرعات السلطانية والاسكافية في اليمن والحجاز ، شي . من البرق والبخار .

على ان في الحالة الجغرافية بعض الاعمل ، فيها اليسر مما يثبت وحدتها ويشعر بتعميم عواملها . وكأني بالقارى . بحال هؤلاء امر . اذا علمت هذه العوامل الاقطار العربية كلها ، فاشانت الحكومات المنظمة ، وطرق المواصلات الحديثة ، والمدارس الوطنية العامة فهل تفوز بظاننا المنشودة ؟

اجيب : نعم . ولكن بمد خمس وعشرين سنة في الاقل من بدانة هذه المؤسسات ، فتقول بواحدتها المصريات القديمة لتحل محلها روح القومية العربية الكبرى ، وتنبذ المبادئ المذهبية من الاحكام المدنية ، تتقوى مقامها سيادة العقل والعدل والتسامح ، بل سيادة العقيدة العربية الجديدة التي ترفع فوق كل مصادمة وفوق كل سياسة ، مصادمة العرب المشتركة وسياسة العرب الموحدة . اذن لا امل للعرب في تحقيق الوحدة العربية الكلية اليوم ^(١) . فيين من الممكن ان يتفاهموا وكما ويتفاهون ؟ اجيب : نعم . واتقول فوق ذلك انه

من الممكن ان يؤاقتوا وحدتين اوليتين تعلمان شبه الجزيرة شطرين في الحكم
كما قسمتها الطبيعة ، اي الشطر الغربي والشرطي . وما كان هذا ايم
اليوم لولا سقوط الخلافة وتنازل الأتراك عنها .

اما رأيي فيها انا اذا عرضة على سادتي ملوك العرب . الخلافة يا سادتي في
قريش - حديث شريف . ومن في قريش اليوم ومن سلالة الرسول اصلح
واشرف من جلالة الملك حسين ^٩ ولكننا في القرن الرابع بشر بعد البشة
النبوية ، وسنة التطور سنة الله . فاذا استذكرنا عمل الأتراك فلا يجوز ان
نتعاض عما هو صالح فيه ، بدأ مصطفى كمال وزلاؤه في فصل الخلافة عن
السلطنة وهذا هو النصف الصالح في اصلاحهم . وني اظن ان الاسلام لا
يعود بعد اليوم الى التقليد القديم .

افلا يحذر بالعرب اذن ان يخطوا هذه الخطوة الى الامام فيقبلون من
مصطفى كمال نصف برنامج اصلاحه ^٧ وهم اذا بايعوا حسيناً بن علي على الخلافة
فيجعلون مقره مكة اي كالبابا في رومه ، ويقيمون بعدئذ ملكاً غيره منهم .
اذا سلمت بهذا اتقدم واياك الى ما يليه . لنفرض ان الملك حسيناً قبل
الزعامة الدينية الكبرى فمن من ملوك العرب اليوم يستحق الزعامة المدنية
الكبرى ويحقق امال العرب بها ؟ لا اظنك اذا كنت قرأت ما تقدم تتردد
في الجواب . نعم ، ابن سعود وابن حميد الدين . فيحكم الاول الجزء الاكبر
من شطر البلاد الشرقي ، والثاني الجزء الاكبر من شطرها الغربي . فلماذا لا
نماعد كلاهما اذن ليسقط حكمه على سائر الشطر الذي هو اليوم السيد
الاكبر فيه ^٩

اني احدثك ايها القاري بلغة فيها سداد المنطق وبساطة الف باه . ولا

(٩) قد كتب هذا الفصل قبل سقوط الملك حسين . وبده كان لا يزال المارلف
على رأيه ان فصل الخلافة عن السيادة المدنية والرشية هو غير للاسلام والمسلمين .

انتقل من مقدمة الى اختصار قبل ان ابرهن باجلى بيان الحقيقة فيها . سلنا بالخلافة للصين ، وبالمسكية للملكين . ولكننا السبيل الى ذلك ، ما هي ؟ وما هي العقبات التي تقوم في وجه المشروع ؟ وكيف نُذَلِّ .

ان في سبيل الفلاح عقبتين لا يستطع بهما ، الاولى في دخول البلاد والاخرى خارجها . اسم الاولى امراء العرب واسم الثانية دولة بريطانيا العظمى . وان بين الاثنين صلة لا تقطع اليوم ، ولست من بطلانها بقطعها . انما اقترح ان تنتقل من القوم الى الاصل ، اوتشي ان يتألف من الصلات المتعددة صلة واحدة لو بالحري صلتان لا غير . اما اذا اعترض الانكليز قائلين ان الامراء لا يقولون بذلك فاجيب : ان للامراء ، ولوجهاء العرب الحق في معالجة الامر دون تدخل حكومة بريطانيا عظمى شريطة انهم منذ البدء يؤكدون لها ان مصالحها في البحر الاحمر والبحر العربي وخليج فارس لا تمس بضر بتاتا .

اما الامراء المالكون اليوم فاول ما يجب اقراره هو ان الحكم يبقى في يديهم كما كان منذ القدم ، اي ان آل صباح يظلون في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والعبادة في طنج ، والادريسة في صبر الخ ولا يتغير في استقلالهم غير اعترافهم بالسلطان الاكبر واشترائهم واية في الدفاع عن البلاد وفي عقد المعاهدات ، وفي نظام واحد يختص بالمسائل الاقتصادية والمصالح العامة .

ليس في هؤلاء الامراء اليوم واحد مطلق من نفوذ الانكليز مهما كان ضئيلاً . وليس فيهم من لا اتفاق او معاهدة بينه وبين دولة بريطانيا العظمى فهل يفضل ان يكون النفوذ لامر عربي كبير اذا توفرت فيه شروط الزعامة فيتمتع بذلك شأن الاثنين ؟ وهل تخسر دولة بريطانيا العظمى او اقتصادي بشي من مصالحها اذا عقد السلطان الاكبر معاهدة معها شبيهة مبدئياً بالمعاهدة او لاتفاق الذي كان بينها وبين الامراء ؟

انني ادرك انها تفضل ان يكون اتفاقها مع كل امير على حدة ، لان في ذلك تقسم قواهم والاقتصاد بقواها . ولكن الامراء ، اذا هم فكروا ملياً ، يرون مصلحتهم الكبرى في غير هذه السياسة . فهم اذا وحدوا سياستهم يعثرون ويتخلصون من تدخل عمال الانكليز الشبه الرسمي وغير الرسمي ايضاً ذلك التدخل الذي يفتون كلهم اليوم منه . وان بريطانيا العظمى لتكتسب ثقة العرب وجبههم اذا قبلت بمثل هذا الاصلاح وفيه ختان مصالحها . ان ابن سعود صديقها وحليفها . فما ضرها اذا كان هو الموقع للمعاهدات والاتفاقات التي بينها وبين البحرين والكويت وقطر وعمان ؟ وما ضر هؤلاء ، لو كان ابن سعود ، وهو صاحب الصولة والاقتدار الضامن لسلامتهم ، واستقلالهم ، العامل في سبيلهم - على شرط - الا يكون لسيادته فيهم صبغة مذهبية . واحصوا هؤلاء الامراء مثل ابن سعود من قبيلة واحدة من ربعة ويقتون الى بكر بن وائل .

ليس في ذا الامر اذني شيء . مستحيل . والخطوة الاولى في سبيله هو ان يعقد مؤتمر عربي عام في مكة مثلاً يحضره كل الامراء لفتح فيه بابيعة الملك حسين على الخلافة ، ثم بابيعة الامام يحيى على الملك في العرب والسلطان عبدالعزیز في الشرق ، ويكون بين الملكين معاهدة ولائيه اقتصادية واتفاق بان يكون ايضاً بينها وبين بريطانيا مثل هذه المعاهدة او ما يقتضون بها مبدئياً . اما الملك حين فيشترط العرب في بيعتهم انه يقبل ان يقيسونه ملكاً عليهم . واذا بايعة كل العرب ببابيه ولا شك المسلمون في الهند وفي الاقطار الاسلامية الاخرى . فعلا يرضى ، وهو الحليف الحكيم ، ان يكون خليفة بمجتمعه المسلمون اجمع ، ولا يكون ملكاً في الحجاز همومه السياسية الخارجية والداخلية هي اشد من هموم حاكم من حكام الدول العظمى في هذه الايام ؟ ان في البلاد العربية اليوم ^(١) اربعة ملوك كبار ، وان في نفسية الرعايا

رعاياهم نصاً على شخصية أولئك الملوك وشرعاً على حالة تسود سياستهم في البلاد .

رعية الملك حسين تطيعه وتحافه .

رعية ابن سعود تطيعه وتحبه .

رعية الامام يحيى تطيعه دون حب ودون خوف .

رعية الملك فيصل لا تحاف ولا تحب ولا تطيع الا امره .

من من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق ان يسرد العرب ؟

مؤلف الكتاب « ملوك العرب » في ١٢ ايلول سنة ١٩٢٨

و ١٥ صفر سنة ١٣٤٣

ابو النعمان (جعفر) ٣٦٥ - ٣٠٠	ازسلان (الامير امين) ٣٥٣
ابو طاهر ٣٠٠	ازسلان (الامير عادل) ٣٢٥
ابو حنيفة ٤٢٧	ازرناوية ٨٨ ١٢٩
ابو خليفة - بلد ١٥٩	ازمخ (السردار) ١٨٧
ابو زيدان - ٢٢٦	ازميا - ازمي - ازمي ٢٧٨ ٢٨١ ٣١٢
ابو سعيد (محمدان) ٢٢٦ ٢٣٦ ٢٤٨	ازميا - ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٦ ٢٣٥
ابو سعيد القرمطي ٢٢٣	ازواد - حير - ٣٥٤
ابو شهر - اسكك - ١٦٦ ١٧٠ ١٧٤ ٢٣٩	ازواد - بوس ٢١٠
٢٤١ ٢٤٣ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٨ ٢٦٣ - ٢٢٠	ازميا - ٢٢٠
٢٦٥ ٢٧١ ٢٦٩	ازدوش ٢٢٥
ابو طاهر ٢٢٩ ٢٣٤ ٢٣٥	الاسان - اسانوية ١٤٩ ١٦٢ ١٦٨
ابو القلاء الميري ٢٠٨ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٩	الاسانوية ٢٢ ١٢٦ ١٢٨ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٦
٢٢٥ ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٧	٣٨٦ ٤٠٠ ٤٠٤ ٤٠٨ ٤١٠ ٤١٢ ٤١٤ ٤١٦
ابو قديك المازجي ٢٣١	٤١٧ ٤٢٣
ابو غر ٣١٢	استرابون ٢٠٩ ٢١١
ابو النواير ٣٠٠	استرابي - استرابون ٢٢٨
ايكودويس ١٨٦ ١٨٨	است (سر) ١٦٦ ٢٥٩
اثائية - قرية - ١١٦	الاسيد (كامل بك) ٣٥٥
أما - جبل - ٩٤	الاسكندر ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٣
اجل (السردار) ١٨٧	الاسكندر ٢٢٩ ٢٣٢
الاحاف ١٢	الاسلام ٧٦ ٨٢ - ٨٤ ٩٧ ٩٨ ١٤١ ١٤٢
الاخوان ٢٥ ٢٨ ٢٨ ٨٩ - ٨٩ ٩٠ ٩٠ ٩٩	٢٠١ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٨
١٠٠ ١٠٥ ١١٠ ١١٣ ١١٤ ١١٤ ١٢٢ ١٢٢	٢٣٩ ٢٤٢ ٢٤٢ ٢٤٢ - ٢٤٢ ٢٤٥ ٢٤٥ ٢٤٥
١٢٩ ١٤١ ١٥١ ١٥٢ ١٥٤ ١٦٢ ١٧٤	٢١٠ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢
١٨٦ ١٩١ ٢٠٦ ٢٠٦	٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
الادارة ٤٥٧	٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
الادريسي (محمد بن علي) ٢٠٠ ٢٠٠ ٢٠٠	الاجلي - اجليون ١٩٧ ٢٣٢ ٢٣٨
٢٠٢ ٢٠٢ ٢٠٢	الاسياح ١٢٧ ١٢٨ ١٢٨ ١٢٨
اراثون ٥٧	اشياح ٢٠٣ ٢٠٣
ارحة الجلامه ٢٤٥ ٢٤٥ ٢٥٠	اشور - اشوريون ٢١٠ ٢٧٨
الاردن ٢٢٠ ٢٢٢	اصاف (يوسف بك) ٣٥٤

٢٩٥	٣٠١	٣٠٢	٣٠٤	٣٠٨	٣١١	التيشير - خر ١٥
٣٢٦	٣٢٩	٣٧٠	٣٧٢	٣٨٦	٣٩١	شامة ٧٤ ٧٢ ٧٤ ٣١٠ ٣٥٣
٣٩٧	٤٠٠	٤٠١	٤٠٨	٤١٤	٤٣٨	تولا (الكولونيل) ٣٣٧
٤٤٠	٤٤٢	٤٤٤	٤٤٦			تونس - تونسبة ٣٢٢
٤٥٥	٣٠٢	٣٠٤	٣٧٢	٣٧٦	٣٨٧	تباء ٣١٩
						التيشير جويطة ٣١٥ ٣١٨ ٣٢٢
						تيسودلثك ٣٢٩ ٣٣٦
						فل كيف - بلد ٣٨٩

- حرف الثا -

ثردا ١٣ ١٠٣ ١١٣ ١١٥ ١١٦

- حرف الجيم -

٢٤٣	الجاحظ
٢٣١	الجارودي (الاشعث بن عبد الله)
١٨٧	جاسم (الردار)
٣٧	الجاوودة ١٢
٤٤٤	الجامعة الاميركية ٣٢٦ ٣٣٠ ٣٣٢ ٣٤٤
٣٥٩	جب بنين
٧٨	جبرين - وادي
٢١٤ ٢١٢ ٢٠٩ ١٧٩ ٣٥	جيل - اسكة ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩
	الجيل ٣٢٤
	جيلة - قرية ١٠٩
	جدا - جزيرة ٢٣٨
٣٧٦	جدة ٣١٣ ٣٢١
٣٤٩	جديلة مرجعوني ٣٤٧ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٩
١٦٦	جديلة
١١٦	جرير (الشاعر) ١٠٣ ١١٦
٣٢٢	الجزائر ٣٢١ ٣٢٢
٣٢٧	الجزائري (الامير عبد القادر) ٣٢٧
	الجيه ٣٩
٣٧٧	جفري - جفريون ١٩٧ ٢٢٤ ٢٢٨ ٣٧٧
٣٨٨	٤٠٢
١٥٣	جعين ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٤٧ ١٥٣
٣٨٦	جلاجل - بلد ٣٨٦
٣٣٨	جلال الدين شاه ٣٣٨
٢٦٣	الجلالة ٢٦٣ ٢٥٢ ٢٤٧ ٢٤٥
٧٤	جلوي (عبد العزيز بن مساعد آل) ٧٤
١٢٦	١٢٦
٣٢٤	الجليل ٣٢٤
٣١٤	جمالي باشا ٣١٢ ٣١٤ ٣١٦ ٣١٨ ٣٢٤
٣٠٨	جويل (فخري آل) ٣٠٧ ٣٠٨
٢٥٩	جيلة ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٥٩
٣٥٩	الجندي (حسن) ٣٥٩
٢٣٦	جشكيزخان ٢٣٦ ٢٣٩
١٦٢	الجيرة ١٤٤ ١٥٠ ١٥٢ ١٥٤ ١٥٩ ١٦٢
١٨٥	١٦٦ ١٧٣ ١٧٤ ١٨٠ ١٨٥
٢٢٦	جو - قرية ٢٢٣ ٢٢٦

حلب ١٨٧ ٢٢٢ ٢٢٥ - ٢٢٧ ٢٢٩ ٢٣٣	حنفي - حنفيون ٢٠٨ ٢٢٤ ٢٧٨ ٢٥٢
٢٣٥ ٢٣٦ ٢٥١ ٢٥٥ ٢٥٦	حنيفة - وادي ١٠٨ ١٠٢ ١١٠ - ١١٢ ١١٣
الحلة ٢٦٧	١١٢ ١٣٩ ٢٢٢
الحلاد ٢٣٦	حواء ٣٩١ ٣٨٨
حاء ٢٤٣ ٢٢٥	حوران - وادي ٢٥٠
حد ١٢٨ ١٣٨ ١٥٢ ١٥٣	الحولة ٣٦٥ ٣٦٧
حدان (أبو سيد) ٢٣٣ ٢٣٤	حوامل ١٢٩
حدي يافا ١٦٩	الحويلة - قرية ٢٥٠
حصص ٢٢٥ ٢٢٦	حيدر (رسم) ٢٨٠ ٢٩٢ ٣٠٩ ٣١٠
حود ١٢٧ ١٢٨ ١٣٩ - ١٤١ ١٥٠ ١٥٣	الحبيد ١١٢ ١١٣
حنيلي - حنابلة ٢٢٤ ٢٧٨	حبفا ٣٥٣ ٣٦٧ ٣٨٩

- حرف الحاء -

الحالسي (الشيخ مهدي) ٣٠٠ ٤٠٢	٢٥٢ - ٢٥٤ ٢٥٩ ٢٦٣ ٢٥٧
خبرة الدويش ١٥٠ ١٥٩ ١٨٠	خليفة (الشيخ ابراهيم بن محمد آل) ١٩٨
الخرج - مقاطعة ٩٤ ١٠٨ ١١٥	٢٠٤ - ٢٠٦ ٢٥٦ ٢٥٨
الحرمة - قرية ٢٠٠ ٢٠١	خليفة (الشيخ احمد بن سلمان آل) ٢٦٩
خزعل خان (اميرنويان) ١٦٠ ١٦٥ ١٧٤	خليفة (الشيخ احمد الفايح آل) ٢٤٠
١٥٢ ١٥٦ - ١٦٢ ٢٠٢ ٢٠٣	٢٥٨
الخطاب (عمر) ٢٨٦ ٢٨٧	خليفة (الشيخ حمد آل الامير اطالي)
خليج فارس ١٧ ١٨ ٢٠ ٢٦ ٢٧ ٣٧ - ٣٥	١٦٥ ٢٢٦ ٢٢٦ ٢٦٨
٢٧ ٢٨ ٣٨ ٥٤ ٥٥ ٥٩ ٦٢ ٦٦ ٧١ ١٠٥	خليفة (الشيخ خيالدين علي آل) ٢٢٩
١٥١ ١٥٩ ١٦٤ ١٦٧ ١٦٩ ١٧٠ ١٧٣	خليفة (الشيخ خليفة بن الشيخ سلطان آل)
١٧٦ ١٧٧ ١٧٧ - ١٩٩ ٢٠٩ ٢١٠	٢٢٥ ٢٢٦
٢١٢ ٢١٤ ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٦	خليفة (راشد بن عبدالله آل) ٢٦٧
٢٣٨ ٢٥٣ - ٢٥٥ ٢٦٢ - ٢٦٧ ٢٧٠	خليفة (الشيخ سليمان آل) ٢٢٦ ٢٢٦
٢٧٨ ٢٨١ ٣٠٠ ٣١٩ ٣٧٦ ٤٥٧	٢٢٦ ٢٢٨ ٢٥١
خليفة (الشيخ) ٢٤٠	خليفة (الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن
خليفة (آل) ٢٧ ١٦٦ ١٦٦ ٢٢٦ ٢٣٩ -	خليفة آل) ٢٤٦ ٢٤٦ - ٢٥٧ ٢٥٤
٢٤١ ٢٤٣ - ٢٤٥ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٥٠	٢٥٨ ٢٦٣

١٥٤ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٦ ١٧٩ ٢٠٠ ٢٢٢ رباتي ٢٥٥
٢٦٨ ٢٨٠ ديمان (الدكتور) ١٦٤ ١٦٥ ١٨٩

— حرف الزاي —

زايده (عبدالله بن علي آل) ٢٠٧ ٢٢٦
الزبادي ٢٢٦ ٢٣١ ٢٣٩ - ٢٤٤ ٢٥١ ٢٦٣ الزهاوي (جميل صديقي) ٢٠٦ ٢١٣ ٢١٩
الزبداني ٢٥٨ ٢٦٠ ٢٦٢ - ٢٦٥ ٢٦٧ ٢٦٦
زيدة (امرأة هارون الرشيد) ١٢٧ ١٣٢ الزور - جبل ١٥١ ١٥٢
- ١٣٤ زولا (اصيل) ٢٥١
الزبير ١٧٨ ٢٢٢ زبد بن حسين بن علي (الامير) ٣٠٥ ٣١٥
الزجاج (ابو جلول محمد بن يوسف) زبدية - زبد ٢٧٨
٢٣٥ ٢٣٦ الزبدية ٢٤٣
زمر - ٢٣٥ زبد - بلد ٢٦٩
الزنج (صاحب) ٢٢٩ ٢٣١ - ٢٣٦ ٢٣٦ زين العابدين ١٣٦
زنجبار - جزائر ١٧٧ زينل (الحاج علي رضا) ١٩

— حرف السين —

سالم ١٢٧ ١٢٨ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٨ ١٥٢ سر كسي (سليم) ١٩٨ ٢٠٤ ٢١٥
١٥٤ سريان ٢٧٨
سامر آ ٢١٧ سعد الزنجي (ابو بكر بن) ٢٣٦
السامي - السامون ١٩٤ ٢١٠ ٢١٣ ٢٠١ سعدون (آل) ٣٩٩
ساوي (لثاند بن) ٢٢٩ ٢٣٠ السعدون (عبدالكريم) ٤٠٠
السيامي (محمد) ١١٥ ١١٤ السعدون (عبدالحسن بك) ٣٨٠ ٣٨٦
سبيع ١٣ ٣٨٨ ٣٩٨ - ٤٠٢ ٤٠٤ ٤٠٥ - ٤١٠
سفرة - جزيرة ٢٤٨ السعدون (فهد باشا) ٤٠٠
سدوس - بلد ١٣٧ ١٤٣ سمود (آل) ٩٠ ٨٩ ٩٠ ٩٨ ١٠٨ ١٠٩
سدبر - ناحية ٣٥ ١١٦ ١٧١ ٣٨٦
السر - وادي ١٠٣ ١٠٤ ١٠٦ ١١٣ ١١٦ سمود (الامير سمود آل) ٢٢٥ - ٢٢٥
- ١١٨ سمود (عبدالعزيز الاول) ١٠٩ ١٢٥
سر حان - وادي ٧٤ ٧٦ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧

٦٥٣	سعود (الامام عبدالعزيز بن فيصل آل)
١٧١	سبي - ميون ٨٦ ١٠٦
١٧١	السودان ١٩
٢٥٤ ٢٥٣ ١٦٨	سعود (فيصل آل)
٢٩	سعود (عبد الفيصل آل)
٢٢٤ ٢٢٣ ٢١٦ ٢٨٤	الحديد (نوري باشا)
٤٠٠ ٣٩٩ ٣٨٨	مقراط ٤٥٥
٢٣٦	السلجوقية - (الدولة ٢٣٦)
٢٢٣	السلطان (السيد ٢٢٣)
٢٢٩ ٢٢٨ ٢٢٧	سلطان (الأمير سعيد ٢٢٩ - ٢٢٨)
٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩	السلطان (٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩)
١٢	السلطان (١٢)
٢٥٩ ٢٦٠	سلطان (آل ٢٥٩ ٢٦٠)
٩٦	سلمى - جبل ٩٦
١٢١ ١١٨	سلمى (آل ١٢١ ١١٨)
١٢٣	سلمى (عبدالله بن خالد آل ١٢٣)
١٢٢	سلمى (عبدالمعز بن عبدالله آل ١٢٢)
٢٣١	سلمى (عقبه بن ٢٣١)
٢٣٨	سلمى (سلطان تركيا ٢٣٨)
٢٣٨	السلطان (العثماني (سلطان تركيا ٢٣٨)
٢٧٨	السلطانية ٢٧٨
٢٨٥	سلطان ٢٨٥
٢٧١	سلطان ٢٧١
٢٥٦	سلطان (آدم ٢٥٦)
٢٧٨ ٢٦٠ ١٩٧ ١٠٩ ٨٣ ٨٦	السنة ١٣ ٨٦ ٨٣ ١٠٩ ١٩٧ ٢٦٠ ٢٧٨

— حرف الشين —

الشامي - الشواقم ١٠٦ ٢٢٤ ٢٧٨ ٢٥٣
 الشام ٢٨ ٥٨ ٧٠ ١٢٠ ١٢٧ ٢١٠ ٢٢٤

شاربنتيه ٢٤٨
 شارلس (ملك الإنكليز ٨٣)

العيان - كفر ١١٥ ١٢٠	صباح (حمود آل) ١٧١
مندان ١٤ ٢٥ ٤٧	الصبيحية ١٥٩ ١٨٠
السيديونية ٣٥٥	الصعدانية ١٦٠
صور - بلد ٢٠٩ ٢١٢	المتخير - قرية ٢٢٣ ٢٢٦
الدومالي ٣٦٩	المصدر (أ. بد. حسن) ٣٠٠ ٣٠١ ٤١٢
صيدا ٣٦٨ ٣٦٩	المريفي ١٧١ ١٧٢
ثمين ٩٧	المنيرا - كفر ١٢٠
صبي - حيدون ١٢٦ ٢١٠	الصقوي (الشاه عباس الاول) ٢٣٩

- حرف الضاد -

الضهير - قبيلة ٥٩ ٦٠ ٩٣ ١٢٥ ١٢٦	ضرمه ١٦ ١٧ ١٨
---------------------------------	---------------

- حرف الطاء -

طهران ١٩٢ ٣٦٩ ٤٠٣	الطائف ١٤١ ٣١٢ ٤٥٤
طواله (ضاري بن) ١٧٣	طهرستان ٢٢١
طودوس ٣٣١	طبرية ١٦٣
طويق - جبل ١١٨ ١١٣ ١١٤	طريف (عيسى بن) ٢٥٣ ٢٥٩
طي - بلاد ١٢٢ ١٢٧	الطويل ٣١٢ ٣١٩

- حرف الظاء -

ظاهر المروض ١٣٢

- حرف العين -

عامل - جبل ٣٦٧ - ٣٦٩	عائنة ٢٣٢
عبدان ٣٥ ٦٦ ٧١ ٧٢ ١٨٣ ٣٦٨	العامر ٨٠ ٨١ ٨٥ ٨٩ ١٠٨ ١١٨ ١٢٨ -
العبدلة ٢٥٧	١٣٠ ١٣٧ ٢٠٩ ٢٢٢
العباس ٤٣٣	عالية ٣٦٠

- حرف القاف -

نادش ٢١٠	١٠٧ ١١٦ - ١٢٠ ١٢٦ - ١٢٨ ١٢٨ -
قاضي (آل) ١٢١	٣٠١ ١٢٦ ١٥٢ ١٨٠ ١٨٦ ٣١٥
القاهرة ١٩٩ ٢٩٢ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٨٠ ٤٠٤	قطر - ناحية ١٢ ٧٧ ١٧٣ ٢٢٣ ٢٢٦ ٢٢٦
٤٠٥	٢٢٧ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٤٠ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٥
قبرص ٣٢٢	٢٥١ ٢٥٣ ٢٥٦ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦٣ ٢٦٩
قبة ١٢٩	٢٧٣ ٢٥٨
قطران ١٣ ١٠٣ ١١٦ ١١٦ ١١٦ ١١٦ ١٠٤	(القطران) ٢٢٣
(اللادج) (عبد الله) ٢٢٣	(اللطيف) ١٦٨
(اللدس) ٣١٨ ٢٢٢	(اللطيف) - اسكلة ٣٠ ٢٦ ٢٩ ٣٥ ٣٥ ٣٧
القرادقة ٢٢٩ ٢٣٣ - ٢٢٦	٦٠ ٧٦ ٧٦ - ٧٨ ١٧٧ ١٧٩ ٢١٤ ٢٢١ -
القراة - بلدة ٢٠٩	٢٢٦ ٢٣١ ٢٣٦ - ٢٣٧ ٢٤٦ ٢٥٠ ٢٥٣ -
قرية ٢٢٩ ٢٥٦	٢٥٥ ٢٦٩
القرين - جبل ٢٥٩	قلوع - وادي ٣٥٩
القريني ٢٠٩ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٩ ٢٢١ ٢٢٧	القلية ١٥٩ ٣٦٥ ٣٦٨
قس بن ساعدة ٤١٨	قران - جزيرة ٢٣٧
القصب (عبد الله) ١٦ ١٦ ٢٦ ٢٦ ٢٦ ٣٣	القنفذة - ميناء ٣١٢
القصب (عبد العزيز) ١٤ ٣١ ٣٣	القنبي (عبد الله) ١٢٦
(القصب) - ناحية ٦٠ ٧٦ ٨٠ ٨٦ ٨٦ ٩٤	قيس - جزيرة ٢١٢ ٢٢٢ ٢٥٢

- حرف الكاف -

كاثوليك ٢٧٨ ٢٢٦	الكوخ ٢٢٧ ٢٥٠
كادي (الضابط) ٢٢١	الكرد أو الأكراد ٢٧٨ ٢٩٥ ٣٠١
كادشي ٢٨٥	٣٠٤ ٣١٢ ٤٠٠
(الكاظم) (الامام موسى) ٢٢٧	الكرك ٣١٢ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢٣ ٣٣٥
الكاظمية ٢٠٢ ٢١٣ ٢٢٧	كر كوك ٢٧٨ ٢٤٢
(الكاظمين) - جامع ٣٠٠	الكرملي ٢٢٧ ٢١٣
كربلاء ٢٧٨ ٢٧٠ ٢٧٧ ٢٩٧ ٢٢٧ ٢٣٢	كرمويل ٨٣

٩٦ - ١٠١ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨

١٠٩ - ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦

المتصر بن المتوكل ١١٧

المتنق ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤

المتنق (عبد اللطيف باشا) ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١

١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨

النصور ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥

النصور (ابو جعفر العباسي) ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢

١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩

النصور ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦

نور (الجزال) ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣

نور (شقيقة السيد سعيد بن سلطان) ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠

نور - وادي ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧

الواصل ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤

١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١

نوي - بناد ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨

٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥

٢١٦ ٢١٧

نظري ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤

نمان ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١

نماوية ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨

النمرة ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥

النور ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢

نقدوني ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩

نقار (سود بن) ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦

نكة ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣

٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠

٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧

المكتفي بن المنصور ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤

مكدونالد ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١

المكبر ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨

المالك ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥

الناصر - قيلة ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢

٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩

- حرف النون -

١٠٧ - ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤

١١٥ - ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢

١٢٣ - ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠

١٣١ - ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨

١٣٩ - ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦

١٤٧ - ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤

١٥٥ - ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢

١٦٣ - ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠

١٧١ - ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨

١٧٩ - ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦

١٨٧ - ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤

نابلس ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١

الناصر ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨

الناصرية ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥

نور ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢

النيران (الشيخ خليفة بن محمد) ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩

٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦

نور ناصر ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣

٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠

٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧

٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤

٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١

٢٨٢ - ٢٨٤ ٢٨٤ ٢٢٥ ٢٦٨ ٢٦٩	ملال (بنو) ١٤٤
الهندوس ١٢١ ١٩٧ ٢٢٥ ٢٧٨	متجهم - جزيرة ٣٠٠
هتلي ٢١٣ ٢٢٩ ٢٣٠	الهند أو الحكومة الهندية ١٦ ١٧ ١٩
مولندية ٢٠٠	٢٦ ٢٩ ٣٥ ٣٧ ٩٤ ١٢٠ ١٢٤ ١٢٥
موغارث (الكركل) ٢٢٢	١٧٦ ١٧٧ ١٩٩ ٢١٠ ٢١٢ ٢١٣ ٢٢٤
مونغو (فكتور) ١٣٧	٢٢٥ ٢٢٧ - ٢٣٦ ٢٤١ ٢٤٧ ٢٥٤
مونس (الميجر فرانك) ٧٢ ٧١ ٦٦	٢٥٥ ٢٦٤ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٩ ٢٨٢ -
الموبدر ٣٠٢ ٣٠٧	٢٨٤ ٢٨٧ ٣٠٠ ٣٢٥ ٣٦٢ - ٣٦٥
ميرودوط ٢٠٩ ٢١١	٣٦٧ ٣٦٩ ٣٩٥ ٤٥٨
	هندي - عنود ١٦٢ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٧٩

- حرف الواو -

ولس ٢٨٦	وادي الخربير ٣٥٩
ولسون (البر آزلند) ٧١ ٢٧١ ٢٩٥	واشنطن (العاصمة) ٣٤٦ ٣٨٤ ٣٩٣
٢٩٩ ٣٦٢ - ٣٦٥ ٣٦٨ ٣٦٩	الوراق الواق - جزر ٧٣
ولسون (وودرو) ٢٦ - ٢٨ ٢٧٩ ٢٨٦	وال (بكر بن) ٦١ ١٦٩ ٢٢٣ ٢٣٠ ٤٥٨
٣٣٧ ٣٣٦	وال (بنو) ١١٦ ١٢٣ ٢٢٩
الوليد (خالد بن) ٢٢٩ ٢٣٠	واقل (نعلب بن) ٢٢٣
وعاي - وعايون ٢٨ ٢٩ ٥٢ ٧٤ ٨٢	الويرة ١٥٩
١٢٤ ١٢٤ ١٩٧	وئي - وئيون ٢٣٩
الوهاية ١٣ ٨١ - ٨٣ ٩٩ ١٠٨ ٢٤٢	الوشم - سل ٣٥ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٦ ١١٣ -
٢٤٣ ٤٥٣	١١٦ ١٢٦

- حرف اليا -

٤٥٨ ٤٥٩	اليابان ٩٧ ١٢٠ ٢٢٣ ٢٢٨
اليرموك - وادي ٢٢٣	ياقوت ٢٢٣
يريدية ٢٧٨	يحي بن حبيب الدين الشوكلي على الله (امام)
يماقة ٢٧٨	اليسن (٦٣ ١٠٢ ٢٧٣ ٤٥٤ ٤٥٦

١٠٨ ١٦٦ ٢٠٩ ٢٢٢ ٢٣٠	بنع - مينا ٣١٦
١٣٥	يودي - يود - او اسرائيلون ١٥٩
١٠٩ ٢٥ ٢٢ ١١٨ ١٤٠ ٢٠٠ ٢٠٧	١٤٧ ٢٢٥ ٢٨٢ ٢٧٨ ٢٣٤ ٢٢٢ ٢٠٠
٢٢١ ٢٢٤ ٢٢٧ ٢٨٠ ٢٨٢ ٢٣٠ ٢٣١	٢٢٢
٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٣ ٢٢٢ - ٢٥٥	يوسف بن يعاقوب ٩٥ ١٣٥ ١٣٦ ٢٢٧